مصر والشرق الأدنى القديم

(١٠)

تاريخ العراق القديم

الأستاذ الدكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة
الاسكندرية

والله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ٠

« وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » ٠

دكتور
محمـد بيومى مهـران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

بولكلى رمل الاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م٠ }

مصر والشرق الأدنى القديم
(١٠)

تاريخ العراق القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير ـ الأزاريطة
الاسكندرية



والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
مولانا وسيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم فى العالمين، انك حميد مجيد»

إهـــداء

الى من هـو أعز على من نفسى ..

الى زينـة الدنيا ، ودعوة الآخرة ..

الى ولـــدى : الحســـين

أهـــدى هـــذه الدراســة



تمثل مصر والعراق القديم مركزا الثقل السياسى والحضارى فى منطقة الشرق الادنى القديم حتى أننا نستطيع بدراسة تاريخها – وخاصة منذ الالف الثانية قبل الميلاد – التعرف على تاريخ المنطقة باسرها ، ذلك أن الباحث فى تاريخ مصر فى عصورها الفرعونية ، ليمكنه أن يتعرف اهم الاحداث السياسية ، والتيارات الحضارية ، فى بلاد الشام وآسيا الصغرى ، فضلا عن الصلات السياسية والحضارية فى بلاد الرافدين ، وجزر شرقى البحر المتوسط ٠

ولعل الأمر يشبه ذلك الى حد كبير فى بلاد الرافدين ، ومن ثم فالباحث فى تاريخ العراق القديم انما يمكنه كذلك أن يتعرف الصلات – السياسية والحضارية – فى ايران وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر ، فضلا عن بعض مناطق الخليج العربى ، والقبائل العربية – الظاعنة والمرتحلة – فى شمال شبه الجزيرة العربية ٠

وعلى أية حال ، فليس هناك الى سبيل من ريب فى أن العراق القديم ، انما يحتل مكانة ممتازة ، بين مناطق الشرق الادنى القديم ، كما أنه لا يختلف عن غيره من بلاد تلك المنطقة ذات الحضارة العريقة ، فقد قامت فى بلاد الرافدين دول ، ونشأت فيها حضارات ، وانزلت على أرضها رسالات ، واصطفى الله تعالى – جل جلاله – من بنيها بعض أنبيائه ومرسليه ، وأسهمت بنصيبها فيما قدمه هذا الشرق الخالد للانسانية من أياد بيضاء ٠

ومن ثم فقد تأثرت بلاد الرافدين بحضارة تلك المنطقة ، وأثرت فيها ، وارتبطت بها بعلاقات ، سادها الود أحيـــانا ، وسادها النفور أحيـــانا أخرى ، وهكذا كان للعراق القديم علاقـــات بمصر ، وبلاد الشام وآسيا الصغرى وايران ، ومن ثم فتاريخه جزء من تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تعرض للغزو الأجنبى يوم تعرض هذا الشرق لهذا الغزو أو ذاك ، ونعم بخيراته يوم أن كان أمر هذا الشرق فى أيدى أبنائه ، ولاقى ما لاقى هذا الشرق ، يوم أن كانت قوى أجنبية تتحكم فى مصايره ، وتجنى خـيراته ، ومن ثم فليس عجبا أن كان التاريخ العراقى القديم متأثرا بتاريخ الشرق الأدنى القديم ، ومؤثرا فيه .

وتقدم هذه الصفحات دراسة عامة لتاريخ العراق القديم وحضاراته ، وأن نال الجانب التاريخى اهتمامها الاكبر ، ذلك لانه من الصعوبة بمكان أن يتحدث كتاب فى مثل هذا الحجم عن تاريخ العراق القديم وحضاراته ، ومع ذلك فقد تحدثت عن كثـــير من الجوانب الحضـــارية ـ السياسية والاجتماعية والعسكرية والتشريعية والدينية والمعمارية ـ .

على أنه من الجـــدير بالاشارة أننا لم نتعرض فى الجـــانب الدينى للديانات السماوية ، وذلك لأمرين : الواحد : أننا أصدرنا من قبل كتابا عن الرسالات السماوية فى العراق القديم(١) ، والثانى : أننا سوف نتحدث بالتفصيل عن الديانات البشرية والسماوية فى كتاب قادم سوف نخصصه لحضارة العراق القديم ـ ان شاء الله ـ .

---

(١) انظر : محمـــد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القـرآن الكريم ـ الجزء الرابع ـ فى العـــراق ـ بيروت ١٩٨٨م ، وقد تحـدثنا فيه عن :

١ ـ سيرة نوح عليه السلام ص ٩ ـ ١٠٢ .
٢ ـ سيرة ابراهيم الخليل عليه السلام ص ١٠٣ ـ ١٧٢ .
٣ ـ سيرة يونس عليه السلام ص ١٧٣ ـ ٢١٠ .

والله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ٠

« وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » ٠

دكتور
محمـد بيومى مهـران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

بولكلى رمل الاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م٠

الباب الأول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول

فى شمال العراق

يقسم المؤرخون عصـــور ما قبل التاريخ فى العراق القـــديم الى الاقسام التـــالية : ١ ــ العصر الحجرى القديم ٢ ــ العصر الحجرى الاوسط ٣ ــ العصر الحجرى الحديث ٤ ــ العصر الحجرى النحاسى •

(١) العصر الحجرى القـــديم :

لعل من اللافت للنظر أن الاثار التى عثر عليهـــا فى العراق القديم (ميزوبوتاميا)[1] من العصر الحجرى القديم (مرحلة جمع الطعام) انما أتت من شمال العراق ، دون جنوبه ، ذلك لأن هـــذا الجنوب انما كان وقت ذاك مغطى بالامواه ، ربما حتى عصر حضارة العبيد ــ أى ربما حتى أخريات الالف الخامسة قبل الميلاد ــ بل ان شمال العراق نفسه لم يقدم لنا آثار ترجع الى ما قبل العصر الحجرى القديم ــ فى مرحلته الوسطى ــ حيث عثر على عدد من المواقع التى تنتمى الى هذه المرحلة فى شمال شرق العراق •

ولعل أشهر هذه المواقع : بردة بالكة ــ على مبعدة ٢½ كيلا شمال

(١) ميزوبوناميا (Mesopotamia) : لفظ اغريقى ترجمه المؤرخـــون العـــرب بمعنى «بلاد ما بين النهـــرين» أو «بين النهـــرين» ، ورغم دقة الترجمة ، فانها قاصرة غير شاملة ، ذلك لان حضارة العراق القـــديم لم تقتصر على ما بين النهرين ، وانما امتدت الى ما حول النهرين أيضا ، بل ان طائفة من أقدم المواقع الاثرية مثل العبيد وأريدو وأور ومارى ، قامت غرب الفرات ، وليس فيما بينه وبين الدجلة ، كما قامت اشنونا وتل أسمر ونوزى شرق دجلة ، وليس فيما بينه وبين الفرات ، وقد فطن الاغارقة أنفسهم الى قصور لفظ «ميزوبوتاميا» ، فأضاف بعضهم اليه لفظ «بارابوتاميا» (Parapotamia) أى ما وراء النهرين أو ما حولهما ، وهنا يحسن ــ فيما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح ــ أن نقـــول «بلاد النهـــرين» ، هـــذا الى أن تعبير «بلاد الرافـــدين» أو «حضـــارة الرافدين» لا يؤدى المعنى كاملا ، ذلك لان روافد النهر تختلف عن النهر ذاته فيما هو معروف (عبد العزيز صالح : الشرق الادنى ــ الجزء الاول ــ مصر والعراق ــ القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٧١) •

شرق جمجمال — ومعظم انتاجه أدوات من الظران من الاسلحة ذات الحدين التى تتميز بطرف مدبب ، ومن المحكات ، وهناك موقعان آخران، الواحد : فى «كهف هزارمرد» ، على مقربة من السليمانية ، والاخر : «كهف شانيدر» ، جنوب غرب بحيرة أرومية ، وقد أسفر التنقيب الاثرى بأرضية كهف شانيدر عن أربع طبقات أثرية متعاقبة ، يبلغ سمكها حوالى ١٥ مترا ، عثر فى أقدمها (ط D)على بقايا مواقد ، وعظام مهشمة لانسان نياندرتال ، أحدها لطفل ، ربما لم يكمل عامه الاول ، وأما الثلاثة الاخارى فكانوا لأشخاص بالغين(٢) .

وهناك من مرحلة العصر الحجرى القديم الاعلى بعض كهوف فى منطقة السليمانية ، لعل أهمها : «كهف زارزى» ، والذى تعبر صناعته الحجرية عن تفوق ملحوظ ووفرة وتنوع فى الانتاج من أزاميل ونصال مسننة ورؤوس سهام ، هذا فضلا عن صغر الحجم ، واشتمالها على بعض الاسلحة القزمية ، الامر الذى يدل على أن انتاج «كهف زارزى» انما يمثل أخريات مرحلة العصر الحجرى القديم الاعلى(٣) .

(٢) العصر الحجرى الاوسط :

يمثل هذا العصر الحجرى الاوسط فترة الانتقال بين العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث ، الذى عرف فيه الانسان الزراعة وبالتالى الاستقرار فى قرى ، هذا ويمثل العصر الحجرى الاوسط انتاج «كهف شايندر» (ط B) وقرية «زاوى شمى» — على مبعدة ٤ كيلا من كهف شايندر — فضلا عن بعض مواقع أخرى ، وخاصة «كريم شاهر» على مقربة من كركوك ، ولعل أهم مظاهر الانتاج الحضارى لهذا

2) R. S. Solecki, in Sumer, 8, 1952, P. 127-130, 137, 141, 9, 1953, P, 230-231, 13, 1957, P. 59-60, 14, 1958, P. 106-707.

وانظر : محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم — الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٣٠ — ٣١ .

3) D.A.E. Garrod, Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge. 1970, P. 86-87.

العصر ، انما هى الاسلحة القزمية ، التى تعبر عن اقتصاد يعتمد على صيد الحيوان والاسماك والطيور •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أنه قد حدث فى بداية الالف التاسعة قبل الميلاد ، تحول نحو الزراعة البرية ، واستئناس الحيوان ، كما يشير الى ذلك انتاج قرية «زاوى شمى» (ط B) انما تخلو من انتاج الفخار ، وان تضمن انتاجها الاجران وأحجار الجرش ومقابض المناجل ، وبقايا الحصر والسلال ، الامر الذى قد يشير الى اقتصاد يعتمد على الزراعة البرية ، فيما يرجح البعض — وهى زراعة لم يمارسها القوم وقت ذاك كحرفة ، فضلا عن الاعتماد على الزراعة البرية — على صيد واستئناس الحيوان ، كمصدر أساسى للغذاء ، ذلك لان الطبقة الاثرية (B) انما قد احتوت على كثير من عظام الماعز والاغنام والغزلان ، فضلا عن محار القواقع التى ربما كانت تمثل جزءا من غذاء القوم وقت ذاك •

وعلى أية حال ، فرغم أن قرية «زاوى شمى» انمـا تمثل منطقة استقرار مؤقت ، غير أنها تعد من أقدم منـاطق الاستقرار فى العراق القديم ، وتؤرخ بحوالى بدايـة الالف التاسعة قبل الميلاد ، ويشـير انتاجها الحضارى الى الاتجاه نحو الزراعة والاستقرار،وهى أهم سمات العصر الحجرى الاوسط ، ومن ثم فان موقع «زاوى شمى» انما يمثل هذا العصر فى العراق القديم[٤] •

وأما المواقع الاخرى — كريم شاهر وملفعات وجرد شاى — فان الموقع الاول (كريم شاهر) ، رغم أنه موضع استقرار موسمى — شأنه

---

(٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٣ — ٣٧ ، وكذا
J. Mellaart, The Earliest Settlements in Western Asia from The End of The Fifth Millennium B. C., in CAH, 1, Part, I, Cambridge, 1970, P. 254-256.
J. Mellaart, Earliest Civilizations of The East, London, 1974, P. 19-21.

فى ذلك شأن زاوى شمى — فان مخلفاته الاثرية لا تتضمن بقايا واضحة للمنازل والاكواخ ، غير أنها تتميز بالمناجل الحادة من الظران ، والتى استخدمت على الارجح فى حصد زراعة برية ، كما عثر فيها على تمثالين من الطين المحروق ، وأما موقع «ملفعات» ، فيما بين الموصل وأربيل ، فتكشف مخلفاته الاثرية — والتى تؤرخ بنهاية الالف السادسة قبل الميلاد — عن بقايا حيطان حجرية غير منتظمة الشكل لمساكن بيضاوية ، وقد عثر فى بقاياها على عدة طبقات احتوت بقايا أثرية اغلبها تشبه فى نوعيتها انتاج كريم شاهر الحضارى ، وأما موقع «جرد شاى» فلعله لا يضيف فى انتاج المواقع السابقة جديدا[٥] .

(٣) العصر الحجرى الحديث

لعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا — وقبل الحديث عن العصر الحجرى الحديث فى العراق القديم ، والذى يتميز بمعرفة الزراعة ، وما تبع ذلك من اقامة المجتمعات المستقرة — أن نشير ، بادىء ذى بدء ، الى الجدل الذى قام بين العلماء ، حول «الموطن الاول للزراعة» ، فذهب فريق الى أن ذلك المكان انما كان فى جنوبى غربى آسيا ، وبخاصة فى جنوب سورية وفلسطين وميزوبوتاميا وغرب ايران[٦] — على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنه مصر ، انما كانت هى الموطن الاول للزراعة ، ذلك لأن وادى النيل ، انما كان — دونما أى ريب — هو المكان الوحيد الذى نشأت فيه أول حضارة متميزة خارج منطقة غربى آسيا[٧] .

وفى الواقع ، فانه على الرغم من صعوبة التوصل الى مكان وزمان نشأة الزراعة على وجه اليقين ، ورغم أن ظروف الجفاف جعلت

5) J. Mellaart, in CAH, I, Part, I, P. 256-257.
وكذا R. S. Solecki, in Sumer, 13, 1957, P. 168-169.

6) J. de Morgan, La Prehistoire Orientale, II, Paris, 1926, P. 76.
7) G. Clark, Prehistory of The World, Cambridge, 1962, P. 99.

المجتمعات التى تعيش نفس الظروف ، تستجيب استجابة تلقائية سريعة الى هذا الاكتشاف منذ بداية ظهوره ، ومن ثم فربما قد اكتشفت الزراعة فى عدة مناطق فى وقت واحد تقريبا — فى وادى النيل ، وفى جنوب غربى آسيا — ويذهب بعض الباحثين الى أن جميع شعوب الشرق الادنى القديم والشرق الاقصى ، انما قد نسبت الى شخصيات خرافية فى تاريخها ، شرف التوصل الى معرفة القمح[٨] .

وليس هناك من ريب فى أن البيئة المصرية انما قد ساعدت على معرفة الزراعة ، فالنيل فى فيضانه المنتظم ، واخصابه للتربة ، فضلا عن دور الشمس فى البيئة المصرية ، كل ذلك قد ساعد على الوصول الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، قبل أمم أخرى .

وفى الواقع أن أرض مصر انما قد انفردت بميزة خاصة ، ذلك أن فيضان النيل انما كان يأتى فى أواخر الصيف وأوائل الخريف ، حتى اذا ما تقدم هذا الفصل الاخير فى السنة ، بدأت مياه الفيضان تنحسر عن جوانب الوادى ودلتاه ، وهنا نلاحظ أن منتصف الخريف أو أواخره هو الوقت الملائم لزراعة نباتات الحبوب الشتوية ، وأهمها القمح والشعير ، وبعبارة أخرى ، كان الفيضان يأتى فيمد أرض مصر بالطمى والماء ، ثم ينحسر عنها فى أصلح وقت لزراعة تلك النباتات ، حتى اذا ما زرعت ونبتت كان فصل الامطار الشتوية فى مصر قد بدأ .

والظاهر أن تلك الامطار فى العصر الحجرى الحديث وما بعده أوفر منها الان ، فكانت تغذى النباتات وتمدها بسبل الحياة فى أشهر الشتاء ، حتى اذا ما جاء آخر الربيع وأول الصيف ، وكانت نباتات الشتاء قد أكملت نموها ، انقطع المطر وحل فصل الحصاد ، وهكذا تكامل عنصران فى مصر — هما عنصر الفيضان وعنصر الامطار الشتوية — وكان من

8) F. Hartman, L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1923, P. 48.

ثمرات ذلك التكامل أن أصبحت أرض النيل صالحة ــ كل الصلاحية ــ لتكون مهدا من مهاد الزراعات الشتوية القديمة •

على أن التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية فى مصر لا يقف عند ذلك ؛ فبعد أن يتم الحصاد ، يحل أول الصيف ، وهو فصل شديد الحرارة ، فتجف التربة وتتشقق الارض ، وتموت الحشائش الضـــارة ، والتى تمتص خير الارض ولا تفيد شيئـــا ، ويؤدى التشقق الى تفتح التربة ودخول غازات الهواء التى تجدد التربة ، حتى اذا ما جاء الفيضان من جديد فى آخر الصيف ، عاد فغطى الارض وكساها بطبقة من الطمى ، حتى ينحسر النهر ، ويجىء الانسان ليزرع الارض من جديد •

وهكذا أصبحت دورة الطبيعة متكاملة العنـــاصر والعوامل ، وتلك ظاهرة لا نكاد نجدها فى نهر آخـــر من أنهار العالم الكبرى ، بل تلك ظاهرة ميزت أرض مصر منذ فجـــر التاريخ ، وربما كانت هى العـــامل الاساسى ، فيما عرفناه من استمرار الحيـــاة والحضارة وتجددهما فى أرض مصر على مر السنين(٩) •

وعلى أية حال ، فلقد عثر فى العراق القديم على موقعـــين يمثلان العصر الحجرى الحديث (جرمو ــ حسونه) والذى يقوم على الزراعة والاستقرار ، وهى زراعة لا ريب فى أنها بدأت فى مساحة صغيرة ، ولكنها تقوم بمهمة الاكتفاء الذاتى فى الانتاج للزراع ، كما أنها زراعة متنقلة، ولعلها أشبه ــ فى مرحلة الاستقرار الدائم ــ بزراعة الفلاحين البدو . ربما بسبب استنفاذ خصوبة الارض ،و عدم معرفة الانسان وقت ذاك بالاسمدة ، وربما بسبب عدم معرفة الزراع بزراعة جزء من الارض ، ثم تركه بورا فى السنة التالية(١٠) ، وعلى أية حال ، فان الموقعين اللذين يمثلان هذا العصر ، انما هما جرمو وحسونة •

---

(٩) سليمان حزين : البيئة والانسان والحضـــارة فى وادى النيـــل الادنى ــ تاريخ الحضارة المصرية ــ القاهرة ١٩٦٢ ص ١٦ •

(١٠) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ــ القسم الاول ــ تاريخ العراق القديم ــ بغداد ١٩٥٥ ص ٤٠ ــ ٤١ •

(١) حضارة جرمو :

تقع «جرمو» على حافة واد عميق فى سهل جمجمال فى لواء كركوك (فوق وادى طوق جاى ، أحد روافد دجلة ، على مبعدة ٣٥ كيلا شرق كركوك) — أى خارج نطاق السهل الميزوبوتامى شرقا — وتبلغ مساحة قرية «جرمو» ما بين ثلاثة وأربعة أفدنة ، وقد كشف فيها عن ١٦ طبقة أثرية متتالية ، يؤرخ أقدمها بحوالى عام ٦٧٥٠ ق٠م ، وان ذهب «كول» الى أنها تؤرخ ، فيما بين ٧٠٠٠ ، ٦٠٠٠ ق٠م ، وتضم ما بين ٢٥،٢٠ منزلا ، ويقدر سكانها بحوالى ١٥٠ فردا ، وان قدرها «طـه بـاقر» بحوالى ٥٠ بيتا ، تضم حوالى ٣٠٠ فردا[11] •

هذا وقد اختلف الباحثون فى أقدمية موقع جرمو ، فذهب فريق الى أنها تمثل أقدم قرية زراعية فى العراق القديم ،و بمعنى آخر ، تمثل أول عهد الانسان بتعلم الزراعة ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها موضع شك فى نسبتها الى عصر بداية الزراعة ، بل وفى تمثيلها لمرحلة حضارية متميزة ، وأنها لا تعدو أن تكون مجرد قرية متخلفة ترجع الى أواخر العصور الحجرية أو ما بعدها ، وأن موقع تل حسونة انما يمثل فى أولى طبقاته السفلى أول موقع زراعي فى شمال العراق •

على أن الحفريات انما قد كشفت فى الطبقـات الاثرية الاولى — والتى تعرف بالمرحلة السابقة للصناعات الفخـارية — على الادلة التى توضح توصل الانسان الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، فقد عثر على حبوب القمح والشعـير المتكربنة ، أحيانا انطباعـات تلك الحبوب فى الارضية الطينية للافران كما عثر على العديد من الادوات المتصلة بالعمل الزراعى ، كالمناجل والفؤوس الحادة الاطراف والاجران والمحاريث ،

---

(١١) محمد عبد اللطيف : المرجـع السابق ص ٣٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٤١ ، ٤٢ ، وكذا

P. Mortensen, On The Chronology of Early Village Farming Communities in Northern Iraq, in Sumer, 18, 1962, P. 74-76.

وكذا S. Cole, The Neolithic Revolution, London, 1961, P. 48.

هذا فضلا عن استئناس الانسان للمـــاعز والكلاب ، وربما الاغنـــام والخنازير كذلك ، ولعل هذا كله انما يشير الى أن موقع حضارة جرمو ، انما يعد مركزا رئيسيا فى حضارة العصر الحجرى الحديث ، هذا ويرجح البعض أن القواقع البحرية انما كانت تمثل جزءا من غذاء الانسان فى جرمو ، حيث عثر على كمية كبيرة من أصداف هذه القواقع ضمن مخلفات القرية(١٢) .

هذا ولم تقدم لنا أنقاض القرية آثارا فخـــارية ، الا فى الطبقات الخمس الاخيرة ، وربما يرجع ذلك الى أن الانسان فى المراحل السابقة قد اكتفى بالاوانى الحجرية ، هذا فضلا عن أن ما عثر عليه من أوان فخارية ، فى الطبقتين الخامسة والرابعة ، أفضل من تلك التى عثر عليهافى الطبقات الاخيرة ، الاحدث عهدا ، وقد زينت هذه الاوانى بخطوط حمراء مائلة ، ونظرا لجودة الاوانى الفخارية المبكرة التى كشف عنها ، فانه ربما كان من الصعب اعتبارها انتاجا محليا خالصا ، هذا فضلا عن عدم وجود مثيلات لها فى المنطقة ، مما يرجح القول بأنهـــا مستوردة من الشرق ، وخاصة من «تبة جوران» ، جنوبى كرمنشـــاه فى ايران ، حيث كشف هناك عن أنماط تشبه فخار جرمو الملون(١٣) .

هذا وقد بنى القـــوم منازلهم من كتل طينيـــة ، أقيمت فى بعض الاحايين فوق أسس من حجر ، وسويت حيطان المنازل بطبقة من طين، كملاط ، كما نشرت طبقة طينية مماثلة فوق حـــزم من بوص غطيت بها

---

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ ، أحمد سليم : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ــ بيروت ١٩٨٩ ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ . رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيـــا ــ الجزء الاول ــ بيروت ١٩٧٧ ص ١٣١ ــ ١٣٢ ، وكذا

J. Mellaart, in CAH, I, Part, I, P. 257-258.

J. Mellaart, Earliest Civilizations, of The Near East, P. 48.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

(١٣) أحمد سليم : دراسات فى تاريخ ايران القـــديم وحضارتها ــ الجزء الاول ــ بيروت ١٩٨٨م ص ١١٨ .

أرضية المنزل ، أما السقف فكان من حزم البوص المغطاة بطبقة سميكة من الطين ، وكـان تصميم المنزل على شـكل المستطيل ، وبه عدد من الحجرات الصغيرة ، لا يتجاوز طول الواحدة منهـا أقداما ستة ، وقد عثر فيها على مواقد احتوى كثير منها على بعض الاوانى[١٤] .

وهناك ما يشير الى تطور الصناعة الحجرية بدرجة كبيرة فى جرمو ، وقد عثر على أنواع من الرحى البسيطة التى قوامها حجران بسيطان ، وكذا الاطباق الفخارية التى استعملت لفرك الحبوب ، وأحيانا للعجن ، فضلا عن المحاريث البسيطة والمنـاجل المكونة من أسنان الصـوان ، والادوات الصوانية ، ويرجح البعض أن الانسان عرف الغزل والحياكة، كما تدل على ذلك أقراص المغازل الفخارية[١٥] .

هذا وقد شاع استخدام الاسلحة القزمية المتعددة الاشكال ، وصنع العديد منها من حجر الاوبسيديون (الزجاج البركانى) ، ولعل استخدام الاوبسيديون فى جرمو مما يزكى امكانية الاتصال بمنطقة الاناضول ، كما أن العثور على بعض الاسـاور والخرز تبين الاتجـاه الى بعض النواحى الكمالية فى حياة انسان جرمو ، كما عثـر على بعض المحكات الرقيقة التى استخدمت لطحن المغرة ، فضلا عن بعض الاوانى الحجرية ورؤوس المقامع والاقراص المثقوبة والخواتم ، كما استخـدم القوم العظم فى صنع المخارز الابر وحبات العقود والدلايات[١٦] .

هذا وقد نسب الى حضارة جرمو تماثيل طينية بدائيـة متواضعة

---

(١٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨ ـ ٣٩ ، وكذا
P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.
J. Mellaart, Op. Cit., P. 258.

(١٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٤٢

(١٦) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٣ ،محمد عبداللطيف : المرجع السابق ص ٣٩ ـ ٤٠ ، وكذا
R. S. Solecki, Op. Cit., P. 170-171.
وكذا J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.
وكذا P. Mortensen, Op. Cii., P. 75.

لحيوانات ، ورجال ، ونساء جالسات ذوات أرداف غلاظ ، كما شكل القوم من الطين عددا من التماثيل الصغيرة لآلهة الامومة ، فضلا عن بعض البكرات والمخاريط الطينية التى ربما كانت دمى للاطفال ، وقد مثلت الهة الامومة على شكل أنثى بدينة متضخمة الساقين ، تجلس القرفصاء ، وربما قد قدس فيها انسان العصر الحجرى الحديث مظهر الخصوبة الذى أدرك أثره فى حياته الزراعية المستقرة التى تعتمد على خصوبة التربة(١٧) .

بقيت الاشارة الى أن هناك من يذهب الى أن حضارة جرمو انما قد امتد تأثيرها الى ما وراء نهر ديالى ، فقد عثر على سطح بعض تلال مندلى على أدوات من الظران وحجر الاوبسيديان ، وكسرات آنية فخارية ، وأخرى تماثل انتاج جرمو(١٨) .

هذا وقد عثر على ما يشبه عضو الذكر ، مما دفع الى الظن بقيام لون من عبادة الجنس والرمز للخصوبة ، ويرجح بعض الباحثين أن لونا من ألوا التفكير الدينى نشأ فى هذه المرحلة بقيام عبادة للشمس التى قدست على هيئة معبودة(١٩) .

(٢) حضارة تل حسونة :

يقع تل حسونة فى غرب نهر دجلة ، على مبعدة ٣٥ كيلا جنوبى الموصل ، ٨ كيلا شرقى قرية الشورة ، وهو موقع صغير (٢٠٠ × ١٥٠ مترا) يرتفع نحو سبعة أمتار عن السهل المجاور ، ويعد أقدم المواقع

---

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ ، محمد عبداللطيف : المرجع السابق ص ٤٠ ، وكذا

J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

18) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52-53, 1969. P. 133.

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ـ الجزء الخامس ـ الاسكندرية ١٩٦٣ ص ٦٠ ، وكذا

G. Childe, New Light on The Most Ancient East, 1952, P. 59.

الحضارية من صميم السهل الميزوبوتامى ؛ ويعبر عن انتقال مركز الثقل الحضارى من المنطقة الشرقية الى هـذا السهل ، ويرجـح البعض أن أصحاب حضارة تل حسـونة قد أفادوا من حضارة جرمـوا الاسبق . ونقلوا عنها فى البداية ، الامر الذى يبدو بوضوح فى تشـابه الانتاج المبكر من فخار تل حسونة ، مع فخار جرمو الخشن ، وفى بنـاء منازل تل حسونة من الطين ، أسوة بما كان متبعا فى جرمو .

هذا وقد كشف فى تل حسونة عن ١٧ طبقة أثرية ، أقدمها تلك التى تعلو الارض البكر مباشرة ، وتمثل بداية عصر حضارة حسونة ، وأما أحدثها فهى الطبقة (XV) من عصر حضارة العبيد ، كما كشف عن بعض المواقع الاخرى لهذه الحضـارة ، وخاصة تل الصوان وسـامراء وتل المطـارنة[٢٠] .

ويمثل تل حسونة حضارة قرية مستقرة فى العصر الحجرى الحديث، ولم يعثر الاثاريون على أى معدن فى تل حسـونة ، مما يدل على أن القوم وقت ذاك لم يصلوا بعد الى عصر استخدام النحاس والحجر ، وانما هم قوم يمثلون صميم العصر الحجرى الحديث ، فقد تمكنوا من التوصل الى الزراعة ، وخاصة القمح ، كما استأنسوا بعض الحيوانات كالاغنام والماعز والخنازير[٢١] .

هذا وقد بنى القوم مساكنهم من الطين ، ومن أحجام مختلفة ، وكان المنزل فى الغالب الاعم يتكون من بعض الحجـرات التى كانت تتجمع حول أو الى جانب فناء مكشوف يقع فيه غالبا فرن وجرار لتخزين الطعام والشراب فضلا عن صوامع الغـلال ، وغير ذلك مما تحتاجه الحيـاة

---

(٢٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٠ ، محمد عبد اللطيف:المرجع السابق ص ٤٣ ــ ٤٤ ، وكذا

P. Mortensen, Op. Cit., P 35.

S. Lioyd and F Safar, Tell-Hassuna, JNES, 4, 1945, P. 272.

(٢١) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٣ .

المنزلية ، هذا وقد أحرزت مبانى تل حسونة ، ابتداء من الطبقة الثانية مظاهر جديدة من التفوق ، كتزويد الحيطان بركائز للتدعيم من الداخل، وربما تميزت مبانى الطبقة الثالثة بوجود ممرات تفصل فيما بينها ، وان لم يستمر وجـود هذه الفواصل فى الطبقـات التالية ، ولعل أفضـل مجموعات مبانى تل حسونة ما كشف عنه فى الطبقة الرابعة التى تقدم معالم واضحة للاقسام التى كان يتكون منها المنزل[٢٢] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن مبانى «تل الصوان» ، انما تقدم تطورا ملحوظا فى تشييد المبـانى ، فقد شيدت من قطع الاجـر الكبيرة المستطيلة الشكل ، وطليت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ، ودفن القوم موتاهم أسفل أرضيات المنازل ، كما عمل القوم على تحصين الموقع ، وذلك بحفرة ذات ثلاثة أضلاع شيد بداخلها حائط ضخم مزود بركائز ، وهى مثـال فريد للتحصين فى بلاد النهرين فى هـذا التاريخ المبكر .

هذا وقد دفن القوم موتاهم ـــ كما أشرنا آنفا ـــ فى اسفل أرضيات المنازل ، فلقد عثر بين موقدين من المرحلة الاولى فى الطبقة (Ia) على هيكل عظمى لانسان ، وبجواره جرة كبيرة ، ربما قد احتوت طعامه أو شرابه كما وجد قرب رأسه فأسان من الظران ، الامر الذى قد يشير الى اعتقاد القوم فى حياة أخرى ، كما تضمنت بقايا المرحلة الثالثة جرة من الفخار الخشن احتوت هيكلا عظميا لطفل ، وبجوارها جرة أخرى ربما كانت كذلك للطعام أو الماء[٢٣] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه قد كشف عن بقايا جثث للاطفال دفنوا فى بعض الاوانى الفخارية وكان اتجاه رأس المتوفى نحو

---

(٢٢) عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٦ ـــ ٤٨ ، وكذا
S. Lioyd and F. Safar, Op. Cit., 273.
23) F. El-Wailly and B. Abu es-Soof, in Sumer, 21, 1965, P. 18-21.
K. A. Al-Adami, in Sumer, 24, 1968, P. 58.

الشمال ، ويذهب أستاذنا الدكتور الناضورى الى أن وجود بقايا الهياكل العظمية للاطفال انما يتصل بظاهرة التضحية البشرية لاسترضاء القوى الالهية ، وعلى رأسهـا الهة الامومـة التى عبر عنها فى شـكل تماثيل صغيـرة[٢٤] .

هذا وقد كشف اسـفل مبانى الطبقة (I) بتل الصوان عن جبانة ضخمة تضم أكثر من ١٣٠ قبرا ، حفرت أسفل أرضيات الحجرات فوق الارض البكر مباشرة ، وزودت جميعها تقريبا بالكثير من الانية المرمرية المتعددة الاشكال والاحجام من الجرار والاكواب والأطبـاق ، وبعض قطع أخرى على هيئة عضو الذكر ، فضلا عن مجموعة كبيرة من التماثيل الصغيرة الجيدة الصنع ، التى فى معظمها لالهة الامومة ، التى تمثل هنا غالبا واقفة (وكانت فى حضارة جرمو تمثل جالسة القرفصاء) ، وقد زود بعضها بغطاء رأس من القار وعيون المحار ، هذا وقد اختلف الباحثون حول تماثيل الهات الامومة هذه ، فذهب فريق الى أنها كانت تودع فى مدافن الذكور ، دون الاناث اللائى قد أودعت فى قبورهن قطعا حجرية منحوتة على هيئة عضـو التذكير ، خاصة وأن الحفـائر لم تكشف عن الاثنين معا فى قبر واحد ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن هذه التماثيل انما تعبر عن الامومـة الفعلية التى تضفى حمايتها على الاطفال الذين تغلب هياكلهم العظمية فى مدافن تل الصوان وتل حسونة، خاصة وقد عبرت أشـكال تماثيل الهات الامومة عن اهتمـام صانعيها بأبراز صفة الاخصاب فيهن ، حيث تمثلن غالبا ، وقـد اتجهت أيديهن نحو بطونهن أو نحو أسفل أثدائهن[٢٥] .

هذا ويمثل فخار تل حسونة نماذج فخارية من أقدم ما عثر عليه فى

---

(٢٤) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٥ .
(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٩ ــ ٥١ وكذا
S. Lioyd and F. Safar, Op. Cit., P. 275.
J Mellaart, Op. Cit., P. 272.
Abu Al-Soof, (B.), in Sumer, 27, 1971, P. 5.
W. Yasin, in , Sumer, 26, 1970, figs, 39-42.

العراق القديم ، وقد كشفت الحفريات عن تطور مستمر للفخار فى تل حسونة ، ففى بداية الطبقات ظهر الفخار العتيق ، والمصنوع من مادة طينية هشة غير نقية ، وتغلب عليها النوعية الخشنة ، ثم تظهر بعد ذلك الانواع المزينة باللون الاصفر أو القرمزى ، وقد زخرفت بحزوز فى شكل تصميمات اتخذت فى الغالب شكل سعف النخيل أو سنابل القمح ، ثم يلى ذلك ظهور الفخار المزين بالاشكال الحيوانية والخطوط المتموجة ، وهو الفخار الذى يسمى «فخار سامراء» نسبة الى موقع سامراء — على الضفة اليسرى لنهر الدجلة ، وعلى مبعدة حوالى ١٠٠ كيلا شمالى بغداد — والذى كان يظن من قبل أنه يمثل عصرا حضاريا مستقلا ، ولكنه يعتبر الان ضمن عصر حضارة حسونة ، الممتد على طول الطريق غربا بين نهر دجلة والبحر المتوسط ، اعتمادا على العثور على فخار حسونة فى اقليم العمق ، وكذلك فى مرسين(٢٦) .

وقد كشف أيضا عن كثير من الادوات الحجرية فى تل حسونة وتل الصوان ، وتتضمن العديد من الاسلحة القرمزية ورؤوس السهام،وغيرها من الالات من الظران وحجر أوبسيديان ، فضلا عن الفؤوس الحجرية التى طليت بالقار ، والمناجل ذات الاسنان الظرانية ، والتى تكثر فى تل حسونة (ط Ib) حيث يبدأ ظهور الابنية السكنية التى يظهر معها تشييد صوامع الغلال وأفران الخبيز ، وصناعة بعض تماثيل غير كاملة لالهات الامومة (التى تبدو متواضعة للغاية بالمقارنة بتماثيل تل الصوان) .

هذا وقد عثر فى صوامع الغلال على القمح المتكربن ، وعلى كثير من كسرات الانية ، فضلا عن عظام الماعز والاغنام والحيوانات البرية كالغزلان والخنازير والارانب ، وقد استخدمت فى التزيين بالخروز وصنع الثقوب التى تظهر بوضوح فى حبات العقود والدلايات ، التى

---

26) S. Lioyd and F. Safar, Op. Cit., P. 262, 266, 278-279, 286.
T. Dabbagh, Hassuna Pottery, in Sumer, 21, 1965, P
P. Mortensen, in Sumer, 18, 1962, P. 77-78.

تزين به القوم فى مجتمعات حسونة والصوان والمطارة وتبة يا ريم ، وقد انفردت الاخيرة بأقراص حجرية ذات حزوز ، يمكن اعتبارها نوعا من الاختام البدائية[٢٧] .

وقد تميز موقع تل الصوان بالعثور على بعض القطع النحاسية الصغيرة ، وان لم تكن انتاجا محليا ، كما كشف فى الطبقة *(VII)* فى «تبة ياريم» (أ) عن رقاقة صغيرة من النحاس لفت فى شكل اسطوانة ، وعلى قطعتين نحاسيتين أخريين ، الامر الذى يشير الى استخدام القوم هنا الى النحاس منذ بداية عصر حسونة ، خاصة وقد كشف فى «تبة ياريم» من نفس الطبقة ، عن أتون ضخم شيد فوقه مبنى مقبى من الطين ، وهو أقدم نموذج من نوعه فى بلاد النهرين ، وقد استخدم فى احراق الانية النحاسية ، وربما فى تليين صلابة قطع النحاس — التى ربما جلبت من دياربكر — الامر الذى يساعد على تشكيلها[٢٨] .

بقيت الاشارة الى أن الانثربولوجيين لم يتوصلوا بعد الى جنس أصحاب تلك الحضارة ، رغم العثور — كما أشرنا من قبل — على جثث أطفال دفنت فى أوان كبيرة من فخار ، هذا فضلا عن عدم الوصول حتى الان الى رأى نهائى بشأن أولوية التوصل الى الاستقرار الكامل بين كل من مصر والعراق القديم ، أو بالاحرى بين حضارة الفيوم (أ) ومرمدة بنى سلامة من ناحية ، وبين عصر حضارة جرمو وتل حسونة من ناحية أخرى ، وإن كانت الظواهر حتى الان تعطى لكل منهما أقدمية فى بعض

---

(٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٨ — ٦٠ ، وكذا
N. Merpert and R. Munchajev, in Sumer, 25, 1969, P. 128-129.
S. Lioyd and F. Safar, Op. Cit., P. 268-269.
R. J. Braidwood and Others, Mattarah, JNES, XI, 1952, P. 69.
R. M. Munchajev and N. Merpert, Excavations at Yarim Tepe, 1972. in Sumer, 29, 1973, P. 9.

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق : ص ٦٠ — ٦١ .
K. A. Al-Adami, Op. Cit., P. 59.
R. M. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971, P. 28, 29, 1973, P. 6-9.

النواحى ، وربما تكشف الحفائر مستقبلا عن رأى نهائى فى الموضوع ، ومع ذلك فنتائج الحفائر حتى الان تثبت توصـــل كل منها الى مرحلـــة الزراعة المستقرة ونشـــأة القرى ، فكلاهما أنتج المنـــاجل الحجرية ، وتوصل الى الصناعات العظمية وصناعة الاجران والاسبتة فى الفيوم (أ) والحصير فى جرمو[٢٩] •

(٤) العصر الحجرى النحاسى

(١) حضارة تل حلف :

يتميز هذا العصر بالتوصل الى معرفة واستخدام النحـــاس ، منذ حوالى منتصف الالف الخامسة قبل الميلاد ، ويتمثل فى عصر حضـــارة حلف ، نسبة الى تل حلف — ويقع فى أعلى نهر الخابور ، على مبعدة ١٤٠ كيلا شمالى غربى «نينوى» ، وان لم يكن موقع تل حلف أفضل مواقع هذه الحضارة ، حيث كشف فيه عن شـــوارع مبلطة بالحجارة ، وقد أحيطت القرية بأسوار ، وقامت فيها مبان عامة كانت بمثابة المعابد الدينية ، مما يدل على تقدم فى الحياة الاجتماعية[٣٠] •

وتشغل حضارة حلف الفترة منذ أواخـــر الالف السادسة ، وحتى أواخر الالف الخامسة قبل الميلاد ، وقد انتشر انتاجها فى الشمال خاصة وفى مساحة واسعة تمتد من الزاب الاعلى وسفوح جبـــال زاجروس شرقا ، الى ما وراء الفرات غربا ، والى الحدود التركية وسفوح جبال طوروس شمالا ، وأما من ناحية الجنوب والجنوب الشرقى ، فكان من المعتقد أنها لم تتجاوز موقع سامراء ، غير أن الحفريات كشفت حديثا عن فخـــار حلف فى الطبقتين العلويين فى تل الصـــوان ، وفى أعلى تل (Choga Mami) فى اقليم مندلى[٣١] •

---

(٢٩) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٥ •
(٣٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٣ •
(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٣ ، وكذا
J. Mellaart, Op. Cit., P. 276-277.
T. Dabbagh, Op. Cit., P. 32.
J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 56, 25, 1969, P. 134.

هذا ويختلف المؤرخون فى أصل حضارة حلف هذه ، فهناك وجه للنظر يذهب الى أن مركزها ربما كان فى المنطقة الممتدة من الموصل شمال شرق العراق الى منطقة الخابور فى شرق سورية ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها ربما ترجع الى أصل أرمينى ، على أن الاتجـاه التقليدى انما يذهب الى أنها نشأت فى تل حلف ذاتها ، على أساس أن الفخار المميز لتلك الحضارة انما قد بدأ العثور عليه هناك •

وعلى أية حال ، فان حضارة حلف هذه لم تتصل بصميم منطقـة ايران ، وذلك لوجود الحواجز الطبيعية ، وخاصة جبال زاجروس التى عملت على منع حضارة حلف من دخول ايران ، كما أنها لم تمتد جنوبا فى العراق القديم ، وذلك لأن تلك المنطقة لم تكن قد سكنت بعد ، ومن ثم فقد امتدت الى منطقة الموصل ، فضلا عن منطقة سنجـار عبر نهر الخابور ، وفى منطقة جبل عبد العزيز ، كما امتدت غربا فى سورية حتى منطقة العمق ورأس الشـمرا ، بل وفى حـدود الاناضـول الجنوبية الشرقية(٣٢) •

هذا وتتميز حضارة حلف هذه بمظاهر حضارية جديدة ، وخاصة فى العمارة والفخار والنحت على الحجر ، فضلا عن استخدام النحاس ، ومن ثم فقد اعتبرت فى التقسيم التقليدى لعصور ما قبل التـاريخ ، ممثلة للعصر الحجرى النحاسى فى العراق القديم ، وان كان الامر يحتاج الى اعادة نظر فى هذا التقسيم ، فى ضوء ما عثر عليه حديثا من مصنوعات نحاسية من عصر حضارة حسونة ، كما أشرنا من قبل •

وأيا ما كان الامـر ، ففى مجال العمارة : سـادت الابنيـة ذات التصميم الدائرى ، والتى كشف عنها فى شمال العراق ، وهى عبارة عن مبان أساسها من حجر ؛ وحيطانها من طين ، فى الاغلب الاعم ، وهى —

---

(٣٢) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٧١ ، وكذا
R. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971, P. 30, 29, 1973, P. 10

على أية حال ـــ تتكون من حجرة دائرية ، قطرها خمسة أمتار ونصف المتر ، يتصل بها ممر مستطيل ، وان كانت أبنية «تل الاربجية» انمـــا تشير الى أنها قد ألحقت بها حجرات جانبية مستطيلة ، أصغر حجما ، دون وجـــود ممر أو فواصل بينهمـــا ، كما تدل نفس بقـــايا أبنية تل الاربجية ، على أن البناء الاصلى ـــ وهو الحجرة الدائرية ـــ انما كان لها سقف مقبى ، أما الحجرة الجانبية فقد كانت غير مسقوفة ، أو كان لها سقف مسطح أو «جمالون»[٣٣] .

وأما الفخار ، فقد تميز بألوانه وزيناته التى تمثل تفوقـــا صناعيا لأصحاب حضارة حلف ، وقد لون الفخار بألوان مختلفة ، منها البرتقالى والقرمزى والاحمر والبنى والمصفر ، قد غطت الزينات كل سطح الاناء الفخارى الخارجى بالنسبة للجرار ، أما الاطباق والسلاطين فقد غطت الزينات فيهـــا السطحين ، الداخلى والخـــارجى ، كما ضمت الزينـــة مجموعات مختلفة من الرسوم الهندسية ذات الاشكال المثلثة والمربعة وذات الخطوط المتعرجة والمستقيمة ، ومن الرسوم الفريدة على فخار حلف رسم مركبة على آنية فخـــارية ، قد توحى بأن القوم ربما قـــد اخترعـــوا وقت ذاك المركبـــات ذات العجلات ، كما استخـــدمت فى التصميمات الزخرفية كذلك أوراق الزهور ورؤوس الثيران ، على أن الظاهرة المميزة انما هى كثرة الاشـــكال الحية فى الزينات من اشـــكال بشرية وحيوانية ونباتية ، فضلا عن أشكال الطيور ، وقد تميزت الرسوم بوجود حركة كبيرة فى المناظر[٣٤] .

هذا وقد أنتجت حضارة حلف عددا من الاوانى الحجرية ، ورؤوس المقامع والمغازل وغيرها ، مما يعبر عن تفوق فى تشكيل المادة الحجرية ، الامر الذى يظهر بوضوح فى أدوات الزينة التى شكلت من الحجر ، كما

---

33) J. Mellaart, Earlist Civilizaations of The Near East, London, 1974, P. 122.

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣١ ، رشـــيد الناضورى : المرجع السابق : ص ١٧٠ .

استخدم القوم الطين فى صناعة المسامير الملونة والخواتم ، فضلا عن تماثيل الهات الامومة التى اعتنى الفنـــان فيها بابراز مظهر الخصوبة المتضخم ، وذلك بتضخيم وطلاء ثدييها وساقيها ، فضلا عن تمثيلها وهى تضم ذراعيها أسفل ثدييها ، هذا الى جانب انتاج بعض الاختمام التى استخدمت ، ربما لأول مرة ، فى الطباعة على قطع من طـــين مجفف ، وأخيرا فلقد عثر على بعض المصنوعات النحاسية كالدبابيس والازاميل ، غير أن عددها انما كان محدودا ، رغم توفر النحاس فى منطقة دياربكر وملاطيا ، فى شمال وشمال غرب حلف(٣٥) .

وأما عن مدافن القوم ، فقد كانت غالبا تحت أرضية مساكنهم ، وكان الميت يرقد على جنبه الايمن ، فى وضع مقرفص ، بينما تتجه رأسه نحو الغرب ، هذا وقد احتوت المقابر على بعض المتـــاع الشخصى كالآنية الحجرية الصغيرة والاكواب والاوانى الفخارية وحبات العقود المرمرية ، فضلا عن دلايات من حجـــر ، زينت احداها بصور لطيـــور ورؤوس حيوانـــات(٣٦) .

(٣٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٩ – ٧١ ، وكذا
J. Mellaart, CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970, P. 277-278.
T. Dabbagh, Op. Cit., P. 23-26.
N. Merpıt, in Sumer, 27, 1971, P. 20-21.
36) A. Parrot, Sumer, London, 1960, P. 48.
R. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971, P. 31, 29, 1973, P. 14.

الفصـــل الثانى

فى جنـــــوب العـــراق

شهدت بلاد العراق فى أواخر عهد حضارة حلف النشاط الحضارى فى مناطقها الوسطى والجنوبية ، حتى ذهب البعض الى أن مركز الثقل الحضارى ، وربما السياسى ، قـد انتقل من القسم الشمالى للسـهل الميزوبوتامى الى القسـم الجنوبى من هذا السهل ، حتى أن القسـم الشمالى أصبح أكثر شبها بتابع يدور فى فلك الجنوب غالبـا ، وحتى حلول الاموريين بأرض آشور فى بداية الالف الثانية قبل الميلاد .

وقد ارتبط ذلك كله بتطور صناعى جديد ، وربما بتحركات شعوبية أو قبلية جديدة أيضا ، أما التطور الصناعى فهو معرفة معدن النحاس واستخدامه على نطاق ضيق ، جنبا الى جنب ، مع الادوات الحجرية ، فيما يعرف اصطلاحا باسم «العصر الحجرى النحاسى» أو «عصر بداية المعادن» ، وفرقت الابحاث الاثرية بين ثلاث مراحل شهدها العراق فى هـذا العصر ، ونسبت كلا منها الى أقـدم اماكن التى عثر فيهـا على مخلفاتها فسمتها بأسماء : حضارة العبيد ، وحضارة الوركاء ، وحضارة جمدة نصر ، وقد تعاقبت ثلاثتها فى مواضعها من جنـوب العراق الى وسطه على مسافات متفـاوتة ، ولكنها تداخلت مع بعضها البعض فى أزمنتها وخصئص منتجاتها ، الى حد أن مال الرأى الحديث الى ادماج ثالثتها ، وهى جمدة نصر ، فى حضارة الوركاء ، واعتبارها مرحلة أخيرة منهـا[1] .

غير أن الحفريات أثبتت منذ عام ١٩٤٦م وجـود حضارتين أسبق عهدا من حضارة العبيد ، هما : حضارة أريدو ، وحضارة الحاج محمد (حجى محمد) ، ويرى بعض البـاحثين فى هاتين الحضارتين مرحلتين مبكرتين من عصر حضارة العبيد ، ومن ثم فهم يقسمون هـذا العصر

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٤ .

الحضارى الى ثلاثة مراحل هى : العبيد «١» (حضارة أريدو) والعبيد «٢» (حضارة الحاج محمد) والعبيد «٣» (حضارة العبيد الصميمة)[٢]، غير أن هناك وجها آخــر للنظر يذهب أن لكل من هــاتين الحضارتين (أريدو — الحاج محمد) انتاجها المتميز عن حضارة العبيد ، فضلا عن تأثره الواضح بحضارتى حسونه وحلف السابقتين ، بينما لا نكاد نلمس هذا التأثير فى حضارة العبيد[٣] .

(١) حضــارة اريدو :

تقع أريدو — وهى أبو شهرين الحــالية فى أقصى جنوب الســهل الميزوبوتامى ، وعلى مبعدة ٢٤ كيلا جنوب غرب مدينة أور ٢٤٠، كيلا من الخليج العربى — وطبقا للتقاليد السومرية ، فان أريدو أول المدن الخمس قبل الطوفان وأول مقر للملكية[٤] ، وعلى أية حال ، فهناك من يرجح أنها كانت ميناء على احدى البحيرات الواسعة ، وكان لها اتصال بالخليج العربى عن طريق عدد من البحيرات[٥] ، ومن ثم فقد احترف أهلها صيد السمك وقدموه كقربــان للمعبد ، كما أن كثيرا من مســاكن القوم انما كانت أكواخا من بوص ، هذا فضلا عن أن هناك نصا من عهد «شولجى» (٢٠٩٥ — ٢٠٤٨ ق٠م) — أحد ملوك أسرة أور الثالثة — يشير الى أن «أريدو» انمــا تقع على شاطىء البحر ، وهــذا ما أثبتته الحفريات الاثرية هناك .

هذا وقد أسفرت نتائج الحفريــات التى قامت بها مديرية الاثــار العراقية فى الفترة (١٩٤٦ — ١٩٤٩م) فى المنطقة السكنية من «أريدو»

---

2) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52, 58, 25, 1969, P. 135
3) S. Lioyd and F. Safar, in Sumer, 4, 1948, P. 124-125.
(٤) انظر

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 43
A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, 1966, P. 265.
5) M. Mallowan, The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Uruk, 5, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1971, P 331
وانظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٤ — ٧٦ .

أن فخارها ينتمى الى عصور أربع حضارات (أريدو — الحاج محمد — العبيد — الوركاء) وأن أشكاله السائدة انما هى الأكواب والسلاطين ، وأحيانا الاطباق الكبيرة ، وقد تعددت ألوانها وزينت بتصميمات هندسية تكثر فيها الخطوط المستقيمة والمتعرجة والمثلثات والنقط . بينما يندر وجود الاشكال الطبيعية الحية[٦] .

وكانت منازل القوم أكواخا من بوص ، وبعضها من آجر ، وأما المبانى الدينية فكانت بقاياها ، كما فى أولى الطبقات ، أربعة حيطان من آجر ، شيدت فوق كثيب من رمل ، لعله أول تعبير عن المنصة المرتفعة التى يعلوها المعبد (الزاقورة) ، والتى سوف تصبح مظهر العبادة فى العراق القديم منذ أيام العبيد وما بعدها ، هذا وقد كشفت الطبقات التالية فى أريدو عن مبان مختلفة أكثر اتقانا ، تمثل المعبد القديم فى العراق ، بما فيه من هياكل وموائد للقرابين[٧] .

(٢) حضارة الحاج محمد :

يقع موقع حضارة الحاج محمد على على ضفاف الفرات ، على مبعدة ١٨ كيلا جنوب غرب الوركاء ، ويتميز بأدواته الفخارية العميقة ذات الجوانب المقوسة ، وقد زينت بخيوط مائلة ومتعرجة ومربعة ، هذا ويمثل فخار حضارة الحاج محمد تطورا لفخار حضارة أريدو ، وقد لون بنفس ألوانه (الاسود والبنى والاحمر والاصفر) فضلا عن اللون القرمزى القاتم .

وهناك ما يشير الى أن فخار الحاج محمد انما قد تأثر بحضارة

---

6) A. Jawad, The Aridu Material and Implications, in Sumer, 30, 1974, P. 31-33.

وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 341

وكذا A. Parrot, Op Cit, P. 52-53.

7) A. Parrot, Op. Cit., P. 52.

وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 332-339.

H. Frankfort, The Art and The Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 18.

حلف ، أكثر من تأثره بحضارة أريدو ، ســواء أكان ذلك فى الشكل أو الزينة أو الصناعة ، يبدو هذا واضحا فى أوانى «رأس العمياء» الذى امتدت اليه حضارة الحاج محمد ، حيث عثر على آنية فخارية تشــبه تماما ذلك الطبق الذى يتوسطه رسم زهرة كبيرة ، والذى يميز حضارة حلف[8] .

(٣) حضارة العبيد :

تتميز حضارة العبيد — وقد أخذت اســمها من تل يقع على مبعدة بضعة كيلو مترات الى الغــرب من «الناصرة» قرب أريــدو — تتميز بانتشارها فى جنوب العراق وشــماله ، ويمثلها فى الجنوب : تل العبيد والوركاء ورأس العمياء وتل العقير وأريدو وأور ولجش والحاج محمد ويمثلها فى الشمال : تبة جاور أو تل الاربجية وجبل سنجار وتل البراك ونوزى وتل حسونة ونينوى وتل حلف ، وهذا يعنى أنها شملت كل أرض بابل جنوبا ، وكل أرض أشور وتخومها الشرقية والشمالية والغربية ، حتى حدود الخابور ، وقــد أثبتت الدراسة المقارنة لحضـــارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود تشابه واختلاف بين انتاج هاتين الحضارتين ، ولكنهما ينتميان أصـــلا الى حضارة واحدة ، سرعان مـــا تأثرت بالبيئة المحيطة بها ، فأعطتها شكلها المعين .

وهناك من الباحثين من يذهب الى أن حضارة العبيد ليست تطورا لغيرها من حضارات العراق القديم السابقة ، وانما هى حضارة مستوردة من الهضبة الايرانية ، جــاء أصحابها من غــرب ايران فى أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ، أو قبلها بقليل ، وذلك اثر حدوث تغــير مفاجىء أشاع الجفاف فى مواطنهم الاولى ، وقد عثر من مصنوعاتهم فى «اريدو» على فخار ملون ذى أرضية خضراء شديد الشبه بالفخار المميز لمصنوعات معاصريهم سكان أرض عيــلام فى جنوب غرب ايران ، وكـــان أولئك النازحون على معرفة بطريقة البناء باللبن فى مواطنهم الجديدة تشجعت

---

(٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٥ — ٨٢ ، وكذا
M. Mallowan, Op. Cit., P. 341-342, 366-367.

هجرة ايرانية أخرى من بنى عمومتهم على النزوح الى ما يلى مواطنهم شمالا من بلاد النهرين ، ولــو أنه ليس من الضرورى أن نفترض أن المسرح قد خلا لهجرتهم حينذاك ، وانمــا لا يبعد أنه كانت تقابلها فى الوقت نفسه هجرات سامية شقت طريقها من الغرب الى بلاد النهرين بالتسلل السلمى حينا ، وبالغزو القبلى حينا آخر[9] .

هذا وقد كشف فى شمال الجزيرة العربية أكثــر من ثلاثين موقعا ، ينتمى الى حضارة العبيد ، فيها أربعة مواقع عبارة عن أماكن استقرار ، والباقى مناطق سطحية تحيط بالاربعة السابقة ، وتتوزع هذه المناطق على مساحة واسعة داخل المنطقة الشرقية ، وكذا على الساحل ، وتوجد الاولى فى العروض الجنوبية ، بينما توجد الثانية فى العروض الشمالية ، وان اتفقت جميعا فى أن الفخار الملون ــ وكذا الادوات التى عثر عليها فيها ــ انما تتشابه جميعا مع مثيلاتها فى منطقة العبيد[10] .

وقد أدى ذلك كله الى أن يفترض «الدكتور عبد الله المصرى» وجود علاقات بين سكان شرق شبه الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزرة العربية قد هاجرت الى السهل الفيضى القريب منهم ، وساهمت بذلك فى ايجاد نوع من التفاعل الثقافى ، ومن ثم فقد كان هناك تبــادل بين جنوب العراق وشــمال شرق الجزيرة العربية فى الادوات الحجرية والمنتجات البحرية ابان عصر العبيد ، وربما أدى هذا التبادل الى هجرات دورية من جــانب الرعاة والصيادين أو جــامعى الطعام ، وأن التطور الاقتصادى فى كل من المنطقتين (الصيد والجمع وصيد الاسماك فى شرق الجزيرة العربية ــ والزراعة فى جنوب العراق) قد ساعد على عملية التبادل المادى والحضارى بين الناحيتين[11] .

---

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥ .

10) Abdullah Hassan Masry, Prehistoory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974, P. 1-11

11) Ibid., P. 16

وعلى أية حال ، فلقد كان من نتائج فحص مناطق الاستقرار التى تنتمى الى حضارة العبيد فى شمال شرق الجزيرة العربية ، أن الجنوب قد سادت فيه حضـــارة العبيد المبكرة ، بينما سادت فى الشـــمال نفس الحضارة فى عصرها المتأخر ، وان عثر فى موقع وحيد — على مقربة من بلدة الهفوف — على فخار يشبه فخار العبيد المبكر ، كما أن الحضارات التى تعاقبت بعد ذلك فى جنوب العراق — كالوركاء وما قبل الكتابة — لا أثر لها فى تلك المواقـــع التى عثر فيها على حضـــارة العبيد فى بلاد العـــرب[١٢] •

وطبقا لعلم الطبقات ، فان العنصرين الحضاريين وجدا أنهما على علاقة مباشرة ومتتابعة فى موقع «عين قناص» فى الداخل ، وفى جنوب غرب المنطقة الشرقية ، هذا فضلا عن أن تحليل الرواسب من هذا الموقع انما قد أمدنا بدليل مباشر على تواجد سكانى دورى فى المنطقة فى العصر الحجرى •

وهكذا يمكننا أن نستنتج أن حركات سكانية وهجرات دورية حدثت على المدى الطويل تجاه الوادى الغرينى فى جنوب العراق ، وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التى تنتمى الى حضـــارة العبيد فى بلاد العرب خاصة تلك التى تقع على طول الســـاحل ، قد تبادلت المواد الخـــام مع مثيلاتها فى جنـــوب العراق ، فلقد كانت مواد التبادل هـــذه تتمثل فى الاصداف واللآلىء والمنتجـــات البحرية الاخرى ، فضلا عن المـــواد الحجريـــة المنتجة من سواحل الجـــزيرة العربية ، كما أن وجـــود حجر الاوبسيدون فى مواقع شبه الجزيرة العربية انما هو دليل على العلاقات بين هذه الاخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق[١٣] •

---

12) Ibid., P. 17-18.

وانظر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم — الرياض ١٩٧٧ ص ٢٠٤ — ٢٠٨ •

13) A. H. Masry, Op. Cit., P. 19.

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن الفترة التى بدأت تتكون فيها المدن فى العراق ، قد توافقت زمنيا مع فترة اختفاء حضارة العبيد فى الجزيرة العربية ، ممـا يحمل على الظن بأن هجرة كبـيرة نزحت الى العراق القديم فى نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ، وهـذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق انما كان حاسما فى قيام المراكز المدنية هناك(١٤) .

وأخيرا فهناك وجه ثالث للنظر يذهب الى أن أصحاب حضارة العبيد انما أتوا من المنطقة الشمالية فى العراق نفســه (بلاد الاشوريين فيما بعــد) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن حضارة العبيد انما كانت أول حضارة فى العراق القديم تنتشر فى الشمال والجنوب ، رغم كونها جنوبية الاصل ، هذا وقد ظهر انتاجها فى كثير من المجالات ، مثل صناعة الاوانى الفخارية الملونة والمزينة ، ممـا أدى الى انتشار أنواع راقية نسبيا من الفخار المرسوم ، ثم سرعان ما طغى انتاجها شيئا فشيئا على انتاج فخار حسونة الشمالى ، ووجدت بعض نماذجها فى «ســامراء» ، على نهر دجلة ، وباغوص ، على نهر الفرات ، وفى نينوى وفى حسونة نفسها ، وهذا مما يعنى قيام المبادلات والاتصالات بين أهـل الشمال وأهل الجنوب ، وقد بلغ من رقة بعض أوانى هذا الفخار ما دفع بعض الاثاريين الى التعبير عنها باسم «أوانى قشر البيض» .

وعبر مهرة الصناع حينذاك عن فنون عصرهم على أفضل انتاجهم من الاوانى الفخارية ، فزينــوا سطوحها الخارجية بأشــكال تخطيطية متجانسة ، وبألوان حمراء وسمراء ، واستغلوا بواطنها المتسعة لتصوير مجموعات تخطيطية أيضا يمكن أن تعتبر بعض نماذجها الراقية مفخرة لعصرها — ان صحت نسبتها اليه فعلا — فمن هذه المجموعات الراقية

14) Ibid., P. 20.

التى نقدمها على حذر : مجموعات صورت ست اناث يتوزعن على محيط دائرة تتطاير شعورهن داخلها ، وتحيط بها ست عقارب كبيرة توزعت هى الاخرى على المحيط الدائرى لباطن الصحفة ، وليست أشكال النساء هنا غير خطوط تقريبية لا تزيد الرأس فيها عن بقعة سوداء ، ولا يزيد الساقان فيها عن خطين متجاورين ، ولكنها تميزت ، على الرغم من ذلك ، بتناسقها واستدارة خطوط الفخذين فيها والفصل بين الساقين ، وصحفة أخرى صورت فيها أربعة طيور طويلة الرقاب والاجنحة ، توزعت على أركان باطن الصحفة واتجهت نحو مركزها ، والتقط كل طائر منها سمكة بمنقاره ، واستغل الرسام الفراغات بين هـذه الطيور ، فوزع حولها مجموعة أخرى من الاسماك فى شكل دائرة ، ثم عبر عن مركز الدائرة فى الصحفة بخطوط متقاطعة تكاد تقرب من هيئة الصليب المعقوف ، ولم يكن الصانع العبيدى أقل توفيقا فى صحفة ثالثة فرسم فيها أربع مثلثات تلاقت رؤوسها على أطراف شكل معين ، واستغلها لتصوير أربع عنزات تصويرا تجريديا لطيفا بالنسبة لعصره(١٥) .

هذا وقد كشف عن كثير من الصناعات فى مواقع العبيد الشمالية ، ومنها بعض الادوات النحاسية التى عثر عليها فى «تبة جاورا» ، ومنها خاتم صغير وازميل من النحاس ، هذا وقد تميز القسم الشمالى لحضارة العبيد بانتاج أختام الطابع ، وقد عثر عليها فى «تبة جـاورا» ، وهى تتكون من أقراص بسيطة وأزرار ومربعات من الحجر المتعدد الانواع ، وتحمل هذه الاختام أو طبعاتها من الطين رسـوم بسيطة من خطوط مستقيمـة أو متقاطعة ، كمـا تتضمن فى بعض الاحـايين ، أشـكالا حيوانية(١٦) .

وكان من أهم انتاج حضارة العبيد الجنوبية ما كان يتصل بمهنتى صيد الاسماك والزراعة ، ومن ثم فقد انتـج القوم مسامير منثنية من

---

(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٥ .
(١٦) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٦ .

طين ، ويرجح البعض أن الغرض منها أن يعلق عليها الصياد صيده من السمك ، وربما شبكة جيدة ، وقد عثر على نماذج ملونة وغير ملونة لهذه المسامير فى مواقع أريدو وتل العبيد وتل العقير ، وفى رأس العمياء ، وربما كان فى رأس العمياء أدوات صحن بسبب رؤوسها الاكبر حجماً ، كما استخدم القوم المادة الطينية التى وفرتها البيئة المحلية ، وخاصة فى الجنوب ، كبديل للاحجار الصلبة والمعادن التى افتقر اليها هذا الجنوب ، وذلك فى صناعة الفؤوس والمناجل ، وقد كشف عن العديد من المناجل الطينية فى الجنوب — كما فى أريد وتل العبيد وتل العقير (على مبعدة ٧٥ كيلا جنوبى بغداد) — والتى كانت ، فيما يبدو ، ابتكارا له أهميته العملية ، خاصة عندما تحرق الى درجة عالية لتصبح ذات حادة قاطعة ، فضلا عن أنه يمكن استبدالها بسهولة حينما تكسر ، وقد ظهرت — لاول مرة — فى أولى طبقات حضارة العبيد بموقع أريدو (ط ١٢) ، كما ظهر منها نماذج ملونة فى (ط ٩) من نفس الموقع[١٧] .

وأما فى مجال العمارة ، فقد شيدت منازل القوم فى الشمال من الآجر ، وأما فى الجنوب ، فقد استعمل الاهالى الاجر أحيانا ، والبوص والطين أحيانا أخرى ، وقد كشف فى تل العقير عن منطقة استقرار من عصر العبيد تضم سبع طبقات ، وكانت فى أقدمها (ط ٧) من جدائل البوص ، يليها بناء من الآجر ، وأما فى الطبقات العليا من موقع العقير هذا ، فقد بنيت معظم المنازل من قطع الآجر الكبيرة المستطيلة والمتراصة ، وقد بلغ سمك حيطانها أحيانا قرابة المتر ، كما صفت على جانبى ممر أو حارة فى صفين متقابلين[١٨] .

هذا وقد وجدت المنازل فى «تبة جاورا» (تبة كورا) — وتقع على

---

17) V. G. Child, Op. Cit., P. 137-138.
وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 345, 359, 369.
وكذا H. Frankfort, Op. Cit., P. 47.
(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٩١ — ٩٣ ، وكذا
M. Mallowan, Op. Cit., P. 398.
S. Lioyd and F. Safar, in JNES, 2, 1943, P. 137-139, 149.

مبعدة حوالى ٢٠ كيلا شـــمال مدينة الموصل ـــ مع المعابد فى منطقـــة واحدة ، وكلاهما ـــ المنازل والمعابد ـــ قد بنى بالآجر ، وان أقيم بعضها فوق أسس من حجر ، هذا ويضم موقع «تل الاربجية» ـــ على مبعدة ٨ كيلا شمال شرق نينوى ـــ منطقة سكنية فى وسط الجبانة ، وقد كشفت الحفريات عن أربع طبقات من منازل طينية متواضعة ، وقد زودت معظم المنازل بالافران والاوعية الفخارية الكبيرة لخزن الحبوب والماء[١٩] .

وأما عن مقابر القوم فقد كشفت الحفريات فى جبـــانة أريدو أنها تضم ما لا يقل عن ألف مقبرة ، وتشير بعض الطبقات التى ترجع الى أخريات عصر العبيد الى أن الموتى انما كانوا يوضعون فى صناديق من الآجر ، تدفن فى باطن الارض ثم يهال عليها التراب وتغلق بالآجر أيضا ، هذا وقد وجدت بعض المدافن الجماعية فى جبـــانة أريدو ، الامر الذى يستدعى بالضرورة اعادة فتح القبر ، بين حين وآخر ، ثم دفع الهياكل العظمية الاسبق ، وبالتالى تناثر عظامها،وقد زودت المقابر ببعض الاوانى الفخارية التى تتصل بالطعام والشراب كالاطباق والفناجين ، الامر الذى قد يشير الى ايمان بالعالم الاخـــر ، كما زودت المقابر أيضـــا بعدد من تماثيل الاهات الامومة الصغيرة ، والتى كان لبعضها رؤوس تشبه رأس الضفدعة أو السحلية ، مما يشير الى تأثر الانسان فى جنـــوب العراق القديم بيئته المستنقعية[٢٠] .

هذا وقد اهتم القوم كثيرا بدور العبادة ، والتى يمثل بقاياها ما عثر عليه فى موقعين رئيسيين ، «اريدو» فى أقصى الجنوب ، و «تبة جاورا» فى الشمال ، وفى «اريدو» نواجه ، ولأول مرة ، بمظهر معمارى جديد ، يتمثل فى بناء المعبد فوق تل صنـــاعى ، وتؤدى بعض المنحدرات الى

19) N. Egami, in Sumer, 13, 1957, P. 6-8, 22. 1966, P. 2-5.
وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 398.
20) A. Parrot, Op. Cit., P. 55.
وكذا M. Mallown, Op. Cit., P. 347, 352.
وكذا S. Lioyd and F. Safar, Sumer, 4, 1948, P. 117.

منصته[٢١] ، وهو تصميم قدر له أن يصبح علما على مبانى السومريين الدينية فيما بعد ، وقد شاده القوم لمعبود كان ذا صلة بالمعبود «ايا» الذى اعتبره خلفاؤهم فى العصور التاريخية ربا للمياه العذبة ، وتخيلوه مستقرا فى أعماقها •

وعلى أية حال ، فلقد كان معبد اريدو هذا متواضعا يناسب عصره ، ويتكون من مقصورة بسيطة (بلغ اتســاعها ١٢ × ١٥ قدما) كانت لها مشكاة لتمثال معبودها أو رمزه ، ومائدة لبنية للقرابين وضعت أمام هذه المشكاة ، وتجدد معبــد اريدو ، وزاد اتساعه أكثر ن مرة خــلال عصر العبيد[٢٢] ، ودل تخطيطه فى مراحلــه الناضجة على تطورات جديدة ، فشاده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدى اليه درج ، ويدعو الارتفاع بمثل هذا المعبد فوق المسطح ذى الدرج الى أكثر من فرض واحد ، فهو قد يعتبر مجرد تطور معمارى محض فى أسلوب بناء المعبد ؛ أو مجرد اجراء عملى محض للارتفاع بقاعدته عن مستوى الارض الرطبة المحيطة به ، أو يكون تعبيرا دينيا يدل على رغبة أصحابه فى التسامى بمعبدهم ومعبودهم الى العلى ، أو يكون تعبيرا عن فكرة شعوبية تدل على أن أصحابه كانوا فى بداية أمرهم من سكان المرتفعات الذين عبدوا آلهتهم — آلهة الربوات — فوق قمم جبالهم وهضابهم العالية،فلما تركوا ربواتهم واستقروا فى سهول النهرين ، استعاضوا عنها بمسطحات صناعية من صنع أيديهم ، وليس هناك من سبيل الى ترجيح أحد هذه الفروض دون غيره بالنسبة لهذا العصر ، وان كنا سنلحظ فيما بعد ، أن الفرض الاخير منها قد زكته شواهد متأخرة ظهرت فى آثار أواخر بواكير العصر الكتابى، وفى آثار العصور السومرية وأساطيرها •

---

21) M. Mallowan, Op. Cit., P. 337.

(٢٢) انظر

A. Parrot, Op. Cit., P. 54.

وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 335-337.

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 19.

وأيا ما كان لامر ، فلقد زاد أصحاب معبد اريدو فى محتويات مقصورته ، فأضاعوا مذبحا جديدا على مبعدة من مائدة القربان القديمة، وأحاطوا المقصورة بحجرات جانبية ، وشكلوا واجهة جدران المعبد الخارجية على هيئة مشكاوات رأسية مستطيلة بسيطة ، تعاقبت الواحدة منها بعد الاخرى على مسافات متساوية[٢٣] .

وأما فى شمال العراق ، فقد كشف فى موقع «تبة جاورا» عن معابد من عصر حضارة العبيد ،و التى يمكن أن تقسم الى قسمين ، الواحد : مبكر ، ويتضمن معابد ذات أشكال مستطيلة مبنية بالآجر ، وتشغل مساحة كبيرة ، وتشتمل على فناء تتوسطه مائدة قرابين ، فضلاً عن معابد صممت على الشكل الدائرى ، المأخوذ عن حضارة حلف ، والاخر : وهو القسم المتأخر زمنيا ، ويمثله ثلاثة معابد ، شيدت بحيث تواجه أركان كل منها الجهات الاربع الاصلية ، وقد زودت جدرانها بكثير من الركائز ، التى استخدمت كدعامات للجدران ، وقد طليت بعض جدران المعابد بلون أبيض[٢٤] .

(٤) حضارة الوركاء :

تنسب هذه الحضارة الى الوركاء — وتقع شرق الفرات ، قرب مركز السماوة ، وعلى مبعدة ١٢٨ كيلا شمال غربى أور — واسمها القديم «أوروك» (urk) ، وذكرتها التوراة باسم «ارك» ، ونسبت بناءها الى نمرود ، وتتمثل حضارتها فى عدة مواقع أثرية فى جنوب العراق ، مثل اريدو وأور ولجش وتل العقير ، كما انتشرت فى مرحلتها المبكرة فى شمال العراق فى تبة جاورا ونينوى وتل جراى رش بمنطقة سنجار ، وهى ،

---

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، وانظر
H. Frankfort, Op. Cit., P. 2 F.
Sumer, 3, 1947, P. 84 F, 4, 1948, P. 115 F.

(٢٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٨٩ — ٩٠ .

على أية حال ، الحضارة التالية لحضارة العبيد فى العراق القديم[٢٥] .

هذا وقد اختلف الباحثون فى جنسية أصحاب حضارة الوركاء ، وهل هم السومريون أم الساميون ؟ فأما السومريون فقد دخلوا العراق فى عصور ما قبل الاسرات بوجه عام ، وكان لهم دورهم الحضارى الهام والمتصل بكل من وادى السند وجنوب العــراق ومصر فى عصر ما قبل الاسرات الاخير .

وأما الساميون فقد سبق لهم الاستقرار أيضا فى جنوب العراق ، وكانوا ذوى مكانة خاصة فى عصر حضارة الوركاء ، على أساس أن هناك أوجه شبه بين فخار الوركــاء والفخار السامى فى المواقع الســورية والفلسطينية ، وعلى أية حال ، فأكبر الظن أن السومريين والساميين ، فضلا عن عناصر أخرى — عيلامية وجيــلية متسللة من منطقة جبــال زاجروس فى غربى ايران — انما قد تواجدت فى جنوب العراق فى تلك الفترة ، غير أن السومريين انما كانوا أصحاب أولوية حضارية ، خاصة فى عصر حضارة الوركاء ، وفى عصر حضارة جمدة نصر التالية لها[٢٦] .

هذا ويعد الفخار أهم انتاج عصر الوركاء المبكر ، وهو من أنواع مختلفة ، شكلا ولونا ، فمن ناحية اللون ، فان فخار الوركاء يســوده اللون الواحد ، الرمــادى أو الاحمر المصقول كمــا أن منه الاســـود المصقول ، والمزين بنماذج ملونة ، وان كان هــذان النوعان الاخيران قليلين ، بل ان الفخار المزين لا يرد فى غير الطبقــات المبكرة من عصر حضارة الوركاء ، وذلك فى موقعى اريدو والوركــاء ، ويغلب تزيينهمــا بالشرائط العريضة والاشــكال الهندسية البسيطة ، وقد صنع الفخــار

---

(٢٥) هناك من الباحثين من يقسم عصر حضارة الوركاء الى قسمين ، الواحد : الوركاء (١٢ — ٦) ويدخل فى نطاق عصور ما قبل التــاريخ ، والاخر : الوركاء (٥ — ٤) ويطلــق عليه ، وكذا حضارة جمـــدة نصر نصر (الوركاء٢—٢) «عصر بواكير العصر الكتابى» (Proto-Literate Period) أو «عصر ما قبيل الكتابة» أو «العصر الشبيه بالكتابة» .

(٢٦) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤١ .

الرمادى من طينة رمادية محمرة ، وهو جيد الاحتراق والصقل وتغطيه قشرة رمادية ، أما الفخار الاسود فأغلبه من طينة نقية حمـراء ، وهو على درجة عالية من الاحتراق والصقل ، وتغطيه قشرة حمراء أو طلاء أحمر ، وقد خصصت لاحراقه أفران كثيرة ، عثر على بقاياها فى «أور» (تل المقبر) ، وتنسب الى هذه المرحلة معرفة عجلة الفخـار فى الطبقة (H) التى أدت الى التحول من الصناعة اليدوية الى الصناعة الالية[٢٧] .

وهناك الفخار البسيط غير الملون ، وأكثره شيوعا الجرار والآنية ذات الصنابير ، وذات المقابض ، وذات الاذان[٢٨] ، هـذا فضلا عن الفخار الذى سمى باسم «الآنية النذرية» وهى آنية خشـنة مصنوعة باليد ، وتبدو فى شكل سلاطين تتسع عند الحافة المشطوفة ، وتضيق تدريجيا نحو القاعدة المسطحة ، الى غير ذلك من أنواع الفخار البسيط ، مثل الجرار الطويلة التى تتميز بضيق اتساع الاناء وقصر الرقبة ، فضلا عن الانية ذات الحواف المنثنية الى الخارج بشكل فوهات القوارير[٢٩] هذا وقد انتشر فخار الوركاء شمالا ، وكانت «نينوى» (تل قوينجق فى مدينة الموصل) أول المناطق الشمالية التى كشف فيها «مالوان» عن فخار الوركاء فى المجرى العميق الذى أجراه فى «تل قوينجق» ، كما عثر فى منطقة جبل سنجار على العديد من فخار الوركاء المصقول[٣٠] .

---

27) S. Lioyd, Uruk Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu, in Sumer, 4, 1948, P. 44-48.

وكذا

B. Abu-Al-Soof Uruk Pottery from Eridu, Ur and Al-Ubaid, in Sumer, 29, 1973, P.

M. Mailoman, Op. Cit., P. 355.

(٢٨) محمد عبد الللطيف : المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤ ، وكذا

S. Lioyd, Op. Cit., P. 44, 49.

29) M. Mallowan, Op. Cit., P. 402.

وكذا S. Lioyd, Op. Cit., P. 44-45, 49.

30) Ibid, P. 401-404.

هذا وقد تميزت هذه المرحلة المبكرة بانتاج عدد أوفر من الادوات النحاسية فى جنوب بلاد النهرين ، وهى — وان كانت أدوات بسيطة مثل الازميل ورأس الحربة وخطاف صيد السـمك والابرة — غير أنها أكثر وفرة ، بالمقارنة بانتاج المصنوعات النحاسية من عصر حضارة العبيد .

وأما القسم الشمالى من حضارة الوركاء هذه فكـان متفوقا بدرجة كبيرة فى انتاج المصنوعات المعدنية التى لم تقتصر على النحاس ، وانما تضمنت أيضا الذهب والاحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها ، والتى استخدمت فى أدوات الزينة ، ولعل أفضل ما يعبر عن ذلك ما كشف عنه حديثا فى «تل قالينج أغا» الذى احتوت قبوره من مرحلة حضارة الوركاء الكثير من القطع الذهبية الصغيرة المتنوعة الاشـكال ، فضلا عن اعداد كثيرة من حبات العقود والقلائد من الذهب واللازورد والعقيق والاحجار شبه الكريمة ، ولعل أروع ما كشف عنه مجموعات فى قبر امرأة غنية ، معظمها من خرز الذهب والاحجار الكريمة ، داخل جرة وجدت فوق رقبة الهيكل العظمى ، وهى عبارة عن قلادة تحتوى على سـبع حلقات من الذهب ، وثمانى خـرزات ذهبية كبيرة ، وأربع عشرة خـرزة ذهبية متوسطة ، وأخرى أسطوانية ، ٣٤ خرزة ذهبية صغيرة ، ١٥ خرزة من العقيق الاحمر ، ١٥ خرزة من حجر أزرق ، فضلا عن مجموعة من خرز الصـدف[٣١] .

هذا ويرجع الى تلك المرحلة أقدم ما عثر عليه من طبعـات طينية لأختام الطابع فى الجنـوب ، وهى لختم مربع يحمل شـكلا لوعل ذى قرون ، أسفل المنحدر الصاعد الى معبد الطبقة (١٠) فى زاقورة «أنو» فى الوركاء ، غير أن هذه الطبعات المبكرة لا تعبر عن أى مدلول كتابى،

---

(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٢٧–١٢٩،وكذا
V Child Op Cit., P. 149, 161.
M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.
Abu-Al-Soof and Es-Siwani, in Sumer, 23, 1967, P. 72.
وانظر : شاه الصبوانى : مجموعة قبور تل قالينج اغا — اربيل — مجلة سومر — العدد ٢٧ لسنة ١٩٧١ ص ٤٧ — ٥١ .

الامر الذى سوف يظهر فى الجنوب فى المرحلة التالية (مرحلة ما قبيل الكتابة) . ويذهب البعض الى أن بعض أختام هذه المرحلة الاخيرة فى موقعى الوركاء وخفاجى — والتى تحمل أشكال عجلات حربية — انما تشير الى أن ابتكارا أقل تطورا لعربات ذات عجلات استخدمت فى النقل ، قد سبقها ، وأنه قد أتى من المرحلة السابقة فى الوركاء ، وأنه قد أحدث ثورة فى النقل[٣٢] .

وفى المرحلة الثانية من الوركاء ، بدأ التوصل الى بداية التعبير الكتابى ، الذى انفرد بتقديمه جنوب العراق ، وقد أدى بالتالى الى بداية العصر التاريخى ، هذا وقد بدأت الكتابة فى أول أمرها بسيطة مبدؤها تدوين الاشياء المادية المألوفة برسم صورها ، وهذا ما يدعى «بالكتابة الصورية» ، وقد أخذ القوم ألواح الطين للكتبة عليها ، وهى طرية بقلم من قصب أو خشب ، ورغم أن الطين ظل أهم مواد الكتابة فى جميع تاريخ العراق القديم ، غير أن الكتابة بقلم من قصب أوخشب سرعان ما تطورت الى كتابة على الاحجار أو المعادن ، بالنحت أو النقش، كما تطور الشكل الصورى باستعمال علامات للتعبير عن المعانى المجردة ، وقد تحولت الكتابة الى علامات تنتهى بما يشبه المثلثات أو المسامير ، ومن هنا كانت تسميتها باسم «الكتابة المسمارية» (الاسفينية) ثم استخدمت مقاطع صوتية لكتابة الكلمات والجمل ، بعد تقسيمها الى مقاطع ، وقد وصلت الكتابة الى بداية المرحلة الصوتية فى أواخر عصر الكتابة ، كما أشرنا آنفا .

هذا وقد شهدت هذه المرحلة تطورات حضارية هامة ، وخاصة فى مجال العمارة الدينية ، التى تميزت بالمعابد الضخمة ، التى أقيمت فوق مساطب صناعية من عدة طبقات هى أصل «الزاقورات» التى وجد لها نموذج فى العقير ، وكانت العمارة تقوم من قبل على كوخ القصب الذى

---

(٣٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٢٨ ، وكذا
M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.
V. Child, Op. Cit., P. 149, 161.

ظل طويلا يمثل المسكن ، ثم استبدل بالنسبة للمعبود ببيتمن اللبن يقوم على أساس من الحجر ، وقد استعيض عن هذا المبنى فى الوركاء بحوش له جدران تزينها أعمدة وأنصاف أعمدة ، وبها زخارف فى مخاريط فخارية مدهونة باللون الاحمر والازرق والابيض ، ويقوم بالقـرب من مسكن المعبود برج ضخم هو «الزاقورة» (كبرج بابل المشـهور ، وبرج أور المقير ، وبرج بورسبا المسمى الان برس نمرود وبرج عقرقوف) ، وكان يعلو الزاقورة معبد صغير يشيد فوقها مثلث ، على جدرانه صور ملونة تمثل حيوانات ، وتعد هذه الصور أقدم صور جدارية ، هذا وكان يرقى الى قمة البرج بسلالم لكل طبقة(٣٣) .

هذا وقد بدأ المجتمع الزراعى منذأ واخر عصر الوركاء (أو منـذ بواكير العصر الكتابى الجديد) يصبغ بصبغة مدنية ، فنشأت فيه بلدان أو مدن صغيرة ، تطورت عن القرى الكبيرة ، وامتازت عما يحيط بها من أراضى الزراعة والقرى العـادية ، باتساع عمرانها اتسـاعا نسبيا ، وبأهمية معبدها وقصور حكامها ، وكفاية صناعها وفنانيها ، وباتساع مجالات الانتاج وفرص التشجيع فيها ، وان ظل ذلك كله فىحدود نسبية بطبيعة الحـال(٣٤) .

(٥) حضارة جمدة نصر :

تنسب هذه الحضارة الى تل صغير ، على مقربة من مدينة «كيش» القديمة ، وقد عثر على نماذج لهذه الحضارة فى الوركـاء والعقير وتل أسمر وأور وشروباك وتل العبيد وتوبلياس ، ويميز هذه المرحلة تطور فن البنـاء والنحت والكتابة ، ويعد الشـطر الثانى من هـذه المرحلة الحضارية أقرب الى العهد التاريخى منه الى عهد ما قبل الاسرات ، وهو

---

(٣٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٦ ـ ٦٧ ، طه باقـر : المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٨ .

(٣٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

يقابل فى مصر المرحلة الاخيرة من عصر جرزة ، وقيام مملكتى الصعيد والدلتا[٣٥] .

هذا وتتمثل العمارة الدينية لمرحلة جمدة نصر بشكل واضح فى «المعبد الابيض» الذى أقامه أصحابه لمعبودهم «آن» (أنو) اله السماء ، فوق تل صناعى يرتفع نحو ١٢مترا عنمستوى السهل المتدحوله ويشرف عليه ، وسوروا جوانب هذا التل بسور ذى مشكاوات ، واعتبروه ـــ فيما يحتمل ـــ بديلا عن أمثال سطح معبد اريدو ، أو هم اعتبروه على الارجح ، نموذجا لأصله الجبلى القديم ،و كان يؤدى الى سطحه طريق صاعد ، ودرج طويل بقى جزء منه ، وتوسط المعبد الابيض سفح التل ، واستكملت جدرانه هيئة المستطيل (٧٤ × ٥٠ قدما) وتشكلت على هيئة مشكاوات متتالية ، تتعاقب فى كل منها عدة مستويات داخلية ، وقد بنيت باللبن كالعادة ، ودعمتها فلوق نخل قصيرة ، ثم كسيت بملاط أبيض ، وتوسطت المعبد مقصورته الرئيسية ، وتضمنت فى داخلها عنصريها الرئيسيين ، وهما المذبح ومائدة القربان ، ولكن مذبحها تميز بانه كان ذا درج ، وبلغ ارتفاعه نحو أربعة أقدام ، وجاور مائدة القربان فيها موقد منخفض نصف دائرى ، وأحاطت بالمقصورة بضع حجرات فصلت بينها جدران ذات مشكاوات .

واستمر تل هذا المعبد باقيا حتى احتوته أسوار معبد «آن» (آنو) الكبير فى العصور الهلينستية ، أى بعد بداية البناء فوقه بنحو ثلاثين قرنا ،و قد يعنى ذلك أنه كان يرتبط بقداسة خاصة عند أهله أدت بهم الى المحافظة عليه[٣٦] .

وهناك أيضا من مرحلة جمدة نصر بعض المبانى الدينية المبكرة فى تخوم أرض بابل شرقا ، وتتمثل فى الطبقات الخمس المبكرة لمعبد اله

---

(٣٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٧٠ .

(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

القمر «سن» فى خفاجى ، وفى أقـدم طبقات معبد الاله آنـو فى «تل أسمر» (اشنونا) ، ويتبين من الطبقة الاولى لمعبد سن فى خفاجى أن مخططه يشبه الى حد ما المعبد الابيض فى الوركـاء ، ويمكن أن نطالع فيه السمات الاساسية للمعبد فى جنوب العراق ، و هى الفناء المستطيل الذى يقع الهيكل فى نهايته ، وتطل عليه حجرات جانبية ، غير أنه لم يقم فوق منصة عالية ، وأصبح — فيما تدل مبانى الطبقة الخامسة — عبارة عن بيت لسكنى المعبود ، أسوة بمنازل البشر التى تجاوره .

وفى اشنونا كشف عن بقايا معبد «آنو» فى طبقات يرجع أقدمها الى نهاية مرحلة جمدة نصر ، وهى لمزار صغير ذات تصميم مشـوه ، ربما بسبب ضيق المساحة التى أقيم عليها بين منازل القوم ، وان كانت الطبقة التالية — وترجع الى بداية العصر التاريخى — تشير الى اعادة التخطيط على غرار معبد خفاجى ، ويذهب المرحوم الدكتور عبد اللطيف الى أن اقامة معابد خفاجى واشنونا بين المساكن ، وعدم تشييدها فوق منصة عالية ، ربما بسبب طبيعة الارض التى أقيمت فوقها المعابد ، وهى أكثر ارتفاعا ، وبمنجاة عن خطـر الفيضان الذى تتعرض له عـادة الارض الخفيضة فى جنوب العراق ، هذا فضلا عن تفاوت مدى قوة العقيدة فى المعبود بين أهل الجنوب وسكان التخوم الشرقية ، الامر الذى تشـير اليه المبانى الدينية بوضوح[٣٧] .

هذا ويتميز فخار جمدة نصر بأنه مصنوع على عجلة الفخار ، وهو جيد الاحراق والصقل ، ومن أحجام مختلفة ، وأغلب آنيته ذات شكل كروى منتفخ ، ولها قواعد مسطحة أو مقوسة ، وقد زودت فوهاتها فى بعض الاحايين بسدادات من الطين ، قد شغلت زينتها الجزء العلوى من الاناء ، بما فيه الرقبة ، وذلك بأشكال هندسية سـوداء وحمراء فوق

---

(٣٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٦ — ١٤٧ ، أنطون مورتجات : الفن فى العراق القديم — ترجمة عيسى سليمان وسليم التكرينى — بغداد ١٩٧٥ ص ٦٩ — ٧١ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., P. 23.

أرضية فاتحة اللون ، أما باقى الاناء فلا تتجاوز زينته طلاؤه بلون أحمر أو مائل الى الحمرة[٣٨] .

وقد انتشر فخار جمدة نصر فى جنــوب العراق ، فى أور والوركاء وكيش وتل العقير ، وفى التخوم الشرقية فى خفاجى وتل اســمر ، كما امتد الى منطقة كركوك ، وربمــا امتداده ــ عن طريق التجــارة على الارجح ــ الى آفاق أبعد فى الشمال ، ذلك لأن أقدم فخار نينوى انما يشبه فخار جمدة نصر ، فى تزينها بأشكال هندسية ، وتلون بلون أحمر أو بنى قاتم فوق أرضية فاتحة ، وربمــا انطبق هذا على موقع «تبــة جاورا» ، وربما موقع تلول الثلاثات وتل المبراك ، وان قد ساد العراق الشمالى فى أخريات عصر جمــدة نصر ، وبدايــة العصر التاريخى فى الجنوب ، فخار نينوى[٣٩] .

هذا وقد قدم عصر جمدة نصر كثيرا من نماذج النحت على الحجر ، والتى تلقى بعضا من أضواء على الفكر الدينى والسياسى المبكر فى العراق القديم فى أخريات عصور ما قبل التاريخ والانتقال الى بداية العصور التاريخية ، ومن هذه النماذج وأمتعها ، ما أطلق عليه «الاناء النذرى» ، وهو آنية أسطوانية من المرمر ، محفوظــة الان فى المتحف العراقى فى بغداد ، قد قسمت سطوحهــا الى ثلاثة صفوف ، وظهــرت المعبودة «اينانا» فى صفها الاعلى ينسدل غطاء رأسها على ظهرها وكتفيها ، وتتدثر بثوب طويل أو شال واسع ، وتجمع بيسراها مجامع ثوبها ، بينما ترفع يمناها لتبارك بها سلة فاكهة قدمهــا اليها أحد كهنتها العراة ، وتلاهــا

---

(٣٨) فرج بصمة جى : بحث فى الفخار ــ صناعته وأنواعه فى العراق القديم ــ مجلة سومر ، العدد ٢١ لسنة ١٩٦٥ ص ٢٤ ــ ٢٥ ، وكذا
S Lioyd and F. Safar, Op. Cit., P. 151.
H. Frankfort, The Last Predynastic Period in Babylonia, CAH, I, Part 2, Cambridge, 1973, P. 81.

(٣٩) فرج بصمة جى : المرجع السابق ص ٢٤ ــ ٢٦ . وكذا
Abu-Al-Soof, in Sumer, 23, 1967, P. 210, 30, 1974, P. 6-8.
وانظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

تصوير رمز معبدها (النباتى ؟) ومجموعات الهدايا الفاخرة التى قدمت اليه ، ثم رجل وامرأة بملابس طويلة ، وشعر مرسل طويل (أو غطاء رأس طويل) يصعدان مسطحى المعبد المسورين ، وشغل الصف الثانى من نقوش الانية عدد من الكهنة العراة حاملى القرابين ، بينما صورت فى صفها الثالث مجموعة كباش ونعاج ونباتات ، وعبرت صور الكباش فيها عن الانواع الشائعة فى عصرها ، فمنها كباش أفقية القرون ، ومنها مرتفعة القرون ، وكلها كباش قصيرة الذيول ذات طيات سميكة تحت رقابها وفى مقدمات صدرها ، ولا تزال نقوش هذه الانية تعتبر خير نقوش أوانى عصرها ، بل ولم يعثر بعد على ما يدانى نقوشها فى آثار عدة قرون تالية لها من الالف الثالث قبل الميلاد[٤٠] .

وهناك لوحة «صيد الاسود» ، وهى من حجر الجرانيت الاسود ، وقد تحطم طرفاها العلوى والسفلى ، وتضم اللوحة منظرين ، الواحد وهو الاسفل ، يصور فيه الفنان مقاتلا ، يجذب وتر قوسه الكبير ، ليطلق سهما على أسد سبق أن أصابته سهامه ، وأسفل هذا الاسد يوجد أسد آخر صرعته سهام هذا المقاتل ، هذا الى أن هناك خلف هذا المقاتل أسدا ثالثا صرع بهذه السهام ، ويمثل هذا المقاتل بالزى والسمات المميزة للحاكم أو البطل ، فهو يرتدى زيا كاسيا يصل الى أسفل الركبة، ويشد خصره حزام عريض ، وله لحية كثيفة وشعر غزير ربط بالشريط الذى يشبه العقال ، ويدور حول الرأس فوق الجبين ، وأما المنظر الثانى ، وهو الاعلى ، فيصور نفس المقاتل ، على الارجح فهو يمثل بنفس الزى والسمات المميزة ، ويمسك برمح طويل يتأهب لغرسه فى عنق أسد يثب نحوه مهاجما .

ويذهب «هنرى فرانكفورت» الى أن المادة التى صنع منها لوح صيد الاسود هى الجرانيت ، وقد جلبت الى الوركاء من منطقة خارجية ، لافتقار جنوب العراق الى هذا النوع من الحجر ، ولكنه يتساءل عن

---

(٤٠) عبد العزيز صالح المرجع السابق ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

الهدف من تسجيل صيد الاسود ، وهل هـو لتخليد ذكرى الصراع مع البيئة فى جنوب العراق ، وتهيئة للاستقرار ، ثم التطـور الى مرحلة المدنية ؟ فضلا عن جهود طبقة الحكام الاوائل ، ذلك لأنه صور المقاتل فى اللوحة بزى وسمات الحاكم أو البطل ، والذين أراد الفنان أن يعبر عن بأسهم فى مواجهة الحيوانات الضارية ، وكفاحهم الشاق فى سبيل تأمين الحياة فى بيئتهم ، وان لم ينجح ناقش اللوح فى تصوير النسب الجسمية السليمة لهذين الرجلين (وربما نفس الرجـل المقاتل) ، وان نجح الى حـد ما فى التعبير عن حركة أذرعهما خـلال اطلاق القوس وتصويب الرمح ، وصورهما بأنف أقنى بعض الشىء[٤١] .

ولعل من الاهمية بمكـان الاشارة الى ازدياد مجـالات الصلات الخارجية فى عصر جمدة نصر فى هذه الفترة ، والتى امتدت حتى مصر وبلاد السند ، وأكبر الظن أن الطريق البحرى انما كان هو الطريق الذى استخدم فى تلك الصلات ، ولعل الايام تكشف لنا فى المستقبل عن آثار المحطات الحضارية التى كان على السفن أن تتوقف عندها فى سواحل عمان وحضرموت والبحر الاحمر .

على أنه من الجدير بالاشارة الى أن هناك من هذه الفترة مؤثرات حضارية من العراق القـديم ، لم يكشف بعض عن مؤثرات مصرية فى بلاد النهرين تنتمى الى نفس الفترة ، ويعلل البعض ذلك بسبب صعوبة الملاحة من البحر الاحمر الى البحـر الابيض بسبب التيارات البحرية الشديدة فى منطقة بـاب المندب ، غير أن الصـلات المصرية البشرية الحامية ، فضلا عن الجـوانب الحضارية مع شرق أفريقيـا ، وخاصة مناطق الصومال ، فى طلب البخور اللازم للطقوس الدينية المصرية ، انما

---

(٤١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٥٦ ، عبد العـزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٠ ، وكذا

H. Frankfort, The Last Predynastic Period in Babylonia, CAH, I, Part, 2, P. 87-88.

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 33-34.

تؤكد قدم تلك الصلات التى استخدمت فيها الطرق البرية والبحرية ، هذا الى جانب أن حقيقة الاتصـال بالصومال انما ينطبق أيضـا على تلك المحطات الساحلية فى شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن سواحل البحر الاحمر ، للوصول الى حل نهائى للمشكلة(٤٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى تلك الصلات التى كانت بين مصر وجنوب العراق فيما قبل عصر التأسيس وأثنائه ، فلقد أشار كثير من الباحثين الى وجود صلات تجارية وحضارية بين البلدين ، اعتمادا على مجموعة الاوانى الفخارية ذات الصنابير المائلة ، فضلا عن ذات الآذان المثلثة فى المستجدة والبدارى ، بمحافظة أسيوط ، والتى تنتمى الى حضارة جمدة نصر ، هذا الى جانب الاختـام الاسطوانية الاربعة التى عثر عليها فى «جرزة» بمحافظة الجيزة ، وفى نجع الدير بمحافظة سوهاج ، والتى تنتمى الى حضارتى الوركاء وجمدة نصر فى العراق القـديم(٤٣) .

---

(٤٢) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢١٥ .
(٤٣) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢١٠ ـ ٢١١ ، وكذا
H. Kantor, Further Evidence for Early Mesopotamian Relations With Egypt, JNES, XI, P. 239 F.
I.E.S. Edwards, CAH, I, Part, II, 1971, P. 42-43.
H. Frankfort, Op. Cit., P. 101

الباب الثاني

السومريون

الفصل الأول

قصــــة الطوفــــان

(١) تقـــــديم :

من المعروف أن بداية العصر التاريخى فى مصر ، انما تختلف عنها فى العراق القديم ، ذلك لأن بداية التاريخ المصرى القديم انما كانت منذ توحيد مملكتى الصعيد والدلتا فى دولة واحدة ، ذلك لأن المصادر المصرية انما قد اعتبرت الملك «نعرمر» (عحا ــ مينا) على رأس الاسرة الاولى المصرية ، فهو ــ كمـا تصوره آثاره ــ قد لبس التـاج الابيض لمصر العليا (الصعيد) على أحد وجهى لوحته المشهورة (لوحة نارمر) بينما نراه على الوجه الاخر ــ وكذا على رأس دبوس له نفس الاهمية ــ يضع على رأسه التاج الاحمر لمصر السفلى (الدلتا) ، ومن الواضح أنه أول ملك يفعل ذلك فى تاريخ مصر كله[1] .

وهكذا بدأ العصر التاريخى فى مصر (حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م) ، ذلك لأن مصر انمـا كانت قد بدأت تعـرف الكتابة ، وأخذت تسـجل حوادثها المختلفة على آثارها ، ومن ثم فقد أصبح اعتمادها الاكبر على ما خلفه المصريون القدامى أنفسهم مسطرا على آثارهم[2] .

على أن الامر فى العراق انما هو جـد مختلف ، حيث يبدأ العصر التاريخى بحادث الطوفان المشهور ، ومن المعروف أن حوادث الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة فى العراق القديم ، انمـا كانت من أهم وأخطر الحوادث التى تعتبر بمثابة البداية للعصر التاريخى فى بلاد النهرين .

وفى الواقع فان حادث الانتقال الى العصر التاريخى فى كل من مصر

---

1) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 403-404.
وكذا
J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, 1900, Pl. XXIX, P. 10, II, 1902, P. 43.

(٢) محمد بيومى مهران : مصر ــ الجزء الاول ــ الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٣٣ .

والعراق انما يعبر عن أصول المفاهيم السومرية من ناحية ، والمصرية من ناحية أخـرى ، فقد كانت عملية النقلة الى بدايـة العصر التاريخى فى العراق القديم عملية بيئية بحتة ، وغير مطمئنة للانسان ومصيره ، مما أدى الى اعتبار هذه الحقبة عمادا تدور حوله الحضارة العراقية القديمة، بينما كان حادث الوحدة السياسية فى بدايـة التاريخ المصرى القديم ، مؤكدة لاستقرار الانسان واطمئنانه ، فضلا عن توطيد كيانه السياسى ، وتكوين وتشـكيل مدنيته على ذلك المفهوم الواضح طـوال العصـور الفرعونية •

على أن هناك ظاهرة مشتركة بين مصر والعراق فى مرحلة الانتقال الى العصر التاريخى ، وأعنى بذلك التوصـل الى التعبير بالرمـوز ، فالكتابة وسـيلة اتصال بين الافـراد والجماعات فى كـافة المعاملات التجارية والخاصة ، فضلا عن تحرير الوثائق الحكومية وتنظيم شئون الدولة ، وقد توصل الانسان فى كل من مصر والعراق الى هذه الظاهرة الفكرية الهامة ، واختراع الكتـابة الصورية ، الهيروغليفية فى مصر ، والمسمارية السومرية فى العراق القديم[٣] •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن قصص الطوفـان الكبير الذى أهلك البشرية ، انما تكاد تنتشر انتشارا واسعا فى جميع أنحـاء العالم منذ زمن جد طويل ، وهكذا انتشرت الروايـات عن الطوفان فى كثير من مجتمعات الشرق الادنى القديم ، وفى الهنـد وبورما والصين والملايو واستراليـا وجزر المحيط الهـادى ، وفى مجتمعات الهنـود الحمر[٤] ، وطبقا لدراسة «جيمس فريزر» فقد انتشرت قصص الطوفان فى قارات : آسيا واستراليا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية — فيما قبل العهد الاوربى — ولكنها قليلة نسبيا فى قارة أوربا ، وأقل منها

---

(٣) رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ـ الجزء الاول ـ بيروت ـ ١٩٧٧ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ •

4) E. Sollberger, The Flood, London, 1962, P. 11

فى أفريقيـــا[٥] ٠

على أن قصص الطوفان ــ رغم كثرتها وسعة انتشــارها ــ فانها تختلف فيما بينها اختلافـــا كثيرا ، فضلا عن أن قسما منها أســـاطير ، وضعت وضعا لتفسير بعض العوارض الارضية كالمنخفضات الواسعة فى البلاد التى وضعت فيها تلك الاساطير[٦] ، هذا الى جانب أنه ليست هناك رواية واحدة أصيلة عن الطوفان الكبير دونت فى أفريقيا ، فمثلا ليس هناك من أثر لهذه القصة فى الادب المصرى القديم ــ وهو دونما ريب أهم الاداب الافريقية وأكثرها أصالة دون منازع ــ ٠

وأما رواية الطوفان فى «غينيا الشمالية» فهى أســطورة أكثر منها قصة ، اختلطت فيها الخرافات بالمعجزات ، حتى بات من الصعب علينا مقارنتها بغيرها من قصص الطوفان ، فضلا عن أنها نقلت الينا عن طريق المبشرين الاوربيين ، حتى أصبحنا غير قادرين على ارجاعها الى أصول غينية أو أوربية ، أضف الى ذلك أن هناك رواية أخرى يزعم أصحابها أن الرجال قد تحولوا ــ بعد الطوفان ــ الى قرود ، كما تحولت النساء الى سحالى ، وأن ذيل القرد هو بندقية الرجل ، الامر الذى يدل بوضوح على مــدى التأثير الاوربى الحديث فى هذه الاســطورة الافريقية عن الطوفان ، كما أن الروايات التى اكتشفها الكتاب الالمان عن الطوفـــان الكبير بين سكان أفريقيا الشرقية ، ليست سوى روايات مختلفة لقصة الطوفان فى الكتاب المقدس ، والتى تسربت الى هــؤلاء البدائيين عن طريق المبشرين من النصارى[٧] ٠

ومن البدهى أننا لن نناقش هنا كل القصص والاساطير التى دارت

---

(٥) جيمس فريزر : الفلكلور فى العهد القديم ـ ترجمة نبيلة ابراهيم ومراجعة حسن ظاظا ــ القاهرة ١٩٧٢ ص ٩١ ــ ٢١٩ ٠

(٦) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ــ بغــداد ١٩٥٥ ص ٤٦٠ ٠

(٧) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ ٠

حول الطوفان الكبير الذى أغرق العالم وقت ذاك ، ولكننا سوف نقتصر على دراسة قصة الطوفان فى المصـــادر السومرية والبابلية فى روايات ثلاث رئيسية تتشابه فى خطوطها العامة ، وفى كثير من تفاصيلها ، وأول تلك الروايات نسخة مدونة فى السومرية يسمى بطلها «زيوسدرا» الذى أنقذ البشرية من الفناء أثناء الطوفان العظيم ، الذى عم الارض جميعها، فيما يعتقد الاقدمون ؛ وجاءت الثانية فى ملحمـــة «جلجاميش» ، حيث قام بطلها المســـمى «أوتنا بشتم» ببناء سفينة ضخمة حمل فيهـــا ما استطاع من بشر وطير ومتاع •

ويذهب «جيمس فريزر» الى أن قصة الطوفان السومرية انما تتفق فى ملامحها الاساسية ، مع قصة الطوفان البابلية ، كما جاءت فى ملحمة جلجاميش التى تتميز عن أختها السومرية بطولها وكثرة حوادثها ، ففى كلتا القصتين قرر اله كبير أن يهلك الجنس البشرى عن طريق اغـــراق الارض بالأمطار ، وفى كليتهما حذر اله آخر رجلا من حدوث الكارثة ؛ ومن ثم فقد أنقذ هذا الرجل ومن معه عن طريق سفينة آمر ببنائها ،وفى كلتا الحالتين بلغ الفيضان ذروته فى اليوم السابع ، وفى كلتا الحكايتين قدم الانسان أضحيته للالهة بعد أن انتهى الطوفان ، ثم رفعته الالهة بعد ذلك الى مصافها •

أما الاختلاف الجوهرى الوحيد بـــين الروايتين ، فيتمثل فى اسم البطل فى كل منهما ، فهـــو «زيو سودرا» Ziusudra فى الرواية السومرية ، وهو «أوتنابيشتم» (Utnapishtim) فى الرواية السامية ، وأما الرواية الثالثة فهى قصة «أتراخاسيس» (Atrahasis) نسبة الى اســـم الرجل الذى يقـــوم بدور مشابه لنظيريـــه «زيوسودرا» و «أوتنابيشتم»[8] ، ولنتحدث الان عن هذه القصص التى دارت حول

---

(٨) فاضل عبد الواحد على : الادب ـ من كتاب حضارة العراق ـ الجزء الاول ـ بغداد ١٩٨٥ ص ٣٢٠ ـ ٣٣١ ، جيمس فريزر : الفلكلور فى العهد القديم ص ١٠٥ •

الطوفان فى العراق القديم :

أولا : قصة الطوفان السومرية

كان الناس يعتقدون حتى أخريات القرن الماضى أن التوراة هى أقدم مصدر لقصة الطوفان[9] ، غير أن الاكتشافات الحديثة قد أثبتت أن ذلك مجرد وهم ، حيث عثر فى عام ١٨٥٣م على نسخة من رواية الطوفان البابلية ، وفى الفترة فيما بين عامى ١٨٨٩م ، ١٩٠٠م ، كشفت أول بعثة أمريكية قامت بالحفر فى العراق عن اللوح الطينى الذى يحتوى على القصة السومرية للطوفان فى مدينة «نيبور» (نفر) ، وكان «أرنو بوبل» أول من قام بنشرها فى عام ١٩١٤م ، ثم تبعه آخرون ، وان كانت ترجمة «بوبل» هى الاساس الذى ما يزال يعتمد عليه الباحثون[10] •

هذاو يبدو من طابع الكتابة التى كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع الى عهد الملك البابلى الشهير «حمورابى» (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق•م) ، وان كان من المؤكد أن القصة نفسها انما ترجع الى عهد أقدم من ذلك بكثير، ذلك لأنه فى هذا الوقت الذى كتب فيه اللوح لم يكن هناك وجود للسومريين ، بوصفهم عنصرا مستقلا ، فقد كانوا قد ذابوا فى الشعب السامى ، هذا فضلا عن أن لغتهم كانت من قبل قد أصبحت لغة ميتة، على الرغم من أن الكهنة والكتاب الساميين كانوا ما يزالون يدرسون الادب القديم والنصوص المقدسة عند القوم ، والمحفوظة فى ثنايا تلك

---

(٩) قدم الباحث دراسة مفصلة عن قصة الطوفان : انظر : (محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ـ الرياض ١٩٧٥) •

(١٠) انظر :

Arno Poebel, in PBS, V, 1914.

PBS, IV, P. 9-70.

وكذا

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-44.

S. N Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P 97-98.

L. W. King, Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, 1918.

T. Jacobsen, in AS, 11, P. 58-59.

الاداب ، ويعيدون كتابتها ، ومن ثم فان الكشف عن رواية قصة الطوفان السومرية انما يدعو الى افتراض أنها انما ترجع الى زمن سبق احتلال الساميين لوادى الفرات ، وأن هـؤلاء الساميين انما قد أخذوا هـذه القصة ، فيما يبدو ، عن السومريين بعد هجرتهم الى وادى الفرات[11].

هذا وتتضمن قصة الطوفان السومرية عدة وقائع هامة ، يتعلق أول ما يمكن قراءته من سطورها بخلق الانسان والنبات والحيوان ، وبأصل الملكية السماوى ، فضلا عن خمس مدن ترجع الى ما قبل الطوفان ، ومن أسف أنه من بين اللوحات التى تتناول القصة لم تبق سـوى لوحـة واحدة ، وحتى هذه لم يبق منها سوى ثلثها الاخير ، وقد فقدت مقدمة النص ونهايته ، ومن ثم فهو نص غامض فى أكثر نواحيه ، وعلى أيـة حال ، فان النص انما يتكون فى جملته من ثلاثمائة سـطرا ، لم يعثر منها الا على حوالى المائة ، ورغم ذلك فانها تقدم لنا الخطوط الرئيسية للنص .

وعلى أية حال ، فبعد ٣٧ سطرا ، نلتقى بمعبود يشير الى أنه سوف ينقذ البشر من الهلاك ، وأن الانسان سوف يبنى المدن والمعابد ، ويلى ذلك ثلاثة أسطر غامضة ، ربما كانت تتضمن ما سوف يبذله المعبود فى هذا السبيل ، ثم الحديث عن خلق الانسان والحيوان ، وربما النبات ... ثم ٣٧ سـطرا ضائعة .... نعرف بعدهـا أن الملكية هبطت من السماء ، وأن خمس مدائن قد أسست ، ثم ٣٧ سـطرا ضائعة .... ربما تشير الى اصرار الالهة على الاتيان بالفيضان وتدمير البشر ، وحين يصبح النص مقروءا نجد بعض الالهة غير راضين ، وتجتاحهم التعاسة بسبب القرار القـاسى ، ثم نلتقى ببطل القصـة «زيوسودرا» الذى يوصف بالتقوى ، وبأنه ملك يخاف الاله ، وينكب على خدمته فى تواضع وخشوع ، ويطيل النظر الى المكان المقدس ، وهو يقيم بجـوار حائط

(١١) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٣ .

يستمع منه الى صوت معبوده «أنكى» الذى أخبره بالقرار الذى اتخذه مجمع الالهة بارسال الطوفان «لاهلاك بذرة الجنس البشرى» .

ولعل من المؤكد أن ما يلى ذلك تعليمات مسهبة الى «زيوسودرا» ببناء سفينة هائلة لينقذ نفسه من الهلاك ، غير أن هذا كله ناقص لوجود كسر كبير فى اللوحة ، بما كان يشغل ٤٠ سطرا ، ومن ثم فنحن ننتقل فجأة من موضوع تحذير الاله للانسان الى موضوع الطوفان ، فيصف اللوح العاصفة والامطار ، وقد ثارت جميعا ، ثم تستمر الرواية فتقول «وبعد أن هبت العاصفة الممطرة على الارض سبعة أيام وسبع ليال ، يكتسح الفيضان فيها الارض ، ويدفع الفلك قدما على المياه المضطربة ، ثم يظهر بعد ذلك اله الشمس «أوتو» وهو يسكب الضوء على السماء والارض ، وعندما تخترق أشعة الشمس السفينة نو يرى «زيوسودرا» نور ربه ، ويعلم بصفحه ، يخرج من الفلك ويسجد للرب مضحيا له بفحل وشاة» .

ويلى ذلك كسر يشغل ٣٩ سطرا ، ثم تصف الاسطر الباقية كيف نفث الاله روح الخلود فى «زيوسودرا» مستقرا بارض دلمون ، حيث تشرق الشمس ، أى حيث القوة القاهرة للموت ، دلمون التى هى مركز الخلق فى الاساطير السومرية ، جنة الخلد ، «أرض دلمون مكان طاهر ، أرض دلمون مكان مقدس ، ثم يوصف «زيوسودرا» بعد ذلك بأنه «الشخص الذى حافظ على سلامة الجنس البشرى» .

ويحتمل من سياق لوح صغير أى «زيوسودرا» كان قد تلقى الحكمة عن أبيه «شورباك» بن «وبار — توتو» أحد ملوك ما قبل الطوفان ، وقد كرر فى وصاياه لولده أن يتقبل نصائحه ،وأن يعمل بها ، وأن لا يحيد عنها[١٢] .

---

(١٢) صمويل نوح كريمر : أساطير العالم القديم ـ ترجمة أحمد عبد الحميد ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ـ القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٧ ،
=

ولعل سائلا يتساءل : أين دلمون هذه التى تحدثت عنها قصة الطوفان السومرية ؟

فى الواقع أن العلماء مختلفون حول موقع «دلمون» السومرية هذه ، فذهب فريق الى أنها فى الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس (أى الجزء الشرقى من ساحل الخليج العربى) ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها منطقة وادى السند ، بينما يذهب وجه ثالث للنظر الى أنها سهول العراق الكائنة الى جنوب بابل ، بل ان هناك وجها رابعا للنظر يذهب الى أنها فى القسم الشرقى من شبه جزيرة العرب ، فى المنطقة فيما بين «مجان» و «بيت نبسانو» •

على أن جمهرة المؤرخين انما يتفقون — أو يكادون — على أن موقع «دلمون» انما هو جزيرة البحرين الحالية ، أو جزيرة البحرين والساحل المقابل لها[13] •

=

صموئيل نوح كريمر : من ألواح سومر : ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخرى ــ القاهرة ١٩٥٧ ص ٢٥٢ ــ ٢٥٩ ، جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٣ ــ ١٠٥ ، رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٢٢ ــ ٢٢٤ ، محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ــ الرياض ١٩٧٥ ص ٣٨٥ ــ ٣٨٨ ، محمد عبد القادر : قصة الطوفان فى أدب بلاد الرافدين ــ القاهرة ١٩٦٥ ص ١١٠ ــ ١١٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٩ ، وكذا

E. O. James Mythes et Rites dans le Proche-Orient Ancien, Paris, 1960, P. 247.

J. Mougayrol et J. M. Aynard, La Mesopotamie, Paris, 1965, P. 58-59.

W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960, P. 92 F.

S N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1960, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97 F.

S. Langdon, Semitic Mythology, 1930. P. 206-208.

(١٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٠ ، جون الدر . الأحجار تتكلم ــ ترجمة عزت زكى ص ٣٠ ، وكذا

J. Finegan, Light from The Ancient Past, Princeton, 1969, P 32.

P. B. Cornwall, On The Location of Dilmun, in BASOR, 103, 1946, P. 3-11.

=

وسؤال البداهة الان : هل هنـــاك من الادلة من الادلة اثريـــة فى العراق ما يثبت قصة الطوفان السومرية هذه ؟

ليس هناك من ريب ــ بعد الاكتشافات الحديثة ــ أن هذه الادلة الاثرية قد وجدت ، فلقد عثر «سير ليونارد وولى»[١٤] فى حفائره فى خرائب «أور» ــ وهى تل المقير الحالية على مقربة من محطة القطار فى الناصرية ، وعلى مبعدة ١٦ كيلا شرقى نهر الفرات ، ١٩٠ كيلا شمال مدينة البصرة الحالية ــ وذلك فى عام ١٩٢٩م على طبقـــة من الغرين السميك والرواسب الخالية من الاثار ، فيما بين ٩ر٦ مترا ، ٢ر٥ مترا ، فوق مستوى سطح البحر ، وقد اعتبر ذلك دليلا ماديا على الطوفـــان السومرى ، نظرا لكثافة تلك الطبقة الغرينية ، وتوافقها الزمنى الى حد كبير مع النصوص السومرية ، هذا الى جانب أن تلك الطبقة الغرينية انما تقع فوق آثار تنتمى الى عصر حضارة العبيد ، والتى تمثل عصر ما قبل الاسرات الاولى فى جنوب العراق .

هذا وقد اتجه «وولى» بعد ذلك الى الحفر فى موقع بعيد عن «أور» بحوالى ٣٠٠ ياردة من ناحية الشـــمال الغربى للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية ، وكانت نتيجة الحفر ايجابية ، مما أدى الى القول بوجهة النظر المشهورة فى ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذى ذكرته الكتب المقدسة[١٥] .

=

S N. Kramer, Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944, P. 18-28.

S. N. Kramer, The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Pradise Land Expedition, Philadelphia, 1964, P. 45.

F Hommel, Grundris, I, P. 250.

14) C. L. Woolley, Ur of The Chaldees, London, 1950, P. 22-29.

C. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 26-36.

(١٥) وردت قصة طوفان نوح عليه السلام فى التوراة فى سفر التكوين فى الاصحاحات من ٦ الى ٩ ، وفى القرآن الكريم فى سورة الاعراف (٥٩ ــ ٦٤) ويونس (٧١ ــ ٧٣) وهـــود (٢٥ ــ ٤٩) والانبيـــاء «٧٦ ــ ٧٧»

=

على أن أستاذنا الدكتور الناضورى انما يرى أنه لا ينبغى الجزم بصورة حاسمة فى هذا الشأن ، ذلك لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفان ، فهناك أدلة غرينية على فيضـــان أو طوفان كبير فى «شورو باك» (فارة) يرجع الى نهاية عصر جمدة نصر ، وآخر فى «كيش» (تل الاحيمر) ، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الطوفانات ، وأيها هو الذى يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، ولعل فيضان «شوروباك» أكثر قربا منها على أساس أن تلك القائمة قد أشارت الى المدينة الاخيرة ، كآخر مدينة قبل حدوث الطوفان ، ولكن فى نفس الوقت علينا ألا نستبعد كلية طوفـــان أور ، ذى الطبقة السميكة للغاية ، أضف الى ذلك ان عدم العثور على الطبقة الغرينية الموازية فى كافة المدن السومرية انما يدفع الى الاتجاه باحتمال كون الطبقة الغرينية التى عثر عليها «وولى» فى أور ، انما هى مجرد ترسيب محلى ، ليس له الصفة الشاملة[١٦] .

وهناك من الادلة أيضا على حدوث طوفان قائمة الملوك السومرية ، والمكتوبة بالخط المسمارى بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد[١٧] ، أو فى فترة لا تتأخر كثـــيرا عن منتصف عهد أسرة أور الثـــالثة (٢١١٣ — ٢٠٠٦ ق٠م) ، وربما قبيل عهد «أوتو حيجال» من أسرة الوركـــاء الخامسة (٢١٢٠ — ٢١١٣ ق٠م)[١٨] ، وان كـــان يبدو أنها نسخت عـــن قوائم

=

والمؤمنون (٢٣ ــ ٣٠) والشعراء (١٠٥ ــ ١٢٢) والعنكبوت (١٤ ــ ١٥) والصافات (٧٥ ــ ٨٢) والقمر (٩ ــ ١٧) ثم سورة نوح ، فضلا عن ذكره فى مواضع متفرقة من القـــرآن الكريم (انظر : محمد بيـــومى مهران : دراسات تاريخية فى القرآن الكريم ــ الجزء الرابع ــ بيروت ١٩٨٨ ص ٧٣ ــ ١٠١) .

(١٦) رشيد الناضورى : المرجـــع السابق ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ ، تقى الدباغ : حضارة العراق ــ الجزء الاول ــ بغداد ١٩٨٥ ص ١٤٠ ، وكذا
H. W. F. Saggs, The Greatness That was Babylon, London, 1962, P. 34-35.

J. Finegan, Op. Cit., P. 24.

17) S. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 14.

18) CAH, I, Part, 2, P. 998, (Chronological Table of The Sumerian Period).

قديمة ، ربما ترجع الى أخريات العهد الاكدى (٢٣٧٠ — ٢٢٣٠ ق٠م) ، وعلى أية حال ، فانها تتضمن معلومات تاريخية ترجع الى بداية العصر التاريخى فى العراق القديم ، وربما ترجع الى أقدم من ذلك(١٩) ٠

وتبدأ قائمة الملوك السومرية بقولها : «عندما أنزلت الملكية من السماء أصبحت أريدو مقرا للملكية» ثم تذكر القائمة ثمانية ملوك حكموا قبل الطوفان فى خمس مدن هى : أريدو ، و «بادتيبيرا» (تل المدائن قرب تللو) و «لارك» (الوركاء) و «سيبار» و «شوروباك» ، وأن هؤلاء الملوك قد حكموا ٢٤/٢٠٠ سنة ، وأن آخرهم كان «وبار — توتو» ، أنه قد حكم فى مدينة «شوروباك» لمدة ١٨٦٠٠ سنة ، ثم جاء من بعدهم الطوفان الذى أغرق الارض ، وبعد زوال الطوفان هبطت الملكية من السماء ثانية ، وأصبحت كيش مقرا للملكية ، ثم تعود القائمة مرة أخرى الى ذكر أسماء المدن التى حكمت العراق القديم بعد ذلك(٢٠) ٠

هذا ورغم الارقام الاسطورية التى تقدمها قائمة الملوك السومرية كفترة لحكم ملوكها ، حتى بات من الصعب علينا أن نعرف منها متى انتهى العصر الاسطورى ، ومتى بدأ العصر التاريخى ؟ ، رغم ذلك ، فان الوثيقة ، دونما ريب ، انما تحمل بين طياتها كثيرا من المعلومات التاريخية الصحيحة ، ومع ذلك ، فما يهمنا هنا وفى الدرجة الاولى ، أن الوثيقة انما تتحدث بوضوح عن طوفان يفصل بين فترتىْ حكم ، الواحدة

---

19) J. Finegan, Op. Cit., P. 29.
وكذا S. L Woolley, Op. Cit., P. 14.

(٢٠) انظر عن قائمة الملوك السومرية : (محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٥ — ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, 1970, P. 328-331.
وكذا A. L. Oppenheim, ANET, P. 265-267.
G. A. Barton, The Royal Inscriptioons of Sumer and Akkad, P. 346 F.
J. Finegan, Op. Cit., P. 29-30.
S. L. Woolley, Op. Cit., P. 249-253.
T. Jacobsen, The Sumerian King List, Assyrian Studies, 11, 1939.

سابقة له ، والثانية تالية له ، تبدأ بنزول الملكية مرة ثانية من السماء الى كيش ثم الوركاء ، ثم أور ، ولعل فى هذا دليلا واضحا على أن قائمة الملوك السومرية انما تعتبر حادث الطوفان الخطير ، بمثابة كسر فى عملية استمرار تاريخ العراق القديم ،و من ثم فهو حد فاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخى ٠

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن الادلة الاثرية التى عثر عليها فى طبقات مدينتى أريدو والوكاء لتثبيت حقيقة ما نصت عليه وثيقة قائمة الملوك السومرية ، من حيث انتقال السيادة السياسية فى جنوب العراق بين تلك المدن[٢١] ٠

هذا ويعتبر «سير ليونارد وولى» هذا الطوفان — موضوع الحديث، طوفانا كبيرا مروعا ، لا مثيل له فى أى عصر لاحق من تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فقد ظل عالقا بأذهان الاجيال التالية ، ومعروفا لديهم باسم «الطوفان» صحيح أن هناك فى أور ، وفى مواضع أخرى من بلاد النهرين ، ادلة على فيضانات مؤقتة ومحلية ، حدثت فى أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم ، وفى بعض الاحايين لم تكن أكثر من نتيجة لأمطار هطلت فى منطقة محدودة ، ولكنه صحيح كذلك أن الطوفان الذى وضع نهاية لحضارة العبيد ،ا نما يتفق فى توقيته مع التاريخ السومرى الذى وصل الينا عن طريق التقاليد ، وأنه بعينه الطوفان الذى تحدثت عنه قائمة الملوك السومرية ، وهو الطوفان الذى روته التوراة فى سفر التكوين ٠

على أنه يجب أن لا يفهم أن القصة السومرية صحيحة بحذافيرها ؛ صحيح أن الخلفية حقيقة تاريخية ، ولكنه صحيح كذلك أن التفاصيل قد زخرفها المؤلف السومرى — وكذا فعل صاحبه العبرى — ببيانات وأوصاف تتفق وهدف كل منهما من كتابتها ، فمثلا تقول التوراة أن الماء

---

(٢١) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٤٧ ٠

قد ارفع ٢٦ قدما،وهذا ـ فيما يبدو ـ صحيح الى حد كبير كما أن القصة السومرية تصف انسان ما قبل الطوفان بأنه كان يعيش فى أكواخ من بوص ، وهذا أمر قد أثبتته الحفائر فى العبيد وفى أور ،وأن نوحا ـ فى رواية التوراة ـ قد بنى فلكه من خشب خفيف لا ينفذ منه الماء، ولا يؤثر فيه ، وأنه قد طلاه من داخل ومن خارج ، وهو أمر قدأثبتته الحفائر[٢٢] .

وهناك من الادلة أيضا ما حدثنا عنه «سيرليونارد وولى» من أنه قد وجد فى «أور» أسفل طبقة المبانى السومرية ، طبقة طينية مليئة بقدور من الفخار الملون ، وقد اختلطت بها أدوات من صوان وزجاج بركانى ، وكان سمك هذه الطبقة حوالى ٣ أمتار تقريبا ، أسفل المبانى الطينية التى يمكن تأريخها بحوالى عام ٢٧٠٠ ق٠م ، وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة فى عصر ما قبل الطوفان ،و لم تجر حتى الان حفائر على نطاق واسع فى هذه المنطقة ، وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى .

ويذهب «وولى» الىأ ن السبب فى اختفاء هذا الفخار الملون الذى كان منتشرا فى بلاد الوافدين قبل الطوفان اختفاء تاما ، مرة واحدة ، هو أن الطوفان قد قضى تماما على سكان هذه البلاد ، وحتى من بقى منهم حيا ، فقد فقد القدرة على الانتاج ، فجاء شعب جديد ، هم السومريون ، الى تلك البلاد الخالية ، وأسسوا حضارة جديدة ، وكان فخارهم مصنوعا على دولاب الفخار ، بدلا من الفخار المصنوع باليد ، الذى كان سائدا فى عصور ما قبل الطوفان ، كما استعملوا الادوات المعدنية ، بدلا من الصوان[٢٣] .

ولعل سائلا يتساءل : هل كان الطوفان السومرى هذا طوفانا عاما أغرق الدنيا كلها ؟ أم كان مقصورا على جنوب العراق ؟

---

22) Sir Leonard Woolley, Excavations At Ur, London, 1963, P. 34-36.
(٢٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧ .

والرأى عند «سير ليونارد وولى» بأن هذا الطوفان لم يكن طوفانا عايلا عم الكون بأسره[٢٤]، وانما كان مقصورا على الحوض الاسفل لنهرى الدجلة والفرات ، وأنه قد أغرق المنطقة الصالحة للسكنى هناك بين الجبال والصحراء — والتى كانت بالنسبة للسكان الذين يعيشون فيها بمثابة العالم كله — وأن المساحة التى شملها الطوفان ربما كانت (٤٠٠ ميلا طولا ، ١٠٠ ميلا عرضا) وأن الغالبية العظمى من السكان قد أغرقهم الطوفان ، وأن القوم قد رأوا أن هذه الكارثة بمثابة عقاب من الاله بسبب آثام الناس وخطاياهم ، وأن قلة نادرة قد نجت ، وأن رأس هذه القلة قد نظر اليه كبطل للقصة ، وهو هنا «زيوسودرا»[٢٥] ٠

ثانيا : قصة الطوفان البابلية

وفى الواقع أن قصة الطوفان البابلية ليست قصة واحدة ، وانما ثلاثة ، الواحدة : ملحمة جلجاميش ، والثانية : قصة بيروسوس ، والثالثة : قصة اتراخاسيس ٠

(١) ملحمة جلجاميش :

لقد ظل العالم لا يعرف شيئا عن قصة الطوفان البابلية ، الا من خلال رواية «بيروسوس» التى كتبت باللغة اليونانية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، الى أن عثر «رسام» H. Rassam فى عام ١٨٥٣ م على نسخة من رواية الطوفان البابلية فى مكتبة الملك «أشور بانيبال» (٦٦٨

---

(٢٤) ترى جمهرة الباحثين ان جميع الطوفانات — السومرية والبابلية ، فضلا عن طوفان نوح عليه السلام ، والذى جاء ذكره فى التوراة والقرآن العظيم ، انما كانت خاصة ، ولم تكن عامة ، كانت فى جنوب العراق فحسب (انظر : محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة — الرياض ١٩٧٥ ص٤٣٦ — ٤٥١ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الجزء الرابع — فى العراق — بيروت ١٩٨٨ ص ٨٣ — ١٠١) ٠

25) S. L. Woolley, Op. Cit., P. 36.

وكذا W. Keller, The Bible As History, London, 1967, P. 50-51.

ـ ٦٢٦ ق٠م) فى العاصمة الاشــورية «نينوى» ، ترجع الى القــرن السابع قبل الميلاد ٠

وفى الثالث من ديسمبر عام ١٨٧٢م ، أعلن «سيدنى سمث» نجاحه فى جمع القطع المتناثرة مــن «ملحمة جلجاميش» بعضهــا الى بعض ، مكتوبة فى اثنى عشر نشيدا ، أو بالاحرى لوحا ، ومحتوية على قصــة الطوفان فى لوحها الحادى عشر[٣٦] ٠

وأما «جلجاميش» هذا ، فهو أحد الملوك الذين ورد اسمهم فى ثبت ملوك أسرة الوركاء الاولى ، التى لا نعرف عنها سوى أسماء ملوكها ، وقد صار بعضهم ـ مثــل جلجاميش ـ موضوعــا لقصص وملاحم شعرية ، ويرجح العلماء أن هؤلاء الملوك قــد حكموا فى العراق ـ فى مدينة الوركاء ـ قبل عصور فجر الاسرات أو فى بدايته[٣٧] ، على أننا نستطيع أن نعين تاريخا تقريبيا لعهــد جلجاميش عن طريق قطعة من المرمر محفوظة الان فى المتحف العراقى ببغداد ـ وان كانت مجهولة الاصل ـ كتب عليها «مى ـ براج سى» ملك كيش ، وقد ثبت أنه الملك الثانى والعشرون من أسرة كيش الذى حارب ضد جلجاميش ـ خامس ملوك الوركاء ـ كما تحدثنا أسطورة جلجاميش وأجا السومرية[٣٨] ٠

ويذهب «جورج روكس» الى أن «مى ـ براج ـ سى» هو أقدم حاكم سومرى معروف لنا ، واذا ما اعتبرنا أن «سرجون الاكدى» كان يعيش فى الفترة (٢٣٧٠ ـ ٢٣١٥ ق٠م) ، فانه من الممكن تقدير تاريخ حكم «مى ـ براج ـ سى» بحوالى عام ٢٧٠٠ ق٠م ، كما يمكن اعتبار ذلك التاريخ بداية للعصر التــاريخى فى العــراق القديم ، ومن ثم فان

---

(٣٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧ ، وكذا
M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, P. 371.

(٣٧) طه باقر : المرجع السابق ص ٤٥٩ ٠

(٣٨) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القــديم ـ الجــزء السادس ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ، وكذا
S. N. Kramer, ANET, P. 44-47.

جلجا ميش انما كان يعيش بعد هذا التـــاريخ بفترة ليست بعيدة على أية حال[٢٩] •

هذا ويمكن تلخيص ملحمة جلجاميش فى الســـطور التالية ، والتى يؤلف خبر الطوفان جزءا منها : ــ

تبدأ قصة الطوفان ، بعد أن ينتهى جلجاميش من قصته ، التى فقد فى أخرياتها صديقه «أنكيدو» ، ذلك أن جلجاميش كان ملكا حكيما واسع المعرفة ، شجاعا جريئا ، ولكنه كان ظالما مستبدا ، ومن ثم فان الالهة قد خلقت له «أنكيدو» ليدفع عن الناس ظلمه ، غير أن الصراع بينهما لم يحسم فى مصلحة واحد منهما ضدا لاخر ، ومن ثم فقد تم الصلح بينهما ، وقام الاثنان بمغامرات كثيرة ، ثم مات «أنكيدو» فجأة ، فحزن جلجاميش لفقده ، ثم أسلمه الحزن الى المرض ، وظل خـــائفا يترقب مصيره المحتوم ، وان كان فى الوقت نفسه بدأ يفكر فى وسيلة يتقى بها غائلة الموت ، وهكذا هداه تفكيره الى البحث عن جده «أوتنابيشتم» بن «وبار ــ توتو» ليسأله عن كيفية امكان أن يكون الانسان الفانى مخلدا ، فقد كان على يقين من أن «أوتنا بيشتم» على علم بهذا الامر ، ذلك لان الالهة قد رفعته الى مصافها ، وجعلته يسكن بعيدا فى مكان ما ، متمتعا بنعمة الخلود •

ويتحمل جلجاميش من أجل تحقيق بغيته هذه رحلة مضنية خطيرة ، يلتقى فى أثنائها برجل وامرأة فى شكل ثعبانين يحرسان جبلا ، فضلا عن اختراقه طريقا مفزعا مظلما لم تطأه قدما انسان من قبل ، ثم يعبر بحرا مترامى الاطراف ، وأخـــيرا يلتقى باحدى الالهات فيطلب منها أن تدله على مكان جده «أوتنا بيشتم» ولكنها ــ وقد علمت هدفه ــ تسدى اليه

---

(٢٩) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠ ، وكذا

Sir Leonard Woolley, Op. Cit., P. 14.
George Roux, Ancient Irag, 1980, P. 119-120.

النصح قائلة : الى أين تسعى يا جلجاميش ، ان الحياة التى تبغى لن تجدهـا ، ذلك لان الالهة لما خلقت البشر جعلت المـوت من نصيبهم ٠ واستأثرت هى وحدها بالخلود ، لتكن مبتهجا ليل نهار ، ولتجعل كل يوم من حياتك يوم فرح وحبـور ٠٠٠٠ ودلل الطفل الذى يمسـك بيدك ، أدخل السرور الى قلب المرأة التى فى أحضانك ٠٠٠ فهذا هـو نصيب البشر ، ومع ذلك فان جلجاميش يصر على سؤاله ، فلا تجد الالهة الا أن تجيبه الى ما يريد ٠

ويلتقى جلجاميش بجده «أوتنا بيشتم» فيطرح سـؤاله عن كيفية تحقيق الانسان للخلود ، وهنا يجيبه «أوتنا بيشتم» : هل بنينـا بيتا يقوم الى الابد ؟ هل عقدنا عهـدا على أن نستمر الى أبد الابدين ؟ لم يكن هناك خلود منذ القدم ، ما أعظم الشبه بين الميت والنـائم ، ألا تظهر على وجهيهما هيبة الموت ؟ ، وهكذا مصير السيد والعبد حتى ينتهى أجلهما فى هذه الدنيا ٠

وحين يتعجب جلجاميش من هذه الاجابة من شخص كان هو نفسه انسانا فانيا ، ثم أصبح مخلدا فيما بعد ، كان على «أوتنا بيشتم» أن يشرح له كيف استطاع هو نفسه أن يهرب من المصير المحتوم لكل انسان فقص عليه قصة الطوفان الكبير التى تجرى على النحو التالى :

قال أوتنا بيشتم لجلجاميش : سوف أكشف لك يا جلجاميش عما خفى من الامر ، سوف أخبرك بسر الالهة ، «شوروبـاك» مدينة أنت تعرفها على ضفاف الفرات ، و هى مدينة قديمة قدم الالهة التى أتت بها ، عندما انتوت الالهة احداث الطوفان ، كان من بينهم «آنـو» أبوهم ، و«انليل» الشجاع ، مستشارهم ، و«نينورتا» مساعدهم ، و«اينوجى» مفتش الترع ، وكان حاضرا معهم «نينجيكو ــ أيا» والذى أعاد قولهم الى كوخ القصب (ربما يعنى مسكن أوتنا بيشتم) : يا كوخ القصب ، يا حائط ، يا حائط ، اصغ يا كـوخ القصب،استمع يا حائط ، يا رجل شوروباك ، يا ابن «وبار ــ توتو» ٠

اهدم هذا البيت وابن فلكا ، دع الاملاك وانقذ حياتك ، اهجر المتاع ودع الروح حية وأحمل على ظهر الفلك بذرة كل شيء حى ، والفلك التى ستبنيها ستكون أبعادها حسب هذا المقياس ، عرضها مثل طولها ، واجعل سقفها كسقف الابسو (العالم السفلى) ، ففهمت وقلت لمولاى «ايا» : نعم يا مولاى ، ان مـا تأمر به يشرفنى أن انفـذه ، لكن بم أجيب المدينة : الناس والشيوخ •

ففتح «ايا» فاه ، وأجاب خـادمه قائلا ، لى أنا : قل لهم : علمت أن انليل يعادينى ، ومن ثم فلا أستطيع أن أقيم فى مدينتكم ، أو أضع قدمى فى أملاك انليل ، ومن ثم فسوف أنزل الى الاعماق ، وأسكن مع مولاى «ايا» ، وأما أنتم فسوف ينزل عليكم مطرا مدرارا •••••• خير الطيور وأندر الاسماك ، وسوف تمتلىء الارض بمحاصيل كثيرة ووفيرة ، ومع انبثاق الفجر تجمعت الارض من حوالى ••••• (النص مهشم) ••••وحمل الصغار القار ، وجاء البالغون بكل ما احتجنا اليه •

وفى اليوم الخامس أقيمت هيكلها (أى السفينة) ، وكانت أرضيتها فدانا كاملا ، وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعا ، وطول كل ضلع من السطح ١٢٠ ذراعا ، وبنيت هيكل جوانبها وربطتها الى بعضها ، وجعلت فيها ستة أسطح ، قسمتها الى سبعة طوابق ، وقسمت أرضيتها تسعة أجزاء ، ودققت سدادات المياه بها ، وجهزتها بما نحتاج اليه من المؤون ، وصببت فى الفرن ست سار (السار = ٨٠٠ جالون) من القار ، كما صببت كذلك ثلاثة سار من الاسفلت ، وثلاثة سار من الزيت ، نقله حاملو السلال ، فضلا عن سار من الزيت استهلكته القلفطة ، كما خزن الملاح سارين من الزيت ، وذبحت ثيرانـا للناس ، ونحرت ماشية كل يوم ، وأعطيت العمال عصير فواكه ، ونبيذا أحمر ، وآخر أبيض ، وكأنه مياه النهـر ، ليشربوا وكأنهم فى عيد رأس السـنة ، وفتحت ••••• الدهون ، لوضعها فى يدى •

وأكتمل الفلك فى اليوم السابع ، وكان انزاله الى الماء بالغ الشقة ،

حتى أنهم اضطروا الى دفع الالواح الارضية من أعلى ومن أسـفل ، حتى أمكن انزال ثلثى هيكله الى الماء ، وحملتها بكل ما عندى ، حملتها بكل ما لدى من فضـة ، حملتها بكل ما لدى من ذهب ، حملتهـا بكل ما أملك من الكائنات الحية ، وكل عائلتى وذوى قرباى ، أركبتهم الفلك ، وكذا حيوان الحقل ووحوشه ، وكل الصناع أركبتهم معى •

وقد حدد لى «شمس» (شماس) وقتا معينا ، عندما ينزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، أصعد الى الفلك وأوصد بابه ، وجاء اليوم الموعود ، وأنزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، وأخذت أرقب وجه السماء ، وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب ، فصعدت الى الفلك وأوصدت بابه ، وعهدت الى النوتى «بوزور — أمورى» بقيادة الفلك ، وبسد جميع منافذه •

ومع انبثاق الفجر ، ظهرت فى السماء غمامة سوداء ، وأرعد «أداد» من داخلها .و تتقدمها «شولات» و «هانيش» كنذير فوق التل والسهل ، ونزع ايرجال (نرجال اله العالم السفلى) الاعمدة (أى الاعمدة الخاصة بسد العالم) ، وجاءت «نينورتـا» وجعلت السدود تفيض ، وحمـل «أنوناكى» المشاعل ، وجعلوا الارض تشتعل نارا ، ووصل الذعر من «أداد» الى عنان السماء ، فأحال النور الى ظلمة ، وانصدعت الارض الواسعة ، وكأنها جرة ، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة حتى أخفت الجبال ، وحلت بالناس وكأنها حرب ، فلا يرى الاخ أخاه ، ولم يعد الناس يعرفون من فى السماء •

وخشى الالهة الطوفان ، فأجفلوا وصعدوا الى سماء «أنو» (أعلى سماء فى النظرية العالمية عنـد الاكديين) حيث ربضـت كالكلاب على الاسوار الخارجية ، وصرخت عشتار ، وكأنها امرأة جاءهـا المخاض • وناحت سيدة الالهة ذات الصوت الشجى بصوت عال : واحسرتاه ، لقد تحولت الايام الخوالى الى طمى ، لأنى لعنت الناس فى مجمع الالهة ، ولكن كيف ألعن الناس فى مجمع الالهة ، وأعلن حربا لفناء الناس ، بينما

أنا التى وهبتهم الحياة ، انهم يملأون البحر كبيض السمك ، وبكى آلهة «أنوناكى» معها ، وجلس الالهة جميعا يبكون فى ذلة ، وقـد التصقت شفافهم بعضها ببعض ، واستمرت ريح الفيضان تهب ستةأ يام وست ليال ، وعاصفة الجنوب تكتسح الارض ٠

وفى اليوم السابع سكنت عاصفة الجنوب عن الحرب التى شنتها ، وكأنها جيش من الخيالة ، وهدأ البحر ، وسكنت العـاصفة ، وتوقف الطوفان ، وتطلعت الى الجو ، فاذا السكون شامل ، واذا الناس وقد تحولوا الى طين ، واذا الارض قد تشققت وكأنها جرة ، ففتحت كوة وسقط الضوء على وجهى ، فجلست وبكيت وسالت دموعى على وجهى وتطلعت الى الدنيا فى عرض البحر ، فى كل من الاقـاليم الاربعة عشر (الاثنى عشر) طلع نجم ٠

واستوت الفلك على جبل نيصير[٣٠] ،و أمسك جبل نيصير بالفلك ولم يدعها تتحرك ، ويوم ، ثم يوم آخر ، وجبل نيصير يمسك بالسفين فلا

---

(٣٠) تصف النصوص البابلية القديمة جبل نيصير (نيزير) بأنه بين الدجلة والزاب الاسفل ، وحيث سلسلة جبال كردستان فى شرق الدجلة ، وعلى أى حال ، فهو يمكن توحيده بجبل بئر عمر جدرون

وكذا J. Finegan, Op. Cit., P. 35.

وكذا W. Kelled, Op. Cit., P. 57.

وكذا E. Speizer, AASOR, 8, P. 7, 17-18.

ولعل من الجدير بالاشارة الى أن المصادر الاسلامية تكاد تجمع على أن طوفان نوح عليه السلام انما بدأ وانتهى فى العراق القديم ، فهناك رواية تذهب الى أن التنور انما كان بأرض الكوفة ، وأخرى تذهب الى أنه كان بأرض الجزيرة ، وثالثة تذهب الى أن سفينة نوح انما بدات رحلتها من «عين وردة» و «عين وردة» هذه ، فيما يرى ياقوت ، انما هى رأس عين المدينة المشهورة فى الجزيرة فاذا أضفنا الى ذلك ما جاء فى القرآن الكريم من أن سفينة نوح قد استوت على الجودى ـ الجودى جبـل يقع شرق جزيرة ابن عمر ، الى جانب دجلة عند الموصل وان كل هذه الاماكن الآنفة الذكر انما نقع فى العراق ،فمن البدهى اذن أن رحلة سفينة نوح ،انما بدأت وانتهت فى العراق (تاريخ الطبرى ١٩٠/١ ، الكامل لابن الاثير ٧٠/١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢١١/١) ٠

تستطيع حراكا ، ويوم خامس ، ثم يوم سادس ، وجبل نيصير يستمسك بالسفين فلا تستطيع حراكا ، فلما كان اليوم السابع أطلقت حمامه ، فذهبت وعادت وعز عليها أن تجد مكانا ظاهرا تحط عليه ، ثم أطلقت «سنونو» ، غير أنه عاد،اذ لم يكن ثمة مكان طاهر يحط عليه،ثم أطلقت غرابا فذهب ورأى الماء يتناقص فأكل وعب ودار ، ولم يعد ، ثم أطلقت الجميع الى الرياح الاربعة ، وضحيت وأرقت سكيبة على قمة الجبل ، ونصبت ٤ أقدار ، وعلى صحاف قوائمها كومت القصب وخشب الارز والآس ، فشمت الالهة الرائحة الزكية ، وتكأكأت حول الاضاحى ، وعندما وصلت سيدة الالهة (عشتار) نزعت المجوهرات العظيمة التى لا أنسى حقا عقد اللازورد الذى فى عنقى ، فسوف أذكر هذه الايام ولا أنساها ليتقدم الالهة الى القربان ، ما عدا «انليل» فانه لا يتقدم ، لأنه أحدث الطوفان دون روية ، وقاد شعبى الى التهلكة •

ولما جاء «انليل» ورأى الفلك عز عليه ذلك ، وامتلأ غضبا على آلهة «اجيجى» (الهة السماء) ، وقال : هل نجت روح ، ما كان لبشر أن يبقى ، ففتح «نينورتا» فاه ، وقال : من غير «ايا» يفشى الخطط ، فانه يا «انليل» الباسل ، يعلم كل شىء ، وفتح «ايا» فاه ، وقال لانليل البطل : أنت يا أحكم الالهة ، أيها البطل ، كيف تحدث الطوفان دون روية ، على الاثم وزر اثمه ، وعلى المعتدى وزر اعتدائه ، كن رحيما ، والا قطع •••• كن صبورا ، والا أقصى ••••

لبت أسدا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من أن تأتى بالطوفان •
ليت ذئبا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان •
ليت مجاعة هبت وقللت من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان•
ليت طاعونا هب وقلل من بنى الانسان ، بدن من احداث الطوفان •

لست أنا الذى أفشيت سر الالهة العظام ، بل جعلت «أتراخاسيس» (حكيم الحكماء — اوتنابيشتم) يرى حلما كشف فيه سر الالهة ، فاقض فيه ما أنت قاض ، وعندئذ صعد انليل الى ظهر السفين ، وأمسك بيدى

وأخذنى الى ظهرها ، وأخذ زوجتى وجعلها تركع بجانبى ، ووقف بيننا ليباركنا ، وقال : لم يعد أوتنابيشتم بشرا ، وانما سيكون وهو وزوجه أشبه بنا معشر الاربـــاب ، وعلى ذلك أخـــذونى وأسكنونى بعيدا عند مصاب الانهار ، ولكن أنت يا جلجاميش من يجمع لك مجمـــع الالهة ، ليهبوا لك الحياة الى الابد[٣١] •

(٢) قصـــة بيروسوس :

كان هناك فى النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وابان حكم الغزاة السلوقيين ، وعلى أيام الملك «أنتيوخس الاول» (٢٨٠ — ٢٦١ ق•م) على وجه التحديد ، أحد كهنة المعبود «مردوك» البابلى ، يدعى «بيروسوس» (Berossos) قد كتب تاريخ العراق القـــديم ، منذ أول الخليقة والطوفان وحتى عهد الاسكندر المقدونى (٣٥٦ — ٣٢٣ ق•م) ، باللغة اليونانية فى ثلاثة أجزاء •

ومن أسف أن كتابات «بيروسوس» — شأنها فى ذلك شأن كتابات المؤرخ المصرى «مانيتو»[٣٢] (٣٢٣ — ٢٤٥ ق•م) — والتى تقدم وجهة

---

(٣١) محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٣٩٥ — ٤٠١ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٨ — ١١٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٤٦٧ — ٤٧٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٤٧ — ٣٥٩ ، جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٧ — ١٠١ •

S. Langdon, Semitic Mythology, 1931, P. 210-223.

T. Gray, Near Eastern Mythology, New York, 1969, P 47-60.

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97-98.

T. Jacobsen, in Assyriological Studies, II, Chicago, 1932, P 58-59.

J. Finegan, Op. Cit., P. 33-36.

E. A. W. Budge, The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, N. Y., 1920.

A. Heidel, The Gilgamesh Epic and Oold Testament Parallels, 1949

E. Cambell Thompson, The Epic of Gilgamesh, 1930.

(٣٢) انظر عن المؤرخ المصرى «مانيتو» (محمد بيومى مهـــران : مصر — الجزء الاول — الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٦٥ — ٦٨ ، وكذا W. G. Waddle, Manetho, With an English Translation, Cambridge, London, 1940)

النظر القومية ء تاريخ العراق القديم ، لم تصل الينـا كاملة ، وكل ما وصلنا منها مقتطفات حفظها لنا المؤرخون المتأخرون من الاغارقة ، ومن حسن الحظ أن هذه المقتطفات كانت تحتوى على قصة الطوفان البابلية ، والتى تجرى أحداثها على النحو التالى : —

فى عهد الملك «أكسيوثروس» ، وفى ليلة ما ، رأى هذا الملك ، فيما يرى النائم ، أن الاله «كرونوس» يحذره من طوفان سوف يغمر الارض، ويهلك الحرث والنسل ، فى اليوم الخامس عشر من شهر «دايسيوس» — وهو الشهر الثامن من السنة المقدونية — ومن ثم فان عليه أن يكتب تاريخ البشرية منذ بدايتها ، وأن يدفن ما يكتبه فى مدينة «سيبار» (تل أبو حبة) بلد الشمس ، حتى لا يضيع فى طوفان سوف يدمر كل شىء، كما أمره أيضا أن يبنى فلكا يأوى اليه •

ويسأل «اكسيوثروس» ربه عن المكان الذى يبحر اليه بفلكه هذا ، فاذا به يجيبه «الى الالهة ، ولكن بعد أن تصلى من أجل خير الناس»، ويصدع الملك بالامر ، ويبنى فلكـا طوله مائة وألف ياردة . وعرضـه أربعمائة وأربعون ياردة ، يجمع فيه كل أقربائه وأصحابه ، ويختزن فيه زادا من اللحم والشراب ، فضلا عن الكائنات الحية من الطيور وذوات الاربـع •

ويغرق الطوفان الارض ، وعندما ينحسر عنهـا يطلق الملك سراح بعض الطيور التى ما تلبث أن تعـود اليه ثانية ، ثم يطلقها بعد أيام، فاذا بها تعود وأرجلها ملوثة بالطين . وفى المرة الثالثة لا تعود الطير الى الفلك ، ويعلم الملك أن المـاء قد انحسر عن الارض ، وينظر من كوة فى السفين فيرى الشاطىء الذى يتجه اليه ، وهناك تستقر الفلك عند جبل ؛ حيث ينزل الملك وزوجه وابنته وقائد الدفة •

ويسجد الملك لربه شكرا ، ويقدم القرابين ، ثم يختفى هو ومن معه ، ويبحث الذين ما يزالون فى الفلك عن الملك ورفاقه ، ولكنهم لا يجدون

لهم أثرا ، وحين يجدون فى البحث عن المختفين يسمعون صوتا يدوى فى الهواء ، ويطلب منهم أن يتقوا الالهة ، ويكفوا عن البحث عن المختفين ، لأنن الالهة قد اختارتهم لكى يسكنوا الى جوارها •

ثم يأمرهم نفس الصوت بالعودة الى بابل ، والبحث عن الكتابات المدفونة هناك ، وأن يوزعوها فيمـا بينهم ، كما أخبرهم الصـوت أن الارض التى يقفون عليها ، انما هى أرض أرمينيا ، وهكذا عاد القوم ــ دون المختفـين ــ الى بابل ، واستخرجـوا الكتابات المدفونـة فى «سيبار» ، وشيدوا مدنا كثيرة ، وأعادوا الارض المقدسة وعمروا بابل بنسلهم(٣٣) •

(٣) قصة أتراخـاسيس :

كشف عن هذه القصة على لـوح مهشم فى مدينة «سيبار» أثنـاء عمليات الحفر التى قامت بهـا الحكومة التركية ، ويرجع تاريخه الى حوالى عام ١٩٦٦ قبل الميلاد ، وبطل القصة هنـا هو «أتراخاسيس» (أترام خسيس) ، وهى تشير بوضوح الى أن الطوفان انما كان آخـر سلاح تلجأ اليه الالهة للحد من تكاثر البشر ، بغية القضاء على صخبهم الذى صار يقض مضاجع الالهة ، وبسبب انزعاجها ، وكان انليل ــ اله الجـو والرياح ــ هو المحرض على القيـام بسلسلة من الاجـراءات المتلاحقة لاهلاك البشر ، وقد استطاع انليل فى المرة الاولى اقناع الالهة بانزال الامراض والاوبئة بين الناس فى جميع أنحاء البلاد ، وفوضت الالهة «نمتار» للقيام بالمهمة ، وسرعان ما انتشر الوباء فى انبلاد ، وأخذ يلتهم الناس التهاما ، وعنئذ استنجد «أتراخاسيس» باله الحكمة «ايا» ليخلص الناس من هذه المحنة فأوصى «أيا» بأن يقوم الناس ببناء معبد للاله «نمتار» وأن يقدموا لـه الهدايا والنذور ، «وعنئذ سـوف يرفع نمتار يده عنهم» •

---

(٣٣) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٤ ــ ٩٥ ، محمـد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤٠١ ــ ٤٠٣ •

غير أن الناس سرعان ما تكاثروا من جـديد ، وتزايد ضجيجهم فى البلاد ، ومن ثم فقد قـرر انليل أن يرسل عليهم الجفاف والمجـاعة ، فأصدر أوامره الى «أدد» أن يحبس المطر ، والى «أيا» أن يمنع تدفق المياه من الينابيع ، والى «نيسابا» الهة الحنطة «أن تمنع فيض ثدييها» ، كما أمر أن تهب الريح لتلفح وجه الارض ، وأن تتلبد الغيوم ، ولكن دون أن تنهمر قطرة من مطر ، وهكذا حلت المجاعة سنوات ست .

على أن الاله «ايا» سرعان ما تأخذه الشفقة بالناس ، فيسمح بتدفق المياه من المحيط السفلى ، لارواء الارض وتخليص الناس من الجفاف ، الامر الذى كان سببا فى غضب «انليل» ، وفى أن يصمم على أن تؤدى جميع الالهة القسم لارسال الطوفان الاعظم ، وتدمير ارض ، ومن عليها وما عليها ، غير أن اله الحكمة «ايا» الذى عرف بحبه للناس ، رفض أن يربط نفسه بالقسم ، بل وأنذر رجلا تقيا حكيما من سكان «شروباك» (فارة) بالاستعداد للحدث الخطير الذى بات يهدد أهل الارض جميعا . وتلقى رجل شروباك الامر بالطاعة ، وبدأ يحشد كل الطاقات لانجـاز المهمة ، وبعد سبعة أيام استطاع أن يصنع السفينة التى أسماها «منقذة الحياة» ، ثم حملت بالبشر والحيوانات والمؤون .

وسرعان ما جاء الطوفان الهائل ، رعد يشق عنان السماء ، أعاصير مدمرة ، تعصف وتزمجر ، «مثل نهيق حمـار الوحش» ، فيضان عارم تخور مياهه ، كما يخور الثور ، وظـلام دامس ودمار فى كل مكان من الارض ، حتى أن الالهـة نفسها تراجعت لهوله ، مذعـورة الى أقصى السموات ، واستمرت الحال السيئة هكذا طوال سبعة أيام وسبع ليال ، قضى الطوفان فيها على كل من فى الارض من مخلوقات «فأصبح الناس يملأون البحر ، كأنهم صغار السمك» .

غير أن هلاك الناس على هذا النحو ، انما كان سببا فى ندم شديد، وحزن عميق من الالهة ، وخاصة تلك التى عرفت بحبهـا للناس ، مثل

الاله «أيا» والالهة «عشتار» ، ثم هدأ البحـــر ، وسكنت العواصف ، وانتهى الطوفـــان •

وعندما خرج رجل الطوفان من السفينة لاول مرة بعد أربعة عشر يوما من دخوله ، سكب الماء المقدس على قمـــة الجبل ، وقدم القرابين للآلهة ، الذين «تجمعوا حول مقدم القربان كالذباب» ، وبعد أن التهموا القرابين ، وندموا على ارسال الطوفـــان ، منحوا رجل السفينة وزوجه الخلـــود (٣٤) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن رواية أخرى لقصـــة الطوفان قديمة كل القـــدم ، اكتشفت فى مدينة «نيبور» (٣٥) فى أثنـــاء عمليات الحفر التى قامت بهـــا جامعة بنسلفانيا الامريكية ، وقد دونت هذه الرواية على كسرة من الفخار غـــير المحترق ، وقد ذهب الاستـــاذ «هيلبرخت» ــ اعتمادا على أســـلوب الرواية ، وعلى المكان الذى عثر عليها فيه ــ الى أن هـــذه الرواية لم تدون الا بعد عـــام ٢١٠٠ قبل الميـــلاد •

---

(٣٤) فاضل عبد الواحد على : الادب ــ من كتاب حضارة العراق ــ الجزء الاول ــ بغداد ١٩٨٥ ــ ص ٣٢٠ ــ ٣٣٨ •

(٣٥) نيبور : تقع نيبور ــ وهى نفر الحالية ــ على مبعدة ١٦٠ كيلا جنوبى بغداد ، وفى منتصف المسافة تقريبا بين المدينتين القديمتين «كيش» و «شورباك» ، وتعتبر نيبور من أهم المراكز الثقافية السومرية فى العراق القديم ، ورغم أنها لم تكن أبدا مقرا لأية سلطة سياسية ، فقد كانت اكبر مدينة مقدسة ، وربما أكبر مركز دينى فى بابل ، كمـــا أن «انليل» اله المدينة انما كان رئيس مجمع الآلهة البابلى ، هذا وقد أمدتنا الحفائر التى أجراها عدد من المعاهد الامريكية منذ عام ١٨٨٩م ، بآلاف من اللوحات المكتوبة والجذاذات التى صنف فى الانف الثالثة والثانية قبل الميلاد ، والتى تدل بوضوح على مدى انتشار الثقافة السومرية ، كما تغطى مراحل تاريخ المدينة حتى العصر الفرتى ، (ليوأوبنهام : بلاد مابين النهرين ص ٥٠٠ ــ ٥٠١ ، وكذا

J. P. Peters, Nippur, in Excavations on The Euphrates, 2 Vols, 1897.

H. W. Hilprecht, The Excavations in Assyria and Babylonia, 1903, P. 289 F.

KFTS, P. 277.

هذا وقد أشـــارت الرواية الى أن الاله قد ظهر ليذيع نبـــأ حدوث طوفان ســـوف يكتسح البشرية جمعـــاء وفى الحال ثم حـــذر من هذا الطوفان شخصا بعينه ، وطلب منه أن يبنى فلكا كبيرا ، ذا سقف قوى، لينجو فيه بحياته ، كما أمره أن يأخذ معه فى الفلك صنوفا من الحيوانات الاليفة ومن طيور السمـــاء[٣٦] .

---

(٣٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٢ .

الفصل الثانى

الســـومريـــون

(١) تقـــــديم :

تقع بلاد سومر وأكد فى الوادى الاسفل لنهرى دجلة والفـرات ، والى جنوبها وغربها تقع الصحراء الغربية والخليج العربى الذى كان يمتد فى أيام سومر المبكرة شمالى مجاورات أريدو ، وربما كان نهر دجلة يكون أصلا حـدا طبيعيا من ناحية الشرق ، وهى الناحية التى كان من الممكن التوسع من ناحيتها ، وربما كان الطمع فى التوسع نحـو الشرق كان السبب فى الصراع مع عيلام ، وأيا ما كان الامر ، فان مدى النفوذ السومرى والاكـدى انما كان يمتد الى المنحـدرات السفلى للتـلال العيلامية ، ومن ثم فان المساحة التى كانت تشغلها سومر وأكد لم تكن كبـيرة •

وتتكون أرض سومر وأكد من سهل فيضى • وتعتمد الحياة فى هذه المنطقـة على نهرى دجلة والفـرات • واللذين كانا يغيران مجراهمـا باستمرار ، ولكن مجرى دجله ــ بسبب ضفافه العالية المتينة نسبيا ــ أقل عرضة للتغيير من الفـرات ، الذى يبدو تغيير مجراه واضحـا فى الاكوام التى تمثل المواقع القديمة للمدن ، والتى تمتد فعلا على مجارى جافة الى شرق المجـرى الحالى ، فالاكوام التى تمثل أبو حبـة وتل ابراهيم والاحيمر ونفر ، انمـا تمثل مواقع مدن سيبار وكوتا وكيش ونيبور على التوالى ، وكلها تقع شرق النهر •

ومن ثم فانه مما تجدر ملاحظته أن مدن سومر وأكد ، انما كانت تقع جميعا على ضفاف الفرات ، أو أحد أو بعض روافده ، وليست على ضفاف الدجلة ، فيما عدا «أوبس» أبعد مدن أكد الى الشمال ، ويذهب البعض الى أن ذلك انما يرجع الى أن جريان دجله سريع ، وأن ضفافه عالية ، وأن هذين الامرين معا انما يشكلان عقبة تحول دون استثماره فى الرى ، بنفس الدرجة التى يستثمر بها الفرات الذى ييسر ذلك الامر

بسبب ضفافه المنخفضة وسهولة وصول مياهه الى الارض المحيطة به مباشرة ، أو حتى عن طريق القنوات الصناعية ، هـذا فضلا عن بطء جريان مياه النهر نسبيا فى شهور الصيف •

ولم يكن هناك حـد فاصل طبيعى بين سومر وأكد ، كالحـد الذى يفصلهما معا عن اقليم أشور وميزوبوتاميا فى الشـمال ، وكان النصف الشمالى الشرقى يحمل اسم «أكد» ، كما كان القسم الجنوبى الشرقى عند رأس الخليج العربى يعرف باسم «سومر» •

ولعل أول ظهور لاسمى سومر وأكد فى النصوص العراقية القديمة انما يرجع الى عهد ملوك أور ، الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «ملوك سومر وأكد» (Lugal Ki-en-gi Ḳi-uri) والذى ترجمه الاكديون الى لغتهم (Shar Mat Shumerim u Akkadim)

وفى عام ١٨٦٩م ذهب بعض الباحثين الى أن كلمة «أكد» فى لقب «ملك سومر وأكد» انما تعنى تلك الاقوام التى تتكلم لغة سامية ، سواء أكانوا أكديين أم بابليين أم أشوريين ، بينما تدل كلمة «سومر» فى اللقب ذاته على أولئك الذين تعود اليهم النصوص المدونة باللغة غير السامية •

ومع ذلك فالمعروف أنـه منذ عصر موغل فى القـدم قد أطلق أهل الجنوب على بلادهم اسم «كلم» (Kalam) أى الارض ،و عرف حاكم البلاد باسم «ملك الارض» ،أ ما العالم خارج هذه البلاد فكان يعرف باسم «كوركور» ، وكان لقب الاله انليل «لوجال كور كورجى» أى ملك البلاد ، ويعنى العالم المسكون أو بمعنى أدق «البلاد الاجنبية» •

وانا لنلتقى فى نصوص «أياناتوم» و «لوجال زاجيزى» و «أنشاج كوشانا» بلفظ «كى ان جى» الذى يعنى سومر أو شومر على الاصح ، وقد حرفت الكلمة الى «كنجى» ، وتعنى كذلك «البلاد» أو «الارض» ، ويقصد بها «شومر» (Shumer) •

وأما كلمة «أكد» أو «أكادو» (Akkadu) انما هى النطق السامى لكلمة «أجاد» Agade وهو الاسم القديم للمدينة ، ويرجع اطلاق الاسم على القسم الشمالى الى فترة لاحقة بسبب تزايد سلطان المدينة فى عهد «شارجانى شارى» و «نارام سن»[1] •

(٢) الموطن الاصلى للسومريين :

قام ، وما يزال ، جدل طويل بين العلماء حول جنس وموطن السومريين الاصلى ، ولعل السبب فى ذلك انما يرجع الى أن التمييز بين السومريين والاكديين وغيرهم من الاقوام التى سكنت جنوب العراق القديم ، انما يمكن أن يكون لغويا أكثر منه عرقيا ، بل ان هناك من يذهب الى أن الدراسات الانثربولوجية لبقايا الهياكل العظمية التى عثر عليها فى المقابر السومرية انما تشير الى عدم وجود ما يمكن تسميته بالعرق أو الجنس السومرى ، وانما هناك خليط يتمثل فى قوم ذوى رؤوس طويلة ، وهو ما يعرف بجنس البحر المتوسط ، وآخرين ذوى رؤوس مدورة ، وهو السائد فى أوربا الوسطى وأرمينيا •

هذا الى أن الحفريات الاثرية فى المدن السومرية المختلفة قد أثبتت أن هذه الاقوام من سومريين وأكديين انما قد مارست جميعا أنظمة سياسية وأعرافا وعادات اجتماعية متشابهة ، فضلا عن معتقدت وطقوس دينية واتجاهات فنية متشابهة أيضا ، وبعبارة أخرى ، فقد كانوا جميعا جزءا من حضارة واحدة نشأت وازدهرت فى جنوب العراق ، تعرف اليوم باسم «الحضارة السومرية» ، ومن ثم فنحن نقصد بكلمة «سومرى» هؤلاء الذين كانوا يتكلمو اللغة السومرية ، ونقصد بكلمة «أكدى» تلك القبائل التى كانت تتكلم اللغة السامية ، وموطنها الاصلى شبه الجزيرة العربية •

---

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٨٧/٥ ــ ٩٥/ ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠ ، فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون ــ كتاب العراق فى التاريخ ــ بغداد ١٩٨٣ ص ٦٣ ــ ٦٤ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٩٠ ،

على أن هذا الفاصل اللغوى لم يكن أبدا حلا لمشكلة أصل السومريين ، ذلك لأن اللغة السومرية انما هى لغة منفردة لا يمكن ارجاعها الى عائلة لغوية حية أو مندثرة ، وقد ذهب فرض حديث الى تقريبها الى مجموعة اللغات التى تأخذ بطريقة الالصاق (Agglutination) — مثل المجموعة الاسيانية أو مجموعة الاورال طاى ،و التى منها اللغات الصينية والتركية والمجرية والفلندية — وفيها تتكون الجملة الفعلية من عدة عناصر بعضها ملصق بالبعض الاخر ، فهناك أداة الجملة الفعلية التى تكون عادة فى المقدمة ، ثم جذر الفعل الذى يسبقه أو يلحق به ضمير الفاعل ، وهناك أدوات أخرى للدلالة على زمان ومكان حدوث الفعل ، وبتعبير آخر ، فان الجملة الفعلية عبارة عن كلمة مركبة من عدة مقاطع، أما الاسم فتلصق به عدة أجزاء ، كضمائر الملكية وأدوات الاضافة وحروف الجر ، فضلا عن الاداة الدالة على الفاعل عندما يكون الفعل متعديا ، الامر الذى يؤدى الى ظهور تغييرات صوتية بسبب هذا الالصاق ، ومع ذلك ، ورغم أن الالصاق صفة لغوية معروفة فى عدد من اللغات القديمة كالعلامية مثلا ، والحديثة كالتركية مثلا ، فان اللغة السومرية ليس لها ما يشبهها من حيث المفردات والقواعد والنحو فى أية لغة أخرى ، ومن ثم فقد بقى أصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل لم تستطيع الدراسات اللغوية أو الانثروبولوجية أو الاثارية حلها ، وان كان المؤرخون يتفقون على أنهم جنس غير سامى ، وأن لغتهم غريبة لا تشبه اللغات السامية ، ولا يعلم زمن مجيئهم الى بلاد النهرين ، وان رأى البعض أن ذلك ربما كان فى فترة مبكرة من الالف الرابعة قبل الميلاد[٢].

وانطلاقا من كل هذا ، فهناك عدة آراء بشأن الموطن الاصلى للسومريين ، فهناك رأى يذهب أصحابه الى أن السومريين ربما جاءوا عن طريق البحر الى جنوب بلاد النهرين فى العصر السابق للوركاء ، أى فى عصر العبيد ، وأنهم سكنوا فى أول الامر فى «دلمون» (البحرين) التى

(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ — ٦٧ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٨٦ ٠

تحتل مكانة بارزة فى التراث السومرى ، ثم نزحوا بعد ذلك شمالا فى اتجاه القسم الجنوبى من وادى الرافدين الذى عـرف فيما بعد باسم «بلاد سومر» ، وذلك اعتمادا على العناصر الحضـارية الجديدة التى تقترن عادة بوجود السومريين ، والتى ظهرت فى عصر الوركاء ، كالاختام الاسطوانية والنحت ودولاب الفخار والكتابة .

على أن هناك وجها آخـر للنظر يذهب الى أن السومريين بدو مما وراء القوقاز ، أو مما وراء قزوين ، اندفعوا على مناطق غرب ايران فيما يعاصر أيام العبيد ، وأوائل الوركاء ، ونجحوا فى اقتباس حضارة بلاد النهرين التى امتدت منها عبر حـدود ايران ، ثم استعانوا بما تعلموه منها ، وبخفة الحركة البدوية ، فى الاندفاع منذ الربع الاخير من الالف الرابع قبل الميلاد الى جنوب العراق وسيطروا عليه تدريجيا خلال فترة من فترات حضارة الوركاء ، وكان لما أشاعوه به من الاضطراب حينذاك أثر فى بداية فترة ركود حضارى شملته ، وان يكن قد نشأ خلال هـذه الفترة نفسها (حوالى القرن الثلاثين قبل الميلاد) عصر البطولة السومرى الذى قام على الشجاعة الفردية للقادة السومريين ومحاولاتهم لتملك زمام السلطة فى المدن المغلوبة على أمرها ، لا سيما وأنه لم تكن تنقطع اندفاعاتها على حـدود العراق ، وعندمـا تمت الغلبة للسومريين وتم اندماجهم فى السكان الاصليين الذين كانوا أرقى منهم بدا العصر الشبيه بالكتابى فى العراق حوالى القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد .

على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب صاحبه «روتزنى» Hrozny أن السومريين انما قدموا مهاجرين من آسـيا الصغرى فى موجتين من موجات الهجـرة ، وهناك وجه رابع للنظـر يذهب أصحـابه الى أن السومريين قد قدمـوا الى العراق من المرتفعـات الشمالية والشمالية الشرقية التى تحف به ، عن طريق أرمينيا وايـران ، ولو أنه يمكن أن نستبعد أرمينيا أساسا من هذا الفرض ، على اعتبار أنه كان من المستبعد أن يهبط مهاجرون منها ، ويتجاوزوا المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها فى شمال بلاد النهرين ، ليذهبوا بعيدا عنها ثم يستقروا فى الاجزاء

الجنوبية التى كانت أطرافهـا لا تزال حينذاك وحشية الطـابع تتطلب مجهودات كبيرة لتهذيبها وتيسير الانتفاع بها ، ومرة أخرى قد يتصل بهذا الاصـل الجبلى المفترض ، وصله أسـلاف السومريين المقترحـة بمرتفعات ايران ، ما عرف من صلة بعض المعبودات السومرية بدنيـا المرتفعات ، ثم ما اتت به اسطورتان لملك سـومرى يدعى «انمركار» اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثانى ملوك الاسرة الاولى فى مدينة الوركاء (أوروك) بعد الطوفان .

وهناك وجه خامس للنظر يذهب أصحابه الى أن كثرة استخـدام السومريين للمادة الحجرية ، وما حملـه العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذى السمات المميزة التى لا تتغير ، ومناظر الحروب التى لم تخل بأى حال من تمثيل هذا الحاكم ، ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين انما كانوا شعبا جبليا مقاتلا ، فرض نفسه عن طريق الحروب ، وتسـود البلاد ، أمـا عن المنطقة التى وفد منها هـؤلاء السومريون فلم تكن التخوم الغربية لجنوب السهل الميزوبوتامى ، كما أنها لم تكن تخومه الشمالية ، و الا لشهد الشمال بداية التعبير الكتابى أسوة بالجنوب ، فضلا عن افتقار الشمال للاحجار ، ومن ثم فان الموطن الاصلى الذى وفد منه السومريون انما هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية (جنوب ديالى) ، وهى منطقة متفوقة حضاريا ، وكثيرا ما كان لها صلاتها الحضارية بالسهل الميزوبوتامى ، فضلا عن طبيعتها الجبلية التى تتوفر فيها الاحجار ، والتى تضفى على ساكنها صفة المقاتل ، بعكس الحال بالنسبة للبيئات الزراعية ، والتى يمثل النصف الجنوبى من التخوم الشرقية (سهل سوزيانا) واحدا منها ، وقد يؤكد هذا الموطن الاصلى أيضا كثرة ما قدمته مرحلة ما قبيل الكتابة من صناعة معدنية ، وخاصة النحاس الذى يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التى وفد منها السومريون ، وقد عرفت ، فيما يبدو ، تصنيع النحـاس منذ عصر حضارة حسونة ، كما يشير الى ذلك انتاج تل الصوان .

وهناك وجه سـادس للنظر (ربما يرتبط كثيرا بالـرأى الاول) أن

السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان ، واستقروا حينا من الدهر فى غربى ايران ، ثم نزحوا منها الى بلاد النهرين ، عن طريق الخليج العربى وجزره البحرية ، اعتمادا على تشابه أوائل طرز الفخار السومرى القديم وزخارفه فى بلاد النهرين ، مع نماذج الفخار القديمة التى انتشرت جنوبا حتى منطقة «خاربا» و «موهنجودارو» فى سهل أكد ، مما يوحى بروابط جنسية وحضارية بدائية قديمة بين أهل هذه النواحى الذين سبقوا الاجناس «الهندو — أوربية» فى سكناها ، والذين يكفى أن يقال عنهم أنهم من الفروع المبكرة للسلالات الاسيوية والاسيائية ، وذلك مع تقدير ما ألمحت اليه الاساطير السومرية من أن أصحابها الاوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر فى عصور كان الناس ما يزالون يسعون فيها على أربع ، واستقروا حينا فى جنة تلمون ثم نزحوا منها الى «كالاما» بالعراق ، لأمر لم تشر اليه الاسطورة •

وهناك وجه سابع للنظر يذهب أصحابه — من المؤرخين العراقيين — الى أن السومريين انما هم من الاقوام التى قطنت العراق فى عصور ما قبل التاريخ ، وأن حضارتهم أصيلة فى العراق ، بل ويمكن تسمية أهل حضارة العبيد بالسومريين ، على الرغم من أننا لا نعرف اللغة التى تكلم بها أهل حضارة العبيد ، صحيح أن هناك خصائص أو عناصر مميزة للحضارة السومرية ، غير أن هذا لا يعنى بالضرورة أن تلك العناصر جاء بها السومريون من خارج العراق ، بل انه من المنطق أن نفترض بأن هذه العناصر المميزة للحضارة السومرية التى نشاهدها فى عصر الوركاء انما هى نتيجة وامتداد طبيعى لمدينات عصور ما قبل التاريخ الاخرى ، التى سبقت هذا العصر ، مثل حسونة وحلف فى الشمال ، والعبيد فى الجنوب•

وانطلاقا من كل هذا ، فان أصحاب هذا الرأى الاخير ، يرون فى السومريين امتدادا لأقوام عصور ما قبل التاريخ فى بلاد النهرين ، وأنهم انحدروا من شمال العراق الى جنوبه ، واستوطنوا منطقة كانت على

الارجح تعرف باسم «سـومر» ، والتى عرف السومريون باسمهـا فى العصور التاريخية •

غـير أن أصحاب هـذا الرأى صـعب عليهم تعليل اختلاف لغـة السومريين عن اللغات السامية ، وعندمـا أراد بعضهم أن يوازنوا بين هيئات أرباب العصر السومرى ، ذوى اللحى الكثة والشـعور الكثيفة والملابس الصوفية التى تقربهم الى هيئات الرعاة الساميين ، وبين جماهير السومريين حليقى اللحى والرؤوس ، لم يزيدوا الامر غير صعوبة ، واذا كان هناك ما يمكن توضيح رأيهم ، فهـو اعتبار السومريين فرعـا من الجنس القوقازى يختلف عن الفرع السامى •

وهكذا يبدو واضحا أن العلماء لم يتفقوا بعد على رأى نهائى بشأن الموطن الاصلى للسومريين ، وأن الامر ما يزال فى مرحلـة الفروض ، وبالتالى فما يزال موضوع السومريين ينتظر مزيدا من البحث والدراسة، على أن الامر الذى لا شك فيه ان السومريين فى أوائل العصور التاريخية قد انتفعوا بالحضارات التى سبقتهم فى بواكـير العصر الكتابى ، ثم طوروها الى ما يتفق مع مطالب عصرهم وأذواقه ، وكان أوضح ما ربط بينهم وبين أصحاب تلك الحضارات بروابط التطوير ، هى علامات الكتابة وأساليب البناء باللبن وأساليب النقوش[٣] •

---

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٦ ـ ٣٨٩ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ، أحمد فخرى :دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٨ ـ ٢٩ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ ـ ٦٩،طه باقر : المرجع السابق ص ٨٩ ـ ٩٠،أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤٩ ـ ٢٥٢ وكذا

H. Frankfort, Archaeology and The Sumerian Problem, 1932, P. 18 F

H. Schmokel, Geschichle des alten Vorderasien, 1957, P. 3-4.

H. Schmokel, Das Land Sumer, 1956, P. 44-61.

S. H. Langdon, Sumerian Origins and Racial Charcteristics, in Archaeologia, 1920, P. 154 F.

E. Speiser, The Sumerian Problem Reviewed, in HUC, 23, 1950-1951, P. 339 F.

=

بقيت الاشـــارة الى أن التـــاريخ الصحيح لوصـــول السومريين واستقرارهم فى جنوب العراق القـــديم : لا يزال موضع خلاف بـــين الباحثين ، فهناك من يذهب الى أن ذلك انما كان منذ بداية عصر حضارة العبيد ، أى حوالى عام ٤٠٠٠ ق٠م ، على أن هناك من يذهب الى أنه كان عند نهاية الالف الرابع قبل الميلاد ٠ ومع ظهـــور الكتابة وان كان «صموئيل كريمر» يذهب الى أن ظهـــور السومريين انما قد سبق ظهـــور الكتابة مباشرة ، غير أن الكتابة التصويرية البدائية انما قد نشـــأت فى جنوب العراق ، بعد أن حتم ظهورها التطور الحضارى العام الذى ظهر فى جنوب العراق من قبل ذلك التاريخ ـــ ســـواء أكان ذلك قد تم على أيدى السومريين أو على أيدى جماعات أخرى ـــ ونظرا لأن هذه الكتابة الاولى انما تعبر عن اللغة السومرية ، ومن ثم فان أصحابها لابد وأن يكونوا قد أتوا الى البلاد منذ زمن بعيد ٠ ربما بعشرات السنين ٠ وربما بمئات السنين ، قبل ظهور هذه الكتابة ٠

على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب أصحـــابه الى أن السومريين انما كانوا أول من سكن جنوب العراق ٠ وتستند وجهة النظر هذه الى التشابه الحضارى بين حضـــارة العبيد ، وبين حضارتى أريدو والحاج محمد ، السابقتين لها ، على أن هناك وجها رابعا للنظر يذهب الى أن الهجرة السومرية انما كانت اثنـــاء عصر حضارة العبيـــد ـــ وليس فى بدايته ـــ أى فيما بين عامى ٤٠٠٠ ، ٣٥٠٠ قبل الميلاد[٤] ٠

S. N. Kramer, in JAOS, 63, 1952, P. 191 F.

S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 106-164.

G. Roux, Ancient Iraq. 1980, P. 85-89.

H. R. Hall, Op. Cit., P. 173.

Mackary, in JRAS, 1925, P. 697.

(٤) احمد سليم : المرجع السابق ص ٢٥٣ ـــ ٢٥٤ ، رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٥١ ، وكذا

H. Frankfort, Archaeology and The Sumerian Problem, Chicago, 1932, P. 21 F.

J. Oates, ur and Eridu, in Iraq, 26, 1960.

S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164

على أن الزميل الكريم المرحوم الدكتور محمد عبد اللطيف ــ طيب الله ثراه ــ انما يذهب الى أن السومريين انما قد ثبت وجودهم فى جنوب العراق منذ بداية التعبير بالكتابة (الوركاء ٤) ، وبالتالى فقد وجدوا فى جنوب العراق منذ بداية مرحلة ما قبيل الكتابة على الاقل (الوركاء ٥) وربما حلوا به فى عصر حضارة الوركاء الاسبق ، كما يدل على ذلك انتاج حضارة هذا العصر من أساليب حضارية جديدة[٥] .

(٣) دويلات المدن السومرية :

بدأ العصر التاريخى فى جنوب بلاد النهرين ، عندما توصل القوم هناك الى الكتابة ، فضلا عن الطوفان الكبير الذى حدث فى العراق القديم ، وقد تميزت بداية العصر التاريخى فى بلاد النهرين بما يسمى «نظام حكومات المدن» التى كان لكل منها كيانها المستقل عن حكومات المدن الاخرى فى جنوب العراق بسبب الانتقال الى مرحلة المدنية ، وهذا يعنى ببساطة أن القوم لم يستطيعوا فى بداية العصر التاريخى أن يحققوا الوحدة السياسية للبلاد ، ومن ثم فقد اعتمدت الحياة السياسية على امارات المدن ودويلاتها فعلا ــ كما روت الاساطير ــ ودون أن تتطور الى نظام الدولة المركزية الكبيرة ، وترتب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة فى كثير من مدن الجنوب العراقى ، وربما كان السبب فى ذلك طبيعة هذا القسم الجنوبى من العراق القديم ، فلقد حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات دون سهولة الاتصال فيما بين القرى والمدن ، الامر الذى أعاق تحقيق الوحدة السياسية .

والواقع أن ما نعرفه عن دويلات المدن هذه ، أضأل من أن يستطيع أن يقدم صورة كاملة للحياة السياسية لكل منها ، بله نشأتها ، وربما لا يعدو أسماء ملوك تنتظم فيها أسرات سجل جداولها الكتبة السومريون أنفسهم فى الالف الثانى ق٠م ، فى تعاقب زمنى يشير الى مدة حكم الملك ، ثم الاسرة ، وقد قسمت هذه الجداول الى قسمين ، يفصلهما

---

(٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

حادث جد خطير ، هو «الطوفان» ، وتمثل فترة ما قبل الطوفان العصر الاسطورى ، وما بعد الطوفان انما يمثل العصر التاريخى[٦] •

ومع ذلك فنستطيع أن نقدم صورة مقبولة عن المدينة السومرية ، والتى كانت تتكون من مدينة (وقد أطلق عليها فى السومرية كلمة «أور — Ur » وفى الاكدية «ألو — alu ») ومجاوراتها من الاراضى التى قام سكان المدينة بزراعتها ، و أحيانا كانت حكومة المدينة تضم أكثر من مدينة واحدة ، فضلا عن عدد من القرى التى كانت تتبع المدينة الرئيسية ، مثل حكومة مدينــة لجش التى كانت تضم أراضى «جرســو» و «لجش» و «نينا»[٧] •

هذا وكانت المدينة السومرية — وربما معظم المدن المتأخرة — تتكون من قسمين ، الاول : وهو المدينة الخــاصة التى أطلق عليها فى الاكدية «لبى ألى» (Libbi Ali) أو «قابلتى ألى» (Qabalti Ali) ، وهى مصطلحات تدل على القسم القديم للمدينة فحسب ، وتتمثل فى هــذا الجزء الاقســام المسورة التى تحتــوى على المعابد والقصر ومكــاتب الموظفين التابعين للبلاد ، وعلى بيوت المواطنين ، وأمــا القسم الثانى فهو «الضاحية» ، وتقرأ فى السومرية «أور — بار — را» (ur-bar-ra) بمعنى «خارج المدينة» أى الضاحية التى تتجمع فيها البيوت والمزارع وحظائر الماشية ، وليست لدينا معلومات عن الحدود التى امتدت اليها هذه الضواحى ، كما لا نعرف ان كانت فيها أســوار ثانوية لحمايتها ، أو قواعد أمامية محصنة للحماية التى كانت تسمى «كيدانو» (Kidanu)[٨].

---

(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ •

(٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٧٦ ، وكذا

I. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 104-106.

C. J. Gadd, in CAH, I, Part, 2, Map. 6.

H. Frankfort, CAH, I, Part, 2, P. 92.

(٨) ليو اوبنهايم : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١

هذا وتقع المدينة الرئيسية فى وسط حكومة المدينة ، ويتوسطها معبد اله المدينة — أو الاله الرئيسى لحكومة المدينة — وكان المعبد يمثل نواة الحياة السياسية والاجتماعية ، كما كان صاحب الارضين فى المدينة ، هذا وكان يوجد بالمدينة الرئيسية — الى جانب معبد الاله الرئيسى — معابد أخرى لمعبودات ذات صلة بهذا الاله الرئيسى ، وكان لهذه المعابد أملاكها الضخمة ، مما يرجح أن معظم أراضى حكومات المدن فى مطلع العصر التاريخى انما كانت ملكا للالهة ، أسوة بما كان عليه الحال فى عصور ما قبل التاريخ ، وخاصة فى مرحلة ما قبيل الكتابة(٩) .

وقد عبر الفكر السومرى أن الانسان انما خلق لخدمة الالهة ، وطبقا لأسطورة سومرية ، فان الاله انليل انما قد شق قشرة الارض بفأس ، ليخرج منها الناس ، كما يخرج النبات ، وأن الالهة قد أحاطت بانليل، ثم سألته أن يجعل لها عبيدا من السومريين الذين يخرجون من الارض ، وطبقا لأساطير أخرى ، فان الناس انمـا خلقوا ليكونوا عبيدا للالهة ، وليزودوها بما تحتاجه من طعـام وشراب(١٠) ، ومن ثم فقد قـامت جماعات من البشر على الخدمة والعمل فى معبد الاله الرئيسى لحكومة المدينة وفى حقوله ، وقد أشرف عليهم جماعة من الملاحظين على رأسهم أل «سانجا» ، وهو الرئيس الادارى لمعبد المدينة ، والمسئول عن شئون معبد الاله وأملاكه ، فضلا عن الاعمال الزراعية وشق القنوات واقامة الجسور وتشييد الابنية وغيرها من الاعمال المتصلة بنشاط المعبد(١١) .

على أن السلطة السياسية فى حكومة المدينة انما كانت تقوم بها فى

---

9) H. Frankfort, in Before Philosophy, (Penguin Books), 1954, P. 201.
10) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951, P. 59.
وفى الترجمة العربية ص ٧٧ — ٧٨ .
(١١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٧٧ ، وكذا
H. Frankfort, Op. Cit., P. 70-71.
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 141.
H. Frankfort, in Before Philosophy, P. 202-204.

الاصل جمعية عمومية تضم كل الرجـــال الاحرار من مواطنى حكومـــة المدينة ـــ وربما اشترك النساء فيها أيضا ـــ وكان لكبار السن ، وهم أرباب الاسر الكبيرة فى المدينة ، مجلس خـــاص بهم ، كما يبدو أنه قد أسند اليهم التصرف فى الشئون اليومية العامة ، كما كانوا يتولون ارشاد الجمعية العمومية ، وأما رجال المدينة ، فهم على الارجح ، جميع الرجال العاملين فى مجتمع هذه المدينة ،و الذين يحملون السلاح فى حالة الحرب ، وقد ورد ذكر الجمعية العمومية ، وكبار السن فى ألـــواح عصر ما قبيل الكتابة ، ومن ثم فيمكن القول بأن التنظيم السياسى لحكومة المدينة ، انما قد نشأ مع قيام المدن نفسها[١٢] .

وعلى أية حال ، فان هذا التنظيم السياسى لحكومة المدينة السومرية انما يمثل مرحلة هامة فى تاريخ الفكـــر الانسانى ، لأنه يشهد بتواجـــد التفكير الديمقراطى فى بداية العصر التاريخى ، وانتخاب الحاكم الذى يرأس حكومة المدينة بنـــاء على قرارات الجمعية العمومية ، «اجتمعت كيش ، ورفعوا الى الملكية «أبخور كيش» ، رجل من كيش»[١٣] ، وهكذا كان من حق الجمعية العمومية أن تفصـــل فى المنازعات ، وأن تصـــدر القرارات الهامة ـــ وخاصة قرارات الحرب ـــ بل ان من حقها ـــ اذا ما تطلبت الحاجة ـــ أن تمنح السلطة العليا فى البلاد (الملكية) لواحد من أعضائها[١٤] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشـــارة الى أن رأس الحكومة فى المدينة السومرية ، انما كان يسمى «انسى» ربما بمعنى «النائب» أو «الوكيل» ،

---

12) T. Jacobsen, Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, II, 1943, P. 165-166, 172.
H. Frankfort, The Brith of Civilization in The Near East, 19₀1, P. 68.
H. Frankfort, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 92.
(١٣) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا
T. Jacobsen, Op. Cit., P. 165, No. 35.
H. Frankfort. Kingship and The Gods, Chicago, 1948, P. 118.
14) T. Jacobsen, Op. Cit., P. 172.

اشارة الى وكالته عن معبود مدينته فى حكم بلده وأهلها ، ومن ثم فقد ظلت الصبغة الدينية ألصق بهذا اللقب ، وترتب عليه أن انفسح المجال أمام كهنة الالهة السومرية ، ليكون لهم شأن فعال فى أوضاع دويلاتهم وسياستها ، وظلت معابدهم تحظى بنصيب كبير من ثروات المدن وأرضها وضرائب أصحابها ، حتى أصبحت بأملاكها شبه وحدات اقتصادية وادارية قائمة بذاتها ، ثم مال حكام المدن الى تغليب الصبغة السياسية فى سلطاتهم ، وتلقب كل منهم بلقب «لوجال» بمعنى الرجل العظيم ، وبما يرادف لقب «ملك»(١٥) واتسعت سلطاتهم المدنية على حساب سلطان الكهان ، وان ظلوا من الناحية الشكلية يعتبرون ممثلين لمعبوداتهم على الارض ، ويدعون أنهم يصدرون فى تصرفاتهم عن وحيهم ، لا سيما فى فترات الحروب ، ثم تركوا لقب «انسى» لولاتهم الفرعيين ، وان استعادوه لأنفسهم من حين لآخر ، ليؤكدوا صلاتهم بأربابهم وتواضعهم ازاءهم ، وظهرت لهذا التطور فى سلطان الحكام السومريين أمثلة شرقية أخرى لاحقة لعصورهم ، فلقد بدأ الحكم فى جنوب شبه الجزيرة العربية بنفس الصبغة ، وتلقب الحكام هناك بلقب «مكرب»(١٦)،

---

(١٥) يذهب الدكتور سامى الاحمد الى أن الملك انما كان حاكما مستقلا يدير أكثر من دويلة مدينة واحدة فى وقت واحد ، قد يكون فيه «انسى» تابعا للملك ، واذا جاوزت منطقة حكم الانسى ، ما وراء حدود مدينته ، واعترف به معبد انليل فى مدينته نيبور (نفر) فيحمل أنذاك لقب ملك ، ويحمل كل حاكم فى مدينته تابعه للانسى لقب حاكم (كورنبتا) ، فى وقت كانت فيه ادارة المعبد بيد موظفين يشرف عليهم الانسى ، وكان موظفى الدولة مسئولين أمام الانسى ، ومرتبطين به ويجمعون له الضرائب من القطعان والقوارب ومصايد الاسماك ورسوم الدفن والطلاق (سامى سعيد الاحمد : الادارة ونظام الحكم ـ من كتاب حضارة العراق ـ الجزء الثانى ـ بغداد ١٩٨٥ ص ٩) .

(١٦) ظهر لقب «مكرب» فى العصر الاول من أدوار التاريخ السبئى الاربعة ، وذلك فى الفترة (٨٠٠ ـ ٦٥ ق٠م) ، وفيه حمل حكام سبأ لقب «مكرب» وهو لقب تغلب عليه الصفة الدينية ، وتقابله فى العربية الفصحى (مقرب) وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للالهة ، فضلا عن دور الوساطة بين الالهة والناس ، وربما كانت وظيفة المكرب هذه تشبه وظيفة «المزواد» عند المعينيين ، والقضاة عند بنى اسرائيل ، ولقب «ايسى» و «ايشاكو»
=

ولقب «مزود» ، ثم انتقل هؤلاء وهؤلاء الى ألقاب الملوك ، وأكدوا بها الصبغة الدنيوية فى حكمهم[١٧] .

على أن أستاذنا الدكتور الناضورى انما يذهب الى أن ادارة الحكومة فى المدن السومرية انما قد تركزت فى عدد من المدنيين والدينيين ، فكان المسئول المدنى يسمى «انسى» ، وكان مسئولا عن الشئون الزراعية وما تتطلبه من مشروعات تتصل بعمليات الرى ، وأما وظيفة «لوجال» Lugal ، بمعنى الرجل العظيم ، فكان مسئولا عن شئون المدينة ، وخاصة عندما تتعرض لأخطار الحروب ، ثم سرعان ما تطورت هذه الوظيفة لتصبح أن شاغلها انما قد امتدت سلطاته الى أوسع من حكومة المدينة ، فأصبحت تعنى السيطرة على عدد من المدن المجاورة ، وأما الشئون الدينية فقد أصبحت فى يد موظف يدعى بالسومرية «ان» En بمعنى «سيد» كان يعيش فى المعبد ، ويدير شئونه الادارية والاقتصادية غير أن تلك الوظيفة الدينية قد تطورت فى المراحل الاخيرة من بداية عصر الاسرات السومرية ، واقتربت وظيفة أل «ان» من الجانب الدنيوى ، وانتقل صاحبها من المعبد الى القصر[١٨] .

وأيا ما كان الامر ، وسواء أكان حاكم دويلة المدينة «انسى» أو «لوجال» ، فانه لم يصل الى الحكم بمقتضى حق الوراثة ، فقد كان مبدأ «الاختيار الالهى» أساسا للملكية فى العراق القديم ، وان كان هذا لا يعنى أبدا أن القوم لم يعرفوا مبدأ الوراثة ، بل ان تعاقب الابناء

=

عند السومريين ، وكل هذه الالقاب تعطى أصحابها صفة دينية فى حكم بلادهم ، أو على الاقل ، اشارة الى القداسة التى يرتكزون اليها فى ممارسة هذا الحكم ، دينيا ومدنيا ، ثم سرعان ما تطور لقب مكرب الى لقب ملك فى العصر السبئى الثانى (٦٥٠ ــ ١١٥ ق٠م) ، كما تطور لقب «ايسى» الى لقب «لوحال» أو «ملك» (محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢٧١ ــ ٢٧٢ ، وكذا

J. Hastings, Dictionary of The Bible, 1936, P. 504.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ ــ ٤٠١ .

(١٨) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٥٣ .

للاباء انما كان قائما منذ عصر الاسرات السومرية المبكر ــ كما تشير الى ذلك قائمة الملوك السومرية ــ ومع ذلك فلم يكن مبدأ الوراثة هو أساس الملكية ، وقد فسر نظام التعاقب بأنه من مظاهر رضى الالهــة عن ملوك الاسرة التى يتعاقب أبناؤها على العرش ، على أن الملكية ، مع ذلك ، فقد بقيت مؤسسة تعتريها جميع ضروب المشاكل ، الامر الذى أدى الى أن تفشل فى أن تصبح أداة اتحاد ، كما كانت فى مصر الفرعونية[١٩] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن التنظيم السياسى لدويلات المدن السومرية ــ سواء أكان فى شكل الجمعية العمومية أو الملكية ــ فقد كان انعكاسا لافكار القوم الدينية ، ذلك لأن الالهة السومرية انما كانت لها جمعيتها العمومية التى تضم كل الالهة ــ ذكورا واناثا ــ وكل له دوره الفعال فى مداولاتها ، وكان على رأس هــذه الجمعية العمومية المعبود «أنو» ــ اله السماء وملك الالهة ــ الذى أودع أمامه الصولجان والتاج وعصا الراعى ، وقد كانت المعبودات السومرية تصور فى شكل انسانى ، وتحكمهم عواطف انسانية ويرتدون كالبشر زيا مجدولا ، ربما كان من جلد الغنم ، رغم أنه كان يمثل سمات حياة البداوة التى انتهت منذ زمن بعيد ، هذا فضلا عن أن الملكية ــ كما عبرت عنها اســطورة الطوفان وقائمة الملوك الســومرية ــ انما قد أنزلت على البشر مــن السماء ، وهى انما تمثل تطورا تاليا للجمعية العمومية[٢٠] .

وعلى أية حال ، فان قائمة الملوك السومرية ــ وكذا قصة الطوفان ــ انما تقدمان لنا قائمة بأسماء المدن التى قامت فيها الملكية الاولى ، لاول مرة ، فى جنوب العراق ، فتروى أنه بعد أن شكلت الالهة (أنو وانليل

---

19) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. 69-71.
وفى الترجمة العربية ص ٩٤ ــ ٩٥

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٠ ، وكذا
T. Jacobsen, Op. Cit., P. 167-169.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 102.
S. N. Kramer, in ANET, P. 43.
E. A. Speiser, in ANET, P. 114.

وانكى وننخور ساج) ذوى الرؤوس السوداء[٢١] ، وأوجدت الحيوان ، وأكثرت من النبات ، وبعد أن أنزلت الملكية من السماء ، قام الاله «أنو» بتأسيس المدن الخمس فى ٠٠ أماكن طاهرة ، ونادى أسماءها ، وعينها كمراكز للعقائد الدينية ، وأولى هـذه المدن هى «أريـدو» ، والثانية «بادتيبـيرا» ، والثالثة «لاراك» ، والرابعة «سيبـار» ، والخامسـة «شوروباك»[٢٢] ٠

هذا وتتقدم قائمة الملوك السومرية مدنا أخرى كانت مقرا للملكية فى عصر الاسرات المبكر ، بعد الطوفان ، مثل أور وأدب وأكشاك ومارى ، فضلا عما أضافته الحفريـات من مدن كان لها أهميتهـا السياسية أو الدينية مثل لجش وأوما ونيبور وأشور[٢٣] ٠

بقيت الاشارة الى أن مصدر الحكم الملكى انما كان أصلا فى السماء ، مما يشير ضمنا الى أن الالهة — طبقا لمعتقدات السومريين — انما كانت هى التى تحكم البشر ، وأنها — بمقتضى هذا الحق — تفوض أو تختار من بينهم من يمارس هذه السلطة على الارض ، وهم الحكـام والملوك الدنيون[٢٤] ، وهذا يعنى — من ناحية أخرى — أن «الملكية» هى التى أنزلت من السماء — وليس الملك — ومن ثم فلم ينظر الى الملك فى العراق

---

(٢١) كان أصحاب الرؤوس السـوداء يسكنون أرض سومر ، وهم ليسوا ساميين ولا آريين ، ولغتهم ليست سامية أو «هندوأوربية» ، وربما كانت كتابة الوركاء التصويرية سومرية ، ومن ثم فان هؤلاء القوم ربمـا كانوا فى جنوب العراق القديم منذ الفترة الاخيرة من عصر الوركاء ، وربما منذ فترة مبكرة من الالف الرابعة قبل الميلاد ، على أن تعبير «أصحـاب الرؤوس السوداء» ، وان كان يعنى السومريين ، فربما يعنى كذلك سكان سومر وأكدمعا ، وربما يشير فى هذا النص الى البشر عامة

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 235, No. 2).

(J. Finegan, Op. Cit., P. 29

22) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 43.

(٢٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٥ ٠

(٢٤) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٠ ٠

القديم كاله ، وانما كنائب عن الاله ، وان كانت قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام تشير الى تأليه الحكام فى العراق القديم(٢٥) .

هذا وتشير قائمة الملوك السومرية الى أرقام خيالية حددتها كفترة حكم للملوك الثمانية الذين قالت عنهم أنهم حكموا قبل الطوفان ، حيث خصصت لهم فترة ٢٤١٢٠٠ سنة ، كما أعطت ملـوك «كيش» ، والتى نزلت اليها الملكية — مرة ثانية — بعد الطوفان ، وعددهم ٢٣ ملكا ، فترة حكم قدرها ٢٤٥١٠ سنة ، ثلاثة أشهر ، ثلاثة أيام ونصف يوم ، وأكبر الظن أن مثل هذه الارقام الخيالية كفترات حكم ، انما تعكس فكرة شائعة عند أكثر الامم القديمة ، مؤداها : أن الانسان فى قديم الزمان انما كان يتمتع بعمر طويل ، وصفات جسدية خارقة ، وربما أن جامع قائمة الملوك السومرية لم يكن فى حوزته غير أسماء ثمانية ملوك من قبل الطوفان ، فاضطر الى تطويل فترة حكم كل منهم ، حتى يغطى الحقبة الزمنية التى تصورها طويلة جدا ، والتى تفصل ما بين ظهور أول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان العظيم(٢٦) .

غير أن هذا التعليل لا ينطبق على ملوك ما بعد الطوفان ، بل اننا لو جمعنا ما ورد فى قائمة الملوك السومرية(٢٧) عن سنى حكم الاسر الاربعة عشر ، والتى حكمت بعد الطوفان ، لوجدناه يتجاوز اثنين وعشرين ألف عام ، بينما تقدر الفترة الزمنية التى شـغلها عصر الاسرات السومرية المبكر — متضمنا مرحلة ما قبل الطوفان — لكانت فى حـدود ٥٠٠ الى

---

(٢٥) انظر : محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القـرآن الكريم — الجزء الرابع — بيروت ١٩٨٨ ص ١٤٧ — ١٥٦ .

(٢٦) فاضل عبد الواحد ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢٧) انظر قائمة الملوك السومرية .

رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٤٦ — ٢٤٨ ، محمد عبداللطيف: المرجع السابق ص ٢٤٥ — ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 328-331.

A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, P. 265-266

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998-999.

٧٠٠ عام ، وتؤرخ بدايتها بحوالى عام ٣٠٠ ق٠م[٢٨] ، ولعل السبب فى هذه المبالغات أن قائمة الملوك السومرية اعتبرت هـذه الاسر الحاكمة الاربعة عشر ، قد حكمت متعاقبة ، بينما هى فى الحقيقة كانت متعاصرة ،

وقد أثبتت بعض المصادر أن كثيرا من هذه الاسر الحاكمة انما كان يعاصر بعضها البعض الاخـر ٠

(٤) أسرة لجش الاولى (٢٥٢٠ ـ ٢٣٧١ ق٠م) :

قامت هذه الاسرة فى مدينة «لجش» ــ وهى الحبـة الحالية على مبعدة ٢٠ كيلا شمال شرق تللو ــ فى الفترة (٢٥٢٠ ــ ٢٣٧١ ق٠م) ولم ترد فى قائمة الملوك السومرية ، غير أن الحفريات الحديثة قد كشفت عما خلفه ملوكها من تسجيلات كتابية عن تاريخهـا فى عصر الاسرات السومرية المبكرة ، وهكذا بدأت «لجش» تاريخها مع فجـر الحضارة السومرية ، وظلت طوال تاريخها مدينة سومرية حتى انتهت فى فترة لا تبعد كثيرا عن قيام الاسرة البابلية الاولى (حوالى عام ١٨٩٤م) ، وقد ظلت منذ ذلك التاريخ مهجورة يخيم عليها النسيان حتى شغلها البارثيون فى القرن الثانى الميلادى[٢٩] ٠

وكان «أورنانشة» (Urnanshe) أول ملك ارتقى عـرش لجش باختيار احدى الالهات ، وان أشارت النقوش الى اثنين من ملوك لجش من أسلاف «أورنانشة» هما «ان خيجال» و «لوجال شاجنجور» ، غير أنهما لم يجاوزا مرتبة الحكام المحليين ، فضلا عن عدم وجود أية صلة تربطهما بالملك «أورنانشـة» ، وعلى أية حـال ، فربما كان اختيـار «أورنانشة» كملك على لجش بسبب أعماله الخيرة ، حيث تسجل تشييده للمعابد وعمل التمـاثيل للمعبودات ، فضلا عن تجديد الكثـير من دور

---

28) M. Mallowan, Op. Cit., P. 242.

(٢٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، محمـد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣١ ـ ٢٣٤ ، وكذا
CAH, I, Part, 2, P. 998 (Chronological Table of The Sumerian Period).

العبادة ، ومنها معبد نانشة ومصلى ننجرسو ومعبد أنكى ومعبد دموزى ــ آبو ، هذا الى جانب شق القنوات ، وتشييد سور للمدينة ، كما تشير نقوشه الى أن سفن دلمون قد أحضرت له شحنات الخشب ، وهذه أقدم اشارة الى دلمون فى النقوش الميزوبوتامية ، فضلا عما تشير اليه من نفوذ خارجى لأورنانشة ، تجاوز نطاق أرض سومر نحو الجنوب ، وهناك فى مدينة أور لوح حجرى عليه صورة أورنانشة واسمه ، الامر الذى ربما يدل على أنه قد حكم هذه المدينة ، أو أخضعها لنفوذه[٣٠] .

وجاء «أكورجال» (Akurgal) على عرش لجش بعد أبيه أورنانشة ، وهناك ما يشير الى أن الرجل قد واجهته بعض الصعاب فى بداية حكمه القصير ، مع «أوش» حاكم مدينة «أوما» (Umma) بسبب النزاع بين المدينتين على مناطق الحدود[٣١] .

وخلف «أكورجال» ولده «اياناتوم» (Eannatum) الذى شغل فى بداية عهده بالاصلاحات الداخلية ، كشق القنوات ، وتشييد بئر من الاجر فى معبد «ننجرسو» معبود لجش ، فضلا عن اعـادة ما تهدم فى بلده على يد أهـل أوما ، على أيـام أبيه «أكورجال» ، وهكـذا كان «اياناتوم» ــ كجده أورنانشة ــ بنـاء عظيما ، بقدر ما كان محاربا عظيما ، وتدل نقوشه على أنه خاض عدة معارك دامية ، على شاطىء نهر الكاربى (Carpe) قهر فيها العيلاميين فى الشرق ، كما خاض معـارك أخرى ، أخضع فيها مدن أوما والوركاء وأور وكيش ومارى ، ومن ثم فقد أصبح أهمية شخصية فى عصره ، وارتفع بها شأن لجش الى درجة قد تجعلها زعيمة المدن السومرية ، فضلا عن أن تهبه الالهة «انانا» ملكية كيش ، الى جانب عرش لجش[٣٢] (Lagash) .

---

30) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 53, 303-309.
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 116-117.
G. Bibby, Looking for Dilmun, (Penguin Books), 1972, P. 63.
31) S. A. Kramer, Op. Cit., P. 53.
32) D. O. Edzard, in Sumer, 15, 1959, P. 23.
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 309-310.

على أن أهم حروب «اياناتوم» انما كانت ضد مدينة «أوما» (تل خوخة) — وتقع على مبعدة ٣٠ كيلا شمال غرب لجش — بسبب النزاع على منطقة الحدود بين المدينتين ، وعلى قناة المياه التى كانت تغذى هذه المنطقة وتسمى «فرع جرسو» ، وهى قنـــاة تبدأ عند المدينة القديمة «زابالام» شمالى أوما ، ثم تتجه نحو الجنوب الشرقى ، على مدى ٥٠ كيلا ، حتى تصل الى جرسو ، ثم تنتهى عند «نينا» ، ويبدو أن الحدود كانت فى صالح لجش ، ومن ثم فقد رأت أوما أنها تجور على جزء من أراضيها ، ولهذا فقد كانوا كثيرا ما ينتهزون أية فرصة للاغارة على هذه الحدود ، والاستيلاء على الارض المتنازع عليها ، غير أن أهل لجش انما كانوا يعتبرون هذه الارضين ملكا خاصا لمعبودهم «ننجرسو» ، وبالتالى فان الاستيلاء عليها انما هو بمثابة اهانة لربهم ننجرسو ، وعلى الملك — وهو نائب الاله — أن يثأر لكرامته[٣٣] .

وفى الواقع أن قصة الصراع بين لجش وأوما على موارد المياه وحدود الزراعة ، انما قد بدأت قبل ذلك ، عندمـــا كانت مدينة كيش تمارس سلطانا واضحا على سومر فى أيام «مسليم» Mesilim الذى دانت له بالولاء لجش وغيرها من المدن فى جنوب العراق ، وفى خلال حكمه كان «لوجال — شاج — انجور» يشغل منصب «ايشاكو» لجش ، ويدين له بالولاء ، وهناك من عهده نص على رأس دبوس نذرى ضخم فى لجش يشير الى هدايا أرسلها «مسليم» الى ننجرسو (نين جرسو) رب لجش ، وربما شارك أيضا فى ترميم معبده الكبير ، وقد جاء فى النص «مسليم ملك كيش ، الذى بنى معبد ننجرسو ، قد أودع رأس هذا الدبوس ، حين كان لوجال شاج أنجور ، ايشاكو على لجش» .

وهكذا استطاع مسليم أن يقوم بدور الحكم بين أوما ولجش ، وربما كان ذلك بناء على رغبة الفريقين المتنازعين وقد أفلح — فيما يبدو —

33) T. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 103-104.
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 118.

فى وضع خط الحدود بين المدينتين ، وافق عليه الطرفان فى معاهدة تضمنت ذلك الامر ، وصبغت بالصبغة الدينية ، فلقد كان «انليل» هو الذى أشرف على مؤتمر الصلح ، وقامت المعاهدة بناء على رغبته ، ولما كان لانليل من مكانة بين المعبودات الاخرى ، فقد نفذ «ننجرسو» أوامره ، وأما الملك «مسليم» فقد قام بالدور الذى رسمته له معبودته «كادى» ، ومن ثم فقد قام بتسجيل المعاهدة التى أملاها الالهة أنفسهم ، وهكذا نستطيع أن نخلص من ذلك بحقيقة عن مركز الملكية فى هذه المرحلة مؤداها : أن الملك أو الحاكم (الايشاكو) انما كان وكيلا للمعبود ، أو وزيرا له ، يعرف شئون المدينة ويدبر أمورها طبقا لرغبة الاله ، ومن ثم فأن اشهار الحرب انما كان يعنى حربا بين المعبودات ، كما كان وضع الحدود انما يتم بناء على اتفاق المعبودات كذلك[٣٤] .

هذا ــ وطبقا لما جاء فى لوحة العقبان[٣٥] ــ فلقد قام «اياناتوم» بحملة على مدينة «أوما» فأوقع بها هزيمة منكرة وذلك بسبب اعتداء «أوما» على منطقة «جو ادين» (Gu - edin) والتى وصفت بأنها كانت اقطاعية خاصة للمعبود «ننجرسو» ، وبسبب رفع لوح الحدود الذى كان قد أقر هناك بين البلدين على يد «مسليم» ، ثم غزا سهل لجش ،

---

(٣٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ ــ ١٠٨ ، وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٢ ، وكذا
G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, 1929, P. 2-3.

(٣٥) لوح العقبان (The Sttle of The Vultures) : لوح حجرى أقامه «اياناتوم» عند الحدود القديمة بين لجش وأوما تخليدا لذكرى انتصاره على أوما ، وقد عثر عليه فى حفائر لجش (تلو) ، وهو من الحجرى الجيرى ، وكسراته محفوظة حاليا فى متحف اللوفر بباريس ، وقد سمى بلوح العقبان بسبب مناظر مجموعة من العقبان أو النسور مثلت محلقة تحمل فى أفواهها ومخالبها صرعى أوما وأشلاءهم ، أما مقاتلو لجش الذين لقوا حتفهم فى ميدان القتال فقد صورت نقوش اللوح تكريمهم بدفنهم وتقديم القرابين لهم ، وقد مثل الاله ننجرسو بحجم ضخم ولحية طويلة وقد سجل حاكم أوما على لوح قسمه بكل الالهة ألا يعتدى مرة أخرى على أراضى الحدود أو جسورها أو قنواتها أو يقتلع ألواح الحدود (محمد عبد اللطيف : المرحع السابق ص ٢٣٥ ــ ٢٣٨ ، وكذا
(S. N. Kramer, Op. Cit., P. 310-313.

ويبدو أن المعركة أشهرت بكلمة من «ننجرسو» — محارب انليل — وأن اهلاك أهل أوما انما تم بتدخل من انليل نفسه ، ذلك المعبود الهام الذى تتركز عبادته فى نيبور ، وصاحب الكلمة الاخيرة فى اعطــاء النصر لمن يشــاء ، وأن «اياناتوم» كان قــد تضرع — قبل بدء القتــال — الى ننجرسو ، ملتمسا عونه ومشــورته ، وقد تجلى ننجرسو لايانا توم ، وأعلنه أنه هو المختار للانتقام والاخذ بالثأر ، وانبطح «اياناتوم» على وجهه ، وشهد رؤيا ، شهد «ننجرسو» نفسه يقف الى جانب رأســه ، ويعده بالنصر على أعدائه ، وأن «بابار» اله الشمس سيضىء المدينة ، ويقف الى يمينه ليشد أزره ، وقام «ايانابوم» لينفذ ما أمر به المعبود ، وتقدم جيوشه الى أومــا .

ودارت المعركة بين الفريقين ، وسرعان ما انتهت بنصر مبين للملك «اياناتوم» على عدوه «أوش» وقتل من أعدائه ٣٦٠٠ رجلا (وفى قراءة أخرى ٣٦٠٠٠ رجلا) ، ثم تقدم نحو أسوار أوما فدكها دما ، وسرعان ما سقطت المدينة تحت بأســه ، فأعمل فيهــا السيف فى ابــادة كاملة كالعاصفة المجتاحة ، ثم جمع جثث القتلى من رجاله ، وترك القتلى من أعدائه فى العراء ، الا من وجده يشغل الطريق فألقى به خارج الاسوار فريسة للجوارح والضوارى ، ومن هنــا جاءت تسمية اللوحة بلوحــة العقبــان .

وكان من نتائج المعركة أن أعيد ســهل «جوادين» (جوادنا) فور انتهاء القتــال الى لجش ، وبذلك استردت «الضــيعة المحبوبــة لــ «ننجرسو» ، وأعيدت اليه ، وأعاد «اياناتوم» تخطيط الحدود لصالح دولته ، وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة أعاد بمقتضاها النصب القديم الى مكانه ، وحفر رجاله خندقا كبيرا على طول الحدود ، وأقاموا عدة نصب على امتداده ، وبنوا على جانبيه عــدة مزارات لمعبوداتهم لتكون رادعا للعدوان ، ويبدو أنه كان من المفروض أن تجرى المياه الى الخندق من قنوات أوما المهزومة ، وأراد اياناتوم أن يخفف وقع الهزيمة على خصومه فسمح لهم باستغلال جزء من أرض الحدود ، على أن يؤدوا

الضرائب عنها ، وذكرت نصوصه أن رجاله حفروا قناة كبيرة امتدت الى خزان كبير متسع عند مدينته لجش[٣٦] .

وهكذا يمكن القول أن لجش فى عهد «اياناتوم» قد تحولت من مدينة الى دولة تضم المدن السومرية الكبرى ، ثم اشهرت الحرب على الشمال واستطاعت أن تهزمه — أو ترده على الاقل — كما أوقفت أطماع عيلام وردتها مقهورة ، وأغلب الامر أن الاستيلاء على أور والوركاء ولارسا وكيش ، وربما اريدو ، حتى تحولت هذه المدائن الى أقاليم تتبع لجش ، قبل أن تحاول كيش وأوبس الدخول فى معركة معها ، بقصد صد أطماعها عن الشمال ، وكانت نتيجة الصراع مع أوما والانتصار عليها ، أن أصبحت لجش زعيمة مدن بابل قاطبة ، وقد عنى «اياناتوم» بتقوية حصونها وخط دفاعها وتدعيم أسوارها ، كما عنى بشق القنوات وتطهيرها ، وتشييد المعابد والهياكل لمختلف المعبودات التى نصرته على أعدائه[٣٧] .

وخلف «اياناتوم» فى حكم لجش أخوه «اينناتوم» الاول (Enannatum, I) ، ومن عجب أن ينتقل العرش الى الاخ ، وليس الى الابن ، غير أن الاخ لم ينل العرش عنوة ، و من ثم نراه يشير فى نقش عثر عليه فى الحبة بأنه «الاخ المحب لـ «اياناتوم» ايشاكو لجش»[٣٨] .

---

(٣٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ — ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، عبد العزيز صالح : المرجة السابق ص ٤٠٢ — ٤٠٤ ، عبد الحميد زايد :الشرق الخالد ص ٣٨ — ٣٩ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣٣ — ٢٣٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 136-137.
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 310-315
M. Lambert, in RA, L, Paris, 1960, P. 141-146.
H. Frankfort, Op. Cit., P. 71-73.

(٣٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٨ .
(٣٨) نفس المرجع السابق .

وعلى أية حال ، فلقد كان «ايناناتوم» بارا بأربابه ، فأقام لها المعابد وزينها بالذهب والفضة ، وزودها ببعض الملحقات من المخازن والابار ، وهناك نقش على قطعة حجرية يزعم فيه «ايناناتوم» أنه منــح ملكيه لجش ، وأنه قبض بيديه على البلاد الاجنبية ، وألقى بالارض العاصية تحت قدميه ، غير أن هناك ما يشير الى أن حاكم أوما قد هاجم لجش على أيامه ، وأنه قد هلك أثناء الدفاع عن مدينته(٣٩) .

وجاء بعده ولده «انتمينا» Entemena الذى استمرت الحرب فى عهده بين لجش وأوما ، وقد نجح فى قهر عدوه ملك أوما ، الذى فر من الميدان ، غير أن «انتمينا» استمر فى القتال ، حتى فى داخل أوما ، ومع ذلك فلم تنته الحرب بين الفريقيين ، ذلك لان حاكم أوما الجديد (ايل) سرعان ما منع الماء عن القناة الى تروى أملاك المعابد فى منطقة الحدود ، مدعيا أنه تجرى فى أراضيه ، وبالتالى فقد وضع يده عليها ، الامر الذى اضطر «انتمينا» الى شق قناة جديدة من نهر الدجلة مباشرة ليزود القناة التى تروى أراضى الحدود بالمياه ،و انتهى الصراع ، آخر الامر ، باعادة ألواح منطقة الحدود الى مكــانها ، فضلا عن تشييد بعض المبــانى فى المنطقــة(٤٠) .

وجاء بعد «انتمينا» — والذى يعد عهده من أعظم العهود فى لجش ، حربيا ومعماريا — ملوك ضعاف ، بدأوا بولده «اياناتوم الثانى» الذى تجدد على أيامه الصراع بين لجش وأوما ، والذى تشــير نصوصه الى أنه قد استعاد بيوت صناعة الجعة الخاصة بالمعبود «ننجرسو» الامر الذى يشير الى أن «الأوما» كانت قد استولت عليها(٤١) .

وجــاء بعد «اياناتوم الثانى» على عــرش لجش «انتــارزى»

---

39) F. A. Ali, New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973, P. 29.
M. Lambert, La Period Presargonique, in Sumer, 8, 1952, P. 206
40) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 314-316
C. J. Gadd, Op. Cit., P 119
41) Ibid., P. 213-216.

Enetarza ، وفى عهده فقــدت لجش مكانتها المتفوقة ، حتى أنهــا تعرضت لغارة من جماعة عيلامية ، بلغ عددها ٦٠٠ رجلا ، وان انتهى الامر بقهر هذه الجماعة ، وأسر ٤٥٠ رجلا منها(٤٢) .

وجاء بعد «انتارزى» «لوجــال أندا» (Lugal anda) ، وكــل معلومات ا عن عهده القصير الذى لم يتجاوز سنوات سبع ، أن لجش قد تبادلت الهدايا مع «أدب» (بين لجش ونيبور)(٤٣) .

وجاء بعده على عــرش لجش «أوروكاجينا» (Urukagina) — والذى ينطقه البعض «أورو أنيمكينا»(٤٤) — وقد انتحل لقب «لوجال» فى عام حكمه الثانى ، والذى دام ثمانية أعوام أنجز فيها الكثــير من المعابد فضلا عن شق قناتين(٤٥) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا — وقبل الحديث عن اصلاحات أوركاجينــا الادارية — الى أن الحكــام السومريين انمــا قد ردوا انتصاراتهم الى أربابهم ، كمــا حرصوا على استفتــاء وحيهم وطلب عونهم ، الامر الذى شجع كهنة أولئك الارباب على أن يتمتعوا بنفوذ كبير فى ظل ملوكهم ، وعلى أن يشاركوهم قيادة الجيوش لحماية ذمار مدنهم ، كما شجعهم على أن يذكروا أسماءهم الى جانب أسمائهم ، وقد سمحت لهم هذه الاوضــاع بأن يزيدوا ثراء معابدهم ، ويضــاعفوا التزامات السكان ازاءهــا ، بل ويشتطوا فى تحصيل نصيب وافــر من الضرائب على كل ما كبر وصغر ، حتى على جز صــوف الغنم ، وعلى طلاق الرجل لزوجه ، وعلى دفن الموتى .. وهكذا زاد نفــوذ الكهان

42) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 331.
43) M. Lambert, Op. Cit., P. 210.
وكذا CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998.
(٤٤) فاضل عبد الواحد :المرجع السابق ص ٧٣ .
45) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 120.
وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317,319.

وتضخم ، حتى أصبحوا يشاركون الحكام فى أهميتهم ، ان لم يكونوا قد طغوا على نفوذهم[٤٦] •

واستمر الوضع هكذا ، حتى جاء «أوروكاجينا» (Urukagina) الذى وجه همه الى الاصلاحات الداخلية ، وتعمد أن يحد من دخل الكهان ، ويمنع الرشا ، ويعزل من حامت الشبهات حولهم من الموظفين ، فأصدر عدة قرارات تحدث فى بدايتها عن المساوىء التى سبقت عهده ، وكيف كان الكهنة والموظفون يغتصبون فيها أرزاق العباد ، ويستغلون مزارع المعابد وماشيتها ، كأنما هى ملك خالص لهم ، ويشتطون حتى فى أمور الدفن ، وأعلن فى أحدها كيف أقر ربه بأسه فى قلوب ست وثلاثين ألفا من رعاياه ، وكيف وفقه الى أن يسير على هديه ، ويعيد الاهلين الذين قاسوا المظالم •

هذا وتعد اصلاحات «أورو كاجينا» أقدم ما سجله التاريخ من تشريعات ادارية ، وقد اهتم فيها بالقضاء على المفاسد السابقة ، وتخفيف الضرائب عن كاهل الناس ، والعفو عن المسجونين بسبب عدم الوفاء بهذه الضرائب ، كما خفف عن الملاحين عبودية العمل فى مراكبهم لصلحة نظار الملاحة ، وعن الرعاة عبودية العمل وراء الحمير والاغنام لصلحة نظار الماشية ، ومنع أثرياء القوم من أن يشتروا دورا تجاور أملاكهم ، الا برضى من أصحابها ، والا بدفع ثمنها ، وأعلن — أمام ربه ننجرسو (نين جرسو) مسئوليته عن الارامل والايامى ، وعن حماية الفقراء من الاغنياء ، كما خفض مرتبات الكهان الى النصف ، وألزم العرافين فى المعابد بتقديم نبوءاتهم بدون من مقابل ، بعد أن كانوا يشتطون فى تقدير أجورهم ، والزام الناس بدفعها[٤٧] •

---

(٤٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ •

(٤٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ — ٤٠٥ ، وكذا
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317-322.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 142.
M. Lambert, Les reformes d'Urukagina, in Revue d'assyriologie, V, 1956,

على أن انصراف «أورو كاجينا» الى اصلاحاته الداخلية ، فضلا عن عدم الاهتمام بما كان يدور حوله فى «أوما» — عدوة لجش اللدود — انما أعطى الفرصة لحاكم «أوما» (لوجال زاجيزى) لأن يقوم بهجوم خاطف على لجش ، فأضرم النار فيها ، ونهب ثرواتها ، واستولى على معابد الارباب فيها ، وحطم أصنامها ، وقد سجل أحــد كتبة لجش ما أصاب بلده على لسان مليكه ، فقال : «ان رجال أوما باحتياجهم لجش ، انما قد ارتكبوا اثما عظيما ضد ننجرسو ، ان القــوة التى منحت لهم ستؤخذ منهم ، ليست هناك من خطيئة أو ذنب على أوروكاجينا ، ملك جرسو ، أما عن «لوجال زاجيزى ، ايشاكو أومــا ، ألا فلتحمل ربيته نيدابا اثمه فوق رأسه»(٤٨) •

(٥) عهد لوجال زاجيزى وتوحيد المدن السومرية :

عرف «لوجال زاجيزى» Lugal Zaggesi كبطل سومرى ، كتب له نجحا بعيد المدى فى أن يخضع المدن السومرية جميعا ، وأن يؤسس دولة كبيرة ، وان كان عمرها قصيرا ، لم يتجاوز ربع القرن ، — طبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومرية ، وان كان هنــاك من جعلها ٢٩ عاما (٢٤٠٠ — ٢٣٧١ ق•م) ومــن جعلهــا ٢٤ ســـنة (٢٣٤٠ — ٢٣١٦ ق•م)(٤٩) ، وأيا كان الصحيح فى هذه الارقام ، فالذى لاشك فيه أنها كانت أكبر من أية دولة استطاعت أية «دويلة سومرية» أن تضمها داخل حدودها ، ثم نقل عاصمته من «أوما» الى الوركاء (أوروك) ، واعتبر نفسه ملكا على سومر (لوجال كالاما) •

---

48) G. A. Barton, Op. Cit., P. 90-91.
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 323.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.
G. Boux, Op. Cit., P. 138.

(٤٩) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٢ ، نجيب ميخائيل: المرجع السابق ص ١٢٧ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 59, 323.
CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998.

هذا وقد عثر فى نيبور على قطع من أوان تكمل بعضها البعض — وقد كرست لانليل — استطــاع الباحثون من ورائها أن يجمعوا نصا بالغ الاهمية عن «لوجال زاجيزى» ، ويبدأ النص بمجموعة من الالقــاب ، تليها قائمة بالبلاد التى أخضعها ، وحدود دولته فى العصر الذى سجل فيه النص ، ثم يقول النص بعد ذلك «عندما عهد انليل رب الدنيا بملكية هذه الارض الى لوجال زاجيزى ، وهيأ له النجاح فى أعين البلاد ، أقر العدالة فى الارض ، وغلب بأسه البلاد من مشرق الشمس الى مغربها ، وفرض الجزى على أهلها ، وحقت السيادة له حينذاك . من البحر الاسفل والدجلة والفرات الى البحر الاعلى ، واستقرت أحوال البلاد فى سلام ، وسقيت الارض بماء السعادة ، وأحلوه فى هياكل سومر ليكون ايشاكو ، وفى الوركاء ليكون كاهنا أكبر ، عندئذ جعل الوركاء تلتمع فرحا . انه كثور رفع رأس أور الى السماء ، وروى لارسا — مدينة اله الشمس المحبوبة — بماء السرور ، وأما أومــا المدينة المحبوبة ••• فانه رفعها للقــوة المجدة ••» •

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن هناك عبارة غامضة فى النص يذهب فيها لوجال زاجيزى ، أن انليل انما حقق له السيدة من البحر الاسفل الى البحر الاعلى ، أما البحر الاسفل أو الادنى فهو الخليج العربى ، وأما البحر الاعلى فهو من الصعوبة بمكان أن يكون «بحيرة رومية» أو «بحر قزوين» ، وانما هو البحر المتوسط ، وهنا يجدر بنا أن نتساءل : هل اشتملت دولة لوجــال زاجيزى حقا شمال العراق وســورية حتى شاطىء البحر المتوسط ؟ •

فى الواقع أن ذلك مستبعد جدا ، فليس هنــاك من دليل عليه ، أو اشارة واضحة تؤكده ، بل ان علاقته بــ «أكد» نفسها ليس من دليل عليها كذلك ، وأغلب الامر أن حدوده لم تزد عن بلاد ســومر نفسها ، وأن النص لا يحتمل هذا التخريج ، خاصة وأننا سنلتقى بعد قليل بمدينة كيش تبسط سيادتها على بابل الشمالية •

وأيا ما كان الامر ، فسرعان ما ينتهى حكم «لوحال زاجيزى» — وهو الملك الوحيد فى أسرة الوركاء الثالثة — على يد «سرجون» الاكـــدى ؛ وكان هذا فى الواقع أمرا خطيرا ، فهو يعنى أولا : انتقال السلطة من السومريين الى الساميين ، هو يعنى ثانيا : نهاية عصر الاسرات المبكر لحكومات المدن فى تاريخ العراق القديم ، وبداية عصر جديد ، يتغير فيه النظـــام السياسى للبلاد ، حيث تنتقل من حكومة المدينة الى حكومـــة الدولة ، الامر الذى تم على أيدى الساميين ، دون سواهم من سكان العراق القديم ، حتى هذه الفترة(٥٠) .

---

(٥٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ — ٤٠٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٢٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 58-59, 323-324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. A. Barton, Op. Cit., P. 98-99.

الباب الثالث

العصر الاكـدى

(٢٣٧٠ ـ ٢٢٣٠ ق٠م)

الفصل الأول

السياسة الداخلية

(١) الساميون فى جنوب العراق :

منذ الالف الرابعة قبل الميلاد ، بدأت هجرات الساميين من موطنهم الاصلى فى شبه الجزيرة العربية[١] ، الى سهل دجلة والفرات فى موجات متتابعة ، وقد أشرنـا من قبل ، الى وجود علاقات بين سـكان شرق الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت الى السهل الفيضى القريب منهم ، وساهمت بذلك فى خلق نوع من التفاعل الثقافى ، ومن ثم فهناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية فى الادوات الحجرية والمنتجات البحرية ابان عصر العبيد ، وربما أدى هذا التبادل الى هجرات دورية حدثت على المدى الطويل من شرق الجزيرة العربية تجـاه الوادى الغرينى فى جنـوب العـراق[٢] .

وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التى تنتمى الى حضارة العبيد فى بلاد العرب — وخاصة تلك التى تقع على طول السـاحل — قد تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها فى جنوب العراق ، فلقد كانت مواد التبادل هذه تتمثل فى الاصداف واللائى والمنتجات البحرية الاخرى ، فضلا عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل شبه الجزيرة العربية ، هذا فضلا عن أن وجود حجر الاوبسيديون فى مواقع الجزيرة العربية ، انما هو دليل على العلاقات بين هذه الاخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق .

---

(١) قدم الباحث دراسة مفصلة عن موطن الساميين الاصلى (محمد بيومى مهران : الساميون والاراء التى دارت حـول موطنهم الاصلى - الرياض ١٩٧٤) .

2) A. H. Masry, Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami Florida, 1974, P. 1-19.

ولعل من الجدير بالاشارة أن الفترة التى بدأت تتكون فيها المدن فى العراق ، انما قد توافقت زمنيا مع فترة اختفاء حضارة العبيد فى الجزيرة العربية ، الامر الذى قد يشير الى أن هجرة كبيرة من سكان شرق الجزيرة العربية قد نزحت الى العراق القديم فى نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ، وهذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق ، انما كان حاسما فى قيام المراكز المدنية هناك(٣) .

وهكذا — وبمرور الايام — استطاع هؤلاء القادمون من شبه الجزيرة العربية أن يكونوا لهم — الى جانب السومريين — مدنا ، لكل منها أمير يحكمها ، ومعبد تقام فيه طقوسها ، واله يحميها ، وكان الساميون الاوائل أقل حضارة من السومريين ، فأخذوا عنهم الكتابة والعمارة والدين والنظم الادارية ، ثم سرعان ما بدأت المدن السومرية ترتطم بمنافسة خطيرة من مدن الساميين — الاكاديين — ثم أبدى الاكاديون (الاكديون) تفوقا عسكريا ساحقا انتهى بهم الى السيطرة على البلاد ، على أيام أول ملوكهم «سرجون الاول» (٢٣٧٠ — ٢٣١٥ ق.م)(٤) .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن الساميين ، ربما كانوا هم الذين سبقوا السومريين الى جنوب العراق القديم ، فلقد وجدت فى أقدم الوثائق السومرية من الالف الثالثة قبل الميلاد ، أسماء وكلمات سامية متفرقة ، مما دفع البعض الى القول بأن أصحابها هم أسلاف الساميين الذين سبقوا السومريين فى الاستيطان بالقسم الجنوبى من السهل الميزوبوتامى ، وفرضوا كلماتهم على اللغة السومرية ، ومن هذه الكلمات غير السومرية تسميات نهرى دجلة والفرات وعديد من مدن جنوب العراق ، فضلا عن أسماء بعض الحرفيين مثل الفلاح والراعى

---

3) Ibid., P. 19-20.

(٤) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم — الاسكندرية ١٩٧١ ص ٣٤ .

والنساج وصانع السلال والتاجر والنجار ، ويبدو أن بعض أسماء هؤلاء الحرفيين ســاميا ، وخاصة «نانجــار» والتى تعنى فى لغتنا العربيــة «نجــار»[(٥)] •

وهناك منذ بداية العصر التاريخى الكثير من الأسماء السامية ، مثل «ايل» بمعنى اله ، وقد اتخذت كتسمية لاله سامى ، وكذا «الوليم» ، وهو اسم سامى حمله ملك اريدو ، وهو أقدم ملك لأول حكومات المدن التى نزلت عليها الملكية ، كمــا كان نزول الملكية ــ للمرة الثانية بعــد الطوفان ، فى مدينــة «كيش» التى يبدو أنها كانت مركــزا للعناصر السامية ، فقد حمل أكثر من أثنى عشر من ملوكهــا الثلاثة والعشرين أسماء سامية ، بل وقد انفردت كيش ، دون غيرها من مدن جنوب العراق القديم بقيام أربع أسراتَ حاكمة ابان عصر الاسرات السومرية المبكر ، الامر الذى يشير ، دونما ريب ، الى مركزها المتفوق[(٦)] •

وعلى أية حال ، فان تجمــع العناصر السامية انماكان فى جنــوب العراق ، وذلك لمجاورة هذه المنطقة منطقة الفرات الاوسط التى وفدت منها الهجرات السامية التالية ، منذ مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، ومن ثم فقد أطلق على هــذه المنطقة ــ وتضم بابل وكيش وأكد ــ «أرض أكد» ، بينما أطلق على القسم الجنوبى ــ والذى يمتد من نيبور شمالا ، وحتى اريدو جنوبا ــ «أرض سومر» ، وعلى أية حال ، فرغم أن التوزيع الجغرافى للمواقع الاثرية التى وجدت بها النصوص التى تذكر أسماء الاعلام السامية انما يدل على أن الاكديين انما كانوا منتشرين فى رقعة جغرافية واسعة نسبيا ، فانه من الصعوبة بمكان تحديد فواصل محددة

---

(٥) محمد عبد اللطيف المرجع السابق ص ١٨٢ ــ ١٨٣ ، وكذا
S Lioyd and F. Safar, Op. Cit., P. 156-157.
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 41.

(٦) عبد الكريم عبد الله : ملامح الوجود السامى فى جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الاكدية ــ مجلة سومر ــ العــدد ٣٠ ــ عام ١٩٧٤ ص ٦٥ ــ ٧١ ، وكذا
M. Mallowan, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 272.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 109.

لمناطق الاستقرار السامى والسومرى فى عصر الاسرات المبكر ، خاصة وأن الاسماء السامية وردت فى أسرات الوركاء وأور السومرية ، كما وردت الاسماء السومرية فى أسرة كيش ، هذا فضلا عن أن مدينة سيبار — وهى فى شمال أكد — ترد فى أسطورة الطوفان السومرية ، كواحدة من المدن السومرية الخمس التى نزلت عليها الملكية من السماء[٧] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أننا لا نستطيع أن نؤكد أن «الاكديين» انما كانوا ينتمون أصلا الى «المارتو» الساميين ، الذين وجدوا على التخوم الغربية لمنطقة الفرات الاوسط ، وقد وصفهم السومريون بالبداوة[٨] ، غير أن مثل هذا الافتراض انما يبدو مقبولا ، فلقد تركزت العناصر السامية التى نزحت الى السهل الميزوبوتامى فى تواريخ لاحقة — وخاصة الاموريين — فى نفس المنطقة التى وجد فيها «المارتو» ، كما تعتبر شبه الجزيرة العربية — وخاصة أطرافها الشمالية — هى المنطقة التى صدرت عنها الهجرات السامية فى العصر التاريخى ، ونقرأ فى نقش مشهور للملك الاكدى «سرجون الاول» ، ما يفهم منه صراحة ، أنه وعشيرته قد نزحوا الى العراق من شبه الجزيرة العربية[٩] .

هذا فضلا عن أن الاموريين انما قد وجدوا فى نفس المنطقة التى شغلها «المارتو» Mar - Tu وأنهم قد هددوا أسرة أكد نفسها ، الامر الذى اضطر الملك الاكدى «شاركالى شارى» (٢٢٥٤ — ٢٢٣٠ ق.م) خامس ملوك هذه الاسرة الى القيام بحملة ضدهم ، وتفيد تسمية العام الثانى من حكمه بأنه العام الذى «قهر أمورو عند باصار» فيه ،

---

(٧) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون — كتاب العراق التاريخ — بغداد ١٩٨٣ ص ٧٤ ، وكذا
S. N. Kramer, in ANET, 1966, P. 43.

8) S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 286-287.

(٩) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة — ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر — القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٣ — ٥٤ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٢٦ .

و«باصار» اسم مكان يضـــم مجموعة من التلال فى الصحراء الســورية العربية ، ويطلق عليه حاليا اسم «جبل بشرى» ، ويقــع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ (بالخ) فى الفرات ، فى غــرب «دير الروز» الحالية ، ومن المؤكد أن جهد «شار كالى شارى» انما كان جهدا دفاعيا ، ذلك لان الرجل لم ينتقل بعد ذلك الى منطق أبعد فى الشمال الغربى ، كما يرجح أن الهدف من الحملة انما كان صد خطــر الاموريين الساميين الذين يبدو أنهم أرادوا الافادة من ضعف دولة أكد ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامى بغية تحقيق حياة أفضل لأنفسهم[(١٠)] .

وسرعان ما ازداد خطر الاموريين فى أخريــات الالف الثالثة قبل الميلاد ، وانتهزوا فرصة انهيار أسرة أور الثالثة (٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق.م) ثم سقوطها على أيدى العيلاميين ، لينزحوا نحو السهل الميزوبوتامى ، ويقيموا لهم حكما فى كل من أشور وبابل (وتسمى فى اللغة البابلية «باب ـ ايلو» بمعنى باب الله) فى بداية الالف الثانية قبل الميلاد (أسرة بابل الاولى)[(١١)] .

(٢) سرجون الأول (٢٣٧٠ ـ ٢٣١٥ ق.م) :

كان سرجون الاول أول زعيم سامى استطاع أن يؤسس أول دولة كبيرة فى العراق القديم ، كتب لها نجحا بعيد المدى فى تشكيل مستقبله السياسى خلال فترة تزيد عن القرن ونصف القرن ، وفى أن تذهب بولاء الافراد والجمــاعات لمدنهم وزعمائهم المحليين ، الى الولاء للدولــة فى

---

(١٠) محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى القديم ـ الجزء الثامن ـ بــلاد الشام ـ الاسكندرية ١٩٩٠ ص ٦٢ ـ ٦٣ ، محمــد عبــد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, The Dynasty of Agade and The Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455.

J. Bottero, Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 327.

11) W. Hinz, Ptrsia, C. 2400-1800, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 659.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 71.

مجموعها ، ولحاكمها الاعلى الكبير ، ودعت الى نـوع من تعظيم أولى الامر الكبار ، زكى لدى بعض أهل العراق القديم فكرة تقديس الحكام ونعتهم بنعوت الربوبية ، وان لم يسلم جميعهم بهذه الفكرة على سواء ، وأدخلت معها ألفاظ ومسميات سـامية وجدت سبيلها الى لغـة الدين والادب وأسماء الافراد ، فأدخلت الى الدين اسمى «سين» و «شمش» ربى القمر والشمس ، الى جـانب اسميهما السومريين القديمين «ننا» و «أوتو» واسم المعبودة «عشتار» ربة الزهرة ، التى نافست «انانا» السومرية ، ثم حلت محلها ، كما أدخلت معها بعض صفات ربانية مثل «بعل» بمعنى سيد ، و «ايل» (أو ال) بمعنى اله ، وألقابا كهنوتية مثل «اشيبو» بمعنى كهنة الطقوس ، وعددا كبيرا من أسماء الافراد ، كان من أطرفها اسم يقرب من اسم «اسماعيل» وذلك فضلا عن لقب «شارو» بمعنى ملك ، وقد حل محل لقب «لوجال» السومرى[١٢] .

هذا ـ وطبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومرية ـ فان «سرجون» ـ وصحة اسمه فى اللغة الاكادية «شرو ـ كينو» Sharru - Kenu ومعناه حرفيا «الملك المكين» أو «الرئيس القوى» ـ ومن الواضح ، فيما يرى الدكتور حسن ظاظا ، أن هذا لم يكن اسمه . وانما لقبه بعد توليه الحكم المطلق فى العراق ، وأنه (أى سرجون) هـو الذى أسس مدينة «أكد» ـ كما ينطق اسمها فى الاكادية ، و «أجادة» فى السومرية ـ وتقع على مقربة من «كيش» فى جنوب العراق ، فى نقطة غير محددة بعينها على وجه اليقين ، وان رأى «أندريه بارو» أنها ربما كانت قرية الدين ، وتقع على مقربة من ناحية اليوسفية ، وعلى مبعدة ١٨ كيلا غربى بغداد ، فيما يرى آخرون ، وأنه قد حكم ٥٦ عاما ، وأن أباه كان بستانيا ، وأنه هو كان حامل الكأس للملك «أور ـ زابابا»[١٣] .

---

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦

(١٣) آندرية باورو : بلاد أشـور ـ ترجمـة عيسى سلمان و. ليم التكريتى ـ بغداد ١٩٨٠ ص ٣٣١ ، محمد عبـد القادر : الساميون فى العصور القديمة ص ٦٩ ، حسن ظاظـا : المرجـع السابق ص ٣٤ـ٣٥ ، وكذا

E. Weidner Das Reich Sargons Von Akkad, in AFO, 16, 1952 P 1-24.

هذا وقـــد كشف فى «نينـــوى» عن رأس أغلب الظن أنهـــا تمثل «سرجون» ، وهى محفوظة الان بمتحف بغداد ، وتمثل شخصية حقيقية عاشت فى النصف الثانى من الالف الثالثة قبل الميلاد ، وتلفت هذه الرأس نظر مشاهدها ، على الرغم من ضياع التطعيم الخاص بالعينين ؛ ولكن ما زال على الوجه مسحة من خرم وعزم ، وعلى فمه ابتســـامة هادئة رقيقة ، وقد ربط شعره بعصابة عقدت عند قفا رقبته بشريحة شـــعر ثبتت بثلاث حلقات من ذهب ، وأما لحيته فشعرها منظم فى هيئة خصلات تعبر عن عظمته وقوته ، ووضعه على رأس أسرة سطرت لوطنها صفحات من المجد والفخار [١٤] .

وعلى أية حال ، فالذى لا ريب فيه أن سرجـــون الاول أوالاكبر ، انما كان قائدا عظيما ، كما كان أول من فكر فى نقل العراق من نظـــام الامارات أو الدويلات الصغـــيرة المستقلة الى وحدة اقليمية ووطنيـــة ضخمة ، ومن ثم فقد اتخذت سيرته فى الاجيـــال التى جاءت من بعده صورة أسطورية ، وكثرت من حوله الاشعار والاغنيات التى يبدو فيها ، وقد تحول الى ما يشبه شخصية عنترة بن شداد أو أبو زيد الهلالى فى الأساطير الشائعة عندنا ، وقد وردت أصداء من ذلك فى بعض النقوش التى عثر عليها فى بلاد أشور فى شمال العراق وفى بقايا الحيثيين فى تركيا وسورية ، وفى نقوش تل العمارنة فى مصر [١٥] .

هذا وقد حدثنا سرجون نفســـه عن نفسه ، بأنه قد نشأ فى بيئـــة متواضعة ، وأنه لم يعرف أباه ، وأن أعمامه استحبوا حياة الجبال ، وأن أمه وضعته خفية فى مدينة «أزوبيرانو» (Azupiranu) على ضـــفة الفرات ، ثم وضعته فى سلة من قصب دهنت بالقار ، وألقت بهـــا فى

---

(١٤) عبد الحميد زايد الشرق الخالد ص ٦٤ ، وكذا
M. Mallowan, Op. Cit., Pl. 122.

(١٥) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ ، وكذا
S. Moscati, Histoire et Civilisation des Peuples Semitiques, Paris, 1955 P. 52

النهر ، فاحتمله الماء حتى انتشله فلاح مبارك يدعى «اكى» ، وهو يعمل بشادوفه على ضفة النهر ، فاتخذه ولدا ، وعلمه صنعة البستانى ، ولما بلغ أشده أحبته «عشتار» فجعلت منه ملكا ، ويبدو أن سرجون لم يقصد بهذه الرواية اظهار التواضع ، بقدر ما تعمد تأكيد عصاميته ، ورعاية الربة له ، ووصوله الى العرش بفضل تأييدها •

- على أن أسطورة أخرى تذهب الى أن سرجون انما كان بستانيا ، ثم أصبح ساقيا للملك «أور — زبابا» (Ur - Zababa) ، ملك كيش ، وأنه ثار ضد مولاه ، واستطاع أن يخلعه ويعتلى العرش من بعده ، ذلك لانه كان يقوم بالخدمة فى معبد الاله السامى «مردوك» (مردوخ) فى مدينة بابل ، وأنه قد أحسن عمله ، فتقبله مردوك قبولا حسنا ، ومن ثم فقد جعله سيدا على البلاد فى مكان مولاه «أور — زبابا» الذى أراد الاخلال بطقوس عبادة مردوك بتغيير قربان الشراب بمعبده[١٦] •

على أن انتقال العرش من «أور — زبابا» ملك كيش الى سرجون ملك أكد يتعارض وما أوردته قائمة الملوك السومرية التى ذكرت خمسة ملوك بعد «أور — زبابا» (هم سيمودارا — أوسيو أتار — عشتار — موتى — ايشمى شمش — نانيا) ، ويعلل بعض الباحثين ذلك بأن «سرجون» الاكدى ، انما كان فى هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية ، مجرد مناوىء للسلطة الحاكمة فى كيش ، وأنه لم يكن قد أقدم بعد على الانقضاض عليها واسقاطها ، على أن هناك آخرين يذهبون الى أن سرجون لم يحظ بمركز متفوق فى أول عهده ، ربما لأنه شغل وقت ذاك

---

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 145-146.

وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 418-422.

وكذا E. A. Speiser, in ANET, 1966, P. 119.

وكذا E. Weidner, Op. Cit., P. 1-24.

ثم قارن :

J. Lewey, in Hebrew Union College Annual, 19, 1946, P. 420, 480.

ببناء عاصمته الجديدة «أكد» (أجادة) والتى لم ينتقل اليها الا بعد أن فرض نفوذه على البلاد فى اعقاب انتصاره على «لوجال زاجيزى» ملك الوركاء (على مبعدة ٦٠ كيلا من مدينة السماوة ، ١٢٨ كيلا شمال غرب أور) ، ثم القضاء على مقاومة المدن السومرية المناوئة .

وأيا ما كان الامر ، فالذى لا ريب فيه ، أن سرجون الاكدى هذا ، انما يعد بحق واحدا من القادة السياسيين والعسكريين العظام فى التاريخ القديم ، وأنه قد كتب له نجحا بعيد المدى ، وفى غضون فترة قصيرة ، فى أن يبسط نفوذه على كل بلاد سومر ، حتى أن أحد النصوص السومرية انما يشير الى قول مأثور «أنه غسل سلاحه فى مياه البحر السفلى» أى فى مياه الخليج العربى(١٧) .

هذا وتشير نصوص سرجون الى أنه قد استطاع أن يسيطر على بلاد سومر جميعها ، وأنه بدأ بالزعيم «لوجال زاجيزى» ألقابه الدينية والدنيوية ثم يخلعها على نفسه ، وربما يدخل فى نطاق هذا الهدف اقامة ابنته «انخدوانا» فى وظيفة كبيرة كاهنات الاله القمر السومرى «نانا» (ننا — أو ننار) معبود مدينة أور ، وهو تقليد بدأه سرجون ثم استمر بعد ذلك كامتياز لأخوات وبنات الملوك(١٨) ، الامر الذى فعله كذلك الفراعين المصريون عندما جعلوا من زوجاتهم ، ثم بناتهم فيما بعد ، زوجات للاله أمون(١٩) .

---

(١٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٦ — ٢٥٧ .
وكذا A. L. Oppenheim, in ANET, P. 267.
وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

18) A. L. Oppenheim, ANET, P. 267.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 59.

(١٩) انظر التفصيلات (محمد بيومى مهران : مصر — الجزء الثالث ص ٦٣٦ ، ٦٤٤ ، الحضارة المصرية الجزء الثانى ص ٦٣ ، وكذا
J. H. James, in CAH, II, Part, 2. Cambridge, 1973, P. 307.
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 354.

هذا وقد اتجه سرجون — بعد القضاء على «لوجال زاجيزى» الى الهجوم على بقية المدن السومرية الهامة — الى أور ولجش وأوما — فأحرز عليها نصرا مؤزرا ، بل ان نصوصه انما تشير الى أنه قد دك هذه المدن ودمر أسوارها ، وهكذا أصبح سرجون سيدا على كل أرض سومر ، ومنحه أنليل كل المنطقة من البحر العلوى الى البحر السفلى(٢٠) — أى من البحر المتوسط الى الخليج العربى — وحق لـه حينذاك لقبه الذى ادعاه لنفسه ، وهو لقب «ملك أرض سومر وأكد» ، وتوفـرت لدولته الموحدة منذ ذلك الحين امكانات بشرية وموارد مادية ضخمة ، لم تتهيأ لدويلات المدن السومرية أو السامية القديمة قبل عهده ، كما توفرت لها السيطرة على شرايين التجارة فى بلاد النهرين كلها(٢١) .

ولعل من الجدر بالاشارة أن سرجون انما قام بكثير من الاصلاحات الداخلية ، ففى الناحية الادارية ، لم يعتمد على ولاء المدن السومرية كثيرا ، بل انه كون له أتباعا يدينون له بالولاء ، ثم أقطعهم قسما من الارضين التى كانت تتبع المعابد من قبل — الامر الذى أثار عليه الكهان فيما بعد ، فانضموا الى الثائرين ضده — وفى الواقع فان أى فـاتح ما كان بمستطيع أن يطمئن على ولاء المدن المغلوبة ، وأكبـر الظن أن سرجون انما قد أنشأ حاشية خاصة بـه ، مستغلا فى ذلك روابط الدم والنسب بالمعنى الواسع للعصبية القبلية ، الامر الذى يشير بوضوح الى أن الملوك الاكديين قد تعمدوا محاباة العنصر الاكدى على حساب العنصر السومرى ، وأسرفوا فى تأكيد مظاهر سلطانهم الفردى ، بحيث أصبح من رجال حاشيتهم من يسمى ولده «شروكين ايلى» بمعنى «سرجـون الهى» ،و أصبح أنصار «نارام — سين» فيما بعد ، يرمزون اليه ، كما لو كان «اله أجاده ، واله بلده» ، وصوروه بتـاج الارباب ، على حين أصبح حكام المدن فى عهده يلقبون «بخدم الملك أو عبيده» وكان فى هذا

---

20) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 421-422
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324. وكذا
(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٧ .

التطور ما يفسر تذمر أهل المدن السومرية ذوى الحضارة القديمة ، من حكم الاكديين ومحاولاتهم المتكررة للانسلاخ عن جسم الدولة منذ أواخر عهد سرجون نفسه[٢٢] .

هذا وقد حاول سرجون أن يكسب ولاء عامة القوم . ومن ثم فقد عمل على ادخال اسم الملك فى العقود ، مع أسماء الالهة . وكان هذا أمرا هاما من وجهين ، الواحد : أنه يعنى طاعة الملك والتمسك بولائه . والثانى : تثبيت حقوق المتعاقدين ، ذلك لان الذى يخل بشروط العقد — بعد أن أقسم باسم الملك — انما يسىء الى الملك نفسه : ومن ثم فقد اتسعت صلاحية القضاة الذين كانوا قبل أيام سرجون أشبه ما يكونون بالمحكمين ، وقد صار حكمهم — منذ العهد الاكدى — الزاميا باسم الملك ، ومن ثم يكون سرجون ، بموجب هذا العرف الجديد . قد أوجد بوجه علمى محكمة للاستئناف فى البلاد ، مستقلة عن المدن الاخرى ؛ وعلى رأسها الملك نفسه ، وليس هناك من ريب فى أن هذه خطوة هامة فى تطور الشرائع فى العراق القديم[٢٣] .

على أن الامر لم يقتصر على ذلك ، بل ان سرجون —رغبة منه فى توطيد الوحدة القومية — قد أقام تقويما موحدا لكل الدولة . وكان القوم قبل أيامه يؤرخون الاحداث طبقا لأشهر وأعياد خاصة بكل مدينة ؛ وأخيرا فقد كان وجود حاكم فرد يدعو نفسه «ملك الجهات الاربع» (وهو لقب كان ينطق باللغة السامية «شار كبرات أربعيم» —

---

(٢٢) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ـ تاريخ العراق القديم ـ بغداد ١٩٥٥ ص ١٢٣ ، هنرى فرانكفورت : فجر الحضارة فى الشرق الادنى ـ ترجمة ميخائيل خورى ـ بيروت ١٩٦٥ ص ١٠٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٤ ، ل. ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ـ ترجمة محرم كمال (الالف كتاب رقم ٣٥) ص ١٧٥ ، وكذا
H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, P. 406.
H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. 74.

(٢٣) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ وكذا
H. Frankfort, The Birth of Civilization, P. 75.
وكذا H. Frankfort, Kinkship and The Gods, P. 406.

(Lugal-ul-da Limmu-Ba- — وفى السومرية Shar Kibrat Arbaim
يذكر الناس دوما بوحدة الدولة ، وان كان هذا اللقب قد اعتاد أسلاف سرجون من قبل ، أن يصفوا به سلطان أربابهم الكبار — ولا سيما آنو وانليل وشمش — فانتحله سرجون ، وان لم يقصد تأليه نفسه ، أو جعل نفسه الها ، وانما ابتغى من وراء ذلك أن يقنع نفسه ، ويقنع شعبه بأنه نائب الارباب على جهات الارض كلها[٢٤] .

هذا وقد أهتم سرجـون بالجيش وأسلحته كثيرا ، ومن ثم فقـد تطورت أساليب الحـرب والسلاح فى عهـده ، فمثلا كانت الاسلحة السومرية ثقيلة تعوق حركة الجنود فى المناورة ، فقد كانوا يستعملون التروس الثقيلة على هيئة نظام الصف (Phalanx) مع الرماح الطويلة والفؤوس الثقيلة ، فعمل الاكديون على تسهيل حركة الجنود فى المناورة، مستعملين أسلحة خفيفة كالأقواس والنبال ، ذلك لأن الأقواس والسهام سهلة الحمل ، لا تؤثر على حركة الجيش أثناء التقدم والانسحاب ، كما هو الحال مع راجمات الاحجار ، هذا فضلا عن أن ادخال طريقة المبارزة — رجلا مع رجل — انما هى أكثر نفعا مع الشـعوب التى كانت تجهل الاساليب المتطورة فى القتال ، كما اعتمد الاكديون على الاعداد الكبيرة فى تعبئة الجيوش ، ومن ثم فقد حدثنا سرجون فى أحد نصوصه أنه قاد جيشا قوامه ٥٤ ألف جندى ، ولعل السبب فى هذه الزيادة فى عدد أفراد الجيش لم يكن بسبب حاجة أساليب القتال الى هذه الاعداد الكبيرة ، وانما كان بسبب حـاجة الجيش الى أن يترك فى الاماكن التى يحتلهـا أعدادا من جنوده فى الحاميات العسكرية التى كان يقيمها فى تلك الاماكن، وذلك لحماية طرق التجارة ، فضلا عن توكيد هيبة السلطة الاكـدية فى تلك المواقع[٢٥] .

---

(٢٤) عبد العزيز صالح : المرجع السـابق ص ٤١٧ ، طـه باقـر : المرجع السابق ص ١٢٤ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 150.

(٢٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ — ١٢٥ ، فوزى رشيد : الجيش والسلاح — من كتاب حضـارة العراق — الجزء الثانى — بغـداد ١٩٨٥ ص ٤٨ — ٤٩ .

ومن البدهى أن سرجون لم ينس الاهتمام بأربابه ، ومن ثم فقد شيد لها العديد من المعابد فى المدن المختلفة ، ففى نيبور مثلا ، أعاد بناء «آى كور» معبد انليل الكبير ، كما أن العثور على رأس الدبوس المشهور فى سيبار ، انما يشير الى رعايته للمعبود شمش ، كما تشير مجموعة اللوحات التى عثر عليها فى لجش الى روابط مباشرة بين أكد ولجش ، والى تبادل البضائع والمنتجات بينهما وبين أنحاء الدولة ، فالذهب وقطعان الثيران والماشية ترسل الى أكد ، فى مقابل الحبوب والبلح والمنسوجات ، كما تشير اللوحات الى روابط قوية بين لجش وبقية المدن السومرية ، مثل ارك وأوما وأدب ، كما أن البضائع كانت ترسل من كيش ونيبور وأور ، بل ان بعض السلع انما كانت ترسل الى أسواق لجش من «ماجان» و «ملوخا» وعيلام ، وهناك اشارات الى بيع عبيد من بلاد بعيدة ، مثل جوتيو ، وأمورو[٢٦] .

بقيت الاشارة الى أن سرجون — رغم ما حققه لنفسه ولبلده — فلقد انتهت حياته السياسية على غير ما توقعه لنفسه ، وطبقا للوحة الفال والاخبار ، فلقد نشبت ضده ثورات عدة ، أيدتها جماهير سهل «سوبارتو» ، وقد بلغ من عنف الثوار أن حاصروا العاصمة «أكد» ، غير أن سرجون قاومهم بجيشه ، واستطاع أن يشتت شملهم ، بل وأن ينتقم من مدنهم ، ويرجع بعض الباحثين أسباب هذه الثورات الى تشريده للنبلاء والاقوياء من قومه — بل ولآل بيته — ثم نفيهم وتجريدهم من أملاكهم وضمها لأملاك التاج ، مما أثار ضده العديد من القوى التى انتهزت أول فرصة لتثور فى وجهه ، وتحشد العداوة ضده .

على أن نصوص خلفائه ابتغت أن تجد تفسيرا للمتاعب التى واجهها الرجل فى خواتيم عمره ، فردتها الى انتقام الهى ، فذكرت أنه كان قد نكل بمدينة بابل ، فغضب عليه مردوك ، وابتلى قومه بالمجاعة وفرق شملهم من حوله ، وقضى عليه بعدم الراحة فى قبره ، ولا يعنينا من هذا

---

(٢٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٦ .

التفسير الديني ، الا اعتباره صورة من تخيلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال الدول ، وبخاصة أن عبادة مردوك لم يكن لها شأن على أيامه ، وأن نصوصه قد صورته حريصا على التقرب من أربابه،واعتبرته رئيس كهنة عشتار ، والكاهن المنتخب للاله «آنو» ملك الارض ، والانسى العظيم للاله انليل ، وذكرت أنه ركع ذات مرة فى صلاته أمام المعبود «داجان»[٢٧] .

(٣) ريموش (٢٣١٥ ـ ٢٣٠٧ ق٠م) :ـ

خلف «ريموش» (Rimush) أباه سرجون الاول ، لمدة تسع سنوات ، وقد واجهته منذ مطلع أيامه ثورات عارمة فى الداخل والخارج ، ومن ثم فكان من البدهى أن يبدأ ريموش بالقضاء على تمرد المدن السومرية ضد السيادة البابلية ، وقد كتب للرجل نجحا بعيد المدى فى القضاء على هذا التمرد ، وأسر زعيمه «كاكو» ملك أور ، والاستيلاء على مدينته ، وتدمير سورها الحصين ، هذا ويشير نص «انخدوانا» (Enkheduanna) ـ أخت ريموش ، وكبرى كاهنات اله القمر السومرى «ننا» أو «ننار» فى أور ـ الى مدى الخراب الذى حل بالمدينة. حتى أنها فى وقت ما لم تقم فى المكان الطيب (أى فى مدينة أور ـ أو فى معبد القمر بها) ؛ وكانت تقاسى من لفح الشمس نهارا ، ومن ريح الجنوب ليلا ، الامر الذى يشير الى عدم وجود مأوى لها ، من جراء ما أصاب المدينة من تخريب ودمار على يد ريموش ، هذا فضلا عما قاسته المدينة من سوء معاملة ريموش ، الذى قتل كثيرا من مقاتليها ، وأودع من أسرى جنودها ٥٧٠٠ أسيرا فى السجون ، وتقدم لنا نصوصه قوائم بأعداد القتلى من المدن الثائرة ؛ من أور ولجش وأوما وأدب وزابالام[٢٨] .

---

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٩ وكذا
A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 266, 268.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 433
E. Ebeling, in Alt. Texte Zum alten Testament. P 338

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٣ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435-436.

غير أن ريموش — رغم ذلك ، فلقد حرص — أسوة بأبيه سرجون — على اظهار تبجيله للاله انليل ، سيد الالهة السومرية ، فأقـــام تماثيله بمعبد هذا المعبود فى نيبور ، ومنها تمثال من الرصـــاص . يباهى الملك به ، لان أحدا لم يصنع مثله من قبل ، هــذا فضلا عن تأكيد انتسابه الى أرباب كيش ، ومن ثم فقد استمسك بلقب «شارو — كيش شاتيم» ، وهو لقب وصل بينه وبين ربها «آن» وحاشيته[٢٩] .

وهناك قصة متأخرة تشير الى أنه لقى حتفــه اثر ثورة فى القصر ، وربما كان لأخيه «مانيشتوسو» دور فى هذه المؤامرة ، غير أن بقاء اسمه فى لوحات الفأل لدى البابليين المتأخرين والاشوريين ، انما هو دليل على أهميته ، وعلى أنه قام بدور هــام فى هذه المرحلة من تاريخ العــراق القــديم[٣٠] .

(٤) مانيشتوسو (٢٣٠٦ — ٢٢٩٢ ق.م) :

خلف «مانيشتوسو» (Manishtusu) أخــاه ريموش على عرش أكد ، ولمدة ١٥ عاما ، فيما تروى قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب رأى الى أن مدة حكمه انما كانت أعواما سبعة[٣١] ، ولعل من أهم آثاره مسلته المعروفة باسم «المسلة السوداء» التى سجل عليها جهــوده السياسية والاقتصادية والعسكرية .

وهناك نص من عهد الملك الاشورى «شمشى أداد الاول» (١٨١٣ — ١٧٨١ ق.م) يشير الى أن «مانيشتوسو» قد بنى معبد الالهة عشتار فى نينوى ، كما يشير نقش على رأسه حربة ، عثر عليه بمدينة أشور — وهى

---

29) C. J. Gadd, Op. Cti., P. 436.
وكذا S. N. Kramer, The Sumerians. 1970, P. 325.
وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٩ .

(٣٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ ، وكذا
C. J Gadd, Op. Cit., P. 437.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع الســـابق ص ١٣٩ ، محمــد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٧٦ .

قلعة شرقاط الحـــالية ، على مبعدة ٩٦ كيلا جنوبى الموصل ـــ اهداءها الى «مانيشتوسو ، ملك العالم»(٣٢) •

هذا ويشير نص أحد ألواح الفأل الى اغتيـــال «مانيشتوسو» فى مؤامرة بالقصر ، شأنه فى ذلك شأن أخيه ريموش من قبل(٣٣) •

(٥) نارام ـ سن (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق٠م) :

خلف «نارام ـــ سن» (Naram - Sin) ، ومعنى اسمه فى لغته «محبوب سين» (Beloved of Sin) أباه «مانيشتوسو» على عرش أكد ، ولمدة ٥٦ عاما (٢٢٩١ ـــ ٢٢٣٥ ق٠م) فيمـــا تذكر قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب البعض الى أنها لا تتجـــاوز ٣٧ عاما (٢٢٥٤ ـــ ٢٢١٨ ق٠م) ، على أن هناك فريقا آخر يجعل مدة الحكم ٦٦ عاما(٣٤) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن «نارام ـــ ســـن» انما قد ابتدع ـــ ولأول مرة ـــ بدعة تأليه نفسه ، ثم وضع المخصص الدال على الاله أمام اسمه ، ولقب فى نقـــوش بعض الاختام التى أهداهـــا اليه رعاياه بلقب «اله أكد» ، كما نراه على لوحة النصر يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكـــاسى «أجوم كاكازين» «عصابة السيادة ـــ علامة الالوهية»(٣٥) •

ومن البدهى أن هذا انما يمثل أسلوبا جديدا فى الفكـــر الدينى فى العراق القديم ، ذلك لأن القوم انما كانوا يعتقدون أن الملك بشرفان ،

---

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 439.
وكذا H. Lewy, CAH, Part, 2, 1971, P. 734.
33) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.
(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٧٤ ، وكذا
J. Bottero, Op. Cit., P. 108.
C. . Gadd, Op. Cit., P. 441.
W. W. Hallo and W. K. Simpsion, Op. Cit., P. 60.
(٣٥) ل٠ ديلابورت : المرجـــع الســـابق ص ١٧٥ ، محمـــد عبـــد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩١ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

يعمل فى خدمة الالهة بمثابة وكيل لها ، أو نائب عنها ؛ لكنه لايرقى — بحال من الاحوال ، ومهما بلغت بطولته — الى مصـاف الالهة . الامر الذى يدعو الى القول بأن تأليه «نارام سن» لنفســه ، لم يجد قبولا حسنا من القوم ، وربما كانت اشارة نص «لعنة أكد» الى غضب الالهة على المدينة والحاق الخراب بها ، بمثابة رد فعل لدعوى التأليه هذه[٣٦] .

وعلى أية حال ، فان الروايات المتأخرة انما تنهى عهده بكارثة حلت بالبلاد ، كعقاب من الالهة ، الامر الذى يذكرنا بما حدث مع سرجون من قبل ، وقد تكون أوجه التشابه الواردة فى الروايات المتأخرة عن سرجون ونارام سن ، انعكاسا لتقدير الاجيال التالية لهذين الملكين اللذين عدوهما من الشخصيات العظيمة فى تاريخ العراق القديم ؛ رغم ما وقع عليهما من عقاب الهى ، كما عرفت هذه الاجيال نارام سن بابن سرجون[٣٧] .

(٥) شار كالى شارى (٢٢٥٤ — ٢٢٣٠ ق٠م) :

خلف «شاركالى شارى» (Shar - Kali - Sharri) أباه «نارام — سن» على عرش أكــد ، ولمدة ربع قرن ، طبقــا لتقويم قائمــة الملوك السومرية ، وهناك ما يشير الى أنه حاول أن يزيل ما تركه أبوه من آثار سيئة فى نفوس السومريين ، الذين استهــان بآلهتهم ؛ وعلى رأســها «انليل» . ومن ثم فقد نالت مدينــة نيبور رعايته . فشيد بهــا بعض الابنية ، بل ان هناك ما شير الى أنه قد بنى أقدم ما كشف عنه من معابد انليل فى هذه المدينة[٣٨] .

هذا ، وطبقا لما جاء فى لوحة الفأل ، فلقد انتهت حياته على يد أحد أتبــاعه .

وسرعان ما انتشرت الفوضى بعد ذلك . ولمدة ثلاث سنوات . ارتقى

---

(٣٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩١ — ٢٩٢ .
(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .
(٣٨) أنظر :
D E. Mccown, Excavations at Nippur, JNES, 11, 1952, P. 169-170.

خلالها أربعة ملوك عرش أكد ، (ايجيجى — نانوم — ايمى — الولو) ، وربما استقرت الامور عندما اعتلى العرش «دودو» وحكم ۲۱ عاما ، ثم خلفه ولده «شودورول» ، ولمدة ١٥ عاما ، حيث ينتهى عصر أسرة أكد ، بوفاة هذا الاخير ، الذى اقتصرت أملاك أكد على أيامه — وربما كذلك على أيام سلفه — على المنطقة الممتدة فيما بين مدينتى أكد واشنونا ، هذا فضلا عن أن الملكين الاخيرين (دودو — شودورول) لم يكونا يحملان لقب «ملك» ، الامر الذى قد يشير الى انهما كانا ، فى أكبر الظن ، تابعين لملوك جوتيوم .

هذا ، وطبقا لقائمة الملوك السومرية ، فان الملكية قد انتقلت من أكد الى الوركاء (أسرة الوركاء الرابعة) التى حكمت ثلاثين عاما ، انتقلت الملكية بعدها الى قبائل جوتيوم[٣٩] .

---

(٣٩) أنظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا
J. Bottero, Op. Cit., P. 119.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 66.

الفصل الثانى

السياسة الخارجية

(١) سرجون الاول :

استطاع سرجون الاكدى — كما أشرنا من قبل — أن يجعل من المدن السومرية وحدة سياسية ، فاقت كثيرا تلك التى قام بها سلفه «لوجال زاجيزى» ، كما نجح كذلك فى سياسته الخارجية (ونعنى بها هنا خارج منطقة سومر — أو جنوب العراق القديم) ، حتى أن النفوذ السامى — منذ انتقال السلطة من كيش الى أكد — انما قد امتد من شمال بابل الى جانب كبير من آسيا الصغرى حتى قباد وشيا (حيث نجد مستعمرة من تجار الاكديين يعملون فى تجارة الصوف والفضة) وحتى البحر المتوسط .

وهكذا اتجه سرجون الاول الى تكوين امبراطورية كان مجالها الرئيسى جهة الشمال الغربى ، وطبقا لنص كتب فى أعقاب نهاية أسرة أكد ، يتحدث عن خط سير حملة وجهها سرجون الاول نحو الشمال الغربى ، بدأت من مدينة «توتول» — وهى هيت الحالية ، على مبعدة ١٥٠ كيلا غربى بغداد — ثم الى «مارى»[١] — على مبعدة ٢٠٠ كيلا شمال غرب توتول — ثم اتجهت الحملة الى «يارموتى» و «ابلا» ، فأما «يارموتى»

(١) مارى : كلمة سومرية من جهة الاشتقاق ، شبيهة باسم البلاد «أمورو» و «مارتو» ، أى بلاد الغرب ، وهى الان «تل الحريرى» جنوب مصب نهر الخابور ، بالقرب من «دير الروز» ، على مبعدة ١½ كيلا ، غربى الفرات ، قرب بلدة أبو كمال (البوكمال) قرب الحدود العراقية السورية ، وقد قامت فى مارى مملكة فى الفترة (١٨٢٠ — ١٧٦٠ ق.م) هذا وقد كشف «أندريه بارو» فى عام ١٩٣٣م حوالى عشرين ألف لوحة فخارية مكتوبة بالخط المسمارى فى قصر الملك «زمرى ليم» آخر ملوك مارى ، وهى محفوظة الان بمتحف اللوفر فى باريس ، وقد نشرت هذه الوثائق تحت عنوان (Archives Royales de Mari) ، وقد ظهر منها حتى الان ١٦ جزءا ، وقد شارك فى هذا العمل العلمى الضخم مجموعة من الاساتذة المتخصصين (أنظر :

W. F. Leemans Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960, P. 102.

M. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 46. وكذا

فتقع اما فى غرب البحر الميت فى فلسطين ، أو فى جنوب جبيل (بيبلوس) على ساحل البحر المتوسط ، على أن هناك من يرجح أنها تقع فيما بين مارى وابلا ، أى الى الشمال والشمال الغربى من مارى — وأما «ابلا» فتقع فى وادى نهر بلخ ، على مقربة من «أورشو» ، شمال شرق قرقميش[٢] .

وأيا ما كان الامر ، فان الحملة سرعان ما تتجه — بعد الاستيلاء على ابلا — الى «غابة الارز» الى الغرب من ابلا ، والتى تعنى على الارجح «جبال الامانوس» فى أقصى شمال سورية ، ثم تنتهى الحملة عند «جبل الفضة» ، ويذهب «بورتير» الى أن سرجون لم يشر فى نصه الى «يارموتى» و «ابلا» كمحطتين متتاليتين فى مسيرة قواته نحو الشمال الغربى . ومن ثم فالرأى عنده ، أن يارموتى انما تمثل الحد الجنوبى للتوسع الاكدى جهة الشمال الغربى ، وأن ابلا انما تمثل حده الشمالى[٣] . وذلك لأن تعبير «غابة خشب الارز» فى النص ، انما نقلت عن تعبير «جبل الارز» الذى يرد — لأول مرة — فى نص حفيده «نارام — سن» . ويوصف به الامانوس ، بمعنى أن سرجون لم يقصد الامانوس بالذات ، وانما قصد غابة أخشاب الارز عامة التى تتوفر بالدرجة الاولى فى لبنان، وأعطت أهمية كبيرة لمينائها الرئيسى جبيل، وان كان الزميل الكريم المرحوم الاستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف يرى أنه ليس ثمة ما يدعو بالضرورة الى أن تكون «يارموتى» هى «يارموتا» ، خاصة

---

(٢) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٦٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦١ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.
M. Mallowan, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 296.
S. Smith, Early History of Assyria to 1000 B. C. London. 1928, P.375-376.
J Bottero, CAH, I, Part, 2, P. 559.
C. J. Gaad, Op. Cit., P. 426.

3) C. J. Gaad, Op. Cit., P. 425-426 وكذ
J. Bottero, Op. Cit., P. 324-325

وأن رسائل العمارنة[٤] التى ذكرت هذا الاسم انما تؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أى أنها متأخرة زمنيا عن عهد سرجون الاكدى بحوالى ألف عام ، كما يبدو مؤكدا أن «غابة الارز» هى نفسها «الامانوس جبل الارز» ، الذى أشار اليه نص «نارام — سن» بتحديد اسم المنطقة ووصف طبيعتها بأنها جبل[٥] .

وعلى أية حال فان الهدف من الحملة ، ربما كان اقتصاديا أكثر منه سياسيا ، كما أن هناك من يزعم أن سرجون لم يتوقف عند شاطىء البحر المتوسط ، بل عبره الى «قبرص» التى يزعمون أنها دخلت فى نطاق امبراطوريته ومع ذلك ، فان الجزيرة ربما خضعت بطريق غير مباشر للتأثير البابلى منذ عهد بعيد ، الا أنه ليست هناك أية أدلة تشير الى تأثير سامى مباشر على الثقافة القبرصية المحلية فى ذلك العصر ، وهناك اشارة الى وصوله الى كريت التى وردت فى النصوص المسمارية تحت اسم كفتارة[٦] ، بل ان البعض ذهب به الخيال الى الزعم بأن سرجون قد حكم مصر وأثيوبيا[٧] .

وهناك ما يشير الى أن سرجون قد مد نفوذه فى الشمال الغربى الى ما بعد حدود جبال طوروس ، وذلك طبقا لما جاء فى لوحة عثر عليه فى العمارنة — بمحافظة المنيا — عليها نقش عرف باسم «ملك المعركة» . وتتحدث عن جماعة من تجار مدينة «بورش خاندا» (Burushanda) على مقربة من «كول تبه» (كانش القديمة) فى قبادوقيا بالاناضول ، قد شكوا الى سرجون ، حاكم مدينتهم ، والتمسوا منه النصفة ، وأغروه بثروة كبيرة ، ورغم تردد الحاشية فى تحقيق بغيتهم ، فان سرجون قد أجاب سؤلهم ، بل ان هناك من يرجح أن حاكم مدينة «بورش خاندا»

---

(٤) انظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون عصره ودعوته — القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٣٣ — ٢٤٥) .
(٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٢ .
(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٥ .
(٧) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧١ .

قد خضع للعاهل الاكدى ، ورفع الظلم عن التجار ، الذين أدوا لسرجون ثمن معونته لهم ، مما يدل على أن نفوذ سرجون انما قد امتد الى آسيا الصغـــرى[٨] .

وهناك ما يشير الى امتداد نفوذ سرجون الى «سوربارتو» فى شمال شرق العراق ، والتى تمتد من نهر بلخ غربا ، وحتى جبـــال زاجروس شرقا[٩] ، لما كانت منطقة أشور خاضعة لنفوذه ، بل ان هـــذا النفوذ انما قد استمر على أيام ولديه «ريموش» و «مانيشتوسو»[١٠] ، هذا وتذكر نصوص سرجون أنه لقى جيوش أربعة حكام بقيادة ملك «أوان» فى جنوب غرب ايران ، وأنه قد نجح فى دحرهم وقتل قائدهم ، وانه قد استولى على بلاد عيـــلام ، وعين لهـــا حاكما من قبله ، وقـــد أدت سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ، الى تدفق ثروات كبيرة على أكد[١١] .

وأما فى الجنوب فقد امتد نفوذ سرجون الى رأس الخليج العربى ، وربما تجاوز ذلك ، حيث يشار فى أحـــد نصوصه الى أنه قد أخضـــع «شريخوم» (Sherikhum) ، وهى أرض البحر العيلامية التى تقع فيما بين جبال أنشـــان ورأس الخليج ، هـــذا فضلا عن الاشراف على المناطق التجارية المتصلة بالخليـــج والقريبة منه ، مثل «جزيرة دلمون» (البحرين) وما جان وملوخاه ومن المعروف أن سرجون قد اخترق الخليج

---

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 426-427.
وكذا H. Lewy, Op. Cit., P. 707.
S. Smith, Op. Cit., P. 90-91.
W. Alblight, The Epic of The King of Battle, in JSOR, VII, 1923, P. 1F.
G. Roux, Op. Cit., P. 148.
9) J. Bottero, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967, P. 107.
وكذا H. Lewy, Op. Cit., P. 739.
10) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 431.
(١١) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون ــ من كتاب ــ العراق فى التاريخ ــ بغداد ١٩٨٣ ص ٧٦ ــ ٧٧ .

العربى ثلاث مرات حتى دامـون[١٢] .

وهكذا استطاع سرجون أن يحقق لنفسه ولأسرته ؛ فضلا عن دولته ما لم يستطع أحد قبله من الحكـام أن يحققه ؛ فذاعت شهرته بـين معاصريه ، وحظى بتقدير الاجيال التالية فى العراق القديم ؛ فحمل اسمه اثنان من ملوك أشور (وهما سرجون الاول ، وحكم حوالى منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، سرجـون الثانى ٧٢٢ ــ ٧٠٥ ق٠م)[١٣] . وليس هناك من ريب فى أن الرجل انما يعتبر نقطة تحـول رئيسية فى تاريخ بلاد النهرين لأكثر من سبب واحد ، فهو ــ كما رأينا ، كان أول من عمل على توحيدها كلها أو أغلبها ، تحت زعامة سياسية واحدة ، بينما لم تزد جهود أسلافه الاقربين على توحيد أرض سومر وحدها ؛ وهو أول من ثبت دعائم أسرة سامية حاكمة قوية ، استمرت تعتلى العرش أكثر من قرن ونصف القرن (٢٣٧٠ ــ ٢٢٣٠ ق٠م) ، ويغلب على الظن أنه حدثت فى عهده محاولة من أقدم المحاولات لتقريب أسماء الشهور فى المدن العراقية من بعضها البعض ، تمهيدا لتوحيد التقـاويم فيها . فضلا عن أنه هو ، وبعض خلفائه الاقربين ، انما كانوا أول من حققوا لبلاد النهرين نفوذا خارجيا ، سيطرت به على كثير مما يجاور حدودها من مناطق وجماعات[١٤] .

وهكذا ، فان سرجون الاكدى هذا ، رغم نشـأته المتوضعة ، فلقد استطاع الوصول الى قمة السلطة السياسية فى العراق القديم ؛ وبعد فترة قصيرة من تسلمه الحكم ، استطاع أن يكون امبراطورية عظيمة ، امتدت حدودها من جبال طوروس شمالا ، وحتى الخليج العربى جنوبا ، ومن جبال زاجروس وعيلام شرقا ، وحتى البحر المتوسط غربا ، ومن

---

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٨ ، وكذا
W. Hinz, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 648.

(١٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-424.

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٨ ٠

ثم فقد حق له أن يقول — كما جاء فى أحد نصوصه — «والان أيا كان الملك الذى يدعى أنه نظير لى ، فليصل الى حيث وصلت أنا»[١٥] .

(٢) ريمـــوش :

استطاع ريموش — كما أشرنـــا من قبل — أن يقضى على التمرد السومرى الداخلى ، ثم يوجه عنايته الى أعدائه فى الخارج ، ومن ثم فقد اتجه الى اخضاع المناطق الشرقية ، فضرب «كازالو» وأسر حاكمها ، فضلا عن أعداد كبيرة من مقاتليها العصاة ، ثم أوقع الدمار بمدينة «در» ، وربما أعقب ذلك القيام بحملة الى عيلام حقق فيها نصرا مؤزرا ، وطبقا لوصف الحملة ، فان جيوش عيلام و «زاخارا» (دويلة صغـــيرة على حدود عيلام) قد اتحدت ضد ريموش ، وأن المعركة دارت بين الفريقين على نهر «كابيننوم» بين أوان وسوسة ، وقد كتب للعاهل الاكدى نصرا مبينا فى هذه المعركة ، وأحصت نصوصه حوالى ١٦ ألفـــا من القتلى ، ٤ آلاف من الاسرى ، فضلا عن كميـــات كبيرة من الذهب والنحـــاس والآنية المرمرية ، أهدى الملك جزءا منها الى معبد انليل فى نيبور ، وقد أدى هذا النصر الى استرداد أراضى «باراخشى» وتدمير بعض المدن العيلامية ، فضلا عن اخضاع عيلام ، ومن ثم فقد أطلقت نقوش ريموش عليه لقب «سيد عيلام»[١٦] .

وهناك ما يشير الى خضوع القسم الشمالى من السهل الميزوبوتامى لريموش ، فلقد كشف فى أشور عن رأس صولج[١٧] نقشت عليه عبارة «ريموش ملك العالم» ، كما نقشت نفس العبـــارة على رأس صولجان أخرى من أور ، هذا فضلا عن كسرة انـــاء من تل البراك نقشت عليها

---

(١٥) فوزى رشيد : الجيش والسلاح — كتاب حضارة العراق ٤٨/٢
وكذا J. Nougayrol, RA, XLV, 1951, P. 169 F.
وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 148.
(١٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٤ — ٢٧٥ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436-437.
W. Hinz, Op. Cit., P. 649.

عبارة «ريموش ملك الجميع ، الذى ذبح عيلام وباراخشى» وهكذا يمكن القول أن الرجل قد حافظ على أملاك أكد التى ورثها عن أبيه سرجون الاول ، ومن ثم فقد أعلن ، ما أعلنه أبوه من قبل ، من أنه أخضع للاله انليل البحر الاعلى والبحـر الادنى وكل النواحى الجبلية ، ثم أقـام النصب التذكارية فى معبد نيبور (١٧) .

(٣) مانيشتوسو :

مرت السنوات الاولى من عهد «مانيشتوسو» فى سلام . وهناك فى سوسة عاصمة عيلام ، معبد الالهـة محلية تدعى «ناروندى» عثر على تمثال صغير للملك «مانيشتوسو» نقش عليه «انسى هذه المدينة . وخادم ملك أكد ، اهداء لهذه المعبودة المحلية ، الامر الذى يشير الى خضوع عيلام لسيادة أكـد (١٨) .

غير أن الامور سرعان ما تتغير ، وتنشب الثورات فى عيلام وغيرها . حتى أن «مانيشتوسو» نفسه انما يقـول «كل البلاد التى تركها أبى سرجون قد ثارت ضدى» ، كما تشير قطع حجرية من لوحـة بـ لمتحف البريطانى الى هزيمته لاثنين وثلاثين ملكا على جانب البحر ، ومن ثم فان الملك الاكدى قد اضطر ــ ازاء هذه الاخطار ــ الى أن يقسم جيشه الى قسمين ، الواحد : اتجه الى الشرق ، حيث حارب بلدين متحالفين فى عيلام ــ هما أنشـان وشريخوم ــ وأن يحرز عليهمـا نصرا سبق بموجبه ملكهما ذليلا الى معبد اله الشمس فى سيبار ، ومعه هدايا ثمينة من الغنائم التى كسبها الملك الاكدى .

وأما القسم الثانى ، فقد اتجه الى محاربة اثنين وثلاثين ملكا على جانب البحر ، واستيلائه على المدن التى يحكمونها ، لتـأمين استغلال مناجم الفضة القريبة منه ، وربما اجتاحت أرض عيلام كذلك فى غارة

---

17) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437.
وكذا M. S. Drower, CAH, I, Part, 2, P. 332.
وكذا W. Hinz, Op. Cit., P. 649-650.
18) Ibid., P. 650.

مفاجئة ، وان كان هذا لا يعنى بالضرورة احتلالا وأستقرارا ، على أية حال ، وربما أن الامر لا يعــدو حملة سريعة ناجحة عــادت بالغنــائم والاسلاب ، وربما استهدفت توطيد السلطان أو الاشعار بالقوة[١٩] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد انتصر «مانيشتوسو» على هؤلاء الأعداء ، وأخضع مدنهم ، و قتل قوادهم ، واحتل بلادهم حتى «مناجم الفضة» ، وأرسل الاحجار من هذه المنطقة الى أكد ، حيث صنع منها تمثال له ، أقيم فى معبد انليل فى نيبور ، كما أرسل الاخشاب لبناء معبد فى سيبار ، وان كان أمر الاخشاب هنا قد يدعو الى افتراض أن نشاط «مانيشتوسو» الحربى ، ربما شمل الجــزء الشمالى من سورية ، التى أحضر منهــا الاخشاب ، وامتد حتى جبال طوروس ، حيث مناجم الفضة[٢٠] .

(٤) نارام ـ سن :

لا ريب فى أن «نارام ــ سن» انما كان أبرز أفراد الاسرة الاكدية ــ بعد جده سرجون ــ وقد أكد بمقدرته العسكرية والسياسية الوحدة الاقليمية للعراق ، اذ سيطر على الاقليم كله من الخليج العربى جنوبا . الى جبال أرمينيا شمالا ، هذا فضلا عن توسعــه الخارجى ، وتكوينه لامبراطورية بعيدة الاطراف ، سجل انتصاراته فى سبيل تأسيسها فى لوحة المشــهور باسم «نصــب النصر» ، الذى روى فيه أمــر حروبه وانتصاراته على القبائل الجبلية ــ سكان الجبال فى منحدرات زاجروس ــ وفى ماندا وعيلام ، وفى هضبة ايران[٢١] .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن المدن التابعة لأكد ، انمــا

---

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ ــ ١٤٠ ، وكذا
S. N. Kramer, Op. Cit., P 61-62.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437-438.

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 438.

(٢١) حسن ظاظا : المرجع الســابق ص ٣٥ ، نجيب ميخــائيل : المرجع السابق ص ١٤٠ .

قامت — كالعادة — بالثورة ، كلمـا جلس على عرش أكد ملك جديد — شأنها فى ذلك شأن الولايات الاسيوية من الامبراطورية المصرية التى كانت تجد فى تولية فرعون جديد فرصة للثورة ضد السيادة المصرية . بغية أن تنال استقلالها ، فان نجحت فهذا ما تريد ، وان كانت الاخرى فلن يكون الامر بالنسبة اليها أسوأ مما كان — وهكذا ثارت المدن التابعة لأكد فى الغرب والشمال والشرق ، وقد تزعمت مدينة «كيش» حلفا من عشرين ، وربما سـبعة عشر حاكما ، امتدت مناطقهم من الاناضول فى أقصى الشمال الغربى ، الى مجان على الشاطىء الغربى للخليج العربى . الامر الذى قد يشير الى أن التمرد انما قد شمل كل الارضين الواقعة غربى الفرات[٢٢] .

.. وهناك نص يرجع الى بداية الالف الثانية قبل الميلاد ، يشير الى حملة للملك «نارام — سن» فى الشمال الغربى من السهل الميزوبوتامى ، بلغ توغلها حتى جبل الامانوس ، بل ان هناك عبارة فى النص تشير الى أن «نارام — سـن» انما قهـر المنطقة من ضـفة الفـرات ، وحتى «أوليسوم» ، وأن «داجان» قد أخضع له شعوب هذه المنطقة ، ومن ثم فقد أصبح عليها تأدية الخدمة لمعبوده «أبـا» ، كما قهر الامانوس — جبل أخشاب الارز — وأسر «ريش — أدد» ملك أرمان[٢٣] .

واذا كان ما ذهب اليه البعض صحيحا ، من أن «أوليسـوم» هذه انما تقع على ساحل لبنان ، على مقربة من مدينة صور[٢٤] ، فان هذا يعنى أن «نارام — سن» انما قد مد حدود دولة أكد الى مناطق جديدة لم يصل اليها أحد من أسلافه قبل ذلك ، وربما يزيد الامر وضوحا ما

---

(٢٢) محمد بيومى مهران : مصر ٣/٢٠٤ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٢٣) أنظـر
A. L Oppenheim, ANET, P. 268.
J Bottero, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 325-326.

(24) J. Bottero, Op. Cit., P. 327.
وكذا
C. J Gadd, Op. Cit, P. 442.

ذهب اليــه نص من العصر البــابلى الكلدانى يعرف باسم «أخبــار سرجون»[٢٥] أنه استولى على مدينة «أبيشال» ، والتى يؤكد البعض أنها فى الشمال السورى ، فى مجاورات «أرمانوم» ، وهو رأى قد يبدو مقبولا ، اذ يرجح أن «ريش — أدد» هو ملك أرمانوم وأبيشال بمعنى أن المدينتين انما كانتا متجاورتين وتتبعان ملكا واحدا ، وربما امتد نفوذ «نارام — سن» الى قبادوشيا ، ذلك لان هناك أسطورة تذهب الى أن «بورش خاندا» انما كانت من أملاكه[٢٦] ، وهنا يمكن القول أن النفوذ الاكدى انما يكاد يصطدم بالنفوذ المصرى فى موانى الشام ، لولا أن مصر قصرت نفوذها حينذاك على مجالات الثقافة والحضارة ، دون السيطرة والغلبــة[٢٧] .

هذا وتؤكد البقايا الاثرية فى شمال العراق خضوع هذا الشمال للملك «نارام — سن» ؛ فقد عثر له على لوح حجرى قرب «ديار بكر» ، كما كشف عند «تل البراك» عن بقايا بناء كبير من الاجر ، طبع عليه اسم مشيده «نارام — سن» ، وفى معبد عشتــار فى نينوى عثر على لوح حجرى سجل عليه نص للملك «نارام — سن» هذا فضلا عن قصر قديم فى أشور ينسب الى «نارام — سن»[٢٨] .

وتشير «لوحة نصر نارام سن» — وقد عثر عليها فى سوسة عاصمة عيلام . وتوجد الان بمتحف اللوفر فى باريس — الى انتصــاره على القبائل الجبلية فى شمال شرق أرض أكد ، وخاصة قبــائل «اللولوبى»

---

(٢٥) أنظر :

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-425.

وكذا A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 266.

26) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 442.

وكذا J. Bottero, Op. Cit., P. 326-327

A. L. Oppenheim, The Sargon Charonicle, in ANET, 1966, P. 266

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٠ .

28) H. Lewy, Op. Cit., P. 733-734.

وكذا S. M. Drower, Op. Cit., P. 331.

وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443.

و «الجوتيوم» ، كما يشير نقش منحـوت فى الصخر فى ممـر «دربند جاوور» بناحية «قرة داغ» فى المنطقة الجبلية : فيمـا بين السليمانية وكركوك ، الى انتصاره هناك على «لولوبى» فى منطقتهم نفسها ؛ ويرجح البعض قيام «نارام سن» بحملة أخرى ضد مناطق اللولوبى ؛ غير أنها باءت بالفشل ، وطبقا لنقش «زهاب» شرقى نهر ديالى ، فان ملك لولوبى «آنو — بانينى» انما قد أحرز انتصارا ساحقا على قوات ملك أكد[٢٩] .

على أن العلاقات بين «نارام — سن» وعيلام — فيما يبدو — كانت ودية ، وأن هناك معاهدة عقدت بين ملك «أوان» العيلامى و «نارام — سن» ، وتؤكد على لسان الملك العيلامى — والذى كان تابعا لملك أكد — «أن عدو نارام — سن هو عدوى ، وصديق نارام — سن هو صديقى» الامر الذى يشير الى أن الملك الاكدى انما أراد من المعاهدة أن يجعل من عيلام سندا له فى حروبه — وخاصة ضد قبائل لولوبى وجوتيوم ؛ المجاورة لعيلام من ناحية الشمال — ومن ثم فقد رأينا «نارام — سن» يبعث برسول له الى سوسة ؛ محملا بالهدايا ؛ ويطلب من ملك عيلام ، أرسال بعض القوات لملك أكد ، وتشير المعاهـدة الى زواج «نارام — سن» من ابنة ملك عيلام ، وأنه قد أنجب منها ولدا ، وأن ملك عيلام انما أراد أن يكون هذا الطفل خليفته على عرش عيلام ، ولعل من نتائج هذه العلاقات الودية بين العرشين الاكدى والعيلامى ؛ ما أقـامه الملك الاكدى فى سوسة من أبنية نقش عليها اسـمه ، فضلا عن اهدائه لها بعض تماثيله ونصبه التذكارى[٣٠] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك اتجاها غريبا ، بعيدا عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخى ، وقد اعتمد على ما سجلـه الملك

---

(٢٩) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443-444.
J. Pritchard, Op. Cit., P. 285.

(30) W. Hinz, Op. Cit., P. 650-652.
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444-445

«نارام ـــ سن» من أنه قبض بنفسه على «مانو ـــ دانو» ملك «ماجان» أو «مجان» ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مجان انما هى «مصر» ، وأن «مانو» انما هو تحريف لاسم «منى» (مينا) ، أول ملوك الاسرة الاولى المصرية ، حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م[٣١] ٠

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن مصر انما كانت متصلة اتصالا وثيقا ببلاد سومر فى عصـــور فجـــر الاسرات وعصر الاسرة الاولى ، فاذا حدث هذا فى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، فلماذا لا يحدث مثيلا له فى حوالى عـــام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد عززوا رأيهم هذا بما حدث على الحدود المصرية الشمالية ، على أيام الملك «ببى» الاول ، من الاسرة السادسة ، من نشاط معاد لمصر من العناصر المجاورة ، وأن الملك المصرى قد كلف قائده «ونى» بالتعبئة العامة فى كل المناطق ، وأنه جمع جيشا لم تر مصر له مثيلا ، اذ تدفقت الفرق من كل ركن من أركان مصر ، وتم تدريبها وخرجت لملاقاة العدو عند الحدود الشمالية الشرقية وسحقته[٣٢]

غير أننا نلاحظ أن «ونى» ، رغم أنه يشير الى انتصاره الساحق ، والى ذبحه لعشرات الالاف من رجال عدوه ، ثم عودة جيشه منتصرا ، ومعه الكثير من الاسرى، الا أنه سرعان ما يضطر الى القيام بأربع حملات ـــ منها واحدة كانت برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين فكى الكماشة ـــ وقد كتب له فيها نجحا بعيد المدى فى تاديب العصـــاة من سكان الرمال . هذا ويحدثنا «ونى» كذلك عن تمرد عند «أنف الرئم» ـــ وهو اقليم يظن أنه جبل الكرمل ـــ وقد عاد بجيوشـــه الى ما وراء منطقة التلال ، حتى شمال أرض سكان الرمال ، بينما كان نصف الجيش

---

31) A. H. Sayce, Menes and Naram-Sin, in JEA, 6, 1920, P. 296.
وكذا S. Langdon, JEA, 7, 1921, P. 121 F.
وكذا W. Albright, JEA, 6, 1920, P. 89 F.

(٣٢) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ـ من كتاب حضارة مصر والشرق القديم ص ٢٩٠

يقترب على الطريق الصحراوى ، وقد عول «ونى» على القضاء على كل المتمردين[٣٣] .

وعلى أية حال ، فان مصر ، فيما يبدو ، انما كان عليها أن تجابه صعوبات من ناحية الشمال الشرقى ، أكثر من تلك التى تأتيها من ناحية الجنوب . ولكن من هو ذلك العدو ، الذى سبب المتاعب لمصر من ناحية الحدود الشرقية ؟ والذى أشير اليه باصطلاح «حريو شع» أو «عامو حر يوشع» ، ومعناه الحرفى «أولئك الذين فوق الرمال» . ان ذلك العدو، فيما يرى جاردنر ، لا يمكن أن يعنى فقط أولئك الذين أضربهم شظف العيش فى شبه جزيرة سيناء ، ذلك لأن رد مثل هؤلاء لا يتطلب جيشا من الآلاف ، وما لم نغفل أمر التين والعنب ، ونعتبرهما كمجرد خيال . فان جزءا معينا من جنوب فلسطين ، كان من غير شك داخلا فى نطاق العملية ، وربما كانت أكثر التخمينات قابلية للتصديق . وهى أن ما وصف بعبارة لطيفة ، كانما هو عصيان وتمرد ، كان يتضمن فى الواقع أول موجة من الضغط الاسيوى ، الذى أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة عام ، وكان تهديدا دائما لها طوال تاريخها[٣٤] .

ويذهب أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر — طيب الله ثراه — الى أنه من الغريب أن اسم «ماجان» (مجان) انما هو الاسم الذى كان يطلق على مصر فى جميع النصوص البابلية المتأخرة . غير أن غزو «نارام — سن» لمصر — على أساس أنه غزا مجان ، وأسر ملكها «مانو — دانو» ، وأن مجان هى مصر ، وان مانو — دانو ، هو الملك «مينى» (مينا) — انما يفتقر الى اسانيد تثبيته من جانب المصريين أنفسهم[٣٥] .

هذا فضلا عن أن «فريتز هومل» ، انما يذهب الى أن كلمة «مجان» التى جاءت فى نقش «نارام — سن» انما هو تحريف لاسم اقليم

33) A H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 96
34) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 97.
(٣٥) عبد المنعم أبو بكر : كفاحنا ضد الغزاة ص ٢٠ — ٢١ .

«معين» فى اليمن[٣٦] ، وأما «هوجو فنكلر» فالرأى عنده أن مجان انما تقع فى الاقســـام الشرقية من شــبه الجزيرة العربيـــة[٣٧] ، على أن «أوليرى» يرى أنها «جرهـــا» (الجرعاء) على ساحل الاحســـاء[٣٨] ، ويذهب «تشيرمان» الى أنها تقع على مقربة من الخليج العربى فى موضع «مجيمنة» جنوب «يبرين»[٣٩] ، وأما «جـــون فلبى» فالرأى عنده انها على مقربة من الساحل عند وادى شهبة ، وهى البقعة التى نشأت فيها دولة مجان القديمة[٤٠] .

هذا ويذهب «كيتانى» الى أنها «مدين» وقد كانت فى الالف الخامسة قبل الميلاد كثيفة الاشجار ، كما كان البابليون يأخذون منهـــا الذهب والنحاس والاخشب ، ويعارض «ألويس موسل» هذا الاتجاه ، محددا موضع مجان على ساحل الخليج العربى[٤١] ، على أن هناك من يذهب الى أنها منطقة عمان أى الطرف الجنوبى الشرقى من شــبه الجزيرة العربيـــة[٤٢] .

على أن هناك فريقا من الباحثين انما يحدد موقع مجان بخط طول ٥٥ شرقا ، وخط عرض ٢٤ شمالا ، وبحوالى ٧٢٠ كيلا الى الشـــمال الغربى من «مسقط» ، وان كلمة «مجان» انما تتكون من الكلمة السومرية (ma) بمعنى ميناء أو أرض الســـفن ، وذلك لشهرة أهلها فى ركـــوب

---

36) J. Vercoutter, Op. Cit., P. 126.
وكذا A. Grohman, Arabien, Munchen, 1963, P. 21.
وكذا L. W. King, Studies in Eastern History, I, P. 15.
H. Fleisch, Introdpction a Etude des Lengues Semitiques, Paris, 1947, P. 90.
37) E. Schrader, Die Keilschriften und des Alte Testament, P. 15 F.
38) De Lacy D. D. O'Leary, Arabia before Muhammad, London, 1927, P. 47.
39) Major R E. Cheesman, in Unknown Arabia, London. 1925, P. 266
40) J. B. Philly, The Quarter, New York, 1933, P. 119 F.
41) A. Musil, The Northern Nejd, New York, 1928, P. 307.
42) W. F. Leemans, Foreign Trade in The Old Babylonian Period London, 1960, P. 12.

السفن ، فضلا عن أن هناك نصا من عهد الملك «دونجي» (أحـد ملوك أور حوالى عام ٢٤٥٠ ق٠م) يحدثنا عن صناع السفن فى مجان ، وأن النصوص السومرية قد وصفتها بأنها «جبل النحاس» ، تدفعنا الى أن ندخل فى دائرتها منطقة الجبل الاخضر فى عمان ، حيث يوجد النحاس ، وهكذا يبدو واضحا أن لدينا من القرائن القوية ، ما يقربنا من وضـع «مجان» كمرادف «العمان» ، لأن كل ما ذكر آنفا ، انما هو موجود فى عمـان(٤٣) ٠

وهكذا يبدو واضحا أن «مجان» التى غزاها «نارام ــ سن» ما كانت أبدا ، ولن تكون هى «مصر» ، وانما هى «عمان» الحالية ، أو على الاقل هى فى منطقة شرق شبه الجزيرة العربية(٤٤) ٠

هذا فضلا عن الملك «منى» (مينـا) لم يذكر فى وثيقـة معاصرة معروفة ، على أنه هو الملك الذى أسس الاسرة الاولى المصرية (حوالى عام ٣٢٠٠ ق٠م) ، الا بعد انقضاء عهد الاسرة الاولى ، بنحـو ألف وخمسمائة عام ، حين أوردته قائمة أبيدوس من عهد الملك «سيتى الاول» (١٣٠٩ ــ ١٢٩١ ق٠م) من الاسرة التاسعة عشرة ، فضلا عن بردية تورين ، التى ترجع الى أيام الملك «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ ــ ١٢٢٤ ق٠م) ــ الا اذا افترضنـا أن قائمة «حجـر بالرمـو» (من الاسرة الخامسة) قد تضمنت اسمه ، فيما فقدته من أجزائها ــ كما يرجح سير ألن جاردنر ــ الذى يرى أن الصف الثانى منها انما يبدأ دون شك بالملك مينا ، وان كانت الناحية التى ذكر بها مفقودة(٤٥) ٠

ومع ذلك ، وحتى لو افترضنا صحة ما استنتجه جاردنر ، وأن اسم

---

(٤٣) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٢ ــ ١٣٣ ٠

(٤٤) أنظر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢١٦ ــ ٢١٨ ، مصر ــ الجزء الثانى ــ ص ٢٣٧ ــ ٢٣٩ ٠

45) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 408.

الملك مينا جاء على قائمة «حجر بالرمو» ، بل حتى لو افترضنا ان اسم الملك مينا جاء على وثيقة معاصرة له ، فان الملك مينا قد أسس الاسرة الأولى حوالى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وأن الملك «نارام — سن» — الذى يزعم الزاعمون أنه غزا مصر (مجان) وأسر ملكها مينا (مانو — دانو) انما قد حكم فى الفترة (٢٢٩١ — ٢٢٥٥ ق٠م) ٠ أى أنه حكم بعد عهد الملك مينا بحوالى تسعة قرون ، وأن عهده ربما يعاصر عهد الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر ٠

وعلى أية حال ، فان «نارام — سن» انما قد بذل جهدا كبيرا فى الحفاظ على امبراطوريته الاكدية وأنه قام بمجهود حربى فى جميع الجهات المجاورة لوطنه ، كلل بالنجاح ، ومن ثم فقد استحق أن يلقب نفسه بلقب جديد ، هو «ملك الجهات الاربع»[٤٦] (للعالم) ، مما يعبر عن سيطرته على كل ما حوله من أرضين ، وهو لقب قد أعاده مرة أخرى ملوك أسرة أور الثالثة ، منذ عهد الملك «شولجى» (٢٠٩٥ — ٢٠٤٨ ق٠م)[٤٧] ٠

(٥) شاركالى شارى :

خلف «شاركالى شارى» أباه «نارام — سن» على امبراطورية واسعة ٠ غير أن شعوب هذه الامبراطورية التى اندمجت قسرا تحت لواء واحد ، أخذت تبحث عن حريتها ، فقامت ثورات التحرير فى كل مناطق الامبراطورية ، وزاد على ذلك ظهور قوة جديدة تتمثل فى خصم شديد المراس ، هو قبائل «الجوتى» التى تسكن الجبال الشمالية الشرقية[٤٨] ، هذا فضلا عن أن عيلام انما كانت قد تحررت من سيادة أكد وانتهت

---

(٤٦) انظر

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, P. 326.
C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, P. 441-445.
W. W. Hallo and W. K. Simpsen, Op. Cit., P. 60.

47) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

(٤٨) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ص ٢٩٠ ٠

تبعيتها لها ، وارتباطها بها بمقتضى المعاهدة التى عقدها «نارام ـــ سن»، وزاد الطين بله أن الملك الجديد ، فيما يرى المؤرخون ، انما كان ضعيفا ، أو على الاقـل ، لم يكن فى قوة أبيـــه ، حتى أنه تخلى عن لقب «ملك الجهات الاربع» الذى ابتدعه أبوه «نارام ـــ ســـن» ، واكتفى باللقب الاكثر تواضعا «ملك أكد»(٤٩) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت الاضطرابات ، حين قامت جيوش عيلام وزاخار بغزو أرض بابل ، وسرعان ما احتل الغزاة مدينة أكشاك ، وان نجح «شاركالى شارى» فى احباط الغزو ، واجبار المعتدين على العودة الى بلادهم ، غير أن هذا العدوان ـــ رغم فشله ـــ فانما يمثل فى حد ذاته استخفافا بقوة أكد التى آلت الى التدهـــور ، الامر الذى شجع العيلاميين على مهاجمة ملك أكد فى أرض بابل نفسهـــا(٥٠) ، فضلا عن الالقاب التى أسبغها ملك عيلام على نفســـه ، عندما انتحل لقب «ملك أوان القوى» ، ثم لقب «ملك الجهات الاربع» الذى زعم ان الاله «ابن شوشينال» قد منحه اياه(٥١) .

وهناك ما يشير الى أن «أكد» انما قد تعرضت لغزو آمـــورى فى العام التالى للغزو العيلامى ، عند «باصـــار» ـــ وهو اسم مكان يضم مجموعة من التلال فى الصحراء السورية العربية ، وتسمى الان «جبل بشرى» وتقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ فى الفـــرات ، فى غرب دير الروز الحالية(٥٢) ـــ ويرجح الباحثون أن الملك الاكدى ، رغم

---

49) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

وكذا

J. Bottero, The Near East, The Early Civilization, London, 1967, P. 109.

W. Hinz, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 653.

(٥٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ ـــ ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

51) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

W Hinz, Op. Cit., P. 653: وكذا

(٥٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ ، وكذا

J. Bottero, Op. Cit., P. 327.

أنه قد انتصر على الاموريين ، غير أن نصره لم يكن أكثر من نصر دفاعى ، فليس هناك ما يشير الى متابعة الغـزاة الى مناطق أبعد فى الشـمال الغربى ، وانما كان كل همه صد هذا الخطر السامى الامورى ، الذى أراد الافادة من ضعف الدولة الاكدية ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامى لتحقيق حياة أفضل (٥٣) •

وهنـاك ما يشير الى أن الملك «شاركالى شارى» قد وجه حملة ضد الجوتيين (جوتيوم) ، وأنه قد أسر ملكهم «أسر سارلاك» (٥٤) ، غير أنه من المعروف أن هذه القبائل الجبلية هى التى أنهت حكم أسرة أكد ، ثم حكمت البلاد فى أعقابها •

---

(٥٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤

54) C. J. Gadd, The Last Kings of Agade and The Gutian Supremacy, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455

الباب الرابع

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

الفصل الأول

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام أسرة أور الثالثة

(١) الجوتيون (٢٢٣٠ ـ ٢١٢٠ ق٠م)

لا ريب فى أن معلوماتنا عن الجوتيين هؤلاء انما هى جـد قليلة . فالتاريخ لا يعرف عنهم سـوى أنهم من أهل الجبال ، وربما كانوا من أهل الجبال الشرقية أو الشمـالية الشرقية ، وقد نسـبوا الى اقليم «شهرزور» الذى ارتبط فيما بعد باسم «اللولوبيين» ، أو هم من القبائل الهمجية التى كانت تستـوطن أواسط زاجروس فى منطقة همدان . كما أن ملعوماتنا عن حكم الجوتيين انما هو جد قليل أيضا . وطبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومريين ، فقد دام حكمهم أكثـر من قرن من الزمان (حوالى ٢٢٣٠ — ٢١٢٠ ق٠م) ، وأن عـدد ملوكهم قد بلغ واحـدا وعشرين ملكا ، وقد أطلق أحدهم ، وهو «أريدو بيزير» على نفسه . لقب «ملك الجهات الاربع»[١] .

وعلى أية حال ، فالذى لا شك فيه أن فترة حكم الجوتيين (الكوتيين) انما تمثل من وجهة النظر التاريخية أولى الفترات المظلمة فى تاريخ وادى الرافدين ، فهى فتـرة تتميز بندرة واضحة فى الكتابات التـاريخية ، وبغموض يكتنف الاوضاع السياسية ، هذا فضلا عن أنها من الفترات التى توقفت فيها عجلة التقدم الحضارى فى كافة المجالات تقريبا[٢] .

ومع هذا الغموض والظلام الذى يكتنف هذه المرحلة . نستطيع أن نلمح بعض المدن وقد أفاقت من هول الضربة ، واستطاعت أن تطـور الامور فى الداخل ، وربما رضيت بدفع الضرائب الثقيلة للتفرغ لشئونها .

---

(١) فاضـل عبد الواحـد : العـراق فى التـاريخ ص ٧٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا
CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998-999.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444.

(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨٧ .

ومثالنا على ذلك ، مدينة «أومـا» التى استمتعت فى عهد الايشـاكو «لوجال أنادو» بهدوء استغرق خمسة وثلاثين عاما[٣] .

هذا وتصف النصوص السومرية الجوتيين هؤلاء ، بأنهم «الشعب الذى لا يخضع ، والارض التى ليس لأهلها عدد من كثرتهم ، جوتيوم ، الارض التى لا تطيق أى حكم عليها ، والتى لقومها فهم الانسان ، وأما شكلهم وتهتهة ألسنتهم فمثل الكلب» .

ثم تصف حكمهم السىء ، وما ألحقه بأهل البلاد من أذى ، بأنهم «وحوش الجبال ، الذين رفعوا أذرعهم ضد الالهة ، ونقلوا ملكية سومر الى أرضين أجنبيـة ، وملأوا أرض سـومر بالعـداوة ، الذين فتكوا بالسكان ، واغتصبوا النساء من أزواجهم ، وسلبوا الاطفال من أمهاتهم ، وعملوا على فساد الحكم»[٤] .

وعلى أية حال ، فان الجوتيين — فيمـا يبدو — لم يستطيعوا أن يسيطروا على البلاد سيطـرة كاملة ، وأن مركز حكمهم انمـا كان فى الشمال — فى آرانجا — مكان كركوك الحالية — وأن سيطرتهم انما قد تركزت فى المدن الاكديـة ، ولم يستطيعوا أن يبسطوا سلطـانهم على الجنوب ، فكان من أثر ذلك أن أكتفوا بالجزية يتسلمونها ، تاركين تسيير دفة الامور للحكام المحليين ، ومن ثم فقد بقيت المدن السومرية تتمتع بشىء من الحرية السياسية والتجارية ، الامر الذى أدى الى تطور كبير فى كثير من مدائن الجنوب ، كان على رأسها لجش ، ثم الوركاء[٥] .

ومع توالى الزمن ، خفت حدة الجوتيين وخشونتهم رويدا رويدا ،

---

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٤٩ .

(٤) عبد العزيز صـالح : المرجـع السـابق ص ٤٢٥ ، عبد المنعم ابو بكر : المرجع السابق ص ٢٩١ وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 325.

5) W. Hinz, Op. Cit., P. 654.
وكذا J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

ولما كانت حالتهم الحضارية أضعف من السومريين والاكاديين . فانهم ــ حسب ســنة تتكرر فى تاريخ البشر ــ قد خضعوا لحضارة الامــة المغلوبة على أمرها ، وأخذوها حضارة لهم(٦) ، وهكذا بدأوا منذ النصف الثانى من حكمهم يحملون الاسماء السامية ، ويكتبون بالغــة الاكدية والخط المسمــارى ، ويتعبدون ــ الى جــانب أربــابهم ــ الى بعض المعبودات السامية كعشتار وسين(٧) .

(٢) أسرة لجش الثــانية (٢٢٣٠ ــ ٢١١٣ ق٠م)

عاصرت أسرة لجش الثانية هذه ، أخريات عصر الجوتيين . وقد حقق حكامها الوطنيون كيانا مستقلا لمدينتهم ، كما تدل على ذلك صيغ تأريخ وثائق معاملات لجش ، التى أصبحت أعوام تسجيلها تعرف بالاحتفالات الدينية التى يقوم بها حاكم لجش(٨) .

غير أن استعمال حكام لجش للقب «ايشاج» ، وعــدم ذكر لقب «ملك» ، مما يوحى بلون من ألــوان التبعية ، وبأن لجش لم تمــارس استقلالا فعليا ، وقد يدعم هذا الاتجاه أن اللوحات التجارية لا تشير الى أية أحداث حربية ، حتى عهد جوديا ، وربما مارست لجش لونا من الاستقلال الذاتى النسبى ، ورضيت أن تبقى فى داخل حدودها لا تفكر فى توسع أو أعتداء ، وانما تسعى الى تطوير شئونها الداخلية ، وزيادة مواردهــا(٩) .

هذا لم يرد ذكــر «أسرة لجش الثــانية» هذه فى قــائمة الملوك السومرية ، أسوة بأسرة لجش الاولى ، على أن دورها البارز انما يبدأ فى الظهور منذ عهد حاكمها «أور ــ بابا» Baba ــ wr ، الذى كان

(٦) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ ٠

7) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.

وكذا J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459.

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٢ ٠

له من الاستقلال والثروة ما مكنه من أن يشق قنوات الرى ، وأن يقيم المعابد والمحاريب للمعبودات — ننجرسو وننخور ســاج وانانا وانكى وغيرها من معبودات لجش — كما يشير الى ذلك نص على تمثال صغير لأور — بابا فى معبد ننجرسو[١٠] ، هذا فضلا عن أن ابنة «أور — بابا» انما كانت كبرى كاهنات «نانا» (تنار) اله القمر ومعبود أور ، الامر الذى قد يشير أن للرجل نفوذا ، من نوع ما فى مدينة أور[١١] .

وجاء بعد «أور — بابا» صهره «جوديا» (Gudea) ، أشهر حكام أسرة لجش الثانية قاطبة ، وقد كشفت الحفريات عن عدة تماثيل حجرية لجوديا ، وقد نقش على بعضها نصوص مسمارية وهى الان تزين كثيرا من المتاحف العالمية ، كالمتحف العراقى فى بغداد ، والمتحف البريطانى فى لندن ، ومتحف اللوفر فى باريس ، وقد خصصت بقسم الاثار الشرقية بمتحف اللوفر ، قاعة عرضت فيها تماثيل جوديا ، واسطوانتاه الكتابيتان الضخمة[١٢] ، ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن تماثيل جوديا ، انما قد أخذت بالاسلوب الواقعى الذى بدأ نضوجه من قبل فى العصر الاكدى ، وعبرت بخطوطهــا المرنة عن الطابع الســومرى ذى الرأس العريض . وغلبت على ملامح صاحبها وهيئاته روح التقــوى والتواضع الكريم ، ويبدو أن اعتبار أهل عصره نكبة الجوتيين على أرضهم غضبا من الارباب، كان أثره فى تغليب روح التقوى هذه فى حياتهم ابان سعيهم للتخلص من غــزاتهم[١٣] .

هذا وقد عثر لجوديا على اعداد كبيرة من مخاريط طينية وكتابات

---

10) J. Bottero, Op. Cit., U. 124.
وكذا S. N. Kramer, The Sumerians, P. 326-327.
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 458.
11) W. W. Hallo and W. K. Simpsen, Op. Cit., P. 68.
وكذا
12) H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient. 1970, P. 94-97.
(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٧ .

مطوله على أسطوانات ، دونت بأسلوب أدبى رفيع : وهى تتحدث عن أعماله المعمارية ، وجهوده فى بناء وصيانة ما لا يقل عن خمسين معبدا من معابد الالهة ، أبرزها ، دونما ريب ، معبد «أى — نـ ـو» (معبد الخمسين) الخاص بالمعبود «ننجرســو» (نين جرســو) اله مدينــة لجش[١٤] .

هذا وقــد كرس جوديا لبنــاء معبد لجــش الرئيسى . وتزويده باحتياجاته اللازمة ، كثيرا من الجهد والثروة ، وطبقا لأحد نصوصه . أنه أحضر الاخشاب من ماجان وملوخا فى الجنــوب ، ومن جبل الارز (جبل أمانوس) فى الشمال ، ونقلها عن طريق الفرات ، مع التيار . وأنه أحضر الاحجار الضخمة من مناطق لم يطرقها أحد من قبل : كما نقلت القوارب كميات ضخمة من القــار والجبص من مجاورات كركــوك . والنحاس من جبال زاجروس ، وأحجار المرمر والاحجــار الملونة من سورية ، وتراب الذهب من أرمينيا . وليست هناك أية اشارة الى أن «جوديا» كان له نفوذ فى تلك الجهات : الامر الذى يدل على أنه جاءته عن طريق التجارة[١٥] .

هذاو ليست هناك أية اشارة الى أن «جوديــا» قد خاض حروبا . باستثناء نقش يشير الى أنه «ضرب أنشــان وعيلام بالاسلحة»[١٦] . الامر الذى ساعده على استخدام الصناع من سوسة وعيلام . هذا فضلا عن الاشارة الى الحــرية فى التصرف الحربى . وان كــانت لا تعنى توسعا ، وربما كانت غارة مفاجئة : أو حملــة تأديبية ، قامت على اثر اعتداء على رجاله المسالمين ، وهو أمر لا يمكن الجزم به على أية حال .

---

14) J. Bottero, Op. Cit., P. 206.
وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 66-67.
15) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459-460.
وكذا A. L. Oppenheim, ANET, P. 268-269.
16) W Hinz, Op Cit., P. 654.

ومن ثم فيمكن القول أن جهود «جوديا» انما تشير الى توسع تجارى ، ولكنها لا تقوم دليلا على أى توسع حربى أو سياسى[١٧] .

هذا وقد تمتعت لجش على أيام جوديا بعصر من الرخاء والخـير الوفير ، وقد عنى جوديا بشق القنوات ، حتى أطلق على واحـدة منها اسم العام الجديد ، وهى قنـاة كان الغرض منها توفير المـاء فى لجش ومقاطعـاتها ، وقد نسبت هذه القنـاة الى رب لجش ، وسميت «نين جـرسو» (ننجـرسو) — أو «شومجـال» Ningirsou - Oushoumgal ولابد أنه جوديا أبقى القنوات التى كانت موجـودة قبل عصره فى حالة صالحة للملاحة ، ذلك لأن نقل مواد البناء ، من أخشاب وأحجار ومعادن، انما كان يتم عن طريق الماء ، وأن انزالها الى البر انما كان يتطلب اقامة رصيف على مقربة من احدى بوابات المدينة[١٨] .

وأما وفرة المحاصيل ، فتتضح من قوائم القرابين التى ذكرها جوديا وازديادها ، وهو يشير مثـلا فى يوم العام الجديد ، فى عيد «بـاو» — زوجة المعبود ننجرسو — بعد اعادة بناء المعبد ، الى اضافة زيادات جديدة على هبـات الزواج التى كانت من حقهـا ، وقد شملت هـذه الاضافات عددا من الثيران والماشية والحملان وسـلال البلح وأوانى الزبد والتين والكعك والطيور والاسماك والأخشاب الثمينة وغيرها ، هذا فضلا عن هبة خاصة من الملابس والصوف لها ، الى جـانب حيوانات تضحية للمعبودين «ننجرسو» و «نينا» ولاشك فى أن مثل هذه الهبات انما تعنى وفرة فى الانتاج ، وزيادة فى الموارد ، تسهم فى نصيبها منها المعبودات ، كما يستمتع بها الناس ، ومع ذلك ، فيبدو أن هذا لم يتم على حساب الشعب ، فقد كان «جوديا» يحرص على تطبيق القـانون والنظام والعدالة وحماية الضعيف[١٩] .

---

(١٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.
(١٨) ل. ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ص ١٢٨ .
(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٨ — ١٥٩ .

وجاء على عرش لجش بعد «جــوديا» ولده «أور ــ ننجرســو» (Ur-Ningirsu) ، الذى كشفت حفــائر لجــش عن بعــض تماثيــل له وجدت مع تماثيل أبيه ؛ وهى تماثيل صغيرة ممتعة تشبه تماثيل أبيه . صوره بعضها حليق الشارب واللحية ، على عادة الكهان . بينما صوره بعضها الاخر بشعر طويل ولحية ؛ وقد استغل الفنان بعض قواعد هذه التماثيل لنقش صــور عــدد من المتعبدين يقدمــون قرابينهم . وهم جثاة[٢٠] .

وجاء بعد «أور ننجرسو» ولده «أوجمى» (Ugme) ؛ ثم خلفه «أورجار» (Urgar) ، ثم «ناماخنى» (Nammakhni) ، آخر ملوك الاسرة ، والذى ربما كان معاصرا الملك الوركــاء «أوتوخيجال» (أسرة الوركاء الخامسة) و «أور ــ نامو» مؤسس أسرة أور الثالثة[٢١] .

(٣) أسرة الوركــاء الخامســة (٢١٢٠ ــ ٢١١٣ ق٠م)

عاصرت أسرة لجش الثانية فى نهضتها كل من الوركاء وأور . ووقع عبء الكفاح المسلح ضد الغزاة الجوتيين على أكتاف الوركاء (أوروك) . واستحقت بذلك نوعا من اعتراف أغلب المــدن السومرية . فلقد تزعم حرب التحرير ضد الجوتيين ملك الوركاء «أوتو خيجال» (Utukhegal) . وقد كتب له نجحا بعيد المدى فى هزيمة قبــائل الجوتيوم . وتخليص البلاد من شرورهم ، وطبقا لقائمه الملوك السومرية . فهو الملك الوحيد فى أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ ــ ٢١١٣ ق٠م)[٢٢] .

هذا وقد ترك «أوتو خيجال» (أوتو خيكال) نصــا تاريخيا فريدا باللغة السومرية ، نسخ على لوح كتابى يؤرخ ببداية الالف الثانية قبل

---

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ .

(21) S N. Kramer, Op. Cit., P. 67.
وكذا CAH, I, Part, 2, P. 998.

(٢٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٥٠ ــ ٢٥١ وكذا
CAH. I, Part, 2, P. 998.

الميلاد[٢٣] . يتحدث فيه عن قصة الانتصار العظيم الذى حققــه على أعدائه . وكيف أنه استطاع الحاق هزيمة ساحقة بجيوش الملك الجوتى «تريجن» الذى فر من أرض المعركة ، وكيف أن المواطنين قد طاردوا الملك المهزوم حتى قبضوا عليه ، ثم جاءوا به ليركــع عند قدمى الملك السومرى «أوتو خيجال» .

وهناك ما يشير الى أن انتصار «أوتو خيجال» انما قد اقترن بحدوث كسوف للقمر فى البلاد ، وأن هذا الكسوف انما قد حدث فى اليوم الرابع عشر من شهر تموز (يوليو) ، ومن ثم فقد اتخذ المنجمون والعرافون من هذا اليوم فألا دونوه فى كتب العرافة ، حيث يقول الفأل «اذا خسف القمر فى اليوم الرابع عشر من شهر تمــوز ، فهو نذير للملك الجوتى ، سوف يسقط الجوتيون فى المعركة ، وتتحرر البلاد» .

ونقرأ فى نص أوتوخيجــال «فوض الاله انليل ملك البلاد ، الرجل العظيم أوتو خيجال (أوتو حيكال) ملك الوركاء ، ملك جهــات العالم الاربع ، الملك الذى لا يخالفه أحــد ، أمره (انليل) أن يحطم اســم الجوتى (الكوتى) ، أفعى وعقرب الجبال الذى رفع يده ضد الالهة ، الذى نقل ملكية سومر الى بلاد أجنبية ، وملأ بلاد سومر بالعداوة ، الذى أبعد الزوجــة عمن كانت له زوجة ، وأبعد الطفل عمن كــان له طفلا ، والذى أقام العداوة والعصيان فى البلاد» .

«ومن ثم فقد ذهب أوتو خيجــال الى ملكته الالهة «اننا» وابتهل اليها قائلا : أى مليكتى ، لقد عهــد الى انليل بأن استعيد الملكية الى سومر . فكونى عونى ، ان «تريجان» ملك جوتيوم ، لم يسر اليه أحد بقواتــه لحربه ، فاســتولى على الفرات وســاحل البحر ، ثم ســار «أوتو خيجال» الملك الذى وهبه انليل القوة ، ووضعته اننا فى قلبها ، الرجل القوى . قد اتجه قدما من الوركاء ليخوض المعركة ضد تريجان

23) J. Bottero, Op. Cit., P. 125.

... وعنئذ غمر السرور أهالى الوركاء وأهالى كولاب ، وتبعه رجـال مدينته ، وكأنهم رجل واحد» .

«وفى اليوم الخامس من مسيرته من الوركـاء أسر «أور نينازر» و «نابو انليل» قائدى «تريبران» اللذين أرسلهما الى سومر كسفراء ، ووضع «أوتو خيجال» قيودا خشبية فى أيديهما ، وفى اليوم السادس وصل «أوتو خيجال» الى «كاركار» ووقف أمام الاله أشكور وناداه : أيها الاله أشكور ، لقد أعطـانى الاله انليل السـلاح ، فكن عونى فى مهمتى ... وكان الجوتيون قد جمعوا قواتهم فى ذلك المكان .... غير أن «أوتو خيجال» ، الرجل العظيم ، تمكن من دحرهم وأسر قائدهم . وعنئذ فـر «تريجـان» والتجـأ الى مدينـة «دبـروم» وعـامله الناس بعطف ، ولكن عندما علم رجال دبروم أن أوتوخيجال هو الملك الذى منحه انليل القـوة ، لم يطلقوا سراح تريجـان ، وجاء رسـل أوتو خيجال وأخذوا تريجان وأسرته أسرى ، ووضعوا القيود الخشبية فى يديه ، وعصبوا عينيه ، ولما أحضروه أمام أوتو خيجال ألقى بنفسه عند قدميه ، فوضع أوتو خيجال قدمه على رقبته .... وهكذا عادت الملكية الى سومر»[٢٤] .

هذا ورغم أن المعركة الحاسمة بين «أوتو خيجال» والجوتيين كانت فى مجاورات مدينة «دبروم» التى لجا اليها «تريجـان» بعد هزيمة ، والتى يقترح البعض أن تكون «تل جدر» الحالية ، فيما بين أوما وأدب ؛ أى أنها لم تتجاوز نطاق أرض سومر ، غـير أننا لم نسمع عن معارك اخرى بين «أوتو خيجال» والجوتيين الذين انتهى نفوذهم عقب هـذا

---

(٢٤) فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون ــ كتاب العراق فى التاريخ ص ٧٠ ــ ٨٠ ، أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ ــ مجلةسومر ــ العدد ٣٠ لسنة ١٩٧٤ ص ٥٦ ــ ٥٧ ، محمد عبد اللطيف : المرجـع السابق ص ٣٠٣ ــ ٣٠٥ وكذا
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 325-326.

النصر الذى حرزه «أوتو خيجال» ضدهم[٢٥] .

وهكذا نجح «أوتو خيجال» فى تحرير البلاد من الاحتلال الجوتى ، ومن ثم فقد حظى بمكانة ممتازة فى سومر ، أهلته الى أن يتدخل فى فض النزاع على الحدود بين مدينتى لجش وأور ، فى صالح لجش ، ثم فرض سيادته على مدينة أور التى كان حاكمها «أور ــ نامو» تابعا له[٢٦] .

غير أن «أوتو خيجال» لم ينعم طويلا بهــذا النفوذ ، وسرعان ما انتقلت السيادة على سومر ــ بعد وفاته ــ الى أسرة أور الثالثة ، التى حققت للسهل الميزوبوتامى وحدة سياسية ، شأنها فى ذلك شــأن أسرة أكــد[٢٧] .

---

(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 462.
26) C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, P. 595.
(٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

الفصل الثاني

أسرة أور الثـالثة

(٢١١٣ ـ ٢٠٠٦ ق٠م)

انتهى حكم الملك «أوتو خيجال» فى الوركاء بقيام أسرة جديدة فى مدينة أور ، عرفت فى التاريخ باسم «أسرة أور الثالثة» ، وهى آخر أسرة سومرية حكمت فى التاريخ ، ويسمى هـذا العصر عند كثير من الباحثين باسم «عصر الاحياء السومرى» (Sumerian Renaissance) ؛ وقد حكم فيه خمسة ملوك لمدة مائة وثمانية أعـوام (٢١١٣ — ٢٠٠٦ ق.م)[١] .

ولعل من الاهمية مكان الاشارة الى أن أسرة أور الثالثة قد تجنبت الى حد ما العوامل الوخيمـة التى نخرت فى كيان الدولة الاكديـة من قبلها ، نتيجة للتفرقة بين السومريين والساميين ، وشـطر أهل البلد الواحد شطرين ، فاستعانت بالعنصرين فى جيشها وفى مناصب الادارة . وجمعت بين اللغتين السـومرية والاكـدية فى بض الوثـائق الرسمية والادبية ، وتسمى بعض ملوكها بأسماء سامية الصبغة مثل «شوسين» و «أبى سين» ، ولو أن هذه السياسة لم تمنع ملوكها من مركزة الحكم فى عاصمتهم ، فظلت هذه العـاصمة تشرف على كل كبيرة وصغيرة من شئون المدن والاقاليم ، ويبدو أنها استعانت على ذلك باستحداث نظام يشبه نظام الوزارة ، والعناية بنظام العدائين لتبليغ أوامرها الى ولاة أقاليمها ، واعتبرت أولئك الولاة مجرد موظفين كبار ، يخضعون للنقل من اقليم الى اقليم[٢] .

(١) أور ــ نامو (٢١١٣ ــ ٢٠٩٦ ق.م) :

أسس أسرة أور الثالثة الملك «أور ــ نامو» (Ur-Nammu) . الذى تمرد على «أوتو خيجال» ملك الوركـاء ، وأنهى حكمه . ثم أقام

---

(١) فاضل عبد الواحد : العراق فى التاريخ ص ٨١ ، وكذا
CAH. Bottero, Op. Cit., P. 136.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ .

ولدا له فى كهانة المعبودة «اننا» — معبودة الوركاء — كما يعد «أور — نامو» وولده «شولجى» (Shulgi) ، أشهر ملوك الاسرة[٣] ، وقد خضعت لهما كثيرا من المدن السومرية والاكدية ، الامر الذى سمح لملوك أور بأن يتلقبوا بمثل لقبى «سرجون الاكدى» أى «ملك سومر وأكد» و «ملك الجهات الاربع» ، وان ظل هـذا اللقب الاخير بخاصة لقبـا تشريفيا ، أكثر منه لقبا فعليا ، اذ أنه على الرغم من جهـود الملكين وبعض خلفائهما فى سبيل توسيع الحدود ، واعتراف أشور فى الشمال بنفوذهما الاسمى ، بحيث أقام أهل «اشنونا» معبدا فى مدينتهم نسبوه الى ملك أور «شوسين» ، وبحيث أرسل أحد ملوك أشور هـدية ثمينة الى «بورسين» ملك أور القوى ، ملك الاقاليم الاربعة ، الا أن حجم المملكة ظل أقل بكثير مما كان عليه فى العصر الاكدى[٤] .

هذا وقد أهتم «أورنامو» بالعمران والبناء كثيرا ، فشملت أعماله العمرانية — الى جانب العاصمة أور — كثيرا من المدن السومرية ، مثل الوركاء ولجش ونفر وأريدو ، ولعل من أشهر انجازاته العمرانية بناؤه «زاقورة» فى معبد اله القمر «نانا» (Nanna) — وهو المقابل للاله سين البابلى — وتتكون هذه الزاقورة من ثلاث طبقات (بينما أصبحت الزاقورة تتكون بعد ذلك من سبع طبقات) ، وعلى المستوى الثالث من الزاقورة الشاهقة الارتفاع — والتى تمثل أحسن زاقورة حفظت لنا من بلاد النهرين — يوجد المعبد الصغير المبنى من اللبن ، وتكسوه طبقـة زجاجية زرقاء ، وكـان هذا المعبد هو غرفـة زواج المعبودين «نانا» و«نينجال» ، وكسوة الطبقة السفلى من الزاقورة مبنية بالطوب المختوم باسم «أورنامو» ، وقد سجل ذكرى بناء هذا المعبد على مسلة من حجر بنى اللون ، وجدت فى أور ، ومحفوظة الان بمتحف بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، والمناظر التى عليه تمثل الملك «أور — نامو» واقفا

3) J. Bottero, Op. Cit, p. 136

وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 597.

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ — ٤٣٢ ، وأنظر :
S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P. 26.

أمام الاله «نانا» الجالس على العرش ؛ ويسكب الملك الماء المقدس على شجرة موضوعة فى اناء ، ويتكرر هذا المنظر أمام الالهة «نينجال» زوجة «نانا» الجالسة على العرش ، وفى المنظر الثانى يشاهد «أور — نامو» . وقد حمل على كتفه عدة البناء ، ليضع الحجر الاساسى لبناية المعبد[٥] .

هذا وقد اهتم «أور — نامو» كثيرا بعاصمته «أور» ذات الهيئة البيضاوية ، فأعيد تسوير هذه المدينة التى أطلت على نهر الفرات بميناء ذى أرصفة واسعة ، والتى حماها الماء من ثلاث جهات . وبلغت مساحتها نيفا ونصف ميل طولا ، وربع ميل عرضا . والتى امتدت حولها ضواحيها ، وشغلت معها مساحة قدرها نحو أربعة أميال طولا ، وميل ونصف الميل عرضا ، وقد أطل سور المدينة من داخله على ساحة متسعة (بلغت مساحتها ٤٠٠ × ٢٠٠ ياردة) قامت فيها معابد المدينة الكبرى المخصصة للمعبود «نانا» (ننار) وزوجته «نينجال» وحاشيتهما . وقد بقيت أجزاء لبعض هذه المعادن حتى الان بحالة لا بأس بها[٦] ، هذا ونظرا لأهمية سور أور عند «أور — نامو» فقد سمى العام الذى أقام فيه السور ، «بالعام الذى بنى فيه سور أور»[٧] .

هذا وتشير احدى السنوات المبكرة من عهد «أورنامو» الى اعادته «سفن ماجان وملوخا الى يدى نانا ، معبود أور»[٨] . الامر الذى يدل على أن أسراور الثالثة انما كان لها ما كان لأسرة لجش الثانية من نفوذ ومصالح تجارية فيما وراء الخليج جنوبا . كما تشير بعض النقوش التى

---

(٥) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧٨ ، وانظر :
G. Roux, Op. Cit., P. 156-157.
H. Frankfort, Op. Cit., P. 103-105.
J. Bottero, Op. Cit., P. 138-139.
L. Woolley, Ur Excavations, V, The Ziggurat and its Surroundings, 1939.
L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 125-135.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ .
(7) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 597.
(8) J. Bottero, Op. Cit., P. 136.

عثر عليها فى أور والوركاء ولارسا ونيبور ، الى حرص «أور — نامو» على تثبيت حدود هذه المدن ، والتى يبدو أنها لم تكن مستقرة على أيام الجوتيين ، بل ان الامر لم يكن مقصورا على المدن السومرية ، وانما امتد أيضا الى المدن الاكدية فى شمال نيبور ، حيث قـام «أورنامو» بتثبيت أملاك آلهتها ، كحدود لهذه المدن(٩) .

هذا وقد أهتم «أور — نامو» بشق القنوات ، وهو عمل لاشك فى أهميته القصوى فى جنوب العراق القديم ، لتطهير هذه المجارى المائية من الترسيبات الطميية ، حتى لا تفقد قيمتها كوسيلة رى ومواصلات فى آن واحد ، وطبقا لما جاء على لوح حجرى من أور فلقد أمر «أور — نامو» بحفر القنوات على حدود عاصمته أور ، وقد ربطت احدى هذه القنوات مدينة أور بالبحر ، حتى يتيسر لسفن تجارة الخليج أن تفرغ شحناتها فى أور(١٠) .

على أن الامر الذى لا ريب فيهأ ن أهم أعمال «أور — نامو» انما كان قانونه الشهير(١١) ، والذى يعد أقـدم وثيقة قانونية فى العـالم اكتشفت حتى الان — بعد تنظيمات أوركاجينا — الامر الذى قد يتغير فى المستقبل ، مع احتمال العثور على قوانين تسبقه ، ما تزال فى بطن الارض الطيبة فى العراق ، وعلى أية حال ، ففى المتن السومرى المكتوب على قوالب محروقة فى الشمس ، والذى يمثل الصـورة الأولى للفكر

---

9) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 598-599.
J. Bottero, Op. Cit., P. 136-138.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 78-79.
(١٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P .559-560.
(١١) أنظر عن قانون أور — نامو :
S. N. Kramer, in Bullt. fun. Museum, 17, 1952.
E. Ezlechter, Le Code d'un-Nammu, in RA, XLIX, 1955, P. 169-177.
J.J. Finkelstein, The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1968-1969, P. 66-82.
S. N. Kramer and A. Falkenstein, Ur-Nammu Law Code, Orientalia, 23, 1954, P. 40-51.

القانونى فى العراق القديم ، وقد تمكن الباحثون من تشخيص مقدمته وخاتمته ، مما يعنى أن القـانون مبوب بموجب الاسـلوب الصحيح للقانون ، غير أن عـدد المواد التى أمكن ترجمتها لا تزيد على اثنين وعشرين مادة ، وذلك لأن النسخ المكتشفة انما كانت مدونة على ألواح من الطين ، يرجح أنها قد نسخت عن الاصل — ربمـا حوالى ما بين عامى ١٨٠٠ ، ١٧٠٠ ق٠م — والذى كان مدونـا على الحجـر ، وأن الالواح الطينية قد تكسرت ، وتلف معظم أقسامها ، ومن ثم فقد تعذر التعرف على الصيغة الكاملة للقانون ٠

وعلى أية حال ، فان القانون قد كتب باللغة السومرية ، وأن بقايا المقدمة انما تشير الى أن المعبود «ننار» قد فوض «أور — نامو» فى حكم المدينة ، وأنه قد وصفه بالملك التقى العادل الورع ، وأن مجيئه انما كان ايذانا بالقضاء على الفساد والفوضى وسوء الادارة ، والجور على حقوق الاخرين ، من ثم فقد تمتع النـاس بحقوقهم ، ونالوا حريتهم ، وأما المواد القانونية البـاقية التى أمكن ترجمتها ، فانها تعالج الاحـوال الشخصية ، من زواج وطـلاق ، فضلا عن النظر فى بعض المخـالفات وتحديد العقوبة الملائمة لكل حالة(١٢) ٠

هذا وقد أخذ قانون أور — نامو بمبدأ التعويض . باستثناء حالات نادرة ، كالتى تعاقب فيها الزوجة الخائنة بالذبح . والتى تعاقب فيها الجارية التى تتطاول على سيدها أو سيدتها بدعك فمها بالملح(١٣) ، وربما كان مبدأ التعويض هذا يتفق مع الاهتمام السومرى بالتجارة ، وذلك على خلاف قانون حمورابى ، الذى يعتمد على القصاص ، وهكذا استن قانون أورنامو مبدأ دفع الديات على الجروح التى لا تفضى الى الوفاة . فجعل دية جرح القدم عشرة شواقل من الفضة ، ودية كسر العظـم «منا» من الفضة ، ودية قطع الانف ثلثى منا من الفضة . وأشار الى

---

(١٢) رضا جواد : المرجع السابق ص ٧٢ — ٧٣ ٠

13) J. J. Finkelstein, Op. Cit., P. 524-525.

الاداة التى تستعمل فى كل حـالة ، مما يعنى أنه أراد بذلك الاعتداء المتعمد . وأجاز التشريع اظهار البينة عن طريق الامتحان بالقاء المتهم فى النهر — (ويبدو أن الحكمة من ذلك هى ايكال أمره الى اله النهر ، اذا عجز القاضى عن اثبات التهمة عليه ، فان شاء أنقذه وبرأه ، وان شاء أغرقه بذنبه)— وأمر بتسليم العبد الآبق الى سيده[١٤] .

هذا وقد تضمنت العبارات الباقية من التشريع سعى صاحبه الى توحيد الاوزان والمكاييل ، ورغبته فى تخليص المواطنين ممن يستغلون ماشيتهم وأغنامهم ودوابهم ، والى أن يمنع وقوع اليتيم فريسة للثرى ، ووقوع الارملة ضحية للقوى ، وأن لا يصبح الرجل الذى يملك شاقلا ، فريسة لذلك الذى يملك منـا ، كما وضعت بعض المواد ضوابط للعمل القضـائى وسير المحـاكم ، وخـاصة ما يتعلق منها بشهـادة الزور وتبعاتها[١٥] .

(٢) شـولجى (٢٠٩٥ ــ ٢٠٤٨ ق٠م) :

جـاء «شـولجى» (Shulgi) على عرش أور ، بعد أبيه «أور — نامو» ، الذى قضى فى ميدان القتال ، وطبقا لما جاء فى نص على لوح كتـابى فقد «نبذ فى ميـدان القتـال محطم» ، وتنسب قائمة المـلوك السومرية الى الملك الجديد (شولجى) فترة حكم قدرها ٤٨ عاما ، وقد امضى الرجل الشطر الاول منها فى الاعمـال البنائية — وخاصة فى بناء المعابد — فأكمل زاقورة أور التى شيدها أبوه «أور — نامو» ، كما أعاد بناء معبد الالهة «اننـا» فى نيبور ، فضلا عن اعادة بنـاء معبد الالهة «ننليل» فى نيبور ، أيضا بعد تهدمه للمـرة الرابعة ، وربما كان هـذا

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ .
(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، رضـا جـواد الهاشمى : القانون والاحوال الشخصية ص ٧٣ .

الاهتمام بالشئون الدينية هو ما دعا شولجى الى تأليه نفسه ، أسوة بنارم — سن ، ملك أكد[١٦] .

والواقع أن حكام أور انما قد استمسكوا بالالهة المقدسة التى اكتسبتها منذ أيام الدولة الاكدية ، وكان «شولجى» هذا (وكان اسمه يقرأ «دونجى» ، ثم ظهر رأى جديد يقرأه «ساج — جى») أكثرهم استمساكا ، وقد اختير كاهنا أكبر للمعبودة «انانا» فى الوركاء (أوروك) فى حياة أبيه ، وذكرت نصوصه أن الاله قد اختاره بنفسه . وقد أطلق اسمه بعد توليه العرش على أحد شهور دولته ؛ ورفعه أهل بلاطه الى مرتبة الربوبية ، أو ما هو قريب منها ، ورضى هو بطبيعة الحال . فسمى بعضهم أولاده باسم «شولجى ايلى» بمعنى «شولجى الهى» . و «شلجى بانى» بمعنى «شولجى الخالق» ، فضلا عن «شولجى أبى»[١٧] .

وقد أقيمت لهذا الملك المؤله (شولجى) هياكل العبادة . وقدمت له القرابين ، كما أقيمت عبادته فى بعض المدن السومرية . كما يشير الى ذلك تعبير «شولجى معبود أوما» ، وربما أصبحت هذه العبادة قومية . وفقا لما يتبين من تعبير «شولجى حياة أرض سومر»[١٨]. بل ان الرجل انما حاول أن يظهر نفسه كرياضى يتمتع بمقدرة فائقة فى العدو . كبغل جبلى ، بحيث يمكنه قطع المسافة عدوا من نيبور الى أور وبالعكس فى يوم واحد[١٩] .

---

16) L. Woolley, Op. Cit., P. 128-129.
S N. Kramer, The Sumerians, P. 47, 68, 130.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 80.
J. Bottero, Op. Cit., P. 141.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، وانظر :
T Jacobsen, BASOR, 1947, P. 16 F.

(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٣ .

(١٩) نفس المرجع السابق ص ٣١٣ ، وكذا
S N. Kramer, The King of The Road, in ANET, P. 585-586.

هذا وقد عبر كاتب سومرى عن رأى شولجى فى نفسه ، فكتب على لسانه يقول : «أنا الملك ، كنت بطلا فى بطن أمى ، أنا شولجى صاحب البأس منذ مولدى ، أنا أسد ثاقب البصر ، ابن مسارد ، أنا ملك أركان الدنيا الاربعة ، أنا حامى السومريين وراعيهم ، أنا بطل ، رب البلاد كلها . أحب الخير وأقصى الشر . وأمقت ألفاظ العداوة ، أنا شولجى الملك المقتدر ، أخضعت البلاد الثائرة ، وكفلت الامان لشعبى ... شولجى الذى توفر له بأس السماء والارض ، ولم يكن له مثيل ، شولجى الذى رعاه رب السماء»[٢٠] .

هذا وقد أهتم «شولجى» بمدينة أور — التى على شاطىء البحر[٢١] — وان ذكر كتاب عهده أنه استولى على ذخائر معبد «اساجيلا» ، ومعبد بابل ؛ فغضب عليه «بعل» ولم يرض عن جثته[٢٢] ، وعلى أية حال ، فلقد أهتم «شولجى» كذلك بمدينة «كوثى» ، فأعاد بناء المعبد الكبير للمعبود «نرجال» رب كوثى ، كما نالت الوركاء حظا من رعايته كذلك . حيث أعاد بناء معبد «آى انا» معبد «ننا» ، وأما معابد لجش ، فلعلها أكثر المراكز السومرية حظا فى عهد «شولجى» فلقد عثر على عدد من اللوحات فى «تلو» من ذلك العصر ، تشير الى قوائم بقطعان الماشية والحمير التى يمتلكها المعبد ، والارضين الغنية التى فى حوزته[٢٣] .

هذا وكان «شولجى» شديد الاهتمام أيضا بطرق المواصلات ، وبراحة المسافرين على هذه الطرق ، ومن ثم فهو يفاخر فى نص له بأنه وسع الطرق وجعلها مستقيمة ، وأمن طريق السفر ، وأقام عليه استراحات كثيرة ، زرع من حولها الحدائق وأقام فيها من يقيمون على خدمة المسافرين نهارا ، ويحققون لهم الأمن والأمان ليلا[٢٤] ، هذا فضلا

---

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، و أنظر
S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P. 38
(٢١) انظر : A. L. Oppenheim, in ANET, P. 266.
(٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ .
(٢٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٨ .
24) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 585

عن ربط الاقاليم بعضها بالبعض الاخر ، عن طريق تنظيم حملى البريد من العدائين ، الذين هيئت لهم محطات لضمان وصول تعليماته لاجزاء الاقاليم ، كما عنى بتنظيم جمع الضرائب من مختلف الاقاليم . وتسجيل ذلك كله على لوحات حفظت فى دور المحفوظات[٢٥] . وأخيرا فلقد كان هذا الملك السومرى من المهتمين بالادب والمعرفة . وأنه أبدى عناية كبيرة بالمدارس ، حتى أنه ليفخر بتحصيل العلم فى المدرسة فى أيام الطفولة . وأنه قد أتقن فنون الكتابة المسمارية[٢٦] .

وهكذا استطاع «شولجى» أن يقيم حكما قويا فى البلاد . وأن يجرد عدة حملات تأديبية ضد القبائل فى زاجروس . وأن يفرض سيطرته على بلاد عيلام ، وأن يرتبط بعلاقات مصاهرة بحاكم «باراخشى» فلقد زوجه من احدى بناته فى العام الثامن عشر من الحكم (حوالى عام ٢٠٧٧ ق.م) ، كما زوج بنتا ثانية من حاكم «أنشان» فى العام الثانى والثلاثين من الحكم (حوالى عام ٢٠٦٣ ق.م) . الامر الذى يشير الى علاقات ودية مع عيلام ، وثقتها روابط المصاهرة . وان كان هناك ما يشير الى حملة تأديبية وجهها شولجى الى أنشان بعد فترة قصيرة من زواج ابنته من حاكمها ، هذا فضلا عن اشارة عن عام عرف بأنه «العام الذى دمرت فيه أنشان مرة أخرى» ، كما قام شولجى بقهر سهل «سوزيانا» فى العام الثامن والعشرين من الحكم (حوالى عام ٢٠٦٧ ق.م)[٢٧] .

هذا وقد كشفت الحفريات عن آثار النشاط المعمارى الضخم الذى قام به شولجى فى سوسة ، كما يبدو هذا واضحا فى معبد «ابن شوشيناك» المعبود المحلى لهذه المدينة ، فضلا عن استخدامه لمقاتلين

---

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٢٦) فاضل عبد الواحد على : سلالة أور الثالثة ـ من كتاب : العراق فى التاريخ ـ بغداد ١٩٨٣ ص ٨١ .

(٢٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨١ ، فوزى رشيد : نصوص ادارية من العصر السومرى الحديث ـ مجلة سومر ـ العدد ٢٤ لسنة ١٩٦٨ ص ٧١ ـ ٧٣ ، ٧٦ ـ ٨٢ ، وكذا
W. Hing, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 655-656.

عيلاميين لتمع تمرد القبائل الجبلية فى الشمال الشرقى[28] .

والواقع أن جهود شولجى فى ميدان تغلغل الثقـافة السومرية فى عيلام بالغ الاثر ، ورغم أن هذه الثقافة كانت قد انتقلت الى عيلام قبل عهده ، غير أن جهوده لم تقف عند حد الغازات التى تستهدف الاحتلال ، بل تعدتها الى ابراز السيـادة والحكم من الحكومة المركزية فى أور ، وهناك كثير من الوثائق تشير الى تموين عمال الملك الذين يمرون بمدينة لجش فى طريقهم من أور الى عيلام ، تعدد كميات الحبوب والشراب والزيت التى تصرف لهم ، ومن الاسماء التى وردت للمدائن التى عين بها هؤلاء الموظفون ، نستطيع أن نؤكد أن السلطان الملكى امتد الى كافة المدن الهامة هناك ، وربما كان أبرزها جميعا سوسة ، وأما مهام هؤلاء الموظفين فكان من بينها جمع مواد التموين والبناء ، فضلا عن العمال ، لأداء الاعمال الملكية ونقلها حيث يريد الملك .

وهناك ما يشير الى أن شولجى انما قد خلع الحكام الوطنيين ، وأحل غيرهم من الموظفين البابليين محلهم ، وهو أمر تابعه فيه خلفـاؤه من بعده ، مستهدفين جميعا صيانة ادارة الاقاليم من أن نلقى أزمتها فى أيد لا يطمأن اليها ، ومع ذلك فتردد قيام الثورات فى الاقـاليم العيلامية يوحى بأن الاهلين لم يخضعوا تماما للغزو ، بل انهم كانوا يسعون دائما الى التخلص من نيره ، كلمـا سنحت لهم الفرصة ، وقـد انتج العنف والقسوة أثرهما ، لا فى اخضاع البلاد ، بل فى احياء الامل فى الاستقلال، مما أدى الى سقوط أسرة أور ، فيما بعد ، كما سنرى[29] .

وأما «سوبارتو» فى شمال السهل الميزوبوتامى ، فلقد ناوأت شولجى وتمردت عليه ، الامر الذى يبدو واضحـا من الرسائل المتبادلة بـين

---

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٥ ــ ٣١٦ وكذا
W. Hinz, Op. Cit., P. 656.

(٢٩) نجيب ميخـائيل : مصر والشرق الادنى القديم ــ الجـزء الخامس ــ الاسكندرية ١٩٦٣ ص ١٦٧ ــ ١٦٨ .

الطرفين ، وان لم تصل العلاقات بينهما الى مرحلة الحرب[٣٠] .

وعلى أية حال ، فليس هناك ما يشير الى حملات حربية ضد الغرب ، وان تحدثت النصوص عن «جزية أمورو» ، كما ذكرت نصوص شولجى «العام الذى بنى فيه حائط البلاد» فى اقليم سيبار ، والذى يرجح أنه كان سورا دفاعيا لتأمين حدود سولجى ضد الخطر الاموري[٣١] .

(٣) امار ـ سين (٢٠٤٧ ـ ٢٠٣٩ ق٠م) :

جاء «امار ــ سين» (Amar - Sin) على عرش أور ، بعد أبيه «شولجى» ، ولمدة سنوات تسع ، فيما تروى قائمة الملوك السومرية . وقد تركز نشاطه المعمارى فى نيبور وأور ، وان اهتم كثيرا ، كما فعل أبوه من قبل ، بمدينة أريدو ، التى أقام فيها معبدا لمعبودها المحلى «انكى» (اله الماء العذب) ما تزال بقاياه قائمة حتى اليوم ، كما أضاف الى ألقابه ما يعبر عن تاليهه ، وتفضيل الاله «انليل» له[٣٢] . وطبقا لأحد نصوص الفأل ، فلقد لقى حتفه «بسبب قرصة حذاء» ، ودفن بجــوار شولجى وأور ــ نامو[٣٣] .

هذا وقد تركزت حروب «أمار ــ سن» فى الشرق والشمال الشرقى . فوجه عدة حملات الى «أمارسين» ويعرف العامان ، الاول والثانى ـ من الحكم (حوالى عام ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٦ ق٠م) كل منهما باسم «العام الذى

---

30) A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 149-151.
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 331-332.
31) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 603.
J Bottero, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 563.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, The Ancient Near East, 1971, P. 81.
32) C. J Gadd, Op. Cit., P. 607-608.
W W Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 84.
33) G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 162.
A. Goetze, JCS, I, 1947, P. 261.
C J. Gadd, Op. Cit., P. 608

خرب فيه أمارسين ، مدينة أوربيلوم» ، وفى العامين ، السادس والسابع ، من الحكم (حوالى ٢٠٤١ ، ٢٠٤٠ ق٠م) وجه عدة حملات الى المواقع الشرقية : الى «شاشرو» (شمشاره) و «خوخ نورى» — التى وصفت بأنها «مزلاج أرض أنشان» ، وتقع الى الشرق من سوسة ، هذا فضلا عن بعض المواقع الاخرى التى لم يتسن تحديد أماكنها(٣٤) .

وعلى أية حال ، فلقد كان أمارسين حريصا على أن يحكم هذه المناطق الشرقية حكما مباشرا عن طريق أتباعه المخلصين اللذين أقامهم فى سوسة وخمازى وبار أخشى ، ومن ثم فقد نقل «زاريقوم» — والذى كان حاكما على أن أشور منذ العام قبل الاخير من عهد أبيه شولجى ، ولمدة سنوات ست من عهده — ليصبح حاكما على سوسة ، ولمدة سنوات ثمان(٣٥) .

(٤) شــوســين (٢٠٣٨ ــ ٢٠٣٠ ق٠م) :

جاء «شوسين» Shu - Sin على عــرش أور ، بعد أخيــه «أمارسين»(٣٦) ، ولمدة تسع سنوات ، فيما تذكر قائمة الملوك السومرية ، وقد سار على سنة أبيه شولجى فى الاستمساك بهالة الملك المقدســة ، وأثنت كاهنة من كاهنات «لوكور» على مولاها «شوسين» على ما أولاها اياه من هدايــا ونعم ، وصاغت مديحها فى نشــيد بدأته بوصف الملك بالطهر ، وامتدحت أمه «أبسيمتى» لولادتها اياه ، ثم عددت عطاياه لها — بعد أن أطرته بنشيدهــا — وذكرت منها قلادة ذهبية ، وختمــا من اللازورد ، وخاتما ذهبيا ، وآخر من الفضة ، وأكــدت أن تطلع الملك اليها ، كان أثمن لديها من هداياه ، وأضافت أن عاصمته تجثو لدى قدميه كالسنبل الصغير ، وترفع أكفها تضرعا اليه ، ثم وصفته بأنه ربها وحبيبها ،

---

(٣٤) فوزى رشيد : المرجع السابق ص ٨٢ ــ ٨٤ ، و كذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607.
35) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607.
W. Hinz, Op. Cit., P. 655-656.

(٣٦) أنظر :

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 496, No. 7.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

ورب بلده ، ومحبوب انليل ،هذا وقد حرص أحد النساخ المتأخرين عندما أراد أن يسجل هذه القصيدة ، أن يسبق اسم «شـــوسين» بمخصص الاربـــاب[٣٧] •

هذا وقد واجهت «شوسين» بعض المتاعب من القبـــائل الجبلية فى الشمـــال الشرقى ، ومن ثم فقد وجـــه اليها حملتين ، الواحـــدة الى «سيمانوم» التى قام بتدميرها فى العام الثانى من حكمه (حوالى عام ٢٠٣٦ ق•م) ، والاخرى الى «زابشالى» التى دمرها فى العام السابع من الحكم (حـــوالى عام ٢٠٣١ ق•م)[٣٨] ، هـــذا وتصور نقـــوش «شوسين» أسرى الحرب من «سيمانوم» ، وقد هجروا من بلادهم الى معسكر أقامه «شوسين» على مقربة من نيبور ، كما تصوره وهو يطـــأ رقبة «انداسو» — حاكم زابشالى — وقد صور خلفه عشرة من أمراء المنطقة المتحالفين معه ، وقد نقلوا جميعـــا كأسرى الى أور ، عاصـــمة شوسين ، كما غنم «شوسين» من زابشالى ومجاوراتها ثروة من المعادن ، وخاصة من النحاس والرصاص والبرونز ، فضلا عن الذهب الذى صاغ منه شوسين تمثالا له ، أقيم بمعبد انليل فى نيبور[٣٩] •

على أن علاقة «شوسين» بعيلام ، انما كانت ترتبط — كما فعل أبوه شولجى — برباط المصاهرة ، فلقد زوج ابنته من حاكم أنشان ، الذى أرسل نائبه ليرافق الاميرة فى رحلتها من أور الى أنشان ، كما أقام عدة مبان فى سوسة لعبادته ، ومن ثم فقد أغفلت الالواح الحجرية التى عثر عليها هناك ذكر «ابن شوشيناك» معبود سوسة ، بينما تحدثت عن تأليه

---

(٣٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ ، صمويل كريمر : من ألواح سومر ص ٣٦٦ — ٣٦٩ ، وكذا
ANET, P. 496.

(٣٨) فوزى رشيد : المرجع الســـابق ص ٧٤ — ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٢١ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

(٣٩) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609.

شوسين ، وانتحاله لقب «ملك الجهات الاربع»[٤٠] ، كما عبرت نصوص أخرى عن استلام كمية من الشعير - مهداة كنذور ، وقد أرخت بالعام الاول من الحكم (حوالى عام ٢٠٣٨ ق٠م) والذى عرف باسم «العام الذى أصبح فيه شوسين ، المؤله - ملكا»[٤١] .

وهناك ما يشير الى أن «شوسين» انما عهد بأمن المنطقة الشخصية الى المدعو «أورد نانا» (ايرنانا) وقد أسند اليه عدة مناصب هامة ، منها «سوكال ماخ» (الوزير الاعظم) و «انسى لجش» و «سانجا الاله انكى فى اريدو» و «انسى أرض جوتيوم» وغيرها ، هذا فضلا عن تعيينه حاكما عسكريا على مدن الشمال الشرقى والشرق وشعب «سو» (وهم قوم من السوبريين كانوا يعيشون شرقى مدينة الموصل الحالية) ، وامتد نفوذه من مدينة اربيل الى الخليج العربى[٤٢] ، وربمـا السبب فى كل ذلك ، ازدياد خطر الاموريين ، واضطرار «شوسين» للتفرغ لمقاومتهم ، وبناء حائط أمورو ، على مقربـة من بغداد الحالية ، فيما بين دجلـة والفـرات[٤٣] .

(٥) ايبى ـ سين (٢٠٢٩ ـ ٢٠٠٦ ق٠م) :

جاء «ايبى ـ سين» (Ibbi - Sin) على عرش أور ، بعد أبيه «شوسين» ، ولمدة ٢٤ عاما ، طبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومرية ، وهو على أية حال ، انما يمثل آخر ملوك أسرة أور الثالثة ، والتى قدر لها أن تكون نهاية آخر الاسرات السومرية فى التـاريخ ، والواقع أن علائم الضعف فى كيان أسرة أور الثالثة انما قد بدأت فى وقت مبكر من حكم «ايبى ـ سين» ؛ فلقد توقفت كثير من المدن السومرية عن تأريخ الوثائق المسمارية بسنى هذا الملك ، كما توقف بعضها الاخر عن ارسال

---

40) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.
41) J. J. Meek, Mesopotamian Legal Documents, in ANET, P. 217
42) J. Bottero, Op. Cit., P. 157-158.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609
43) Ibid., P. 609-610.

النذور الى معبد اله القمـر فى العاصمة أور ، هذا فضلا عن ارتبـاك الاوضاع الاقتصـادية ، وقلة المواد الغذائية الاسـاسية ـ كالحنطة مثلا ــ وزاد الطين بله تردى الاوضـاع بصفة عامة ، بسبب هجـوم القبائل الامورية من الغرب ، وهجوم العيلاميين من الشرق ، مما أدى فى نهاية الامر الى سقوط اسرة أور الثالثة ، وأسر الملك «ايبى سين» نفسـه[٤٤] .

وعلى أية حال ، فلقد مرت السنون الخمس الاولى من حكم «ايبى ـ سين» بدون متاعب ، حتى لنشهد أنه خلال الثلاث سنوات الأولى من حكمه كانت الوثائق الاقتصادية فى سوسة ، تؤرخ الوثائق فى أور ، الامر الذى مكنه من اصلاح أسوار التحصين فى أور ونيبور[٤٥] ، وفى العام السادس (حوالى عام ٢٠٢٣ ق.م) زوج «ايبى ـ سين» ابنته من حاكم «زابشالى» لاقامة تحالف تدعمه المصاهرة ، غير أن هذا التحالف لم يأت بالنتيجة المرجوة منه ، فقد كان على «ايبى ـ سين» أن يواجه وحده ـ وفى العام العاشر من الحكم ـ تمرد قامتبه العاصمةالعيلامية سوسة، فضلا عن مدينتى «أدامدوم» و «أوان» فى شمال سهل سوزيانا ، غير أن الاقدار انما كتبت له نجحا بعيد المدى ـ عن طريق حملة خاطفة ، ولمدة يوم واحد ـ فى أن يخضع الثائرين ، وأن يقتـاد زعيمهم (ملك سيما شكى) مكبلا فى الاغلال الى أور[٤٦] ، وان اضطر بعد ذلك ـ وفى العام الرابع عشر ، من الحكم (حوالى ٢٠١٥ ق.م) ـ أن يخرج على رأس جيش ضخم ضد «خوخ نورى» وأن يكتسحها كطوفان[٤٧] .

على أن الامور سرعان ما تنذر بالخطر ، عندمـا انتهز العيلاميون

---

(٤٤) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون ـ من كتاب ـ العراق فى التاريخ ص ٨٢ .

(45) C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 611.

(46) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 611-612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

(47) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

وحلفاؤهم من القبائل الجبلية الشرقية فرصة ضعف الاموريين فى الغرب ، فهاجموا أرض سومر ؛ وحاصروا «ايبى ـ سين» فى العاصمة أور . فى نفس الوقت الذى كـان عليه أن يصـد زحف العناصر الامرية نحـو الجنوب . وهنا طلب «ايبى ـ سين» من تابعه «ايشبى ارا» حاكم مارى العـون[48] .

غير أن «ايشبى ارا» سرعان ما انتهز هذه الفرصة ، التى أدت الى تدهور السلطة المركزية فى أور ، وأخذ يعمل لصالحه الشخصى ، فخرج عن طاعة سيده ؛ ونقل نشاطه الى مدينة نيبور ، ثم الى مدينة «ايسين» ـ الى الجنوب منها بنحو ٣٠ كيلا ـ وهناك استقل بالحكم ، وأسس أسرة حاكمة خاصة به هى «أسرة ايسين» فى السنة الثانية عشرة من حكم «ايبى سين» ؛ ذلك لان حكمه انما يؤرخ بعد هذه السنة[49] .

ولم يكتف «ايشبى ارا» بذلك ،بل عمل على امتداد سلطـانه الى مناطق نفوذ سيـده «ايبى ـ سين» ؛ ويمكن أن نتبـين ذلك من نص رسالتين متبادلتين بين «بوزور نوموشدا» (أو ـ بوزو تسولوجى) حاكم «كازالو» فى الشرق ؛ وبين «ايبى ـ سين» ملك أور ، الذى رد أسباب المحنة الى القضاء والقدرة ، فضلا عن ارادة الارباب وفساد الدولة ، يقول الحاكم «كازالو» ، «قضى انليل بالشر على سومر ، وهبط عدوها من أرض .... وأعطى انليل الملكية لرجل وضيع ، الى «انشى ارا» ، الذى ليس من بذرة سومرية لقد انداست سومر فى مجمع الالهة ، وقضى انليل أنه طالما بقى أهل السوء فيهـا ، فلسوف يدمر ايشى ارا ، رجل مارى ، بنيانها ويكتسح أرضها»[50] .

---

(٤٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، وكذا
W. Hinz, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 658

(٤٩) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ـ الاسكندرية ١٩٩٠م ص ٦٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٧ ، وكذا
C. J. Gadd, Babylonia, 2120-1800 B. C, in CAH, I, Part, 2, 1971, P 613.

50) S N. Kramer, Letter of King Ibbi-Sin, in CAH, I, Part, 2, P. 613

هذا وقد تكفل العيلاميون بالقضاء على أسرة أور الثالثة . حيث انهوا حكم «ايبى — سين» ، بعد مقاومة طويلة . يرجح أنها شغلت السنوات العشر الاخيرة من عهده ، وانتهت باحتلال العاصمة أور . بعد أن أصابها الخراب ، وحلت بها المجاعة ، ثم وضع القوم حامية عيلامية فى أور . واقتادوا «ايبى — سين» أسيرا الى عيلام ، حيث قضى هناك فى المنفى[٥١] .

وقد أرجع السومريون — كعادتهم فى تفسير الكوارث التى تحل ببلادهم — أسباب زوال دولتهم ، وتدمير عاصمتهم أور ، فضلا عن تحطيم معابد آلهتهم وسلب كنوزها ، أرجعوه الى غضب الالهة ونقمتها . وخاصة انليل[٥٢] ، وان كان القضاء على أسرة أور الثالثة . انما يمثل كارثة حقيقية ، فى تاريخ السومريين ، ومن تم فقد تركت هذه الكارثة أثرا كبيرا فى آدابهم ، يبدو واضحا فى هذا الرثاء ، الذى جاء فيه : —

«لقد توقف القانون والنظام عن الوجود . والتهمت العاصفة كل شيء ، حتى كأن طوفانا قد اجتاحها .... لقد دمرت المدن ، وهدمت المنازل .... ولم يعد قوم أور يسكنون مساكنها .... وحل شعب «سو» والعيلاميون فى مساكن أور ... وجيء بالملك «ايبى — سين» الى أرض عيلام أسيرا ... لقد أنقلب «نانا» على شعبه .... وكان ملك أور حزينا فى قصره الرائع . لقد ملأ الغم قلب «ايبى — سين» .... وذرف الدمع غزيرا»[٥٣] .

وعلى أية حال ، فلم يستمر العيلامون على أرض سومر طويلا ، ذلك

S. N. Kramer, Lipit - Ishtar Law Cod, in ANET, P. 159-161.
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 333-335
A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 166-169.
51) S. N Kramer, in ANET, P. 612-619, The Sumerians, 1970, P. 71.
W Hinz, CAH, I, Part, 2, P. 659
52) S. N. Kramer, ANET, P. 613, 617.
53) S. N. Kramer, ANET, P. 612-613.

لأن «ايشى ارا» — ملك مارى — انما يحدثنا فى نص له ، يرجع الى عام ١٩٩٣ ق.م ، أى بعد سقوط أسرة أور الثالثة بحوالى ثلاثة عشر عاما ، بأنه «ضرب عيلام بالاسلحة»(٥٤) .

وعلى أية حال ، فان انتهاء حكم «ايبى — سين» فى عام ٢٠٠٦ ق.م ، وبالتالى سقوط أسرة أور الثالثة ، انما يعنى انتهاء المحاولات الاخيرة للسيادة السومرية فى العراق القديم ، ذلك لأن نهاية أسرة أور الثالثة ، انما كانت بمثابة نهاية لحياة السومريين السياسية ، اذ لم تنشأ منهم بعدها أسرات حاكمة ، بل اندمجوا فى الساميين ، وان ظلت لغتهم وآدابهم تؤثر فى العراق القديم حتى آخر عصور حضارته ، وسنشهد فيما بعد حضارات أخرى — كالبابلية والاشورية — تبرز بحيث تستطيع الواحدة منهما أن تطغى فى مظاهرها على الحضارة السومرية ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن هذه الحضارات التى نشأت — أول ما نشأت فى العهد الاكدى — تلقت بذورها الاولى عن الحضارة السومرية ، ثم تطورت منها بعد أن انهارت(٥٥) .

---

54) W. Hinz, Op. Cit., P. 659.

(٥٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧١ — ١٧٢ ، وانظر
L. Le Grain, Business Documents of The Third Dynasty of Ur, London, 1947, P. 225 F.

الفصل الثالث

ايسين ولارسا واشنونا

كان انهيار أسرة أور الثالثة ، وأسر آخر ملوكها «ايبى ــ سين» فى عام ٢٠٠٦ قبل الميلاد ، مؤذنا بنكسة ترجع بنا الى نظام دويلات المدن . ذلك أن الكارثة التى أودت بعهد «ايبى ــ سين» شجعت مختلف المدن على اعلان استقلالها ، بحيث اصطنع حكامها الجدد ألقابا ضخمة توحى بالسيادة المطلقة ، لاعلى مدنهم فحسب ، بل على البلاد جميعا .

وهكذا أصبحنا فى هذه المرحلة من الفوضى نلتقى بالكثيرين يحاولون الاستقلال أو يسعون الى تدعيمه ــ ان استطاعوا أن يصلوا اليه ــ فهذا «بوهيا» يسجل بالاكدية فى «هورشيتوم» قصة بناء قصر له . وهذا أمير فى «دير» يسجل فى احدى اللوحات بالسومرية ترميم المدينة . وتشييد معبد بها ، وهذا «كيسارى» فى «جانخار» يسجل اسمه على خاتم أسطوانى[1] .

وهكذا شجعت الكارثة التى حلت بأور كثيرا من المدن على اعلان استقلالها ، ومن ثم فقد ظهرت عدة أسر حاكمة ، كان أبرزها دون شك ، أسرتا ايسين ولارسا فى الجنوب ، وأشور واشنونا فى الشمال[2] ، ولنتحدث الان عن هذه الأسر .

(١) أسرة ايسين

أسس الاموريون هذه الاسرة فى «ايسين (Isin) ، كبرى عواصم الاموريين ــ وهى الان ايشان بحريات ، جنوب عفك الحالية ، على مبعدة ٣٠ كيلا جنوب نيبور (نفر) ــ واصطنع ملوكها لقب «ملك سومر وأكد». كما اصطنعوا الصفات الالهية،وقاموا بأعمال عمرانية فى أنحاء البلاد التى خضعت لهم ، ورمموا كثيرا مما خرب على اثر سقوط أسرة أور الثالثة .

---

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٣ .

(2) G. Roux, Op. Cit., P. 169.

هذا وتشير «لوحة فأل» آشـورية الى أن «ايشى أرا» ، ليس له منافسون ، وهو تعبير مبهم على أية حال ، ولكنه مع ذلك ، انما يشـير الى سمعته الطيبة فى العصور اللاحقة ، التى تعتمد على ما قام به من اصلاحات ، وما بذل من جهود موفقة فى اعلاء شـأن مدينته «ايسن» وسيادتهـا .

على أننا لا نملك الكثير من الوثائق عن تفصيلات الاحداث فى عصر أسرة ايسين ، فالجزء الاكبر من معلوماتنا مستقى من «قائمة نيبور» التى تشير الى أن الاسرة قد حكمت ٢٢٥ سنة ، ٦ شهور [٣] ، وقد حكم فيها ١٥ ملكا أولهم «ايشى ارا» ، وآخرهم «دمق ايليشيو» [٤] .

هذا وقد حكم «ايشى ارا» لمدة ٣٣ عاما (٢٠١٧ — ١٩٨٥ ق٠م) ، وتلقب بلقب «ملك سومر وأكد» ، واتخذ لنفسه صفات الالوهية ، ثم

---

(٣) محمد بيومى مهـران : بلاد الشـام ص ٦٤ ــ ٦٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٨ ــ ١٧٩ .

(٤) انظر أسمـاء ملوك أسرة ايسـين وفترات حـكمهم (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعد فيضى ــ بغداد ١٩٨١ ص ٤٤٤ ــ ٤٤٥ ، وكذا
(CAH, I, Part, 2, P. 1000.

وهى طبقا للمرجع الاخير كالتالى :

١ ــ ايشى ارا (٢٠١٧ ــ ١٩٨٥ ق٠م) .
٢ ــ شو ايليشو (١٩٨٤ ــ ١٩٧٥ ق٠م) .
٣ ــ ايدين داجان (١٩٧٤ ــ ١٩٥٤ ق٠م)
٤ ــ ايشى داجان (١٩٥٣ ــ ١٩٣٥ ق٠م) .
٥ ــ لبت عشتار (١٩٣٤ ــ ١٩٢٤ ق٠م) .
٦ ــ أور ــ نينورتا (١٩٢٣ ــ ١٨٩٦ ق٠م) .
٧ ــ بورسن (١٨٩٥ ــ ١٨٧٥ ق٠م) .
٨ ــ لبت ــ انليل (١٨٧٤ ــ ١٨٧٠ ق٠م) .
٩ ــ ايرا ــ ايمتى (١٨٦٩ ــ ١٨٦٢ ق٠م) .
١٠ ــ انليل ــ بانى (١٨٦١ ــ ١٨٣٨ ق٠م) .
١١ ــ زامبيا (١٨٣٧ ــ ١٨٣٥ ق٠م) .
١٢ ــ ايتر ــ بيشا (١٨٣٤ ــ ١٨٣١ ق٠م) .
١٣ ــ أور ــ دوكوجا (١٨٣٠ ــ ١٨٢٨ ق٠م) .
١٤ ــ سن ــ ماجر (١٨٢٧ ــ ١٨١٧ ق٠م) .
١٥ ــ دمق ايليشو (١٨١٦ ــ ١٧٩٤ ق٠م) .

خلفه أربعة من أسرته ، انتقل العــرش من بعدهم الى أسرة ثانية ، كما دخل فى خصام مع العيلاميين الذين كــانوا يحتلون مدينة أور ، منــذ سقوطها فى أيديهم (عام ٢٠٠٦ ق٠م) ، حتى استطـــاع أن يسترجعها منهم ، حوالى عام ١٩٩٣ ق٠م ـــ أى بعد سقوطها بحوالى ١٣ عاما ـــ فى حرب لم تعرف تفاصيلها ، اندحر فيها العيلاميون اندحارا بلغت شدته حدا جعلهم لا يتحرشون بمدن العراق الجنوبية لفترة طويلة ٠

وهناك ما يشير الى قيـــام «ايشى ارا» بتعزيز وسائل الدفاع عن عاصمته ايســـن ، فضلا عن علاقاته التجارية بمـــدن الفرات الاعلى ، والمناطق الشمالية الشرقية ، وعن شغفه الشـــديد بالثقافة السومرية ، وكانت اللغة السومرية ما تزال هى اللغة الرسمية فى البلاط[٥] ٠

وجاء بعد «ايشى ارا» ولده «شوايليشو» (Shu - Illshu) (١٩٨٤ ـــ ١٩٧٥ ق٠م)[٦] ، ويشار اليه فى بعض انصوص ، أنه قد أعاد تمثال المعبود «ننار» من أنشان الى أور ، وان كنا لا ندرى على وجه اليقين ، أتم هذا بطريق سلمى أم فى حرب انكسرت أنشان فيها ٠

وجاء بعد ذلك «ايدين داجان» (Iddin - Dagan) (١٩٧٤ ـــ ١٩٥٤)[٧] ، وقد احتل سيبار ، وأعلن نفسه ملكا على سومر وأكـــد ، وأكبر الظن ان انتحال هذا اللقب ، ليس بالامر الجديد فى «ايسن» فلقد خلف سلفاه (أبوه وجده) نصوصـــا أو نقوشا نلتقى فيها بلقب «ملك ســـومر وأكد» ، وعلى أية حـــال ، فان خليفتـــه «ايشمى داجـــــان» Ishme - Dagan (١٩٥٣ ـــ ١٩٣٥ ق٠م) ذهب الى أبعد من ذلك ، فلقد عثر فى أور (المقير) على بعض قوالب طوب البناء ، وعليها لقب «سيد الوركاء» ـــ فضلا عن لقبى «ملك ايسن» ، و «ملك سومر وأكد» ـــ كما

---

(٥) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم ـ من كتاب العراق فى التاريخ ص ٨٢ ٠

6) CAH, I, Part, 2, 1971, P. 1000.

7) Ibid., P. 1000.

يسجل فى عبارات طنانة ما أسداه الى مدن نيبور واريدو وأور ، مما يؤكد امتداد سلطانه على هذه النواحى ، وقد ذكرت هذه المدن ، كما سجلت نفس الالقاب فى عصر ولده وخليفته «لبت عشتار» (Lipit - Ishtar) (١٩٣٤ — ١٩٢٤ ق٠م)[٨] ٠

وينسب الى «لبت — عشتار» هذا ، واحد من أهم التشريعات فى العراق القديم ، ويؤرخ بالعام الحادى عشر من حكمه (حوالى عام ١٩٢٤ ق٠م) ، وبعد «تشريع اشنونا» بنصف قرن ، وقبل تشريـــع حمورابى بقرن ونصف تقريبا ، ولم يبق من تشريع لبت عشتار ، سوى ثمـــانى وثلاثين مادة ، يحتمل أنها كانت تؤلف نحو نصف مواد التشريع ، فضلا عن مقدمة وخاتمة[٩] ٠

هذا وقد كتبت تشريعات لبت عشتار باللغة السومرية (وربما كانت هناك نسخة أخرى باللغة الاكدية)[١٠] وقد حفظت لنا فى سبعة ألواح ، عثر على ستة منها فى نيبـــور ، وهى محفوظة الان بمتحف الجامعة فى لندن ، أما السابعة — ومصدرها غير معروف — فمحفوظة الان بمتحف اللوفر فى باريس ، ومن المؤكد أن هذه النسخ الطينية (الكسر) انما هى نسخة من القانون الاصلى[١١] ، يدل على ذلك ، كثرة الاخطاء النحوية ، وسوء ترتيب المواد فلقد جرت العـــادة أن يستنسخ الطلبة القوانين أو

---

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٩ ، وكذا

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ ٠

10) C J. Gadd, Op. Cit., P. 635.

(١١) انظر عن قانون لبت عشـــتار (نجيب ميخائيل : المرجـــع السابق ٤٩/٦ — ٥٣ ، طه باقر : قانون لبت عشتار — مجـــلة سومر — بغداد ١٩٤٨ ، فوزى رشيد : الشرائع العراقية القديمة — بغداد ١٩٧٣ ، عبد العزيز صالح : المرجـــع السابق ص ٤٤٤ — ٤٤٥ ، رضـــا جـــواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٣ — ٧٤ ، وكذا

S. N. Kramer, Lipit - Ishtar Law Code, in ANET, 1966, P. 159-161.

F. R. Steele, The Code of Lipit - Ishtar, in AJA, LII, 1948, P 425-450

F. Szlechter, in RA, LI, 1957, P. 57-82, 177-196, LII, 1958, P. 74-89.

F. R Steele, in AJA, LI, 1947, P. 158-164.

بعض النصوص الدينية بغية تعليمهم وتدريبهم على الكتابة والقراءة . ومن ثم فمن المرجح أن هذه النصوص المكتشفة انما هى من قبيل هذه النصوص المكتشفة انما هى من قبيل هذه النصوص التعليمية.أما الاصل فقد دون على مسلة أو نصب مميز ، لم يعثر عليه بعد . الامر الذى تشير اليه الفقرة التى وردت فى مقدمة القانون . والتى تقول — على لسان لبت — عشتار — «عندمـا وفرت الرفاهية لبلاد سومر وأكد . أقمت هـذه المســلة»[١٢] .

هذا وقد اتخذ «لبت — عشتار» فى مقدمة قانونه لقب «ملك سومر وأكد» ، واعتبر نفسه ولدا للاله الاكبر «انليل» . ووصف نفسـه بانه الراعى الحكيم ، ولكنه سرعان ما عقب على ذلك بقوله : انه راع متواضع وأنه مزارع ، وأكد رعايته للمدن العتيقة نيبور واريدو وأور وأوروك ، وافتخر بأن ربه وهبه امارة البلاد ، ليدق الحق فيهـا . وليعمل على اسعاد السومريين والاكديين ، سواء بسواء ، وليقاوم الفساد والقلاقل بقوة السلاح ، ثم أكـد أنه استـوحى تشريعه من «أوتـو» — رب الشمس — و «انليل» وأقر كلماتهما المقدسة ، وأنه ابتغى أن يحرر أبناء مدن سومر وأكد وبناتها من الرق الذى فرض عليهم[١٣] .

وأما مواد القانون التى سلمت من التلف الذى أصاب الالواح . وقد أمكن ترجمتها ، فانها تعالج شئون الاراضى الزراعية ، وشئون السرقة فى البساتين ، أو فى دار مجاورة لأرض زراعية مهجورة . فضلا عن شئون العبيد فى حالات هربهم ، أو ايواء الهاربين منهم أوعتقهم ، كما تناولت مواد أخرى حالات الاعتداء على الاخرين ، وتنظيم شئون الضرائب . وقد اهتمت كثيرا بقانون الاحوال الشخصية ، وخاصة فيما يتعلق بشئون الابناء ، فضلا عن الحقوق المالية والاجتماعية وشئون الارث[١٤] .

---

(١٢) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٣ — ٧٤ .
(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .
(١٤) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٤ .

وهناك ترجمة لأهم مواد القانون الباقية كاملة :

مادة ١٨ : اذا سلم رجل أرضا بورا الى آخر ، ليقيم فيها بستانا ، ولم يكمل الاخير اصلاح الارض البور لعمل البستان ، فانه يسلم الرجل الذى أقام البستان الارض البور التى أهلها ، كجزء من نصيبه •

مادة ١١ : اذا جاورت أرض بور منزلا عامرا ، وأنذر صاحب المنزل صاحب الارض البور بخوفه من أن يتسلل رجل الى بيته ، فان صاحب الارض البور (الفضاء) مسئول أمام صاحب المنزل عما يضيع من مقتنياته •

مادة ١٢ : اذا هربت أمة أو عبد الى قلب المدينة ، وثبت أنها — أو أنه — يعيش فى بيت رجل آخر مدى شهر ، فانه يرد أمة أو عبدا ، مقابل الامة أو العبد •

مادة ١٣ : اذا لم يكن له عبيد ، فانه يدفع ١٥ شاقلا من الفضة

مادة ١٤ : اذا عوض عبد عن عبوديته لمولاه ، وثبت أنه عوضه تعويضا مضاعفا ، فانه يعتق (وهذا يعنى أن القانون قد أباح للعبد أن يحرر نفسه اذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به) •

مادة ١٨ : اذا عجز ، أو تأخر ، صاحب ضيعة — أو صاحبة ضيعة — عن دفع ضريبة الضيعة ، ونقلت الى شخص غريب ، فان صاحب الضيعة يظل فيها ثلاث سنوات ، دون أن يطرد ، ثم تنتقل ملكيتها بعد ذلك الى من تحمل دفع الضريبة عن الضيعة ، وليس لصاحبها الاول أى دعوى قبلها •

مادة ٢٢ : اذا كان الاب حيا ، فمن حق ابنته — سواء أكانت «انتو» (طبقة من الكاهنات) أو «ناتيتو» (طبقة أخرى من الكاهنات) — أن تعيش فى بيته ، كوريثة له •

مادة ٢٤ : اذا حملت الزوجة الثانية بأطفال (وهذا يعنى أن القانون يقر سعيدا تعدد الزوجات) فان البائنة التى أتت بها من بيت أبيها . انما هى حق لأطفالها ، ولكن أطفال الزوجة الاولى والثانية انما يأخذون أنصبتهم من ممتلكات أبيهم بالتساوى[١٥] .

مادة ٢٥ : اذا تزوج رجل بأمرأة ، ثم رزق منها بأطفال ، ثم رزق أيضا من أمة له بأطفال كذلك ، فان الامة وأطفالها يحررون ، غير أن أبناء الامة لا يشاركون أطفال أبيهم الاخرين فى ضيعته .

مادة ٢٦ : اذا ماتت الزوجة الاولى ، ثم اتخذ زوجها من بعدها أمة له كزوجة ، فان ورثته انما هم أبناء الزوجة الاولى ......

مادة ٢٧ : اذا كانت الزوجة عقيما ، ثم اتخذ لنفسه مخطية «من الميدان العام» (ربما بمعنى عاهرة) ورزق منها بطفل أو أطفال : وجب عليه أن ينفق على حظيته ، وأن يورث أولاده منها ، ولكن ليس له أن يسكنها فى داره ، ما دامت زوجته حية (وفى ذلك بعض التقدير لكرامة الزوجة الشرعية ، ومراعاة مشاعرها كعاقر حرمت هبة الانجاب) .

مادة ٢٨ : اذا أدار الرجل وجهه عن زوجته الاولى (بمعنى هجرها) ، ولكنها لم تغادر البيت ، ثم بنى بأخرى ، فان هذه الزوجة الثانية ــ كأثيرة عنده ــ تصبح زوجته الثانية ، ولكنه يستمر فى الانفاق على الزوجة الاولى .

مادة ٢٩ : اذا دخل خطيب الابنة مسكن حميه المقبل . وقام بمراسيم الخطبة : ثم طرد بعد ذلك ، وأعطيت خطيبته لرفيقه . فان جميع هدايا الخطوبة ترد له ، كما أن الفتاة لا تتزوج من رفيقه .

---

(١٥) قارن ذلك بقانون «البكورية» عند بنى اسرائيل (محمد بيومى مهران : اسرائيل ــ الجزء الاول ــ الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٩٠ ــ ١٩٤) .

مادة ٣٤ : اذا أجر رجل ثورا ، وجــرح جلده عند خزامة الانف ، فانه يدفع ثلث ثمنه •

مادة ٣٥ : اذا أجر رجل ثورا ، وفقأ عينه أو أصابها ، فانه يدفع نصف ثمنه •

مادة ٣٦ : اذا أجر رجل ثورا ، وكسر قرنه ، فانه يدفع ربع ثمنه •

مادة ٣٧ : اذا أجر رجل ثورا ، وأصاب ذيله ، فانه يدفع ربع ثمنه•

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن «لبت — عشتار» — رغم اهتمامه بالتشريع — فقد قام بتشييد عدة مبان فى أور ، غير أن معاصره «جونجونوم» (Gungunum) (١٩٣٢ — ١٩٠٦ ق•م) ملك لارسا ، سرعان ما انتزع منه عدة مدن هـامة ، مثل أور ولجش ، وفرض حكمه على مناطق واسعة فى جنوب العراق ، مكنته من التحكم فى تجارة البلاد الخارجية . ومع ذلك فان «جونجو نوم» لم يتعرض لأسرة ايسن ، أو أنها ، فيما يبدو ، قد استطاعت أن تستعيد قواها •

وهكذا تشير قوائم الملوك الى أن خليفة «لبت عشتــار» انما كان «أور ننورتا» (١٩٢٤ — ١٨٩٦ ق•م) وتصفه نصوص كتبت على قوالب من طين . وهو يحمل الالقاب التقليدية «ملك ايسن ، ملك سومر وأكد» ، بل ويظهر فى بعض النصوص بوصفه — الى جانب الالقاب السابقة — سيد الوركاء ، وحامى نيبور وأور واريدو ، وبعد حكم دام ٢٨ عاما ، نرى ابنه «بورسن» يخلفه وهو يحمل نفس الالقاب التى كان يحملها أبوه . ثم جاء بعد «بورســن» (١٨٩٥ — ١٨٧٥ ق•م) «لبت انليل» (١٨٧٤ — ١٨٧٠ ق•م) •

وجاء «ايرا — ايمينى» (١٨٦٩ — ١٨٦٢ ق•م) ، وقد وقع فى عهده حدث غريب لا نعرف تفاصيله ، فلقد تم اختيار ملك بديلا له ، حسب العادة المعروفة أنذاك ، ليحكم مدة معينة ، عندما يشعر الكهنة أن شخص

الملك الحقيقى معرض للخطر ، وعنئذ يحكم الملك البديل عوضا عنه ، ثم يقتل فى نهاية الفترة المحـددة ، ويدفن فى موكب عظيم ، وهكذا أختير البستانى «انليل ـ بانى» ليكون الملك البديل ، غـير أن الملك «ايرا ـ ايمينى» سرعان ما قتل أثناء تناوله حسـاء ، وربما كانت هناك مؤامرة ضده ، وبالتالى فقد مات مسموما ، وربما كان «انليل ـ بانى» من وراء هذه المؤامرة ، وأيا ما كان الامر ، فلقد أصبح «انليل ـ بانى» هو الملك الجديد ، وحكم البلاد ٢٣ عاما (١٨٦١ ـ ١٨٣٨ ق٠م) ٠

وكان الملوك الثلاثة الذين أتـو بعد «انليل ـ بانى» (زامبيـا ـ ايتربيشا ـ أور ـ دوكوجا) والذين حكموا البلاد فترة لا تتجاوز عقدا من الزمان (١٨٣٨ ـ ١٨٢٨ ق٠م) لا تربطهم مع بعض أى صـلة من قرابة ، الامر الذى يشير الى مدى الاضطراب الداخلى الذى ساد البلاد غير أن الفترة الاخيرة من عهد الاسرة ، والتى حكم فيها «سن ـ ماجير» (١٨٢٧ ـ ١٨١٧ ق٠م) و «دمق ايليشو» (١٨١٦ ـ ٢٧٩٤ ق٠م) انما كانت أكثر استقرارا ، وقد عثر للملك «سن ـ ماجير» على نقش نذرى مكرس له بوصفه سيد المدينة ، بل انه ظل يتمسك فى نص آخر بلقب «ملك سومر وأكد» ، وكان ولده «دمق ايليشو» يصطنع نفس اللقب ، بل ان هناك ما يشير الى أن سيبار وبابل قـد خضعتا لحكمه فترة من الزمن ، فكان ـ كأبيه ـ ملكا على سومر وأكد ، غير أن الامور سرعان ما تغيرت حتى استطاع «ريم سين» ملك لارسا أن يقضى على سلطان «دمق ايليشو» ، ويحتل العاصمة «ايسين» ، وان ينهى حكم أسره ايسين تمامـا ٠

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن ملوك أسرة ايسين ـ رغم أنهم كانوا من أصل أمورى سامى ـ انما قد تأثروا كثيرا بالثقافة السومرية ، ومن ثم فقد استعملوا اللغة السومرية فى تدوين مكاتباتهم الرسمية ، واستنسخوا النصوص الادبية السومرية ، واستخدموا ألقـاب الملوك السومريين والاكديين ، كلقب «ملك سومر وأكد» ، وأخيرا فلقد قلدوا

ملوك أسرة أور الثالثة فى اضافة علامة التأليه (النجمة) الى أسمائهم ، بغية أن يضفوا على أنفسهم مسحة من القداسة[١٦] .

(٢) أسرة لارســـا

أسس هذه الاسرة «نابلانوم» (Naplanum) (٢٠٢٥ — ٢٠٠٥ ق٠م)[١٧] — وهو أمورى الاصل — فى مدينة «لارســا» — وهى تل سنكرة الحالية ، على مبعدة ٣٠ كيلا شــمال غرب الناصرية — ثم تلاه ثلاثة من الملوك الضعــاف .

وكان خليفته الرابع «جونجونوم» Gungunum (١٩٣٢ — ١٩٠٦ ق٠م) ملكا قويا . استطاع أن يقف فى وجه أسرة ايسن ، والتى كانت حتى ذلك الوقت تتمتع بنفوذ سياسى كبــير فى البلاد ، وهناك ما يتســير الى أنه وجه جيشــا نحو عيلام ، وهــاجم مدينتى «باشيمى»

---

(١٦) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٤ — ٨٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ — ١٨٤ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 171 F.

(١٧) انظر ملوك أسرة لارسا وفترات حكمهم (نجيب ميخــائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٥ ،وكذا
CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 1000.

وهى طبقا للمرجع الاخير كالتالى :
١ — نابلانوم (٢٠٢٥ — ٢٠٠٥ ق٠م) .
٢ — اميسوم (٢٠٠٤ — ١٩٧٧ ق٠م) .
٣ — ساميوم (١٩٧٦ — ١٩٤٢ ق٠م) .
٤ — زابايا (١٩٤١ — ١٩٣٣ ق٠م) .
٥ — جونجونوم (١٩٣٢ — ١٩٠٦ ق٠م) .
٦ — أبى — سارة (١٩٠٥ — ١٨٩٥ ق٠م) .
٧ — سمو — ابل (١٨٩٤ — ١٨٦٦ ق٠م) .
٨ — نور — أداد (١٨٦٥ — ١٨٥٠ ق٠م) .
٩ — سن — أدينام (١٨٤٩ — ١٨٤٣ ق٠م) .
١٠ — سن — اريبام (١٨٤٢ — ١٨٤١ ق٠م) .
١١ — سن — اكيشام (١٨٤٠ — ١٨٣٦ ق٠م) .
١٢ — صلى — أداد (١٨٣٥ ق٠م) .
١٣ — ورد — سن (١٨٣٤ — ١٨٢٣ ق٠م) .
١٤ — ردم — سن (١٨٢٢ — ١٧٦٣ ق٠م) .

و «أنشان» ، أما فى الداخل فلقد هـاجم مملكة ايسين ، واستولى على أور ، وزعم أن سلطانه قد شـمل سومر وأكد ، وبعد سنوات قلائل ، استولى على لجش وسوسة ، وربما أوروك ، وأصبحت لارسا على أيامه تمتلك نصف جنوب العراق ، وباب البحر السفلى (الخليج العربى) ، ومن ثم فقد اتخذ لقب «ملك سومرو أكد» •

وهكذا استمرت «لارسا» فى التوسع ، فى حين بدأ نفوذ «ايسين» فى الانحسار ، ابتداء من عهد «لبت عشتار» (١٩٣٤ — ١٩٢٤ ق٠م) ، غير أن «جونجونوم» — كما أشرنا من قبل — لم يتعرض لأسرة ايسين ، أو أن أسرة ايسين استطاعت أن تستعيد قواها •

وعلى أية حال ، فلقد خلف «أبى — سارة» (Abi - Sart) (١٩٠٥ — ١٨٩٥ ق٠م) «جونجونوم» على عرش لارسا ، وقام بشق القنوات ، وتزيين معابد الالهة ، ومن ثم فقد تلقى «ننار» — معبود أور — تمثالين، الواحد من الفضة ، والاخر من العقيق واللازورد ، وفى سنته التاسعة (حوالى عام ١٨٩٥ ق٠م) حـارب قوات ايسـين ، على أيـام الملك «بورسين» (١٨٩٥ — ١٨٧٤ ق٠م) ، غير أن «بورسين» لنما قد نجح فى أن يستعيد «أور» من «لارسا» (Larsa) ، فضـلا عن لقب «ملك سومر وأكد» •

وجاء «سمو — ايل» (Sumuel) (١٨٩٤ — ١٨٦٦ ق٠م) — بعد أبى — «سارة» ، وأعلن نفسـه «ملكا على أور» و «ملكا على سـومر وأكد» ، بعد أن استولى على لجش ، وأهدى الى الالهة «ننن ايسن» كلبا نذريا من حجر الستياتيت ، ثم حارب «كازاللو» و «كايدا» وكيش، وانتصر عليهم جميعا ، ثم شق القنوات ، وأهدى المعبود شمش تمثالا من الفضـة •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أنه فى العام التالى لحكم «سمو — ايل» ملك لارسا ، و «بورسن» ملك ايسين ، أعلن «سومو —

أبوم» (Sumuabum) نفسه ملكا عى بابل (١٨٩٤ — ١٨٨١ ق٠م)
وكان لظهور أسرة بابل هذه تأثير خطير على الاحداث ، ليس فى العراق القديم فحسب ، بل فى تاريخ الشرق الادنى القديم كله ، من النواحى السياسية والثقافية والعمرانية ، وجدير بالذكر هنا أن القبائل الامورية التى كان يتزعمها «سومو — ابوم» انما تمثل الموجة الامورية الثانية التى دخلت بلاد النهرين ، بينما تمثل أسرتا ايسين ولارسا الموجة الاولى ٠

وعلى أية حال ، فلقد أخذ نفوذ أسرة بابل هذه يزداد شيئا فشيئا ، الامر الذى أدى الى أن تشتبك فى حرب مع ملك لارسا «صلى — أداد» (Silli - Adad) (١٨٣٥ق٠م) انتهت بقتله،الامر الذى أدى الىأن ينتهزالملك العيلامى «كودور مابك» الفرصة فى أن يتدخل فى شئون لارسا ، وأن ينصب ولده «ورد — سين» (Warad - Sin) (١٨٣٤ — ١٨٢٣ ق٠م) ملكا على لارسا ، ثم خلفه أخوه «ريم سن» (Rim - Sin) (١٨٢٢ — ١٧٦٣ ق٠م) الذى قضى نهائيا على أسرة ايسن المعاصرة تماما فى عام ١٧٩٣ ق٠م ٠

وعلى أية حل ، فلقد كان سقوط أسرة ايسين سببا فى أن يصبح الجو السياسى مهيئا أكثر من أى وقت مضى لنزاع مرتقب بين القوتين القويتين — ايسين وبابل — الامر الذى تم فى عـام ١٧٦٣ ق٠م ، على يد الملك البابلى الشهير حمورابى الذى حقق نصرا ساحقا على «ريم سن» ، وبذا انتهت أسرة ايسين الى الابد[١٨] ٠

---

(١٨) ل٠ ديلابورت : المرجـع السـابق ص ٤٢ — ٤٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ — ١٨٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٤ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ٧٤ — ٧٥،أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 636-637.

(٣) مملــكة اشــنونا

شملت مملكة اشنونا (تل أسمر الحالية) على أرضين تقــع ضمن محافظتى بغداد وديالى ، بعاصمتها المتمثلة فى تل أسمر ، وقد كان يتبعها عدة مدن ، يمثلها الان تل حرمل وخفاجى وتل الضباعى وشجالى ، وكان تل حرمل — ويقع على مبعدة ٩ كيلا شرقى بغداد — يمثل ضاحية من ضواحى اشنونا تسمى «شادوبم» ، ومركزا اداريا لمملكة اشنونا بعد استقلالها فى أخريات عهد أسرة أور الثالثة ، وقد عثر فيه على مجموعة من الالواح تتضمن نصوصا تمثل نواحى المعرفة ، فضلا عن قــانون لا نعرف مشرعه ، وان نسبه «طه باقر» و «جوتزة» الى ملك دعــوه «بلالاما» ، ثم عدل الاخير عن رأيه ، واكتفى بنسبة التشريع الى مدينته «اشنونا»[١٩] .

هذا ويعتبر تشريع اشنونا هو التشريع التانى من نوعه ، بعد المحاولة التى قام بها «أور — نامو» مؤسس أسرة أور الثالثة ، أو هو الثالث بعد المحاولة الادارية التى قام بها «أوركاجينا» فى لجش ، وهو يعد أول القوانين التى كتبت باللغة الاكادية ، وقد كشف عنه خلال حفريات مديرية الاثار العراقية فى موقع أثرى يقع فى منطقة بغداد الجديدة ، الكائنة فى ضواحى العاصمة بغداد ، اسمه تل حرمل ، غــير أن النسخ المكتشفة ليست هى القانون الاصلى ، وانما هى نمــاذج أستخدمت فى أغراض تعليمية ، ومن ثم فهى — شأنها فى ذلك شأن قانون لبت عشتار مثلا — عرضه للاخطاء النحوية ، وعدم الدقة فى تبويب أبوابها .

هذا وقد بقيت من قانون اشنونا هذا ، احدى وستون مادة ، عالجت أهم جوانب الحياة فى عصرها ، وشهدت بالكفاية التشريعية لأصحابها ،

---

(١٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، طه باقــر : السابق ص ٢٨٨ ، نجيب ميخائيل المرجع السابق ص ٤٥ ، وكذا
A. Goetze, ANET, P. 161.
G Roux, Op. Cit., P. 175.

غير أنه — على غير العادة فى القوانين السابقة — فـان المواد الاحدى عشرة الاولى ، انما تتعلق بتحديد الاسعار والاجور ، مما يثير الشك فى صحة تبويب هذه المواد ، كما أنها لا تبدأ بأداة الشرط «اذا» ، على غرار المواد القانونية[20] .

وعلى أية حال ، فلقد اهتمت مواد القانون بأسعار الكثير من المواد الضرورية ، كالشعير والزيت والملح والنحاس وتأجير العربات والقوارب والعمال الزراعيين والاجراء ، كما اهتمت كذلك بالعبيد وبالزواج والطلاق والاقراض والدين والتبنى والارث والبيع والشراء والتعدى ، فضلا عن تحديد العقوبات على جرائم عصرها ، وعلى الاضرار التى تلحق بالغير ، وقد جمعت فى ذلك بين القصاص والدية .

وهكذا تناولت تشريعات اشنونا أغلب مشكلات الحياة فى عصرها ، وأدى العثور على ما بقى منها الى تعديل الفكرة الشائعة التى أعتبرت تشريعات حمورابى أقدم تشريعات مكتوبة فى العراق القديم ، وعلى أية حال ، فيمكن تقسيم تشريعات اشنونا الى مجموعات : اهتمت مجموعة منها بتحديد أسعار الاقوات الضرورية كالشعير والزيت والملح ، فجعلت كور الشعير بشيقل فضة ، وسعر الثلاث «كا» من الزيت الممتاز بشيقل فضة ، وكذا كورى الشعير ، وأما «كا» زيت السمسم الفاخر فبثلاث سيات من الشعير (المواد ۱ ، ۲) .

واهتمت مجموعة أخرى بتحديد أجور العربات والقوارب ، ومن يعملون عليها ، فضلا عن أجور العمال الزراعيين ، فجعلت أجرة العربة بثيرانها وسائقها طوال اليوم ، «بانا» ، ٤ سيات شعير ، أو ثلث شيقل فضة (مادة ۳) ، وجعلت أجرة نقل حمولة كور بالقارب ، ۲ قو (كو) شعير ، وأجرة المراكبى طوال اليوم ، سيه وقو من الشعير ، (مادة ٤)،

---

(۲۰) رضا جـــواد الهاشمى : المرجـــع السابق ص ۷٥ — ۷٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا
Taha Baqir, Tell-Harmal, Sumer, II, 1946, P. 23-30, IV, 1948, P 137-138.

على أن يدفع ثمن مـا أغرقه . اذا ما تسبب باهماله فى غـرق المركب (مادة ٥) ، وأما اذا استولى مراكبى على مركب لا يملكه ، فانه يدفع عشرة شواقل من الفضة (مادة ٦) ؛ كما جعلت أجرة الحمار والحمال طوال اليوم سيتين من الشعير ، وجعلت أجرة الفلاح فى موسم الحصاد سيتين من الشعير . أو وزن ١٢ حبة من الفضة ، وأما أجرة الاجير فى الشهر فكانت شيقلا من الفضة ، وبانا من الشعير ، وجعلت أجر مذريات الحبوب سيتا من الشعير ، على أنها اشترطت أن يدفع الاجـير عشرة شواقل من الفضة لمن استأجره للحصاد ، ولم يضع نفسه تحت تصرفه ، ولم يكمل له العمل الذى استؤجر من أجله (المواد ٧ — ١١) .

واهتمت مجموعة ثالثة بالعقوبات ، فجمعت بين القصاص والدية ، ومن ثم فقد رضيت بالقتل عقابا للقاتل ، ولكنها أقرت مبدأ الدية على الجروح التى لا تؤدى الى الوفاة ، فقضت على من عض أنف شخص، أو اقتلع عينه ، بان يدفع دية قدرها «منا» من الفضة . وقضت على من كسر سنا لآخر ، بأن يدفع له عشرة شواقل من الفضة ، وألقت مسئولية ما يأتيه العبد أو الفحل أو الكلب على كاهل صاحبه (المواد ٤٢ — ٤٨ ؛ ٥٣ — ٥٧) .

وعنيت مجموعة رابعـة بتنظيم العلاقات الاسرية . والمعـاملات الخاصة ، فاشترطت رضا الوالدين على زواج ابنتهما ، وقررت أن من أغوى فتاة على معاشرته ، دون أن يعقد عليها أمام والديها ؛ أوحدهما . لن تصبح له زوجة ، حتى وان أقامت فى داره حولا كاملا ، ولكنه من ناحية أخرى ، اذا عمل عقد زواج مع أبيها أو أمها وعايشـها ، فانها تصبح زوجة بيت ، وان وجدت مع رجل آخر تقتل .... انها لا تخرج حية، كما نصت على أنه اذا ما تعاقد رجل مع شاب على تزويجه ابنته . ثم زوجها لغيره ، وجب عليه أن يرد له ضعف ما أخـذه منه كما نصت على أنه اذا اعطى رجل مال العرس لابنة رجل آخر ، ثم اغتصبها رجل ثالث ، دون إستئذان أبيها ، أو أمها ، وافتض بكارتها ، فان هذه جريمة كبرى ، عقوبتها الموت (المواد ٢٥ — ٢٨) .

ونصت على حق المحارب الذى يؤسر — مدافعا أو غازيا — وينقل الى ديار أعدائه ، فى أن يسترد زوجته حين عودته ، ولو تزوجت غيره ، خلال غيابه عنها ،و لكنها حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها لها ، أو آبقا من سيده ، كما جعلت القتل عقابا على الزوجة الزانية ، وأما من يفتض بكارة جارية رجل آخر ، فانه يدفع ثلثى «منا» من الفضة ، وتظل الجارية ملكا لسيدها (المواد ٢٩ — ٣١) .

ونصت على أن من طلق زوجته ذات الاولاد ، وتزوج غيرها، عليه أن يفارق دارها وما فيها هو ، ومن أراد أن يتبعه من أهل داره (مادة ٥٩) ، ونصت على أن من سلم ابنه للحضانة والتربية ، ولم يعط الحاضنة تموينا من الشعير والزيت والصوف مدى ثلاث سنوات ، فانه يدفع ١٠ منا من الفضة ، فى مقابل تنشئته ، حتى يمكنه أن يسترد ولده، وأما اذا سلمت جارية طفلها لابنة رجل آخر ، وشهد سيده حين يكبر ، فانه يستطيع أن يسترده (المواد ٣٢ — ٣٣) .

واستنت شريعة اشنونا مبدأ الشفعة ، فأقرت حق الاخوة فى شراء نصيب أخيهم من الميراث ، اذا أراد بيعه ، وأن من باع دارا ، فهو أحق بشرائها ثانية ، لو باعها مشتريها ، (المواد ٣٨ ، ٣٩) ، ونصت على أنه اذا اشترى رجل عبد أو أمة أو ثورا أو بضاعة ثمينة ، ولكنه لميستطعان يحدد البائع له ، فهو لص (مادة ٤٠) ، كما حددت أرباح القروض — معدنية أو عينية — فجعلت ربح الشيقل من الفضة سدسا وست حبات ، وجعلت ربح كور الشعير ، «بانا» وأربع سيات من نفس نوعه (المواد ١٩ — ٢١) .

ونصت على أن من يسترهن جارية رجل ، ليس له دعـوى قبله ، ويقسم الرجل على ذلك ، فان يدفع له فضة كاملة عن الجارية ، فاذا ما قتلها يدفع له مقابلها جاريتين ، وأما من احتجز زوجـة «موشكينوم» (عضو فى هيئة تتصل بالقصر أو المعبد) أو طفلا له وقتلهما ، فانه يقتل (المواد ٢٢ — ٢٤) ، ونصت على أنه ان كان هناك حائط يهدد بالانهيار ،

ووصل الى السطات نبأ علم صاحبه بذلك ، ولم يقم بتدعيمه ثم انهار الحائط فقتل واحدا من طبقة الاحرار ، فـان هذه جريمة كبرى يفصل فيها الملك (مادة ٥٨) .

هذا وقد حرصت مجموعة خامسة من التشريعات نفسها على تأكيد حقوق القصو الملكية والمعابد والسادة فيما يمتلكون من العبيد والجوارى والعقارات ، فحرمت على الرقيق والاماء الموسومين بأسماء سادتهم أن يجتازوا بوابة اشنونا ، دون اذن من سادتهم ، وأكدت حقوق السادة فى امتلاك أبناء جواريهم ، ولو ربـاهم غيرهم ، وحرمت على العبد أو الجارية أن يتاجر لحسابه ، وتوعدت من يتعامل معه ، أى أنها اعتبرت العبد لا يملك شيئا ، وهو وما يملكه ملك لسيده ، «لا يجوز للتاجر أو بائعة الخمر أن يتسلم من عبد أوأ مة فضـة أو حبوبا أو صوفا أوزيتا كراس مال للمتاجرة» ، وقـد فرضت عشرة شواقل من الفضة على من يضبط نهارا فى حقل رجل من «موشكينوم» أو فى داره ، والقتل على من يضبط ليلا (المواد ١٢ ـ ١٦)[٢١] .

وأما عن الناحية السياسية فى مملكة اشنونا ، فان أول حاكم استقل بها كان «ايليشو ـ ايليا» حوالى عام ٢٠٢٥ ق.م ، والمعروف أن ضعفا حل باشنونه جعلها تابعة لايسين ثم الدين وكيش ، ثم جـاء بعد ذلك ملوك نهضوا بالملكة ، منهم «ابق أداد الاول» التى تخلصت فى أيـامه واتخذ لقب ملك أشور ، ويرجح أنه الملك المعروف بنفس الاسم فى ثبت اشنونا من السيطرة الخارجية،ثم خلفه «نارام سن» الذى وسع المملكة،

---

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥ ـ ٤٩ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ، رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٥ ـ ٧٦،وكذا

T. Baqir, Sumer, 4, P. 153-173.

A. Goetze, The Laws of Eshnunna, in ANET, 1966, P. 161-163.

A Goetze, Sumer, 4, 1948, P. 63-102, JAOS, 69, 1949, P. 115-120.

A. Pohl, Orientalia, 8, 1949, P. 124-128.

G Roux, Op. Cit., P. 173.

M. S. Nicolo, Orientalia, 18, P. 258-262.

واتخـذ لقب «ملـك أشـور» ،و يرجـح أنه الملك المعـروف فى نبت الملوك الاشورى ، ثم جاء بعده «داد وشه» الذى ساعد «زمرى ليم» ملك مارى (تل الحريرى) على استرجاع عرشه من الاشـوريين ، ثم قوضت دعائم المملكة بحيث لم تقو على الصمود أمام «حمورابى» الذى استولى عليها فى عام ١٧٦١ قبل الميلاد ٠

وعلى أية حال . فلقد كان لأشنونا دور كبير فى عصرها ، ربما بسبب ثرائهـا الذى كان نتيجة امتلاكها لأرضين خصبة ، تغـذ بها شبكة من القنوات وفروع الانهار ، فضلا عن موقعها الجغرافى المتوسط ، الامر الذى كان له أكبر الاثر فى تجارتها[٢٢] ٠

بقيت الاشارة الى قيام أسرة مالكة أيضا فى «أشور» — كما أشرنا من قبل استقلت بعد انهيـار أسرة أور الثالثة ، وظلت كذلك حتى أيام حمورابى ، وأما أول ملوك أسرة أشور هذه ، فهو «ايلو — شـوما» ، وكان معاصر لمؤسس أسرة بابل الاولى (سومر — ابـوم) ، وكان من أشهر ملوكها «اير — يشوم» و «سرجون الاول» (الاشورى) ، ولعل مما تجدر ملاحظته هنا أن أسماء هذه المملكة الاشورية ، أسماء سامية ؛ فمثلا اسم «اير — يشوم» مثل اسم «الحارث» بالعربية[٢٣] ٠

---

(٢٢) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٧ — ٨٨ ٠
(٢٣) طه باقر : المرجع السابق ص ١٤٤ ٠

الباب الخامس

البابلـــيون

الفصل الأول

أسرة بابل الأولى

(١) بابل :

مدينة قديمة تقع على الفرات ، على مبعدة ٩٠ كيلا جنوبى بغداد . ويقوم على أطلالها حاليا ، تل بابل والقصر وعمـران بن على والمركس وقرى أخرى مثل عنانة وكويرش وجمجمة واندسار ، ورغم أن التنقيبات فى بابل لم تتقدم بسبب ارتفاع مستوى المياه الجوفية ، الى أكثر من طبقة العصر البابلى القديم ، الا أنه يجوز الافتراض أن المدينة كانت قبل وصول الاموريين — أو الساميين الغربيين — اليها ، مجـرد بلدة عادية ، عرفها السومريون باسم «كدنجـيرا» ، فأحالها الاموريون الى حاضرة كبيرة ، وأحسنوا استغلال موقعها التجارى والزراعى فى أضيق منطقة خصبة يتقارب فيها نهر دجلـة والفرات . وأطلقـوا عليها اسم «بابل» ، وهو اسم ليس هنـاك ما يمكن تأكيده عن معناه ، وان كان الشائع هو ترجمته بمعنى «باب ايلو» أى «باب الاله» ، ويذهب أصحاب هذه الترجمة الى أنها قريبة مما تدل عليه التسمية السومرية «كدنجيرا» التى استمرت تستخدم الى جانبها ، مع مترادفات أخرى مستحدثة[1] .

وأما معنى اسم «بابل» فى التوراة ، فيقدمه لنا سـفر التكوين فى قصة أو أسطورة طريفة تقول : ان الله — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — قد رأى سلالة الناجـين من الطوفان يبنون برجا بغية الوصـول اليه — سبحانه وتعالى — فى علياء سمـائه ، وكانوا يحسبون السماء أشبه بلوح زجاجى يعلو على الارض بضع مئات من الامتار ، فخشى شرهم واحتاط لنفسه ، فهبط الارض وبلبل ألسنتهم ، فتفرقوا شذر مذر ، ومن ثم فقد «كفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمهـا بابل ، لأن الرب

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٨ ، قـاموس الكتاب المقدس ١٥٢/١ ، محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٦٦ — ٦٧،وكذا
M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 115-118.

هناك بلبل لسان كل الارض ، ومن هنــاك بددهم الرب على وجــه كل الارض»[٢] .

وعلى أية حال ، فان «برج بابل» هذا ، ربما كان هو «زاقورة بابل»، وقد شاهده الكتاب الاغريق بعد أن خرب ، وطبقا لرواية «هيرودوت» فقد كان يتكون من ثمانى طبقات يمكن الوصــول اليها عن طريق درج خارجى[٣] ، ويذهب «سترابو» و «ديودور» الى أن برج بابل انما كان على شكل هرم ، مربع القاعدة ، وهو على أية حال يشكل جزءا من معبد مردوك ، ويدعى فى النصوص المسمارية «اى — تمين — ان — كى» أى المعبد الذى أساسه السماء والارض ، ويتكون من صحن كبير فى داخله وعلى مقربة من النهر زاقــورة (برج) بابل ، والتى يبلغ ارتفاعها ٩١ مترا ، ومساحة قاعدتها ٩١×٩١ مترا مربعا ، وقد هدم برج بابل فى عام ٤٧٩ ق٠م ، على يد الملك الفارسى «اكزركسيس الاول» (٤٨٤ — ٤٦٥ ق٠م)[٤] .

هذا ورغم أن هناك من يرجح أن بابل قد أنشأها الاكديون ، فذلك أمر لم يثبت بعد ، وعلى أية حال ، فلقد ذكرت منذ العصر الاكدى غير أن دورها السياسى لم يبرز الا فى مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، بعد أن اختارها الاموريون الساميون عاصمة لهم (أسرة بابل الاولى) ، وان كان كتاب العهد القديم والمؤرخون اليونان لم يتطرقوا الى ذكرها ، الا منذ عهد «نبوخذ نصر الثــانى» (٦٠٥ — ٥٦٢ ق٠م) ، وكانت وقت

---

(٢) تكوين ١/١١ — ٩ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الثالث ص ٢٩٠ ، وكذا
J. Gray, Near Eastern Mythology, London, 1969, P. 104-105.

(٣) يذهب الدكتور مؤيد سعيد الى أن الزاقورة يفترض أنها من سبع طبقات ، تعلوها غرفة الاله ، وأما ارتقاء الزاقورة فكان يتــم عن طريق ثلاث سلالم متعامدة ، اثنان منها تلاصق الضلع الجنوبية للزاقورة وأما الثالث فهو عمودى عليها (كتاب حضارة العراق ١٨٠/٣ — بغــداد ١٩٨٥) .

(٤) هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية — بيروت ١٩٨٨ ص ١٩٢ — ١٩٣ ، مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٩ .

ذاك فى أوج عظمتها ، والى هذا الملك الكدانى تنسب حدائق بابل المعلقة التى أقامها لزوجته الماذية «اميثيس» فى الزواية الشمالية الشرقية من القلعة الجنوبية ، فيما يرى العلماء الالمان ، فضلا عن قصره الكبير ، والمكون من ١٧٢ غرفة ، وزاقورة من اللبن[٥] ، أحيطت بسور من الآجر

وتشير النصوص القديمة الى أنه كان فى بابل ٥٣ معبدا رئيسيا ، ٣٦٠ محاربا ثانويا ، أشهرها ، دون شك ، معبد مردوك ، كما كان للمدينة ثمانية أبواب رئيسية ، أحدها باب عشتار ، الهة الخصب ، ويقع فى الجهة الشمالية ، يليه رواق طوله ٣٠ مترا ، يفضى الى صالة الاحتفالات ومعبد مردوك[٦] .

وليس هناك من ريب فى أن اختيار الاموريين بابل عاصمة لملكهم انما كان اختيارا موفقا ، لأسباب كثيرة ، منها أنها تقع وسط العراق بصفة عامة ، فضلا عن وقوعها وسط المناطق التى يتركز فيها العمران والسكان ، هذا الى جانب منعتها الجغرافية ، ومنها طريقة الرى الفعالة للارضين الصالحة للزراعة فى بابل ومجاوراتها ، ومنها أنها تقع على الفرات ، وهو نهر صالح للملاحة ، الامر الذى عاد بفائدة كبيرة على التجارة والملاحة فى آن واحد ، وقد أدى ذلك كله الى ازدهار المدينة فى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وخاصة على أيام أسرة بابل الاولى

---

(٥) جاء اسم أشهر «زاقورات بابل» اى - تمين - ان - كى (E - Temen - an - Ki) بمعنى «المعبد الذى أساسه السماء والارض» أو «بيت أساسات السماء والارض» فى نص مدون على حجر من عهد «نبوبولاسر» (٦٢٦ - ٦٠٥ ق٠م) جاء فيه «أن مردوك أمرنى أن أضع أساسانه فى جوف الارض ، وأن أرفع رأسه فى السماء» وهناك نص من نيبور يخاطب برج المعبد قائلا : «أيها الجبل العظيم لانليل ، الذى يصل رأسه الى السماء ، والذى وضعت أساساته فى الاعماق الجميلة» (محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ص ١١٩ - ١٢٠) ٠

(٦) أندريه بارو : بلاد آشور : بغداد ١٩٨١ ص ٣٣٤ (مترجم) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٩ ، هنرى عبودى : المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٢ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 115-116.

(١٨٩٤ — ١٥٩٥ ق٠م) التى شهدت فيها البلاد نهضة تاريخية شاملة ؛ بسبب توحيد البلاد ، ومركزية الحكومة ، وعنايتها بنشر الامن والعدل . وقد أثبتت الحفريات أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط مدينة بابل . وقد اتبعت هذه القواعد حتى نهاية عصر الامبراطورية الجديدة ، ولعل أهم ما يميز هذا التخطيط أن الطرق الكبيرة كانت موازية جميعها للطريق المقدس ، وتتقاطع متعامدة مع الطرق الاخرى ، فى حين أن بيوت المدن السومرية القديمة انما كانت مجمعة دونما أى نظام ؛ كما لم يكن للطرق اتجاه ثابت[٧] .

(٢) قيام الاسرة البابلية الاولى :

كان مؤسس الاسرة البابلية الاولى (دولة بابل الاولى) هو «سمو — ابوم» (Sumu - abum) (١٨٩٤ — ١٨٨١ ق٠م) ، وكان يحكم فى بادىء الامر ، رقعة صغيرة فى جنوب العراق ، ثم سرعان ما بدأ فى توحيد نفوذه بين أمراء المدن الجنوبية ، ثم أعلن نفسه ملكا على بابل . بعد أن بسط نفوذه على سومر وأكد . وكان الرجل قد بدأ جهوده بأن ضم اليه «دلبات» فى السنة التاسعة من الحكم ، ثم غزا «سيبار» التى اعترفت بسيادته ، فمنحها استقلالا نسبيا ، ثم تحالف مع «لارسا» لاخضاع «كيش» ، والتى ظلت تقاوم مدى ثمانى سنوات ؛ حتى تم اخضاعها فى السنة العاشرة ، ثم رنا ببصره نحو «كازاللو» التى كانت آخر المطاف فى عهده الذى لم يمتد أكثر من سنوات لا تزيد عن ثلاث عشرة .

وكان «سمو لا ايل» (Sumulael) (١٨٨٠ ١٨٤٥ ق٠م) هو الملك الثانى فى الاسرة ، ولم يكن ابنا لسلفه ، وقد كرس سنى حكمه لتقوية مملكته ، وصد هجمات منافسيه ؛ وهو يعتبر المؤسس الحقيقى

---

(٧) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم — كتاب العراق فى التاريخ ص ١٠١ — ١٠٢ ، محمد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ٩٦ — ١٠٧ .

لهذه الدولة البابلية ، وظلت ذكراه خالدة عند خلفائه ، وقد اشتهر بتعمير المعابد ، وشق القنوات ، وقد أخبرنا عن نشره للعدالة ، الامر الذى قد يشير الى قانون لم تصلنا أحكامه ، كما ينسب اليه بناء سور لبابل ، كما نجح هذا الملك فى اخماد عدة ثورات فى عدد من المدن ، فقد ثـارت فى عهده «كازاللو» ، ثم تقدم ملكها «يهزير الوم» نحـو بابل — بعد أن أغرى كيش فى أن تنضم اليه ضد بابل — غير أن «سمو لايل» سرعان ما سيطر على الموقف ، ورد المعتدين ، وتقدم الى «كازاللو» فاجتاحها ودمر أسوارهـا ، وقبض على ملكهـا الذى عـاش بعـد ذلك خمس سنوات ، وبعد عامين أخضع كوته ، ثم اتجه الى سومر ، حيث استولى على حصن «دورزكار» ، والذى يعد واحـدا من المواقع الحربية ذات الاهمية الاستراتيجية فى نيبور عاصمة سومر الدينية ، كما بسط نفوذه على بورسبا (برس نمرود ، قرب الحلة) ، فضلا عن تقوية قوى خط دفاع مملكة أكد الشمالى ، وذلك بتشييد أربع قلاع هناك •

وجاء بعده ولده «سابيوم» (Sabium) (١٨٤٤ — ١٨٣١ ق•م) ، الذى لم يسع طوال عهده الى توسيع دولته ، بل لا نكاد نعرف له سوى حملة واحدة ضد «كازاللو» دمر فيها أسوارها ، ولكنه تابع أسلافه فى رعاية المعبودات ، فضلا عن الاهتمام ببناء المعابد ، وتدعيم الحصون ، وشق القنوات •

وجاء بعده «ابل سن» الذى رمم أسوار بابل ، وشيد بها المعابد ، وحفر القنوات ، كما قدم عرشـا فاخرا للمعبود «شمش» ، وقد حكم ثمانى عشرة سنة (١٨٣٠ — ١٨١٣ ق•م) •

وخلفه ولده «سن موباليت» (Sin - Muballit) (١٨١٢ — ١٧٩٣ ق•م) ، وقد حارب أور ولارسـا ، كما استولى على ايسن ، غير أن «ريم سن» ملك لارسا سرعان ما عصف بها فى العام التالى فى يوم واحد ، واستولى على أشهر مدنها «دوننوم» ، وهكذا ضمت ايسين الى رسا ،

وظلت كذلك حتى موت «سن موباليت»[8] .

(٣) حمــورابى :

ليس هناك من سبيل الى ريب فى أن «حمورابى» (١٧٩٢ — ١٧٥٠ ق٠م) أو (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق٠م)[9] ، انما هو أعظم ملوك هذه الاسرة قاطبة ، ومعنى اسم «حمورابى» : الاله حمو (Hammu) عظيم أو مكثر ، و «حمو» من أرباب الساميين الغربيين ، وقد يكون اسمه «عمورابى»[10] ويرى «أنجناد» أن اسمه يقرأ فى البابلية «خمر نج» أى «خم + نج» ، فالجزء الاول من الاسم «خم» هو الاله «عم» الذى نجده أيضـا فى النقوش العربية الجنوبية القديمة ، أما الجـزء الثانى «رنج» ، فلعله

---

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٤ — ١٨٦ ، ســامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، ل٠ ديلابورت :المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 636-638.

J. R. Kupper, Les Nomandes en Mesopotamie au Temps des Rois de Mari Paris, 1957, P. 106 F.

(٩) فى الواقع أن هناك خــلافا شديدا بين العلماء حــول تاريخ حمورابى ، بل حول الفترة التى تسبق عام ١٥٠٠ ق٠م ، بصفة عامة : ومن هنا فقد قدم لنا العلماء عدة تواريخ لعهد حمورابى ، منها (٢١٢٣— ٢٠٨١ ق٠م) ومنها (٢٠٠٣ — ١٩٦١ ق٠م) ومنها (١٩٥٥ — ١٩١٣ق٠م) ومنها (١٩٤٨ — ١٨٩١ ق٠م) ومنهـا (١٨٤٨ — ١٨٠٦ ق٠م) ومنهـا (١٩٧٣ — ١٧٥١ ق٠م) ومنها (١٧٩٢ — ١٧٥٠ ق٠م) ومنها (١٧٩١ — ١٧٤٩ ق٠م) ومنها (١٧٤٢ — ١٦٨٦ ق٠م) ومنها (١٧٣٠ — ١٦٨٥ق٠م) ومنها (١٧٢٨ — ١٦٨٦ ق٠م) ومنها (١٧٢٤ — ١٦٨٢ ق٠م) (انظـر : محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٥١ ، جــورج سارتون تاريخ العلم ص ١٩٤ ، جيمس هنرى برستد : انتصار الحضــارة ص ١٨٧ ، ديلابورت : المرجع السابق ص ٤٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

ANET, 1966, P. 163.

W. F. Albright, in BASOR, 77, 1940.

L. Delaporte, Le Proche - Orient Asiatique, 1948, P. 120

Scharff - Moortgat, Aegypten und Verderasien in Altertunl, Munchen. 1950, P. 493.

(١٠) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 184.

يقابل فى العربية مادة «رفــع» ، فيكون معنى الاسم «عم رفيع» . أو مادة «رفع» التى تدل على السعة والخصب[11] .

وعلى أية حال ، فلقد طال عهد حمورابى الى ثلاثة وأربعين عاما . قدر له فيهــا أن ينهض ببابل من قــرية ــ أو حتى مدينة صــغيرة . وعاصمة لدويلة لا تزيد مساحتها على دائرة قطرها ثمانون كيلا . الى عاصمة دولة كبرى ذات امكانات متعددة ، وأملاك واســعة . وشهرة عريضة ، بل ان مساحة دويلة بابل التى ورثها حمورابى رغم ضالتها . فانها لم تكن محكمة النسج ، وانما هى عرضة للتقلص من جميع جهاتها. وللهجمات من كل صوب ، فهناك العيلاميون الذين يهددونها من الشرق . ويكادون يفتكون بها ، وهناك الأسرات الاخرى المعاصرة لم يقض بعد على نفوذها ، بحيث يمكن الاطمئنان الى ما يجرى فيها . بل ان هناك عقدا يرجع الى سنة حمورابى العاشرة ، يذكر فيه اسم الملك الاشورى «شمشى أداد» ، الامر الذى قد يشير الى أن حمورابى ربما كان فى العقد الاول من حكمه خاضعا لهذا الملك الاشورى[12] .

هذا وقد بدأ حمورابى عهده باعادة تخطيط عاصمته «بابل» (باب ايلو ــ باب الله)، على نحو لم يسبق له مثيل فى هذه البلاد . حتى انطفأت أمام بهائها وفخامتها كل العواصم الاخــرى فى غربى آسيا ، وأصبحت فى كل منطقة الشرق الادنى القديم . حديث الامم والشعوب وموضع اعجابهم ، بل تسربت عظمتها الى الاساطير . فأصبحت المدينة الساحرة ، والمدينة الخرافية ، والمدينة الهائلة ، ومنطلق الخير والشر . وبؤرة العمار والدمار ، وموطن العز والذل جميعا[13] .

---

(١١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا
A. Ungnad, Miscellen, in ZA, 22, 1909, P. 6-16 (II, Ammurapi, P. 7-13).

(١٢) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ــ ٨٩ ، وكذا
C J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 177.

(١٣) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٨ .

وكان من أهم أهداف حمورابى «توحيد العراق» ، وقد تمكن من تحقيق وحدته السياسية ضمن حدود آمنة ، يسهل الدفاع عنها ، ومن ثم فقد عمل على تثبيت دعائم هذا الانجاز السياسى واستكماله من جميع النواحى السياسية والادارية والقانونية والاجتماعية والثقافية .

١ ـ من الناحية السياسية :

فلقد أراد حمورابى أن يثبت دعائم حكمه ، وأن يقضى على جميع الرؤوس الحاكمة المعاصرة له ، فضلا عن اقصاء النفوذ شبه العيلامى عن جنوب العراق ، ومن المعروف أن العراق كان فى تلك الفترة من أوائل حكم حمورابى مقسما بين زعامات متعددة ، وطبقا لرسالة الى «زمرى ليم» ملك مارى ، فليس هناك زعيم يمكن أن يقال عنه ـ أو يقول هو عن نفسه ـ أنه أقوى الجميع .

«فان عشرة أو خمسة عشر حاكما (أو ملكا) يتبعون حمورابى ملك بابل ، ومثلهم يتبعون «ريم سين» ملك لارسا ، ومثلهم يتبعون «ابيعل ـ بى ـ ايل» ملك اشنونا ، ومثلهم يتبعون «أموت ـ بى ـ ايل» ملك قطنة ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمخد»[١٤] .

هذا وقد أبقى حمورابى حتى سنة حكمه الخامسة على هذا الوضع ، ثم بدأ تحركه الاول فى عام حكمه السادس وذلك حين اتجه الى «ايسين» واستولى عليها ، وفى عامه التاسع استولى على «ايموتبال» (Emuthal) ـ بين الفرات وسلسلة زاجروس ـ وفى السنة العاشرة استولى على «مالجوم» (Malgum) ، وفى العام الحادى عشر استولى على

---

(١٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ١١٣ ـ ١١٤ ، أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا

S. Smith, Alatakh and Chronology, P. 11.

T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.

G. Dossion, Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19, 1938, P. 117 F.

«رابيكوم» (Rapikum) و «سيبار» ، ثم قضى الفترة التالية . ولمدة عشرين عاما ، فى اقامة المعابد ، وتحصين المدن(١٥) .

ولعل حمورابى أراد من وراء انتصاراته هذه أن يحد من نشاط أعنف منافسيه «ريم سين» ذى الاصل العيلامى . وآخر ملوك لارسا . حتى يتفرغ له ، وكان «ريم سين» كفؤا لمشاكل عهده . بحيث ظل يناوئ حمورابى حتى العام الثلاثين من حكمه . وشيئا فشيئا اطمأن حمورابى الى متانة موقفه وسلامة ظهره ، ومن ثم فقد تفرغ للملك لارسا وحلفائه. فقد مال ميزان القوى الى جانبه منذ العام الثلاثين من حكمه ، حتى فر «ريم سين» الى منطقة ايموتبال ، مسقط رأس أسرته . وتبعته الجيوش البابلية اليها ، ثم واصلت انتصاراتها فيما يليها من أرض عيلام . وسيطرت على جزء منها(١٦) ، وكان نصر حمورابى هذا موضع فخر القوم وزهوهم ، حتى أنشدوا الاناشيد ، ورتلوا الصلوات . وأنشأوا القصائد ، زهوا بهذا النصر الذى أزاح عدوة بابل العتيدة من طريقها . وهكذا قضى حمورابى على «ريم سين» ملك «لارسا» فى عام حكمه الحادى والثلاثين ، وآلت اليه بذلك السيادة على أرض سومر وآكد . ولم يعد ينازعه أحد(١٧) .

وهناك ما يشير الى أن حمورابى انما قد تلقى فى حربه هذه مساعدة من اشنونا ، وربما من مارى ، حيث نعرف أنه طلب مساعدة عسكرية من «زمرى ليم» ملك مارى ، قبل أن يشن هذه الحرب ، ويبدو أن «ريم سين» انما كان يتخوف من حمورابى ، ففى احدى رسائله لحمورابى يطالب تكوين حلف دفاعى هجومى بينهما ، وقد كانت العلاقة بينهما طيبة فى أول الامر ، وقد أشارت احدى الرسائل الى وصول أربعة مندوبين

---

15) G. Roux, Op. Cit., P. 185.
A. Ungnad, in RLA, II, P. 178-182.
ANET, 1950, P. 269-271.

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ .
(١٧) A. L. Oppenheim, in ANET, P 270

من لارسا ، مع وكيلين لحمورابى يسكنان منطقة لارسا ، الامر الذى يدل على أن حمورابى انما كان يبث العيون فى المنطقة التى كان يحكمها «ريم سين» ، وعلى أن عملاءه انما كانوا يتصلون بالمواطنين هناك ، وقد تنبأ مندوب «زمرى ليم» فى بلاط حمورابى بقرب الحرب بين بابل ولارسا ، كما أخبر سيده بأن حمورابى قد أرسل رسالة الى «ريم سين» — قبل غزوه المفاجىء لمدينته — يعلنه فيها بما يكنه له من حب عميق[١٨] .

وكانت خطة حمورابى التالية — بالاشتراك مع ملك مارى ، بل مع حلف ثلاثى يضم بابل ومارى وحلب — ضد اشنونا وحليفتها عيلام ، فضلا عن سوبارتو والجوتيين ومالجوم (وتقع على نهر دجلة ، جنوب مصب نهر ديالى) ، وكانوا جميعا يتحركون ضد بابل ، غير أن حمورابى سرعان ما حقق نصرا عليهم ، ومع ذلك فقد بدأ خطر اشنونا يشتد ضد حمورابى ، وطبقا لرسالة ملك مارى الى حمورابى ، فان ملك اشنونا قد جمع قواته واتجه الى «شوشولم» (ربما قرب الفالوجة) ، ومن ثم فقد أرسل حمورابى الى «زمرى ليم» ملك مارى ، أن يضم قواته الى قوات بابل ، وقد نصح الاخير بأن يحمل حمورابى على شمال العراق ، حتى يضم أمراءه اليه[١٩] .

وعلم حمورابى بأن ملك عيلام سوف يمد يد العون لاشنونا ، الامر الذى أغضبه كثيرا ، ونقرأ فى رسالة من ملك مارى أن حمورابى سوف يقطع علاقاته بملك عيلام ، وعلى أية حال ، ففى العام الثامن والثلاثين من الحكم ، وطبقــا لرواية الاخبـــار السنوية ، فلقد دمــر حمورابى «توبلياش» Tupliasch (وتعنى هنا اشنونا) بكميات هائلة من

---

(١٨) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٩ ، عبد العــزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، هورست كلنجل : حمورابى ملك بابل وعصره — ترجمة غازى شريف — بغداد ١٩٨٧ ص ٤٢ — ٤٣ ، وكذا
C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.
W. F. Albright, in ANET, P. 482.

(١٩) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ، هــورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٤ — ٤٥ .

المياه بأمر من مردوك ، الامر الذى يشير الى أن غيضنا مصطنع قد حدث بسبب تدمير السدود ، فخرب اشنونا ، ومع ذلك فهناك من يذهب الى أن حمورابى لم يضم اليه اشنونا ، وانما ترك ذلك الى ما بعد قضائه على «زمرى ليم»[٢٠] ، ولكن الارجح أن حمورابى انما قضى على اشنونا فى عام حكمه الثانى والثلاثين[٢١] — بعد أن كان قد قهرها وحلفاءها فى عام حكمه التاسع والعشرين — ثم قضى نهائيا على مارى فى عام حكمه الخامس والثلاثين .

وعلى أية حال ، فلقد اتجه حمورابى بعد ذلك الى مارى مدينة صديقه القديم «زمرى ليم» ، رغم العلاقات الودية بين الطرفين ، ومساعدة كل منهما للاخر ، بل كان لكل منهما مندوبون لدى بلاط الاخر . غير أن حمورابى انما كان يخشى قوة مارى بسبب ثرائها الواسع ، وبسبب علاقاتها القوية مع مملكة حلب ، وهكذا ، و «بأمر من آنو وانليل دمر حمورابى سور مارى» ، ثم هاجم المدينة وأحرق قصر ملكها «زمرى ليم» ، واستولى على المناطق التابعة لها ، وكانت مملكة مارى تتكون أساسا من وادى الفرات الاوسط ، فيما بين مصب نهر بلخ شمالا . و «توتول» (خيت الحالية) جنوبا ، وقد عمل «زمرى‌ليم» على ضم معظم أملاك «شمى أداد» الاشورى فى الغرب ، والتى أمتدت حتى الثنية الكبرى للفرات غربا ، وشملت الجزء الاكبر من «ميزوبوتاميا العليا» ، وحوض الخابور وبلخ حتى ثنية الفرات ، وربما امتد نفوذه الى اقليم «ايداماراز» الذى يتاخم أعالى الفرات ، كما تشير الى ذلك نصوص مارى[٢٢] ، ومن البدهى أن هذا الاتساع انما يدل على مكانة

---

(٢٠) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 187-188.

H. Frankfort and The Jacobsen, The Gimilsin Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940, P. 196-200.

21) A. L. Oppenheim, in ANET, P. 270.

22) J R. Kupper, Archives Royal de Mari, 6, Paris, 1954, No. 76.
J R. Kupper, Northeren Mesopotami and Syria, in CAH, II, Part, I, P.9.

متميزة لمملكة مارى فى عهد «زمرى ليم» كقوة ضاربة فى الشرق الادنى القديم ، حتى انتصر عليها حمورابى فى ميدان القتال فى عام حكمه الثالث والثلاثين[٢٣] .

وكان هجوم حمورابى على «زمرى ليم» (Zimrilim) مفاجئا ، فليس هناك فى سجلات مارى ما يشير عن أسباب أو مقدمات هذا القتال الذى أعقبته فترة أحتلال بابلى لمارى ، ترك أثره فى شكل تسجيلات وبطاقات تخص قوة الاحتلال[٢٤] ؛ غير أن هذه الهزيمة لمارى لم تقض نهائيا على مقاومة «زمرى ليم» ، فقد كان الرجل ما يزال يملك القوة لاثارة شعبه ضد «حمورابى» (Hammurabi) الامر الذى دعى الملك البابلى الى القيام فى عام حكمه الخامس والثلاثين بتدمير أسوار مارى — طبقا لأمر آنو وانليل[٢٥] — ونهب معبد عشتار والقصر الملكى ، واضرام النيران فى المدينة التى لم تقم لها بعد ذلك قائمة ، وبذا أصبحت سيادة حمورابى تشمل مجال نفوذ مملكة مارى فى شمال بلاد النهرين وضفتى الفرات[٢٦] .

وكان حمورابى قبل ذلك فى عامى الحكم السادس والثلاثين — وفى العام الثامن والثلاثين — قد اتجه الى «سوبارتو» (Subartu) ، وهى المنطقة التى تضم أعالى الرافدين وآشور ، واذا كان حمورابى قبل ذلك قد ضرب قوات آشورية مع خصومه ، فقد حقق النجاح فى القطاع الاشورى نفسه ، وان لم يتضح الى أى مدى كان زحفه ، وان كان وجود مسلة بابل فى «أميدا» (ديار بكر) انما تدل على وصوله الى هناك، غير أن ذكر آشور ونينوى على أنهما من المدن الواقعة تحت سيطرة

---

23) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.
24) J. R. Kupper, Op. Cit., P. 28.
25) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.
26) F. Thureau - Dangin. Textes de Mari, in RA, 33 1936, P. 177.
F. M. The Bohl, King Khammurabi of Babylon in The Setting of his Time, in Opera Minora, Groningen - Djakarat, 1953, P. 345
A. L Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

حمورابى فى مقدمة شريعته المشهورة ، ليس دليلا مؤكدا على خضوعهما لـه[٢٧] .

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب فى أن حمورابى انما قد كتب له فى أخريات أيامه ، نجحا بعيد المدى فى السيطرة على كل بلاد النهرين، وفى أن يطلق على نفسه ألقـاب : «الملك القوى : ملك بـابل ، ملك كل بلاد أمورو ، ملك سومر وأكد ، ملك الجهات الاربع»[٢٨] ، كما ذكر فى نصب فى أور — بعـد أن استولى عليها من ريم سين ، انتصـاره على العيلاميين والجوتيين ، الذين كانـوا يستوطنون أواسط زاجروس فى منطقة همدان ، وان بقيت عيلام وسورية مستقلتين[٢٩] .

وهناك نص باللغتين السومرية والاكدية يحدثنا فيه حمورابى قائلا «قتلت المعادين لى ، وحطمت أسلحتهم وخربت ديارهم ، وأخذت سكانها أسرى ، ودمرت قواتها ، وركع تحت قدمى أولئك الذين لم يقدموا لى فروض الطـاعة ، أنا الملك الذى نفذ رغبة الالـه مردوك (مردوخ) فى القتال ، والذى وهبه القـوة المدمرة للعدو ، لقد طـردت المعتدين ، واقتلعت بذور الشر من بلادى ، وجعلت الناس ينعمون بالرخاء ، ولم أدع لقومى ما يفزعون منه»[٣٠] .

وهكذا كتب للرجـل العظيم أن ينجح فى فرض نفـوذه على بلاد الرافدين ، كما نجح موظفوه فى السيطرة على طـرق القوافل ، ونقط التقائها من جبال طوروس فى الشمال ، وحتى الخليج العربى فى الجنوب، حتى بدا وكأن امبراطورية سرجون الاكدى قد عادت ثانية ، وليس هناك

---

(٢٧) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 188.
A. T. Clay, The Empire of The Amorites, New Haven, 1919, P. 97.
28) G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 189.
(٢٩) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 188.
(٣٠) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٧ — ٤٨ .

من ريب فى أن وراء ذلك تنظيما دقيقا ، وقيادة سليمة لرجل قوى ، وثمة اشارات ــ وان كانت غامضة ــ الى أن جيوش حمورابى انما قد وصلت الى البحر المتوسط[٣١] ، وان ظلت سورية مستقلة ، كما أشرنا من قبل .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن نصوص حمورابى،انما تكشف عن جانب من سياسة الحرب فى عهده . وقد كان منها هدم أسوار المدن التى يخشى بأسهـا ، وتقوية أسـوار المدن المواليـة له فى المنـاطق الاستراتيجية الحساسة ــ وقد سميت بعض هذه الاسوار بأسماء أرباب مدنها ــ فضلا عن العمل على رعاية تماثيل أربابها بعد الاستيلاء عليها ؛ حتى تكون سبيلا لاستمالة مشاعر أتباعهـا ، وكان من ذلك أن ذكرت نصوصه أنه أعلى كلمة الربــة «انانا» فى نينوى ، وأعاد لمدينة أشــور حصانتها ، أو لتحملها جيوشه معها باعتبارها موالية لها . حين تعاود غزو مناطقها فتيسر لها مهمتها ، وكانت رعاية هــذه التماثيل تستتبع رعاية كهانتها من الاسرى ، واحياء أعيادها فى معابد بابل نفسها[٣٢] .

٢ ـ من الناحية الادارية والاقتصادية والدينية :

اتبع حمورابى فى الناحية الادارية نظاما مركزيا ، وربط جميع ولاته به وبالعاصمة بابل ، وحدد صلاحية الكهنة ، وبالتالى لم نعد نسمع من عهده عن «محاكم الكهنة» ، ومن ثم فيمكن القول بأن حمورابى انما جهد فى أن يجعل دولته علمانية بما يتفق وظروف عصره ، ولعل هذا انما يفسر لنا اضمحلال منصب «الانسى» الذى كان يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية فى حكم منطقته ، وأصبح موظفا يستمد أوامره من موظف آخر بعد الملك[٣٣] .

---

(٣١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٧ .
(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، وانظر :
T. J. Meek, ANET, P. 165.
W. F. Albright, ANET, P. 482.
L. W. King, The Letters and Inscriptions of Hammurabi, No 34, 45.
C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.
(٣٣) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩١ .

هذا وتشير الرسائل من عهد حمورابى بوضـــوح الى حرصه على معرفة كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ، فضلا عن حصر السلطة فى شخصه . وجعل عماله فى البلاد يستمدون أوامرهم منه . بل اننا نشـــهد المرة الاولى ــ كما يقول برستد ــ صورة حية للاعمال اليومية والمسئوليات الدائمة لواحد من ملوك الشرق القديم الكبار ، فهى تقدمه لنا جالسا فى ديوانه بمدينة بابل ، يملى على واحد من كتابه ، فى جمل قصيرة واضحة، رسائل مختصرة تصـــل بها أوامره الى الحكومات المحلية ، فى المـــدن السومرية العريقة التى أصبح حمورابى فيها السيد المطاق[٣٤] .

ويأتى الرسل الى الملك بخطابات مماثلة . يفتحها كاتم السر الذى يثق فيه سيده ، فيكسر الاغلفة أمام الملك ، ويقرأ بصوت مرتفع ما يبعث به موظفوه من جميع أنحاء الدولة ، ويملى الملك ردوده فى الحال ، فمثلا لقد فاض نهـــر الفرات وسبب بعض الخســـائر ، وتوقفت الملاحة بين مدينتى «أور» و «لارسا» . ووقف صف طـــويل من السفن لا يستطيع السفر ، فيبعث الملك برده توا ، آمرا حاكم لارسا بتطهير المجـــرى فى الحال لتواصل السفن سيرهـــا[٣٥] ويبـــدو أن الحكومة المركزية كانت تستخدم السخرة فى مثل تلك الامور ، ومن ثم فقد رأينا الملك يأمر هذا الحاكم (سين ادينام) باستدعاء كل من كان فى حوزته حقول على ضفاف قناة «دامانوم» (Damanoum) لتطهيرها ، وأنه يجب الانتهاء من تطهير هذه القناة عند نهاية الشهر ، وفى رسالة أخرى يأمر الملك نفس الموظف (سين أدينام) بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى كانت تصل حتى «أوروك» ، والتى لم تكن قد أصلحت حتى حدود هذه المدينـــة[٣٦] .

وهناك رسالة من حمورابى الى «سين أدينام» يطلب منه أن يرسل

---

34) J. H. Breasted, La Conqucte de la Civilisation, Paris, 1945, P. 136-137.

35) Ibid., P. 137.

(٣٦) ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ١٢٩ .

موظفا يصحبه فى جولته التفتيشية على القطعان التى تحت اشرافه ، مما يشير الى أن حمورابى انما كان يقوم بجولات تفتيشية فى مناطق حكام الاقاليم ، ليقف بنفسه على مجريات الامور فيها ، وفى رسالة أخرى يأمر حمورابى بتزويد عمال التعدين باحدى المدن بنوع من الخشب ، مبينا مقادير الاحجام التى يجب أن تقطع بها هذه الاخشاب ، هذا فضلا عن رسائل أخرى تشير الى اهتمـام الملك باستصلاح الاراضى والعنـاية بالقنوات وفتح الجديد منهـا ، واشرافه بنفسه على نشر العدالة بـين المواطنـين .

وهناك ما يشير الى اهتمام الملك بقطعانه الخاصة ، فيأمر الموظفين بالمجىء الى بابل للاحتفال بقص أصواف الاغنام فى فصل الربيع ، كأنما هذا الحادث من الاعياد الهامة ، وربما لان القصر الملكى كان يستخدم كمية من هذه الاصواف ، فضلا عما يستخدم منها فى التجارة ، خاصة اذا كان هذا الصوف من النوع الجيد ، الذى ذكر «كصوف متين ناصع الالوان» فقد كان الطلب عليه كثيرا خارج بلاد بابل ، فضلا عن داخل البلاد ، ومن المعروف أن الملابس الصوفية كانت منتشرة الاستعمال بين سكان غربى آسـيا ، وأخـيرا فقد كـان للقصر حصة فى الصـوف كضريبة[٣٧] .

وهناك رسالة من أحد موظفى القصر ، جاء فيها «كتبت عدة مرات الى رئيس تجار «سيبار» «ياخرورم» لارسال المستحق عليه من صوف الماعز الى بابل ، غير أنه لم يرسل ما عليه من صوف الماعز» ، وهناك ما يشير الى أن حمورابى قد امتلك الكثير من قطعان الماشية والاغنام ، والتى كانت ــ فيما يبدو ــ من الضرائب العينية التى يدفعها الافراد[٣٨]

وهناك ما يشير الى أن الملك قد كتب الى جميع حكام الاقاليم بتقديم

---

(٣٧) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٢ ، وكذا
J. H. Breasted, Op Cit., P. 137.

(٣٨) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٢٢ ، سامى سعيـد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩١ .

التقويم شهرا كاملا عن الموسم المعتاد . وذلك (نظرا لخلو عجز في السنة ، احتسبوا الشهر الذي يبدأ الان أنه شهر أيلول الثاني» . وبذلك يلفت نظر الحكام الى أن جميع الضرائب التي تكون مستحقة في الشهر الثاني ، يجب أن تحصل ولا توجل الى الشهر الذي يليه . لأن تقديم الشهر يجب أن لا يتسبب عنه أي تأخير في الضرائب . كما يلفت الملك نظر جامعي الضرائب المتأخرين في التحصيل ، ويذكرهم بشدة الى ضرورة تأدية واجبهم ، والانتهاء منها دونما أي تأخير[39] .

وهناك رسالة يقول فيها حمورابي لموظف يدعى «سين أدينام» . «بقية الفضة التي عند «شيب — سين» كبير التجار . وخمسة غيره من كبار التجار الذين يأمرون بأمره ، يجب أن يأخذ «شيب سين» والتجار الخمسة الفضة ، ويحضرونها الى بابل» ؛ ويبدو أن «شيب سين» هذا . قد تورط في وضع مالي حرج ، فطالبه القصر بمبالغ كبيرة . بصفته المسئول عن جمع الضرائب ، مما اضطر الى دفعها . دون أن يستطيع جمعها من أولئك الذين قد فرضت عليهم .

وهناك رسالة من الملك الى المدعو «شماس — هاسر» يقول فيها : «اعط شيب سين كبير تجار لارسا مزرعة من أجل نفقات معيشته» ؛ كما أمره أن يعطي مثلها لكبير تجار أور «سين — موتسنال» . وربما كان ذلك بسبب قيامهما بجمع الضرائب في لارسا وأور[40] .

هذا وكان حمورابي شديد العناية برعاية مواطنيه . وكم من متظلم كان يأتي الى الملك اذا أعياه نيل حقه على أيدي القضاة في مدينته . فكان هؤلاء المتظلمون يأتون الى حمورابي وهم واثقون من حسن معاملته . لا يرد أحدهم خائبا ، وها هو رئيس خبازي المعبد ، تصدر اليه الاوامر الملكية بأن يسافر الى مدينة أور ، ليعنى بأمر أحد الاعياد الدينية .

---

(39) J H. Breasted, Op. Cit., P. 137.

وفي الترجمة العربية ص ١٨٩ .

(٤٠) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٢٤ — ١٢٥ .

ولكنه يتظلم من هذا السفر ، لأنه سيحرمه من وجوده فى بابل عند نظر قضية له ، ويرى حمورابى أن الرجل على حق ، فيأمر بتأجيل القضية.

وهناك الكثير من الرسائل التى تهتم بأمور المواطنين ، فمثلا هناك رسالة من حمورابى الى «سين أدينام» ، يأمره بالنظر فى شكوى شخص ادعى بأن أحدهم سرق حبوبه ، وفى رسالة أخرى يطلب اجبار الحاكم «سين — ماجير» على رد ما اقترض من حبوب من تاجر ، وفى رسالة ثالثة يطلب تزويد بعض الرجال بزيت الانارة ، وفى رســالة رابعة الى «سين ادينام» يطلب فيها التحقيق فى قضية موظف اتهم بالرشوة ، ثم ارسال الاطراف جميعا بعد ذلك الى بابل ، وفى احدى المناسبات تصدر حمورابى محاكمة أقام فيهــا الدعوة تاجر ضد أحد رؤساء الوحــدات الادارية ، وكانت نتيجة المحاكمة لصلحة التاجر ، وقد أكــد حمورابى على «سين أدينام» أن يضرب بكل شدة على المرتشين من القضاه ، اذا ما ثبت عليهم ذلك[٤١] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن حمورابى انما كان شديد العناية بربط البلاد بعضها بالبعض بشبكة من المواصلات ، ومن هنا كان اهتمامه بنظام البريد السريع ، بغية ايصال أوامره الى كافة أنحاء البلاد بالسرعة المأمولة ، وهكذا استخدم الرجال العداءين حيث كانت الطرق تنقسم الى مراحل يقف عندهــا هؤلاء العداءون لايصال ما يتسملــون بالسرعة الى ساعى المرحلة التالية وهكــذا ، وكانوا يحملون الرســائل مختومة مغلقة ، وكان كاتم سر الملك يفض الاجوبة ويتلوها على الملك ، ثم يملى الملك أجوبته التى تكتب وترسل فى الحال[٤٢] .

هذا وقد احتفظت حوليات حمورابى باسم نهير صغير شقه رجاله ،

---

(٤١) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٢ — ٩٣ ، وكذا
J. H. Breasted, La Conquete de la Civilisation, Paris, 1945, P. 138.
وفى الترجمة العربية ص ١٨٩ .

(٤٢) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٣ .

أو زادوا فى اتساعه وامتداده ، وقالت عنه «نهر حمورابى واهب الخير للناس ، حبيب آنو وانليل ، الذى غذى نيبور واريدو وأور ولارسا وأوروك وايسين بمورد رى دائم» ، وكان يبدأ من الفرات أسفل كيش ويمتد حتى الخليج العربى(٤٣) .

وقد اهتم القوم كثيرا بالتجارة ، حتى تحول الاهتمام من الطابع الفردى الى الطابع الجماعى المنظم الذى تشرف عليه الدولة ، ويلقى رعاية واهتمام الزعماء والملوك ، الامر الذى دفع بعض الملوك الى ارسال الحملات العسكرية لضمان سلامة التجارة ، وتهيئة أسباب تدفق المواد الاولية الى العراق القديم ، وكان النحاس والذهب والفضة والاحجار الصلبة الجيدة وأنواع الاخشاب المختلفة فى مقدمة المواد التى استوردها القوم وقت ذاك ، وكانت وسائل النقل المائى التى كانت تتميز باستيعابها الكبير ، ورخص تكاليفها ، متوفرة فى أنهار العراق وفروعها ، وشبكة القنوات التى خدمت أغراض الرى والملاحة النهرية ، مما ساعد كثيرا على ازدهار التجارة فى العراق القديم(٤٤) .

وليس هناك من ريب فى أن التجارة على أيام حمورابى انما كانت مزدهرة ، كما كانت مصدر ثراء كان له أثر على الحياة فى بابل ، وقد كشفت الحفريات هناك عن شوارع تنتظم المساكن على جانبيها ، ويبدو أن أصحابها انما كانوا يمارسون لونا من الحياة المستقرة المطمئنة الرغدة فى ظل القوانين التى كفلت لهم حياة أفضل بكثير من أسلافهم ، وقد أدى النشاط التجارى لبابل فى عصر أسرتها الاولى الى نمو ملحوظ فى حجم المدن الكبرى التى لم تعد مجرد مراكز للتوزيع ، وانما بدأت تتحول الى آفاق أبعد ، فلقد فتحت غزوات حمورابى من ناحية الغرب المجال لأسواق جديدة ، ولم يعد يعوق الطريق التجارى الكبير الى

---

(٤٣) ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ١٢٩ ، عبد العزيز صالح: المرجع السابق ص ٤٦١ .

(٤٤) رضا جواد الهاشمى : التجارة ـ حضارة العراق ـ الجزء الثانى ـ بغداد ١٩٨٥ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

سورية وأعالى الفرات عائق من تحصينات ونقط حراسة حدود لتمنع غزو القبائل الامورية . ولدينا ما يشير الى أن كبار التجار كانوا يعيشون فى بابل . ويستخدمون طبقة من ((المتاجرين)) يحملون بضائعهم ليتجروا لهم عن طريق القوافل المنتظمة وهكذا كانت قوافل الحمير التى كانت تحمل تجارة البابليين تذهب من مدينة الى أخرى ، ومن قــوم الى آخرين . وهى آمنة مطمئنة . وكانت هذه الاســفار أمرا عاديا فى بلاد الفــرات الاعلى ، فنشأت مراكز للتجارة مثل «حران» أو «خران» (وهى مشتقة من الكلمة البابلية «خرانو» بمعنى «رحلة») . و كثيرا ما كانت بضائع التجار تملأ الاحواش مكدسة فى الغرائر ، وقد ميزوا كل حمل منها بلوحة صغيرة من الطين عليها اســم صاحبها . وكانوا يلقون بهذه العلامــات التجارية عند فتح الغرائر ، وقد عثر الحفارون على الكثير منها فى خرائب المدن القديمة ، ونرى على أحد وجهيها اسم التاجر . وعلى الوجه الاخر طبعة الحبل الذى كان يحزم الغرائر .

هذا وقد وصلت هذه العلامات التجارية ، وكشوف الحساب التى كانت تصحب الاحمال الى مناطق بعيدة ، وكان يقرؤها التجار المحليون فى المدن السورية . وفى البلاد الواقعة خلف ممرات الجبال فى الشمال ، وهكذا أخذت الكتابة المسمارية البابلية طريقها تدريجيا فى غربى آسيا . وبدأ تجار ســورية وقبادوشيا فى آسيا الصــغرى ، يكتبون كشــوف الحساب والمطالبات التجــارية وخطاباتهم على الرقم . كما كان يفعل البابليون ، وانتشر نفوذ حمورابى التجارى فى غربى آسيا ، وظلت ذكراه بعد موته بأكثر من ألف سنة ، يرددها سكان سورية وفلسطين على أيام العبرانيين ، الذين عرفوه تحت اســم ((أمرافل)) ــ وهو فى أكبر الظن تحريف لاسم حمورابى ، كما نطق به أهل غربى آسيا[٤٥] .

هذا وقد أفسحت التجارة للمرأة ، خلال الالف الثانية قبل الميلاد . لونا من الاستقلال لا نلقــاه عادة فى حياتها ، حــين تعتمد البلاد على

---

(٤٥) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضاره ص ١٩١ ــ ١٩٣ .

الزراعة وحدها ، ويبدو أن اندماجها فى الحياة التجارية وممارستها لبعض الاعمال ، انما قد ساعد على أن تنال قسطا كبيرا من الحرية لم ينله غيرها فى عصرها[٤٦] ــ باستثناء المرأة المصرية[٤٧] ــ فقد كان فى استطاعت المرأة أن تمارس التجارة لحسابها الخاص ، وكان من بين النساء من احترفت مهنة الكتابة ، كما كانت البنات يذهبن الى تلقى العلم فى المدارس جنبا الى جنب مع الصبية[٤٨] •

وكان حمورابى يشرف اشرافا مباشرا على رجال الدين ، كما كان له السلطان الاول على القضاء ، ولقد كان الخطر يهدد بعض المخصصات الملكية فى عهد السومريين عن طريق رجال الدين ، وقد زال هذا الخطر على أيام حمورابى بسبب اشرافه المباشر وقوانينه الصريحة الحاسمة ، ولقد كان من أثر هذا الاشراف أن وضعت أملاك المعابد تحت رعايته المباشرة ، بما فيها من أنعام ومراعى ، كما كان المشرفون على أملاك التاج وأملاك المعابد يرسلون تقاريرهم الى الملك مباشرة •

وأما فى المجال الدينى ، فلقد ذهبت النصوص الدينية الى مطابقة الكثير من المعبودات البابلية الهامة مع مردوخ واعتبرتها أوجها له ، فالعاصمة بابل لابد أن يكون لها رب هو الاسمى بين الالهة ، يتناسب وعظمة الامبراطورية التى صار مركزها بابل ، ومن ثم فقد انتقل مردوخ (مردوك) اله بابل من معبود مدينة الى مركز الصدارة ، وانتحل بالتالى صفات «انليل»[٤٩] المعبود السومرى الاول ،و دخل فى ميدان أساطيره

---

(٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٧ ــ ١٩٨ •

(٤٧) انظر (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ــ الجزء الثانى ــ الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٥٣ ــ ٧١ •

(٤٨) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ــ ترجمة أحمد فخرى ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ١٩١ •

(٤٩) انليل (Enlil) أو «اليل» (Elil) هو أكبر آلهة السومريين، ومعنى اسمه المركب «ان ــ ليل» (En-lil) «سيد الريح» ، ونظرا لان الريح تهب فى اعتقادهم من الجبل فقد سمى «الجبل الكبير» (فى السومرية Kur-gal) ، كما سمى سيد البلاد ، وهو لقب حمله فى =

ـ وخاصة أسطورة الخلق(٥٠) التى أعاد كهنة بابل كتابتها من أجل هذا الهدف . وربما قد حدث هـذا بعد هزيمة «ريم سين» ملك لارسـا ، والاستيلاء على «نيبور» المركز العتيق للعبادة السومرية • وكان معبد مردوك (Marduk) فى بابل ــ ويدعى اسجيل (E-Sag-il) بمعنى البيت العالى الرأس ــ مركزا تشـع منه علوم الدين والسحـر ، وله «زاقورة» (برج المعبد) وتدعى «اتمنأ نكى» (اى ــ تمين ــ ان ــ كى (E-Temen-an-Ki)) أى المعبـد أو البيت الـذى أسـاسه السمـاء والارض» وتتكون من سبع طوابق ضخمة ، يبلـغ ارتفاعها ٩١ مترا ، وقاعدتها مربعة الجوانب ، يبلغ ارتفاع ضلعها ٩١م ، ولعلها برج بابل المذكور فى التوراة ، وفى الواقع فلقـد ارتبط مردوك ببابل ، حتى ان النبى العبرانى ارميا (٦٢٦ ــ ٥٨٠ ق•م) انما يقول عند سقوط بابل «قولوا أخذت بابل . خزى بيل ، انسحق مردوخ» ، مما يشير الى أن الاله مردوك قد شارك المدينة فى مصيرها التعس •

وتصف لنا مقدمة قانون حمورابى كيف وصـل مردوك الى مكانته العليا فى امبراطورية بابل ، وذلك حـين تقول : ان انو (اله السماء) وانليل (اله الارض) قررا لمردوك الابن البكر للاله «أنكى» (أو ــ ايا

= النصوص السومرية واحتفظ به فى نقوش بابل وآشور ، وهـو يفـرض قانونه على الناس جميعا ، ويمسك فى شبكته الكبيرة من يشهدون الزور ، وهو محـارب عنيف يلقب بالثـور الوحشى ، وزوجته هى «ننلبـل» (Nin-lil) واسمها مأخوذ من اسمه ، بوضع (Nin) بمعنى سيدة ، فى مكان (En) بمعنى سيد ، وكانت مدينة نيبور (نفر الحالية) مركز عبادتهما فى سومر (سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٣ ، وكذا E. Dhorme, Les Religions de Babylonie et d'Assyrie, P. 26-31, 48-50.

(٥٠) انظر قصة الخلق :

S. G. F. Brandon, Creation Legends of The Ancient Near East, London. 1963.

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

ثم انظر عن أثر قصة الخلق البابلية فى قصة الخلق اليهودية (محمد بيومى مهران : اسرائيل ــ الجزء الثالث ــ الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٣٣٣ ــ ٣٤٠) .

اله الماء) السيادة على النـاس جميعا . وجعلاه عظيمـا بين الاجيجى (Igig) (آلهة السماء) ؛ ثم جعلا لمدينة بابل السيـادة فى العالم ، وأقاما لمردوك فيها ملكا دائما ، له أسس راسخة رسوخ السماء والارض، وفى قصيدة خلق السماء والارض (الكون) تقول آلهة السماء لمردوك : لقد أعطيناك الملك على العالم بأسره .

ولما كان مردوك ابن أنكى البكر ، فقد ورث عنه العلم والسحر ؛ وصار مثله المعوذ بين الالهة ، كما أن السـاحر حين يزاول سحره انما يعمل باسم مردوك ، وكما كان «ايا» اله الحكمة والذكاء والفهم ؛ فقد كان مردوك ابنه «أحلم الحكماء» ، والخبير بين الالهة ، وتحصى قصيدة الخلق البابلية خمسين اسما لمردوك ، أعلنتها آلهة السماء ، أولها مردوك ، وآخرها سيد البلاد ، ويذهب «دوروم» الى أن فى نسبة هذه الأوصاف جميعا الى اله واحد انما يعد اتجاها الى التوحيد ، وقد استمرت هذه الاوصاف على أيام الدولة الكلدانية ، حتى صارت الالهة الاخرى مجرد جوانب من شخص مردوك ، فنرجل هو مردوك اله الحرب ، وانليل هو مردوك ، اله السيادة والفصل فى الامـور ، و «نبو» هو مردوك ؛ اله الحظ ، وسين هو مردوك ، منير الليل ، وشمش هو مردوك ؛ اله العدل و «أدد» هو مردوك اله المطر ، وهكذا ــ كما تركزت فى عشتار الالهات جميعا ــ استوعب مردوك فى ذاته الالهة جميعا ، ويقول الملك «أشور بانيبال» (٦٦٩ ــ ٦٢٦ ق٠م) فى ترنيمه لمردوك : أنه يجمع بين عظمة «آن» وعظمة انليل ، وعظمة «ايا» ، وهكذا تتحـد فى شخص مردوك الالهة الثلاثة التى تهيمن على السمـاء والارض والماء . كمـا أن لقب «السيد» الذى يخلع على مردوك انما يدل على أنه سيد الالهة والبشر ؛ ويجعله نظيرا للاله «انليل» الذى يلقب عادة بهذا اللقب .

وأما زوجة مردوك فهى «زربانيتم» أو «صربانتيم» (Sarpanitum) بمعنى «الفضية ، أو اللامعة كالفضة» ، وقد ارتبطت مكانتهما بابل ، كما

خلالا مبجلين على أيام الاشوريين والكدانيين والفرس والسلوقيين[٥١] .

(٤) قانون حمورابى :

لا ريب فى أن شهرة حمورابى فى التاريخ ، انما تعتمد فى الدرجة الاولى على قانونه الشهير — المكتوب باللغة الاكدية — أكثر مما تعتمد على فتوحاته وتدينه واهتمامه باقتصاديات دولته ورغبته فى توحيد العراق ، وغير ذلك من نشاطات داخلية وخارجية يتميز بها بعض الملوك عن البعض الاخر ، وقد بدأ حمورابى فى اصدار تشريعاته منذ العام الثانى من الحكم ، وسجلها رجاله على نصب كثيرة ، اشتهر منها نصب كبير من الديوريت (طوله ٢٫٢٥م ، وقطره ٦٠ سم) نقشوه فى السنوات الأخيرة من حكمه (ربما فى العام ٣٨/٣٧ ، وربما فى العام ٤٠ من الحكم) ، وصوروه فى جزئه العلوى يتلقى الاذن باصدار تشريعاته من «شمش»[٥٢] رب العدالة ورب الشمس ، المتربع على عرشه ، ويقف

---

(٥١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٦٠ — ٢٦٣ ، وكذا
E. Dhorme, Op. Cit., P. 139-156, 168-170.
S. Lioyd, Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955, P. 214-215
A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951, P. 60.

(٥٢) شمش : يأتى شمش هذا (اله الشمس) فى المرتبة الثانية بعد أبيه «سين» اله القمر ، وكان السومريون يسمونه «اوتو» Utu ، كما كانوا يطلقون اسم «ببر» (Babbar) على الشمس ، وهى تشرق ، أما الساميون فقد أطلقوا على الاله الاكدى اسم الشمس نفسها (شمش) ، هذا وكان العرب الجنوبيون فى قتبان وحضرموت وسبا يطلقونها «شمس» ، أما العبرانيون والاراميون فينطقونها «شمش» وأهل أوجاريت ينطقونها «شبش» ، وكان العرب الجنوبيون وأهل اوجاريت يعتبرون الشمس الهة مؤنثة ، كما جاءت كذلك فى احدى رسائل العمارنة من عسقلان (رقم ٣٢٣) ، بينما كان المصريون والسومريون والاكديون يعتبرونها الها ذكرا ، ولعل هذه الصلات الدينية انما تؤيد أن كثيرا من عناصرها فى الشعوب السامية انما كان يتوقف بعضها على البعض الاخر .

هذا وكان يرمز لاله الشمس فى بابل وأشور وسورية وآسيا الصغرى بقرص ذى جناحين ، أى بصورة الشمس فى مصر ، ومن القابه فى أرض الرافدين ، نور العالم ، ونور الاعماق ، ونور السماوات والارضين ، ونور الالهة ، وهو الذى يطارد الظلمات ، ويقصر النهار ويطيل الليل كما يشاء ، وهو الذى يهب الحياة ويحيى الموتى ، وهو الذى يدير الكون
=

أمامه حمورابي وقفة المتعبد يستلم منه العصا وحبل القياس — وهما من رموز وشارات السلطة والحكم في العــراق القديم — ومن المرجح — بسبب صورة اله الشمس التى تعلو المسلة — أن هذه النسخة المكتشفة من قانون حمورابي ، انما هى نسخة مدينة «سيبار» — الموقع المفضل لحمورابي وربما كان يقيم بها — بينما تعد نســخة مدينة بابل . والتى كانت تحمل صورة الاله مردوك ، مفقودة . الامر الذى يؤكده وجود نسخ أخرى للقانون اكتشفت بين أنقاض المدينة القديمة على هيئة كسر من حجارة مسلات أخرى(٥٣) .

على أية حال ، فالنص الحالى انما كشف عنه فى العاصمة العيلامية «سوسة» ، وقد كشفت عنه فى شتاء عام ١٩٠١/١٩٠٢م بعثة فرنسية برياسة «جاك دى مورجان» ، ثم نقل الى متحف اللوفر فى باريس . ولعل الملك العيلامى الذى نقل النصب الى سوسة هو «شترك نخنته» (Shutruk Nakhkhunte) فى بداية القرن الثــانى عشر قبل الميلاد (ربما حوالى عــام ١١٥٠ ق٠م)(٥٤) ، وبدهى أن هذا لم يكن بسبب المسلة نفسها ، وانما كان — فيما يرى Horst Klengel — أن العدو العيلامى كان يأمل فى نفس الوقت اضعاف الخصم بطريقة سحرية . اذا

= ويسير المخلوقات ، بل والالهة ، وهو البطل (Quradu) لانه قاهر النبل والموت ، وهو اله العدل ، وهو الذى املى على حمورابي أحكام قانونه ، وعينه تخترق أسرار المستقبل ، فهو سيد التنبؤ Bel - Biri مثــل «أدد» (هدد = حدد) اله البرق والرعــد ، وكانت مدينة «لارسا» فى سومر ، ومدينة «سيبار» (سبر) فى أكد مركزين اساسيين لعبادة شمش منذ أقدم الازمان ، وزوجتــه هى «ايا» Aya (سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، وكذا : محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ص ٣٤٤ ، وكذا .

(٥٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ ، رضا الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٧ — ٨٧ ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص١٤٣ .

54) H. Schmokel, Geschichte des Alten Vorderasien, Leiden, 1957, P. III.

Th J Meek, ANET, P. 163-164

اعتقد أنه بواسطة المسلة ربما يمكن جلب الازدهار والقوة التى كانت فى بابل على أيام حمورابى ، الى عيلام(٥٥) .

هذا وكانت المسلة ــ أو النصب ــ يتكون فى الاصل من ٤٤ حقلا من الكتابة المسمارية ، فيما عدا بعض الاجزاء التالية عمدا فى أسفل الاعمدة الكتابية ، ويرجح أن الملك العيلامى الذى نقله الى سوسة (شوشن فى التوراة) انما كان من وراء هذا المسح ، حيث أراد تسجيل اسمه ، وتخليد ذكره ، ولكنه ربما خاف من اللعنات الشديدة الواردة فى الخاتمة، والتى ستنزل على من تسول له نفسه أن يطمس معالم هذا القانون ، فعدل عما اعتزمه ، وبقى مكان المواد الاخيرة ، فيما بعد المادة (٢٠٢) خاليا ، حيث يرجح أن المواد الكاملة للقانون تكاد تبلغ ٣٠٠ مادة(٥٦) .

هذا ويتكون قانون حمورابى من مقدمة ، يعد فيها حمورابى ألقابه وأعماله ، فوصف نفسه بما اعتاد الملوك أن يصفوا به أنفسهم ، من حيث صلاتهم بالارباب وتقواهم ازاءهم فى الوقت نفسه ، ومن حيث ظهورهم بمظهر المتفضل حينا ، ومظهر المقدر لواجبه حينا آخر ، فادعى البنوة للمعبود «سين»(٥٧) اله القمر ، ووصف نفسه بأنه اله بين الملوك ، وأنه

---

(٥٥) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٤٢ .
(٥٦) رضا الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٨ .
(٥٧) سين : هو اله القمر ، وسين : اسم سومرى غير سامى ، نقله الاكديون عن السومريين ، ونظائره السامية هى «ود» عند عرب الجنوب ، و «سهر» عند الاراميين ، و «رخ» عند الاموريين ، كما أن للقمر عند السومريين اسم آخر هو «ننا» (Na - an - Na = Nanna) بمعنى «رجل السماء» ، وقد حرفه الاكديون الى «ننر» أو «ننار» (Nannar) بمعنى «المنير» ، ويرمز اليه فى أحايين كثيرة بالهلال ، وبجانبه قرص الشمس رمزا لاله الشمس ، ونجمة فى وسط دائرة رمزا لكوكب الزهرة ، وسين هو «سيد الشهر» ينظم أيام الشهر والسنة ، وكان لحركات القمر دور هام فى عالم التنبؤ ، وكان خسوف القمر أهول الظواهر وأشدها روعا ، وكان ينسب الى هجوم على سين من سبع أرواح شريرة فى السماء ، وزوجة سين هى «ننجل» (Nin - gal) «السيدة الكبيرة» ،

أول الملوك وزعيمهم ، والخالد بينهم ، وانه محارب لا مثيل له ، وأنه الملك الحكيم ، والملك الكامل ، وأنه منقذ شعبه من البأساء ، وأنه طرق جهات العالم الاربع ، وأنه فتح ••••• وأنه الامير التقى ، وأن الارباب تخيروه لاصلاح أحوال الناس ، وأنه المطيـع للاله شمش ، وأنه كثير الدعاء للارباب •••• وأن ربه مردوك أمره بأن يرشد الناس الى الطريق المستقيم ، وأن يحق الحق والعدالة ويدونها بلغة البلاد •••••• ثم يلى ذلك مجموعة القوانين ، ثم تأتى الخاتمة فيمجد الملك نفسه مرة أخرى ، ويرجو أن يجد المضطهدون فى قانونه كلمات عزاء وعدل •

ثم يشير على الاجيـال اللاحقة أن تتدبر أحكام قانونه والسـير بموجبها لانها ستكفل لهم العدل والطمأنينة الى آخر الايام ، الى أبد الابدين ، وعلى الملك الذى يعتلى العرش أن يحفظ كلمات العدل التى سجلها فى نصبه هذا ، فهى حـق البلاد ، ثم يقول : أن قرارات البلاد التى دونتها لا يجب أن يدعهـا جانبا ، وان ما دونته هنـا لا يحق له الاستهانة به ، اذا كان هذا الرجل الذى يعتلى العرش رشيدا ، ويبغى حكم البلاد بالعـدل ، فعليه أن يحترم كلماتى التى سجلتها على هـذا النصب ، ثم دعا كل مظلوم أن يذهب بنفسـه الى نصب تشريعاته ، ويقرأها بعناية حتى تستبين له قضيته ، ثم استعدى أربابه على كل من يمحو هذه التشريعات أو يغير فيها ، ثم بعد ذلك يعدد اللعنات الشديدة التى ستنزلها الالهة بمن يحاول تحريف هذا القانون أو محوه[٥٨] •

= وقد أنجبا الالهين شمس وعشتر ، وكان «نسكو» (Nusku) اله النار ، ابنا لهما فى بعض الاحيان ،وكانت مدينة «أور» مركز عبادة سين وزوجته ننجل Nin - gal ، وكذا ولدهما «نسكو» وزوجته «سدرننا» (Sa - dar - Nun - Na) ثم انتقلت عبادتهم جميعا الى حران ، ومنها الى سـورية وفينيقيا ، وربما كان لاسم سينا علاقة باله القمـر سين (محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ص ٣٢٨ ، موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٥ ، وكذا
E. Dhorme, Op. Cit., P. 54-60, 83-86.

(٥٨) رضا الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٩ ، عبد العزيز صالح : المرجـع السابق ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ، سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٩٥ •

هذا وقد حاول بعض الباحثين ــ طبقا لترتيب مواد القانون ــ أن يقسمها الى ثلاث مجموعات : مجموعة تتضمن البنود (١ ــ ٥) وتتعلق بأمور القضاء والتقاضى ، ومجموعة ثانية تتألف من البنود (٦ ــ ١٢٦) وتتضمن قانون الاموال أو المعاملات ، ومجموعة ثالثة تتألف من البنود (١٢٧ ــ ٢٨٢) وتتضمن قوانين الاسرة ، غير أن هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفيا فى بنود التشريع •

على أن هناك من يقسمها الى ثلاثة أبواب رئيسية ، اتفق فيها مع التقسيم الاول ، فى البابين الاول والثانى ، غير أنه قسم المجموعة الثالثة (المواد ١٢٧ ــ ٢٨٢) الى ثلاثة أقسام ، الاول : ويتضمن قوانين الاحوال الشخصية (المواد ١٢٧ ــ ٢١٤) والثانى عن الاجور (٢١٥ ــ ٢٧٧) والثالث عن العبيد (٢٧٨ ــ ٢٨٢) • على أن الدكتور طه باقر ؛ انما يرتب مواد قانون حمورابى ــ حسب تسلسلها ــ على الوجه التالى : ١ ــ المخالفات والجرائم الخاصة بأصول المرافعات (خمس مواد) وتتناول التهم الباطلة وشهادة الزور ، ونقض الاحكام التى يصدرها القضاء ، ٢ ــ الجرائم الخاصة بالاموال (٦ ــ ٢٥) وتتناول السرقات وتسلم مال مسروق واختطاف الاطفال وايواء الارقاء الآبقين والسطو على الدور ، والسرقات الاخرى بوجه عام ، ونهب بيت يحترق• ٣ ــ أحكام خاصة بالاراضى والعقار (٢٦ ــ ٦٠) وفيها التزام الاراضى وواجبات الزراع والفلاحين وديون الفلاحين ، ومخالفات الرى ، والاضرار الناتجة عن الماشية ، وجرائم قطع الاشجار وشئون النخيل ٤ ــ المعاملات التجارية (٦١ ــ ١٢٦) وتتناول القروض والوكالات التجارية ، وتنظم الخانات والرهونات والودائع والامانات • ٥ ــ الاحوال الشخصية (١٢٧ ــ ١٩٤) وتتناول قذف كاهنه أو امرأة محصنة بالزنا ، والزواج مرة أخرى أثناء غياب الزوج ، وأحكام الطلاق والتسرى واعالة زوجة المتوفى وهدايا الزوج لزوجته ، ومسئوليات الزوجين عن الديون وقتل الزوج والزنا بالمحرمات وأيلولة هدايا الزواج بعد موت الزوجة والهبات للاولاد فى قيد الحياة ، وترتيب نصيب الاولاد

فى التركة ، وحرمان الاولاد من الارث ، والاعتراف الشرعى بالبنوة ومال الارملة وزواجها وزواج الحــرة من عبد وأحكام نساء المعبــد وتبنى الاطفال ، ٦ ــ تتناول المواد (٢١٤ ــ ٢١٥) وتتناول الاعتداء على الاب وعلى الرجال والاسقاط ، ٧ ــ المواد (٢١٦ ــ ٢٤٠) وتتناول أحــكام الجراحين والحلاقين والمعماريين وبناة السفن والبيطريين ، ٨ ــ تتنــاول المواد (٢٤١ ــ ٢٧٣) الشــئون الزراعية كحيوانات المزارع والآلات الزراعية وتأجير الرعاة وواجباتهم ، وكذا عمــال الزراعة والحيوانات والعربات ، ٩ ــ وتتناول المواد (٢٧٤ ــ ٢٧٧) أجور الصناع والسفن • ١٠ ــ وتتناول المواد (٢٧٨ ــ ٢٨٢) ضمانات بيع الرقيق وشرائه من الخــارج[٥٩] •

وعلى أية حال ــ وقبل أن نقدم ترجمة لقانون حمورابى ــ لعل من الافضل هنا أن نشير الى عدة نقاط :

أولا : يقسم قانون حمورابى المجتمــع العراقى القديم الى ثلاث طبقات هى :

أ ــ الطبقة العليا : ــ ويسمى الواحد منها «أويل» أو «أويليوم» awelum) أو awelu وهم الاشراف ، ويتمتعون بحرية كاملة ، وبجميع حقوق الرعوية وامتيازاتها •

ب ــ الطبقــة الوسطى : ويسمى الواحــد منهــم «مشــكينو» (Mushkenu) أو «مشكينوم» (Mushkinum) وربما يمكن أن نسميهم العامة أو المساكين ، لأن كلمة «مشكينو» ، فيما يرى البعض ، تقابل كلمة مسكين العربية ، وهى على أية حال ، طبقة لا يمكن تحديد وضعها على وجه اليقين ، وربما كانوا على صلة بالمعابد ، ولكنهم ليسوا

---

(٥٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٤ ــ ٢٩٦ ، عبد العــزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢ ، رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٩ •

من الارقاء ، كما أنهم ليسوا من السادة ، ومن ثم فاطلاق صفة الطبقة الوسطى عليهم انما هو أمر مجازى ، وقد كانوا يخضعون لقيود قانونية معينة ، ولا سيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة .

جـ ــ طبقة العبيد : ويسمى الواحد منهم «وردو» (Wardu) أو «وردوم» (Wardum) ، ولم يكونوا ينظر اليهم كبشر لهم شخصية، وانما كالمتاع يعرفون بأسماء أصحابهم ، وان وقــع عليهم ضرر يدفع التعــويض لمالكهم ، ويعرفون بقص شــعر رؤوسهم ، ودمغهم بميسم العبيد ، وحملهم لوحا طينيا يشــير الى عبوديتهم والى اسم مالكهم ، ويلحق بهذه الطبقة أسرى الحروب ومن ينذرهم الملك بعد انتصاره فى حملاته الحربية .

وكان الفرد من الطبقة الوسطى يمكن أن يتحول الى طبقة الارقاء فى حالة العجز عن سداد الدين ، كما أن انكار المتبنى لمن يتبناه ينقله الى طبقة الارقاء ، وللزوج أن يسترق زوجتــه ، ان أنكرته أو تنكرت لــه(٦٠) .

وعلى أية حال ، فان العدالة التى نادى بهــا قانون حمورابى انما اشترط لها الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية ، انه عن نفس الجرم انما تختلف العقوبة والاضرار ، طبقا للطبقة الاجتمــاعية التى ينتمى اليها الفرد الذى وقع منه وعليه الجرم ــ كما تنص المواد (١٩٦ ــ ٢٠٤) ــ ومن ثم فقد طبقت مبدأ «العين بالعين» ، ولكنها قصرت تطبيقه أمثاله على أفراد الطبقة الواحدة ، وهذه الحقيقة انما تفسر لنا ما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن ما أضافته المدينة البابلية الى ارثنا الخلقى فى غربى آسيا قليل جــدا(٦١) .

---

60) E. A. Speiser, Mushkenum, Orientalia, 27, 1958, P. 19-28.
G Roux, Op. Cit, P. 191.
61) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, P. 221-222.

وفى الواقع أننا لو رجعنا الى قانون حمورابى لوجدنا أن كثيرا من مواده لا تعترف بالمساواة بين الناس ، وانما تتعامل معهم على حسب مراكزهم الاجتماعية ، فمثلا المادة (١٩٦) تنص على أن من يتسبب فى اتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه ، بينما تنص المادة (١٩٨) على أن من يفقأ عين رجل من العامة يدفع مينا من الفضة ، وتنص المادة (١٩٩) على أن من يفقأ عين رجل من الارقاء يدفع نصف القيمة[٦٢] .

وهكذا بينما يعترف القانون العراقى القديم (قانون حمورابى) بأن الناس غير متساويين فى أقدارهم أمام القانون ، وأن العقوبة انما تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد الذى وقع منه الجرم ، فضلا عن الذى وقع عليه ، نرى مصر الفرعونية تعلن فى وثائق الدولة الرسمية ، وفى توجيهات الفراعين لوزرائهم عندما يتسلمون مهام مناصبهم — كما فى خطاب الملك تحوتمس الثالث الذى وجهه الى وزيره رخمى رع عندما قلده منصب الوزارة[٦٣] — الغاء مثل هذه الفوارق الاجتماعية ، وأن الناس — كل الناس أمام القانون سواء ، لا فرق بين غنى وفقير ، وبين كبير وصغير[٦٤] بل ان مصر انما قد نادت — منذ عصر الثورة الاجتماعية ، وقبل عصر حمورابى بعدة قرون — بالقضاء التام على الفوارق الاجتماعية بين البشر جميعا — كما جاء على نص من متون التوابيت التى ترجع الى تلك الفترة ، ومن هنا كان عصر الثورة الاجتماعية هذا — فيما يرى كثير من الباحثين — من أهم العصور

---

62) T. J. Meek, The Code of Hammurabi, in ANET, 1966, P. 175.

(٦٣) انظر :

J. H. Breasted, Op. Cit., P 209-210, ARE, II, P. 266-281.

R. D. Faulkner, JEA, 41, 1955, P. 18-29.

Urk. IV, 1090 F.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 196.

(٦٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ١٦٨ — ١٧١ .

التاريخية فى مصر الفراعنة ، لأنه نادى بالقضاء على الفوارق بين الناس جميعــا(٦٥) .

ولعل الفيلسوف اليونانى «افلاطون» (حوالى ٤٢٧ — ٣٤٧ ق٠م) عندما قال مقالته عن السياسة «الدولة تجسيم العدالة المنظم» ربما لم يعلم الا قليلا ، أن مصر كانت قد اتخذت منذ ألف وخمسمائة سنة خلت — قبل مقالته — هذا المثل الاعلى ، وحاولت أن تجعله حقيقة واقعة . أو أن هذا دليلا آخر على أن «أفلاطون» كان فى مصر ، وأن ذلك رأى استحوذ عليه هنا فى أرض الكنانة(٦٦) .

ثانيا : أن تشريعات حمورابى — رغم أنها مكتوبة باللغة الاكدية — فهى مشتقة جزئيا من التشريع السومرى الذى نسخــه هذا القــانون أحيانا ، وسار عليه أحيانا أخرى ، ومن ثم فان هذه التشريعات لم تكن كلها بنت عهدها ، كما أنها لم تكن كلها جديدة ، وانما تضمنت كثيرا من التشريعات التى سبقتها (تشريعات أوركاجينا — أورنامو — اشنونا) فضلا عن نصوص العرف والتقاليد ، فأبقت بعضها على حاله ، وعدلت بعضها الاخر ، وزادت عليه ، فمثلا هناك مادة فى قانون العائلة السومرى نصت على سلطة الاب المطلقة وصلاحيته فى طــرد ولده وحرمــانه من الميراث ، ثم جاء قانون حمورابى فوضع حدا لسطة الاب المطلقة ، حيث أحال البت فيها الى المحاكم ، واذا ثبت بالادلة أن الاب محق فى عمله، حكمت له ، أو أن يغفر لولده ذنبه فى حالة اقترافه للمرة الاولى ، كمــا وضع حمورابى فى قانونه حدا لسلطة الزوج فى الطلاق ، فقانون العائلة السومرى أعطى الزوج الحق فى طلاق امرأته متى يشاء ، ودونما سبب، وسواء أعندها أطفال أم لا ، ثم جاء حمورابى فوضع فرقا بين حالتين ، الواحدة تتصل بالزوجة ذات الاطفال ، والاخرى ، الزوجة التى لا أطفال

---

65) J. A. Wilson, Creation and Myths of Origins, All Men Created Equal in Opportunity, in ANET, 1966, P. 7-8.

(٦٦) جيمس هنرى برستد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ترجمة زكى سوس — القاهرة ١٩٦١ ص ٣٣٨ .

لها ، وفى الحالة الأولى تأخذ الزوجة صداقها ودخلا يكفى لتربية أطفالها، وعندما يكبر أطفالها يكون لها نصيب فى أملاك زوجها الذى طلقها ، وأما التى لا أطفال لها فتأخذ صداقها ،و ما أتت به من بيت أبيها عند زواجها، فضلا عن هدية زوجها لها عند الزواج(٦٧) •

ثالثا : سـار قانون حمورابى على مبـدأ ((السن بالسن ، والعين بالعين)) ، ورغم عدالة هذا المبدأ ، الا أنه طبق فى هذا القانون تطبيقا سيئا فى بعض الاحوال ، فكان سببا فى بعض الاحايين فى ظلم الابرياء ، فمثلا اذا أنهار منزل وقتل ابن الساكن فيه ، فان عقوبة ذلك قتل ابن المهندس الذى بنى البيت ، فيذهب ضحية ذلك شخص برىء ، هو الابن المسكين ، هذا فضلا عن التفـرقة بين المواطنين ، ذلك لان اجـراءات التقاضى — كما أشرنـا آنفا — انما تشترط الاتفـاق بين الطبقـات الاجتماعية ، فمثلا فان الاساءة الى العامة عقوبتها أقل قسوة الى حد كبير من عقوبة الاساءة الى الاشراف ، أو يعاقب عليها تبعا لمبدأ مختلف، هذا فضلا عن التفرقة بين زوجات الرجل الواحد وأبنائهن ، تبعا لمركز الزوجة ، رغم أن الابناء جميعا من صلب رجل واحد(٦٨) — كما سنرى •

رابعا : اصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابى بالقسوة فى مواجهة الاعتداء على النفس والمال ، وليس من المستبعد أن تكون قد تعمدت ذلك لمجرد التخويف ومنـع الجريمة قبل وقوعها ، أو لتقييدها بتعاليم دينية متشددة ، أو لشيوع الفساد فى مجتمعها ، وفيما قبل عهدها ، فجعلت الاعدام عقوبة للتآمر على مصالح الدولة وأمنها والوقوف فى سبيل تنفيذ أوامرها ، كايواء ثائر أو مجرم هـارب أو التكتم على مؤامرات قطاع الطرق ، أو التهرب من خـدمة الجيش أو الاعتداء على أملاك المعـابد

---

(٦٧) جورج ساراتون : تاريخ العلم ص ١٩٥ ، سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٦ •

(٦٨) ل• ديلابورت : المرجـع السابق ص ٩٢ ، جيمس هـنرى برستد : انتصار الحضاره ص ١٩١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السـابق ص ٤٦٣ ، وكذا

Paul Dhorme, Choix des Textes religieux assyro - Babyloniens, No XII.

والقصر ، أو من يعجز عن رد المسروقات ودفع التعويضات عنها ، أو من يسم عبدا بغير سيده وبدون علمه ، فضلا عن خطف الاطفال واخفاء العبيد ونقب الدور ، والاتجار فى المسروقات ، والمعمارى الذى يتسبب اهماله فى انهيار منزل على صاحبه ، والرؤساء الاداريين الذين يتسببون فى حرمان جندى مما أنعم عليه الملك ، والذين يغتصبون داره أثناء غيابه أو يؤجرنها لصالحهم أو يتخلون عنها لصاحب نفوذ فى ساحة القضاء ، أو الذين يدعون ملكية أشياء مسروقة ثم يثبت تدليسهم[٦٩] .

خامسا : تضمنت تشريعات حمورابى أحكاما غريبة يأباها منطقنا الحالى ، وان تقبلها عصرها ، ومن ذلك انه اذا اتهم مواطن مواطنا آخر بالاشتغال بالسحر ، كان على المدعى عليه أن يلقى بنفسه فى النهر ، فاذا ابتلعه النهر ورثه الاخر ، واذا نجا أعدم من اتهمه وآلت أملاكه اليه ، ومنها أنه اذا أدت عملية جراحية الى وفاة مريض حر ، أو الى ذهاب نور عينه ، قطعت يد الطبيب ، فاذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبد مثله ، وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة[٧٠] .

سادسا : أخضع قانون حمورابى رجال الدين — ولأول مرة — لأحكام القانون المدنى ، وقد كان القضاء والمحاكم من قبل من اختصاص المعبد ورجال الدين ، ومن ثم فان حمورابى انما يؤكد بعمله هذا فصل القضاء عن الهيمنة الدينية ، وربطه بعجلة الادارة المدنية[٧١] .

سابعا : تضمنت تشريعات حمورابى كثيرا من الاحكام الراقية التى

---

(٦٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، وانظر المواد ٩، ١٠، ١١، ٢١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ١٠٩، ٢١٠، ٢٦٦ ٢٢٧ ٢٢٩ فى
T. J. Meek, ANET, P. 166-167, 170, 176.

(٧٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، وكذا المواد (٢١٨ — ٢١٩) فى
T. J. Meek, Op. Cit., P. 175.

(٧١) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٨١ .

يتقبلها المنطق فى كل عصر ، ومن ذلك مثلا ، مسئولية الدولة عن شئون الامن ، ومن ثم فـــاذا سرق مواطـــن ولم يتيسر القبض على ســـارقه واسترجاع المسروقات،عوضته مدينته،وكذا اقليمه عما سرق منه ، بعد أن يعلنه ويثبت صحة دعواه أمام تمثال الاله ورجال الادارة فى مدينته ، وكذا اذا قتل مواطن ولم يتيسر معرفة قاتله ، والاقتصاص منه ، تعاونت مدينته وحاكم اقليمه على دفع دية الى أهله مقدارها «منا» من الفضة

ومن ذلك أيضا حقوق المحاربين ومسئولياتهم ، ومن ثم فاذا افتدى ممول محاربا أو متعهدا بالجيش من الاسر ، وأعـــانه على العودة الى بلده ، رد المحارب فديته من أمواله المنقولة ، فان عجز عن ذلك تولى رب مدينته دفع الفدية عنه ، فان لم يتيسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه ، حتى لا يضطر الى التضحية بأملاكه الثـــابتة التى تقطعها الدولة له فى سبيل افتداء نفسه[٧٢] .

وعلى أية حال ، فان بعض التناقضـــات الموجودة فى القانون ربما ترجع الى أن حمورابى قد قنن لشعب مكون من شعوب كثيرة ، برغم توحيده الظاهرى ، ومن ثم فقد اضطر الى الجمع والتوفيق بين تقاليد مختلفة ، لكننا اذا أخذنا كل شىء بعين الاعتبار — حتى الرغبة البدائية فى دقة العقاب والمبدأ باختلاف المرتبة الاجتماعية للمجنى عليهم — نقول لو أخذنا بكل ذلك ، لوجدنا أن الملك — أو مستشاره القانونى — قام بعمله خير قيام ، وأن قانون حمورابى أحد المعالم البارزة فى التاريخ البشرى[٧٣] ، كما أنه — رغم قدمه — أبعد من أن يكون شريعة بدائية، اذ ينم عن تطور طويل للفكر القانونى ، ويصور لنا الناحية القانونية من العبقرية البشرية تصويرا باهرا ، وهى ناحية لا يمكن الاستغناء عنها فى

---

(٧٢) عبد العزيز صالح : المرجـــع السابق ص ٤٦٢ ، وكذا ماده ٣٢ فى

T J. Meek, Op. Cit., P. 167

(٧٣) جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٩٦ .

بناء أية حضارة ، ومؤرخ العلوم جدير بتوجيه جانب من اهتمامه الى هذه الناحية ، مهما حاول الاقتصار على ميدانه الخاص[٧٤] •

وهاك ترجمة كاملة لمواد قانون حمورابى ، وعددها ٢٨٢ مادة :

مادة (١) : اذا اتهم سيد سيدا آخر بجريمة قتل ، ولم يقم عليه البينة قتل •

مادة (٢) : اذا اتهم سيد سيدا آخر بالسحر ، ولم يقم عليه البينة، فعلى المدعى عليه أن يلقى بنفسه فى النهر ، فان غلبه النهر ، على أمره وغرق ، فليأخذ من اتهمه بالسحر ضيعته ، أما اذا برأه النهر وخرج سالما ، يقتل من اتهمه بالسحر ، ويأخذ هو (أى المدعى عليه) ضيعته •

مادة (٣) : اذا أدلى سيد بشهادة زور فى قضية ما ، ولم يستطع اثبات صحة كلماته التى نطق بها ، فان كانت تلك الدعوى تتصل بحياة (شخص) قتل •

مادة (٤) : أما ان كانت شهادة الزور تتصل بالحبوب أو المال ، فانه سوف يتحمل جزاء شهادته •

مادة (٥) : اذا حكم قاض حكما واصدر قرارا ، وحدث التصديق على رقيم مختوم ، ثم عدل فى حكمه بعد ذلك : فعليهم أن يثبتوا أن ذلك القاضى قد غير الحكم الذى أصدره ، وعليه أن يدفع اثنا عشر مرة قيمة الشكوى التى رفعت فى تلك القضية ، فضلا عن أن يطردوه أمام الجميع من فوق كرسيه للقضاء ، وسوف لا يجلس ثانية أبدا مع القضاة فى دعوى •

مادة (٦) : اذا سرق سيد متاع اله أو متاع الدولة ، فانه يقتل ، كما أن كل من وضع يده على متاع مسروق يقتل •

---

(٧٤) نفس المرجع السابق ص ١٩٢ ــ ١٩٤ •

مادة (٧) : اذا اشترى سيد ، أو استلم كأمانة ذهبا أو عبدا أو جارية أو ثورا أو نعجة أو جحشا أو أى شىء آخر من يد رجل آخر أو عبده ، بغير شهود أو عقود ، فهو لص ويقتل •

مادة (٨) : اذا سرق سيد ثورا أو نعجة أو جحشا أو خنزيرا أو قاربا •••• ان كانت للمعبد أو الدولة يدفع ثلاثين مـرة قيمة الشىء المسروق ، وان كانت لمواطن (Mushkenum) [٧٥] يدفع عشر أمثال قيمتها ، وان لم يكن لديه ما يكفى لدفع التعويض يقتل •

مادة (٩) : اذا عثر على بضاعة مسروقة من سيد فى حيازة آخر ، وأقسم هذا الاخير «أن بائعا باعنى اياها واشتريتها فى حضرة شهود» ، وأعلن صاحب المسروقات «سأقدم الشهود على أنها بضاعتى المسروقة» فان المشترى ما دام قد قدم البائع والشهود الذين تمت الصفقة أمامهم ، وان صاحب البضاعة قد قدم الشهود أيضا على ملكيته لها ، فان القضاة هم الذين يفصـلون فى النـزاع ، وعلى الشـهود الذين تـم الشراء بحضورهم ، والشـهود الاخرين الذين يشـهدون بملكيتها لصاحبها ، فليشهدوا بذلك فى حضرة الاله ، فاذا ثبت أن البائع لص يقتل ، ويسترد صاحب البضاعة بضاعته ، ويأخذ المشترى من أملاك البائع المال الذى دفعـه •

مادة (١٠) : اذا لم يرشد المشترى عن البائع الذى شراه البضاعة ،

---

(٧٥) كلمة «مشكينوم» (Mushkenum) تستعمل عادة فى المادة (٨) بمعنى رجل من الطبقة الوسطى (T. J. Meek, ANET, 1966, P. 166.) أو من العامة ، ولكنها فى المواد ١٥، ١٦، ١٧٥، ١٧٦، تشير الى مواطن له صلة بالمعبد أو الدولة ، ويفرق القانون بين النوعين ، حيث يعطى من له صلة بالمعبد أو الدولة حماية أكثر ، هـذا فضلا عن أن المادة انما تتعارض وتلك التأكيدات التى بولغ فيها فى المقدمة من أن هذه التشريعات انما جاءت لحماية الفقراء والضعفاء ، ومن ثم فهى هنا ليست ضد المعدم فحسب ، ولكنها أيضا تبالغ فى تعويض ما يسرق من المعبد أو الدولة ، حتى أنها جعلت التعويض يعادل ثلاثين مرة من قيمة الشىء المسروق •

وعن الشـــهود الذين تم الشراء أمامهم ، بينما قدم صاحب البضــاعة شهوده ، فالمشترى لص ويقتل ، ويسترد صاحب المتاع متاعه .

مادة (١١) : اذا لم يقدم صاحب المتاع المسروق شهوده على ملكيته للبضاعة المسروقة ، فهو مخادع غشاش ويقتل .

مادة (١٢) : اذا مات البــائع ، فللمشترى الحق فى أن يأخذ من أملاكه خمسة أمثال قيمة الدعوى فى القضية .

مادة (١٣) : اذا لم يستطع سيد تقديم شهوده ، فللقاضى الحق فى منحه أجلا لمدة شهور ستة ، فاذا لم يحضر شهوده خلال الشهور الستة، فهو مخادع ، وسوف ينال العقاب المحدد لهذه الحالة .

مادة (١٤) : اذا سرق سيد ابنا صغيرا لسيد آخر يقتل[٧٦] .

مادة (١٥) : اذا عاون سيد عبدا للدولة أو أمة للدولة ، أو عبدا أو أمة لمواطن على الهرب من بوابة المدينة يقتل .

مادة (١٦) : اذا أوى سيد فى بيته عبدا آبقا أو أمة هاربة ، تابعا للدولة أو ملكا لمواطن ، ولم يقدمهم عند استدعاء الشرطة ، فان صاحب البيت يقتل .

مادة (١٧) : اذا أمسك ســيد بعبد آبق أو أمه هاربة فى العراء ، وأخذه كملك له ، فان صاحب العبد يدفع له عشرة شواقل من الفضة .

مادة (١٨) : اذا لم يعين العبد اسم صاحبه يأخذه الى القصر حتى يتم التعرف عليه ، ثم يرد الى صاحبه .

---

(٧٦) قارن نص سفر التكوين من التوراه ونصه «من سرق انسانا وباعه ، أو وجد فى يده ، يقتل قتلا» (تكوين ١٦/٢١) وانظر : تثنية ٧/٢٤

مادة (١٩) : اذا احتفظ بهذا العبد فى بيته . ثم وجد فيما بعد أن العبد بقى فى حوزته ، قتل ذلك السيد .

مادة (٢٠) : اذا هرب العبد من يد آسره ، يؤكد السيد ذلك بقسم أمام رب صاحب العبد ، ويطلق سراحه .

مادة (٢١) : اذا أحدث سيد صدعا فى منزل يقتل أمام الصدع ويحشر بداخله ويسد عليه .

مادة (٢٢) : اذا سرق سيد وقبض عليه متلبسا . يقتل .

مادة (٢٣) : اذا لم يضبط السارق ، يقدم صاحب المسروقات تفصيلات بها فى حضرة الاله ، وعنئذ تعوضه المدينة التى وقعت السرقة فيها ، وحاكمها ، عن متاعه المسروق .

مادة (٢٤) : اذا ما كان المسروق «حياة» (بمعنى شخصا قتل) تدفع المدينة والحاكم[٧٧] مينا من الفضة لأهله .

مادة (٢٥) : اذا شبت نار فى بيت سيد ، وجاء آخر لاطفائها ، ثم رنا بعينيه الى أموال صاحب البيت ، وأخذ شيئا منها ، فان هذا الرجل يلقى به فى هذه النار .

مادة (٢٦) : اذا كلف جندى خاص أو مبعوث بمهمة للملك ، ولم يذهب أو استأجر بديلا عنه ، يقتل ذلك الجندى أو المبعوث ، ثم تسلم أملاكه لبديله .

مادة (٢٧) : اذا أسر جندى أو مبعوث . وهو فى الخدمة العامه للملك ، وسلمت أرضه وبساتينه الى آخر ، ارتبط بالتزاماته الاقطاعية .

---

(٧٧) المين (Mina) = ٥٠٠ جرام ، والشاقل (Shekels) = ٨ جرام ، وينقسم المين الى ٦٠ ساقل (ANET, P. 167)

فله حق استرجاعهــا عند عودته الى المدينة ، ليرعى بنفســه التزاماته الاقطــاعية •

مادة (٢٨) : اذا كان الجندى الخاص أو المبعوث الذى أسر وهو فى الخدمة العامة للملك له ابن يستطيع أن يرعى التزاماته الاقطاعية ، فان الحقل والبساتين يعطيان له ، ليرعى الالتزامات الاقطاعية لأبيه •

مادة (٢٩) : اذا كــان الابن صغيرا لا يستطيع التزامــات أبيه الاقطاعية ، تولت أمه ادارتها نيابة عنه ، ان استطاعت ، وربته من ريعها نظير انتفاعها بثلث ايرادها •

مادة (٣٠) : اذا سلم جندى خاص أو مبعوث حقله وبستانه وبيته بسبب الالتزام الاقطــاعى ثم غاب ، وبعد رحيله أخذ آخــر حقــله وبستانه وبيته ، وأدى الالتزامات الاقطاعية مدى سنوات ثلاث ، ثم عاد وطالب بحقله وبستانه وبيته ، فلا يعطى له ، انها تصبح من حق من أخذها ورعى التزاماتها الاقطاعية •

مادة (٣١) : أما اذا غاب لمدة عام واحد فقط ، ثم عاد،يرد له بيته وبستانه ويرعى التزاماته الاقطاعية(٧٨) •

مادة (٣٢) : اذا افتدى ممول جنديا خاصا أو مبعوثا أسر فى حملة للملك ، ومكنه من الوصــول الى مدينته ، رد المفتدى فديته من أملاكه المنقولة ، فان عجز عن ذلك ، يفتــدى من أملاك اله المدينة ، فاذا لم يتيسر ذلك ، فان الدولة تفتديه ، وأما حقله وبستانه وبيته فلا يضحى بها فى مقابل الفدية •

---

(٧٨) اقطاع المحارب يسمى «كو» ، وقد يتكون من حقل أو بستان أو دار ، أو بضم الثلاثة جميعــا ، ويدفع عنه صــاحبه ضريبة سنوية ، ويورث حق الانتفاع به لولده الاكبر ، ولكن لا يحق له أن يبيعه أو يرهنه أو يورثه لزوجته أو لابنته ، ويمكن أن ينزع منه هذا الاقطاع بامر ملكى ، ويوهب لشخص آخر (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢) •

مادة (٣٣) : اذا تملك جاويش أو ضابط جنديا . وقبل أن يذهب مستأجرا كبديل فى حملة للملك فانهما يقتلان •

مادة (٣٤) : اذا اغتصب جاويش أو ضابط متاع جندى . أو أساء أحدهما الى جندى أو استأجر أحدهما جنديا ، أو أصدر حكما ضده ظلما لمصلحة من هو أعلى منه رتبة ، أو اغتصابا منحة منحها اياه الملك . فان من فعل ذلك (الشاويش أو الضابط) يقتل •

مادة (٣٥) : اذا اشترى سيد من يد جندى ماشية أو غنما . كان الملك قد أعطاها للجندى فانه يدفع ماله غرامة •

مادة (٣٦) : حقل الجندى أو بستانه أو متعلقات بيته — هو أو المبعوث أو الاقطاعى — لا تباع •

مادة (٣٧) : اذا اشترى سيد حقلا أو بستانا أو شيئا من متعلقات بيت جندى أو مبعوث أو اقطاعى ، فان لوحة التعاقد تكسر ؛ ثم يدفع ماله غرامة ، مع اعادة الحقوق والبستان والبيت الى صاحبها •

مادة (٣٨) : ليس من حق جندى أو مبعوث أو اقطاعى أن يتخلى عن حقله أو بستانه أو بيت اقطاعيته لزوجته أو ابنته . كما أنه ليس من حقه — بأى حال من الاحوال — أن يتنازل عنها مقابل التزام عليه •

مادة (٣٩) : يجوز له أن يتنازل لزوجته أو ابنته عن أى حقل أو بستان أو بيت اشتراه ثم تملكه كنتيجة لذلك ؛ كما يستطيع أن يعينهم لالتزام خاص به •

مادة (٤٠) : يستطيع النادتيوم (Naditum) (طبقة من الكهنة) أو التاجر أو الاقطاعى الخاص أن يبيع حقله أو بستانه أو بيته . على أن يتقبل الشارى التزام ما اشتراه •

مادة (٤١) : اذا تملك سيد ؛ عن طريق المقايضة . حقلا أو بستانا

أو بيتا يخص جنديا أو مبعوثا أو اقطاعيا ، ثم دفع ثمنا اضافيا ، فان الجندى أو المبعوث أو الاقطاعى يستطيع أن يستعيد ملكية حقله أو بستانه أو بيته ، وأن يحتفظ بما دفع اضافيا .

مادة (٤٢) : اذا استأجر سيد حقلا للزراعة ، ولم ينتج منه حبوبا ، فان هذا يدل على أنه لم يقم بعمل فى الحقل ، ومن ثم فعليه أن يعطى مالك الحقل حبوبا تقدر على أساس انتاج الارض المجاورة .

مادة (٤٣) : اذا أهمل الحقل ولم يقم بزراعته فعليه أن يدفع لمالك الحقل حبوبا تقدر على أساس انتاج الحقل المجاور ، وأن يقوم بحراثة الحقل الذى أهمله ، وأن يعيده الى صاحبه .

مادة (٤٤) : اذا استأجر سيد حقلا بورا لتحسينه — على مدى سنوات ثلاث — ، غير أن كسله أدى الى عدم تحسينه ، فعليه فى السنة الرابعة ، أن يحرث أرضه ، ويكسر كتله ، ثم يعيده الى صاحبه ، بل وعليه أن يكيل له عشرة «كور» (Kur) من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكو» (Iku) [٧٩] .

مادة (٤٥) : اذا أجر مالك حقله لمستأجر وتسلم ايجار حقله ، ثم أغرق «أدد» (اله الامطار والرعد والفيضان) فيما بعد الحقل أو اجتاحه فيضان ، فان الخسارة انما تقع على المستأجر .

مادة (٤٦) : أما اذا لم يكن قد تسلم الايجار — سواء كان الايجار فى مقابل نصف أو ثلث المحصول — فان المستأجر والمالك يقتسمان محصول الحقل من الحبوب .

مادة (٤٧) : اذا طلب المستأجر من رجل آخر أن يزرع الحقل ،

---

(٧٩) الكور (Kur) مقياس يعادل أقل قليلا من ٧ بوشل (Bushels) ، وينقسم الى ٣٠٠ والايكو (Eku) مفياس للاراضى يعادل سبعة أثمان اكر (Acre) (ANET, P. 168) .

لأنه لم يستطع استغلاله فى العــام الماضى ، فليس لمــالك الارض أن يعترض ، وعلى المستأجر الجديد أن يزرع حقله ، وفى موسم الحصاد يأخذ الحبوب بما يتفق والعقود المبرمة •

مادة (٤٨) : اذا كان على شخص دين ، ثم أغرق الاله أدد حقله أو اجتاحه فيضان ، أو أن الحقل لم ينتج غلة لنفاذ الماء ، فسوف يعفى ذلك الشخص المدين فى تلك السنة من تسديد الحبوب لدائنه ، بل وتلغى لوحة العقد ، ولا يدفع الفائدة عن تلك السنة •

مادة (٤٩) : اذا اقترض سيد مالا من تاجر ، ورهن له حقلا معدا للحبوب أو السمسم ، وقال له : ازرع الحقل ثم اجمع المحصول وخذ الحبوب أو السمسم الذى تنتجه ، واذا كان المستأجر قد أنتج حبوبا أو سمسما فى الحقل ، فان صاحب الحقل نفســه يأخذ فى موسم الحصاد الحبوب أو السمسم التى انتجها الحقل ، ويعطى التــاجر الحبوب فى مقابل ماله الذى استدانه منه مع الفوائد ، وما يقابل تكاليف الزراعة •

مادة (٥٠) اذا رهن حقلا مزروعــا بالحبوب أو حقلا أستنبت به السمسم ، فان صاحب الحقل يأخذ الحبــوب أو السمسم الذى أنتجه الحقل ، ثم يرد المال والفائدة الى التاجر •

مادة (٥١) : اذا لم يكن لديه المال ليرده ، فانه يعطى التاجر مقابل ماله حبوبا أو سمسما بسعر السوق الذى يحدده الملك ، ذلك المال الذى استدانه التاجر مع فائدته •

مادة (٥٢) : اذا كان المستأجر لم ينتج حبوبا أو سمسما فى الحقل، فليس من حقه أن يغير العقد •

مادة (٥٣) : اذا لم يقوى سيد سدا بسبب تقاعس منه ، وأدى ذلك الى انهيار السد واغراق أرض مزروعة ، فان الرجل الذى أنصدع السد فى أرضه يعوض عن الحبوب التى أصابها الدمار •

مادة (٥٤) : اذا لم يكن قادرا على التعويض ، يباع هو ومتاعه ، ويقتسم الفلاحون الذين اتلف الماء محصولهم ماله •

مادة (٥٥) : اذا أهمل رجل عند فتح قناته للرى ، واجتــاح الماء حقلا مجاورا لحقله ، فانه يكيل تعويضا بمقدار ما أصابه التلف •

مادة (٥٦) : اذا فتح رجل الماء ثم تركه فأتلف ما تم من عمل فى حقل مجاور ، فعليه أن يدفع ١٠ «كورا» فى مقابل كل ١٨ «ايكو» •

مادة (٥٧) : اذا لم يتفق راع مع صــاحب حقل لترعى أغنامه فى الحشائش ثم تركها ترعى فى الحقل دون موافقة صاحبة ، فعندما يجمع صاحب الحقل المحصول ، فعلى الراعى الذى رعى غنمه فى الحقل دون موافقة صاحب الحقل ، أن يدفع له ٢٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكــو» •

مادة (٥٨) : اذا ساق الراعى الاغنــام — بعد أن تركت المرعى ، واحتجز القطيع كله داخل بوابة المدينة — الى حقل ثم رعت فيه ، فعليه أن يرعى الحقل الذى رعت فيه الاغنام ، وأن يدفع فى موسم الحصاد لصاحب الحقل ، ٦٠ «كورا» لكل ١٨ «ايكو» •

مادة (٥٩) : اذا قطع سيد شجرة من بستان سيد آخــر ، دون موافقته يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٦٠) : اذا سلم سيد بستانا لبستانى لينشىء له بستانا ، فان من حق البستانى أن يرعــاه لمدة سنوات أربع ، وفى السنة الخــامسة يتقاسمه مناصفة مع صــاحب الارض ، ومن حق صاحب البستــان أن يحصل على النصيب الافضل •

مادة (٦١) : اذا لم يقم البستانى برعاية الحقل كله ، وترك جزءا بورا ، يكون هذا الجزء البور من نصيبه •

مادة (٦٢) : اذا كانت الارض مزروعة ، ولم يقم البستانى بتحويلها جميعا الى بستان ، فعليه أن يدفع لصاحب الارض ايجـار الحقل عن السنوات التى أهمل فيها ، على أساس انتاج الارض المجـاورة ، كما يقوم بالعمل اللازم فى الحقل واعادته الى صاحبه •

مادة (٦٣) : اذا كانت الارض بورا . فانه يقوم بالعمل اللازم فى الحقل ، ويعيده الى صاحبه ، ثم يكيل ١٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكور» عن كل سنة •

مادة (٦٤) : اذا سلم سـيد بستانا لبستانى لكى يلقحه ، فـان البستانى يعطى لصاحب البستان ثلثى محصـول البستان كايجار طيلة استثماره له ، ويأخذ هو الثلث •

مادة (٦٥) : اذا لم يقم البستـانى بتلقيح البستـان فتدهـور المحصول ، فان البستانى يدفع ايجار البستان بما يعادل ايجـار المثل المجـاور •

مادة (٦٦) : اذا استدان سيد من تاجر ، ثم ضيق عليه التاجر ، ولم يكن على ميسرة ليدفع ما عليه ، واذا أعطاه البستانى بعد التلقيح وقال له : خذ مالك تمرا بقدر ما انتج البستان ، فلا يسمح للتاجر بذلك؛ لأن لصاحب البستان أن يأخذ ما أنتج البستان من تمر ، ويدفع للتـاجر مقابل ماله وفائدته ، طبقا لنص اللوحة (العقد) ، كما لصاحب البستان بدوره أن يأخذ بقية التمر الذى أنتجه البستان •

مادة (٦٧) ، (٦٨) ، (٦٩) ، (٧٠) تالفة •

مادة (٧١) : اذا كان يعطى حبوبا أو مالا أو بضائع لاقطاعية ولاية مجاورة يريد شراءها ، فانه يدفـع غرامة ما سبق أن دفعه ، وتعـود الضيعة الى صاحبها ، واذا لم يكن للضيعة التزامات اقطاعية ، فله أن يشتريها ما دام يدفع لمثل هذه الضيعة حبوبا أو مالا أو بضائع •

مادة (٧٢) الى مادة (٧٧) تالفة .

مادة (٧٨) : اذا أجر سيد بيتا لرجل لمدة عــام ، ودفع المستأجر الاجر لصــاحب البيت ، ثم قال المالك للمستأجر ــ وعقــده ما يزال قائما ــ أترك المنزل ، فان صاحب المنزل يدفع المال الذى دفعه المستأجر ، لأنه طلب اليه ترك المنزل ، وعقده ما زال نافذ المفعول .

مادة (٧٩) ــ الى مادة (٨٧) تالفة .

مادة (٨٨) : اذا أقرض تاجر حبوبا بفائدة ، فيأخذ «٦٠ قو» من الحبوب لكل «كور» كفائدة، ويأخذ سدس شاقل ، ٦ سيات ، لكل شاقل من الفضة ، كفائدة[٨٠] .

مادة (٨٩) : اذا لم يجد سيد ما يسدد به الدين ، وعنده حبــوب، ياخذ التاجر حبوبا ، مقابل ماله مع فائدة تتفق وما يحــدده الملك من سـعر .

مادة (٩٠) : اذا زاد تاجر ربح كــور الغلة عن ٦٠ قو ، وفائدة شيقل الفضة عن سدس شيقل وست سيات ، فانه يدفع غرامة تعــادل ما أقرضه .

مادة (٩١) : اذا أقرض تاجر حبوبا بفائدة ، ثم أخذ ماله بفــائدة كاملة من الحبوب ، فان الحبوب مع المال قد لا ......

---

(٨٠) دلت بعض لوحات القروض من نفس العصر على زيادة أرباح الفروض ونقصانها عن هذه النسبة فى بعض الحالات فقد بلغ سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ ، ونقصت قروض المعابد والادارات الحكومية الى ١٢٪ ، وكان معبد شمش معبود سيبار يقرض الشعير بفائدة ٢٠٪ ، وبعد سنوات أفرض الفضة بفائدة ١٦/١ من رأس المال ، أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانونى للفائدة ، وفى عصر أور كان السعر المعتاد للقــرض من الشعير ٣٣ وثلث فى السنة ، أى ثلث رأس المال ، وظل هذا السعــر قائما فى عصر حمورابى ، ثم اخذ فى الانخفاض (ل. دبلابورت : المرجع السابق ص ١٥٣ ــ ١٥٤) .

مادة (٩٢) تالفــة •

مادة (٩٣) : اذا كان التاجر •••• أو لم يستنزل القدر الكافى من الحبوب الذى تسلمه ، ولم يكتب عقدا جديدا ، أو كان قد أضاف الفائدة الى رأس المال ، فان التاجر يرد ضعف القدر الذى تسلمه من الحبوب•

مادة (٩٤) : اذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالا ، وعند التسليم دفع المال بالوزن الصغير والحبوب بالمكيال الصغير ، ولكنه استرد ذلك بالوزن الكبير والمكيال الكبير ، فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩٥) : اذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالا ، وأعطى ••••• فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩٦) : اذا استدان سيد حبوبا أو مالا من تاجر ، ولم يكن لديه حبوبا أو مالا ليرده ، ولكن لديه بضائع أخرى فانه يعطى لتاجره ما يملكه أمام شهود ، وعلى التاجر أن يقبل ذلك دون اعتراض •

مادة (٩٧) تالفــة •

مادة (٩٨) : اذا سلم سيد مالا لآخر لعمل شركة بينهما ، فانهما يقتسمان مناصفة الربح والخسارة أمام الاله •

مادة (٩٩) : اذا أقرض تاجــر مالا بفائدة لتاجر متجول بقصــد التجارة ، وأرسله الى الطريق ، فان التاجر المتجول •••• على الطريق •••• المال الذى عهد به اليه •

مادة (١٠٠) اذا كان قد حقق ربحا حيث حل ، فانه يسجل الفائدة على المبلغ بالكــامل الذى استدانه ، ثم يحسبان الايــام عليه ، ويرد للتــاجر •

مادة (١٠١) : عندما لا يحقق التاجر المتجول (Schāmallum)

ربحا ، بصرف النظر عن المكان الذى ذهب اليه ، فانه يدفع للتاجر ضعف ما اقترضه من ماله •

مادة (١٠٢) : اذا أقرض تاجر تاجرا متجولا قرض مجاملة وتحققت خسارته ، حيث سافر ، فانه يعيد رأس المال للتاجر •

مادة (١٠٣) : اذا هـاجمه عدو فى الطريق جعلـه يسلم له كل ما يحمل ، فان التاجر المتجول يقسم بالاله ، ويطلق سراحه •

مادة (١٠٤) : اذا أقرض تاجر غلة أو صوفا أو زيتا أو بضاعة ما الى تاجر متجول ، فعلى التاجر المتجول أن يسجل الثمن ، وأن يدفعه للتـاجر ، وأن يستلم التاجر (أو البـائع) المتجول ، وصلا مختومـا بالدراهم التى دفعها للتاجر •

مادة (١٠٥) : اذا كان البائع المتجول مهملا ، ولم يحصل على وصل مختوم بالمال الذى دفعه للتاجر ، فان المال الذى لم يحرر به وصـل مختوم لا يمكن اعتباره عند اعتماد الحساب •

مادة (١٠٦) : اذا استدان بائع متجول مبلغا من تاجر ثم حـدث نزاع ، فان التاجر عليه أن يثبت فى حضرة الاله والشهود أن البـائع المتجول استدان المبلغ ، وعندئذ يدفع البائع المتجـول الى التاجر ثلاثة أمثال المبلغ موضوع الدين •

مادة (١٠٧) : اذا عهد تاجر بشىء الى بائع متجول ، ثم أعاد هذا اليه ما أعطاه ، فانه فى حالة نزاع بينهما ، وانكار التاجر المتجول أنه تسلم شيئا ، فانه على التاجر المتجول أن يثبت ذلك بالقسم ضد التاجر فى حضرة الاله والشهود ، وعندئذ يدفع التاجر ستة أمثال الشىء موضوع هذا النزاع •

مادة (١٠٨) : اذا لم تستلم صاحبة حانة الحبوب ثمنا للشراب ،

وقبلت نقودا بالوزن الكبير ، وبذا جعلت سعر الشراب أقل من قيمة الحبوب ، فانهم يثبتون ذلك ضدها ، ويلقون بها فى ماء النهر •

مادة (١٠٩) : اذا تجمهر بعض المتشردين فى حانة ، ولم تقبض عليهم صاحبة الحانة ولم تأخذهم الى القصر فانها تقتل •

مادة (١١٠) : اذا كانت «ناديتوم» (من طبقة الكاهنات) أو «انتيوم» (Entum) (من طبقة الراهبات) ممن لا يعيشون فى دير ، يفتتحون حانة أو يدخلون حانة لشراب ، فالعقوبة الحرق •

مادة (١١١) : اذا أعطت بائعة قنية من شراب «بيخوم» (Pihum) نسيئة ، فانها تأخذ ٥٠ قو من الحبوب عند جمع المحصول •

مادة (١١٢) : اذا كان سيد فى رحلة تجارية ، وأعطى فضة وذهبا وأحجارا كريمة أو أية بضائع من متعلقاته الى سيد آخر ، و عهد اليه بنقلها ، فان هذا الرجل اذا لم يسلم ما كان يجب نقله الى حيث كان يجب أن ينقل ، بل أخذه لنفسه ، فان صاحب البضائع التى كان مفروضا أن تنقل يجب أن يثبت الاتهام ضد الرجل الاخير ، وعندئذ يدفع الرجل الى صاحب البضاعة التى كان يجب أن تنقل خمسة أمثال ما سلم اليه•

مادة (١١٣) : اذا كان لرجل دين من حبوب أو مال على آخر ، ثم أخذ حبوبا من الشونة أو ساحة التذرية بغير موافقة صاحب الحبوب ، فعليه أن يعيد كمية الحبوب التى أخذها ، ثم يدفع كذلك غرامة كل شىء آخر كان قد اقترضه •

مادة (١١٤) : اذا لم يكن لرجل حبوب أو مال لدى آخر ، ثم أحتجزه كرهينة ، فانه يدفع ثلث مينا من الفضة عن كل احتجاز •

مادة (١١٥) : اذا كان لسيد دين حبوب أو مال لدى آخر ثم احتجز شخصا كرهينة ، ثم مات الرهينة ميتة طبيعية فى بيت المحتجز ، فليس هناك وجه لاقامة الدعوى •

مادة (١١٦) : اذا كان موت الرهينة بسبب ضرب أو اساءة فى بيت المحتجز ، فان صاحب الرهن عليه أن يثبت ذلك ضد تاجره ، فان كان ابنا الرجل قتل الابن ؛ وان كان عبده دفع ثلث مينا من الفضـــة ، وغرامة عن كل ما افترضه ٠

مادة (١١٧) : اذا حان وقت استحقاق دين على سيد وكان قد باع (خدمات) زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط (هو نفسه) بالخدمة ، فيجب عليهم أن يعملوا فى بيت من اشتراهم أو المدينين له مدة ثلاث سنوات ، ثم تعادلهم حريتهم فى السنة الرابعة(٨١) ٠

مادة (١١٨) : اذا سخر عبد أو أمة للخدمة ، ثم أراد التاجر اشهار البيع . فله أن يبيع ، دون وجه لاقامة الدعوى ضده ٠

مادة (١١٩) : اذا قام التزام على سيد أدى الى أن يبيع خدمات أمته التى ولدت أطفالا ، فان صاحب الامة يستطيع أن يسترد أمته ، بعد أن يدفع ما كان التاجر قد دفعه ٠

مادة (١٢٠) : اذا أودع سيد حبوبه فى بيت سيد آخر ، فخزنها وحدث تلف فى الشونة ، أو أن صاحب البيت فتح المخزن وأخذ حبوبا، أو أنكر تماما أنه تسلم حبوبا لتخزينها فى بيته ، فعلى صاحبها أن يبين تفصيلات حبوبه فى حضرة الاله ، وعندئذ يدفع صاحب البيت الى مالك الحبوب ضعف ما أخذ من حبوب ٠

مادة (١٢١) : اذا أودع سيد حبوبا فى بيت آخر ، فعليه أن يدفع ٥ قو من الحبوب لكل كور ، مقابل تخزينها لمدة عام ٠

مادة (١٢٢) : اذا أودع سيد لدى آخر فضة أو ذهبا أو أى شىء

(٨١) قارن شريعة التوراة (خروج ٢/١٢ - ١١ تثنية ١٢/١٥ - ١٨) حيث تطلق السراح فى السنة السابعة .

آخر لحفظه كأمانة ، فيجب أن يبين بالشهود مقدار ما أودعه ، ثم يحرر عقدا ، وعندئذ تتم عملية الحفظ (الايداع) •

مادة (١٢٣) : اذا أودع شيئا لحفظه بغير شهود أو عقود ، ثم أنكر من تسلمها ، فلا تقام الدعوى •

مادة (١٢٤) : اذا أعطى سيد سيدا آخــر فضة أو ذهبا أو شيئا آخر ، كأمانة فى حضرة شهود ، ثم أنكر الواقعة فيجب اثباتها ضده ، وعندئذ يدفع ضعف ما أنكر •

مادة (١٢٥) : اذا أودع سيد متاعه كأمانة ثم اختفى المتاع حيث أودعه ، كما اختفى متاع صاحب البيت بسبب دخول اللصــوص أو عن طريق نقب الحائط ، فان صاحب البيت الذى كان اهماله سببا فى تبديد الامانة ، يجب أن يعوض صاحب البضائع ، وعليه أن يبحث جديا بحثا كاملا عن متاعه الضائع ، ويأخذه من اللص الذى سرقه •

مادة (١٢٦) : اذا لم يكن متاع الرجل قــد سرق ولكنه أعلن «أن متاعى قد سرق» ، وبذا يحاول خديعة مجلس مدينته ، فان مجلس المدينة يستعرض الحقائق فى حضرة الاله ، وأن متاعه لم يسرق ، وعندئذ يدفع لمجلس مدينته ضعف ما ادعى به •

مادة (١٢٧) : اذا أشــار سيد الى كاهنة معبد أو الى زوجة سيد آخر بسوء ، ولكنه لم يستطع اثبات شىء ضدها ، فان هذا السيد يؤخذ الى حضرة القضاة ، ويقصون أيضا نصف شعره •

مادة (١٢٨) : اذا كان لسيد زوجة ، ولكنه لم يحرر معها عقدا ، فان هذه المرأة ليست زوجته •

مادة (١٢٩) : اذا ضبطت زوجة سيد مضطجعة مع رجل آخــر ، فيجب عليهم أن يوثقوا الاثنين ويلقونهما فى ماء النهر ، واذا أراد الزوج

الابقاء على حياة زوجته ، ففى هذه الحالة يستطيع الملك أن يبقى على حياة أحد رعاياه •

مادة (١٣٠) : اذا اتصل سيد بخطيبة آخر ، ولم يكن قد واقعها رجل من قبل ، وكانت لا تزال فى بيت أبيها ، ثم رقد فى صدرها وأمسك بها ، فانه يقتل ، أما المرأة فتطلق حرة •

مادة (١٣١) : اذا اتهم سيد زوجته ولم تضبط متلبسة مع آخر ، تثبت دعواها بقسم أمام الاله ، ثم تعود الى بيتها •

مادة (١٣٢) : اذا شهر سيد بزوجة سيد آخر ، ولكنها لم تضبط متلبسة فى حالة اضطجاع مع رجل آخر ، فانها تلقى بنفسها فى النهر من أجل زوجها •

مادة (١٣٣) : اذا أسر رجل وكان فى بيته ما يكفى ، فيتحتم على زوجته ألا تترك منزله ، وعليها أن تصون نفسها ، وذلك بأن لا تدخل منزل شخص آخر ، أما اذا لم تصن هذه المرأة نفسهـا ودخلت منزل شخص آخر ، فانهم يثبتون ذلك على هذه المرأة ، ويلقونها فى الماء •

مادة (١٣٤) : اذا أسر رجل ، ولم يكن هنـاك فى بيته ما يحفظ عليهم الحياة ، فلزوجته أن تدخل بيت رجل آخر ، ولا لوم عليها •

مادة (١٣٥) : اذا لم يكن فى بيت الاسير ما يكفى للانفـاق على أسرته ، ثم دخلت زوجته الى بيت رجل آخـر قبل عودته ، وولدت له أطفالا ، ثم عاد زوجها ووصل الى مدينته ، فان هذه المرأة تعـاد الى زوجها الاول ، ويبقى الاولاد مع أبيهم •

مادة (١٣٦) : اذا هجر سيد مدينته وهرب ثم دخلت زوجته بيت رجل آخر بعد رحيله ، فاذا عاد ورغب فى استعادة زوجته ، فلا تعود الزوجة الى زوجها الهارب ، لانه احتقر مدينته وفر هاربا •

مادة (١٣٧) : اذا عول سيد أن يطلق «شوجيتوم» (Su - Ge - Tum) رزقت منه بأطفال ، أو «ناديتوم» جاءته بأطفال ، ترد الى هذه المرأة بائنتها ، كما تعطى نصف الحقــول والبستان حتى تربى أولادها ، ثم تعطى ، بعد تربية أولادها ، نصيبا مماثلا لاى وريث ممــا يوزع على أولادها ، حتى يستطيع الرجل الذى يختارها أن يتزوجها •

مادة (١٣٨) : اذا أراد ســيد أن يطلق زوجته التى لم تنجب منه أطفالا ، فعليه أن يدفع لها كل تكاليف زواجها ، وأن يعوضها عن المهر (البائنة) التى جاءت بها من بيت أبيها ، ثم بعد ذلك يطلقها •

مادة (١٣٩) : اذا لم يكن هنــاك تكاليف زواج ، فعليه أن يعطيها مينا من الفضة ، ثم يطلقها •

مادة (١٤٠) : اذا كان مزارعا يعطيها ثلث مينا من الفضة •

مادة (١٤١) : اذا كانت زوجة رجل تعيش فى بيته ، ثم أرادت أن تترك البيت لتعمل ، وبالتالى تهمل بيتها ، ويستشعر زوجها المهانة ، فيجب اثبات ذلك ضدها ، وان أراد زوجها أن يطلقها من أجل ذلك ، فانه يطلقها دون اعطائهــا أى شىء لاتمام الطلاق عند رحيلهــا ، واذا لم يرد أن يطلقها ، فله أن يتزوج من غيرها ، وتبقى الزوجة الاولى فى بيت زوجها كخــادمة •

مادة (١٤٢) : اذا كرهت امرأة زوجها ، حتى قالت له : لا تقربنى فيجب دراسة قضيتها فى مجلس مدينتها ، فاذا كانت امرأة حريصة ولم ترتكب خطأ ، رغم أن زوجها يخرج ويحط من قدرها كثيرا ، فليس لهذه المرأة ذنب ، ويجب أن تأخذ حقها المتأخر ، وتذهب الى بيت أبيها •

مادة (١٤٣) : اذا لم تكن حريصة ، وكانت دائمة الخروج للزيارات، وبذا تهمل بيتها ، ويستشعر زوجها المهانة ، يلقى بها فى ماء النهر •

مادة (١٤٤) : اذا تزوج رجـل من «ناديتوم» ثم سلمت جاريتها لزوجها ثم رزق منها بأطفال ، ثم أراد الزواج من كاهنة ، فليس له أن يفعل ، لان ليس من حقه الزواج من كاهنة .

مادة (١٤٥) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» ولم يرزق منها بأطفال، فله الحق ، ان أراد ، ان يتزوج من كاهنة ، ويأتى بها الى بيته ،ولكن هذه الكاهنة لا ترتفع الى مرتبة ال «ناديتوم» .

مادة (١٤٦) : اذا تزوج رجل من «ناديتـوم» وأعطته جارية لها فحملت منه وجاءته بأطفال ، فاذا طالبت بالمساواة بسيدتها لأنها أنجبت أطفالا ، فليس لسيدتها أن تبيعها ، ولكن لها أن تدمغها بميسم الاماء ، وأن تعدها من بين عبيدها .

مادة (١٤٧) : اذا لم ترزق بأطفال ، فمن حق سيدتها أن تبيعها .

مادة (١٤٨) : اذا تزوج سيد بأمرأة وأصيبت بمرض ، وأراد أن يتزوج مرة ثانية ، فمن حقـه أن يتزوج ، ولكن لا يطلق زوجته التى أصيبت بالمرض ، انها تسـكن فى البيت الذى بناه ، وعليه أن يقـوم باعالتها طالما كانت على قيد الحياة .

مادة (١٤٩) : اذا رفضت هذه المرأة أن تعيش فى بيت زوجها يرد لها بائنتها التى جاءت بها من بيت أبيها وعندئذ لها أن تترك البيت .

مادة (١٥٠) : اذا حرر رجل عقدا مختوما عند اهدائه زوجته حقلا أو بستانا أو بيتا أو متاعا ، فان أولادها لا يستطيعون الدخول فى دعوى ضدها بعد وفاة زوجهـا ، ما دامت الام تستطيع أن تمنح ارثها ابنها الذى تحبه ، ولكنها لا تستطيع أن تعطيه لغريب .

مادة (١٥١) : اذا نصت امرأة فى عقد زواجها أن دائنى زوجها لا يستطيعون ارتهانها بمقتضى ابراز وثيقة مكتوبة ، ثم حدث أن كان الرجل

٧/٢٤

مدينا قبل الزواج من تلك المرأة ، فان دائنيه لا يستطيعون احتجازها ، كما أنها ، ان كانت هي مدينة قبل دخولها الى بيت زوجها ، فان دائنيها لا يستطيعون كذلك احتجاز زوجها •

مادة (١٥٢) : اذا حدث الدين بعد دخول المرأة بيت زوجها ، فعلى الاثنين تكون المساءلة أمام التاجر (يعنى الدائن) •

مادة (١٥٣) : اذا تسببت امرأة فى موت زوجها بسبب رجل آخر ، توضع على الخازوق •

مادة (١٥٤) : اذا زنا رجل بابنته فعليه أن يترك المدينة •

مادة (١٥٥) : اذا أختار الرجل عروسا لابنه ثم واقعها ابنه ثم ضبط هو بعد ذلك متلبسا معها يربط ويلقى به فى النهر •

مادة (١٥٦) : اذا اختار سيد عروسا لولده ولم يواقعها ابنه ، لكن الاب ضاجعها ، فانه يدفع لها نصف مينا من افضة ، ثم يرد لها كل ما جاءت به من بيت أبيها ، حتى يستطيع الرجل الذى تختاره أن يتزوجها•

مادة (١٥٧) : اذا ضاجع رجل أمه بعد موت أبيه يحرق كلاهما •

مادة (١٥٨) : اذا ضبط رجل بعد موت أبيه متلبسا بمضاجعة مرضعته التى كانت حاملة أطفال ، فانه يقطع من بيت أبيه •

مادة (١٥٩) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، ثم أحب أمرأة أخرى وقال لحميه المقبل : سوف لا أتزوج من ابنتك ، فان والد الفتاة يحتفظ بكل ما جىء به له •

مادة (١٦٠) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، ثم قال له والد الفتاة : سوف لا أزوجك من ابنتى ، فانه يرد ضعف ما جىء له به •

مادة (١٦١) : اذا جـاء خطيب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، وأساءه صديق له بأن قال ان حماه المقبل قال : سوف لا تتزوج من ابنتى ، فانه يرد ضعف ما جئ له به ، ولايتزوج صديقه من خطيبته السابقة .

مادة (١٦٢) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ورزق منها بأطفال ، ثم ماتت ، فليس لأبيهـا أن يسترد بائنتها لأن هذه البـائنة أصبحت ملكا لأولادهـا .

مادة (١٦٣) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ولم يرزق منها بأطفال ، وأعاد له حموه المهر الذى كان قدمه الى بيت حميه ، فليس لزوجها أن يدعى حقا فى بائنتها ، لأن هذه البائنة أصبحت من حق بيت أبيها .

مادة (١٦٤) : اذا لم يرد حموه المهر ، فان المهر يستنزل بأكمله من بائنتها ، وترد بقية البائنة الى بيت أبيها .

مادة (١٦٥) : اذا أهدى رجل الى بكر أولاده المحبوب فى عينه حقلا أو بستانا وكتب له بذلك وثيقة مختومة ، ثم جاء أخوته للتقسيم بعد وفاة أبيهم ، فانه يحتفظ بالهدية التى أعطاه اياها أبوه ، ثم تقسم ضيعة الاب بينهم بالتساوى .

مادة (١٦٦) : اذا مات رجل دون أن يتزوج أصغر أبنائه ، أفرد له أخوته قيمة مهر تناسب مهر الزواج من ضيعة أبيهم ، قبل أن يقتسموا تركته بعد موته ، حتى يمكنوا الاخ الاصغر من الحصول على زوجة .

مادة (١٦٧) : اذا تزوج رجل من امرأة ورزق منها بأطفال ثم ماتت، فتزوج من بعدها بامرأة أخرى ، ورزق منها بأطفال كذلك ، فعند موته لا يقتسم الاطفال التركة تبعا لأمهاتهم ، وانما تأخذ كل مجموعة بائنة أمهم ، ثم تقسم تركة الرجل بعد ذلك بينهم بالتساوى .

مادة (١٦٨) : اذا أراد رجل حرمان أحد أبنائه من تركته ، وقال للقضاة : أريد حرمان ابنى من الارث ، فانهم يتحرون حالته ، فاذا لم يكن الابن قد ارتكب ذنبا عظيما يحرمه حقـه فى البنوة ، فليس للاب الحق فى أن يحرمه حقه فى البنوة •

مادة (١٦٩) : اذا كا قد ارتكب اثما عظيما يكفى لحرمانه من البنوة، فيجب العفو عن ذنبه الاول ، فان عاد فارتكب ذنبا عظيما مرة ثانية ، فللأب أن يحرمه •

مادة (١٧٠) : اذا رزق رجل من زوجته الاولى بأطفال ، ثم جاءته جاريته أيضا بأطفال ، واعترف الزوج بهم فى حياته ، وقال «أطفالى» فعدهم كأطفال الزوجة الاولى ، فان تركته تقسم بعد موته بالتساوى بين أطفال الزوجة الاولى وأطفال الجارية ، على أن يكون لولده البكر من الزوجة الاولى نصيب مفضل •

مادة (١٧١) : اذا لم يعترف الاب فى حياته بهم ويقول : أطفالى ، لمن جاءت بهم الجارية ، فان أبنـــاء الجارية لا يشاركون أبنـــاء الزوجة الاولى فى متاع الاب بعد وفاته ، ولكن تحرر الجارية أولادها ، وليس لأبناء الزوجة الاولى عليهم حق الخدمة ، وتأخذ الزوجة الاولى بائنتها وهدية الزواج التى كتبها زوجها لها على لوحة ، وتعيش فى بيت زوجها طيلة حياتها ، دون أن يكون لها حق بيعه ، لانه ميراث يخص أولادها •

مادة (١٧٢) : اذا لم يكن زوجها قد أعطاها هدية زواج ، فترد لها بائنتها ، وتأخذ من تركة زوجها على ميراث يعدل أحد الانصبة ، وأن ضايقها أولادها لتترك الدار يتحرى القضاة الامر ، ثم يلقون باللائمة على أولادها ، ولا تترك المرأة البيت ، وأما ان أرادت ترك البيت ، فعندئذ تتنازل لأولادها عن هدية زواجها التى أعطاها اياها زوجها ، ولكن تأخذ بائنتها التى جاءت بها من بيت أبيها ، حتى يتزوجها الرجل الذى تختاره•

مادة (١٧٣) : اذا رزقت تلك المرأة بأطفال من زوجها الاخـــير فى

المكان الذى دخلت اليه ، فعند وفـاتها تقسم بائنتها بين أطفـالها من زوجيها الاول والثانى •

مادة (١٧٤) : اذا لم ترزق بأطفال من زوجها الثـانى فان بائنتها تقسم بين أطفالها من زوجها الاول فقط •

مادة (١٧٥) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ورزقت منه بأطفال ، فليس لسيد العبد حق الخدمة على أطفال عبده من ابنة السيد •

مادة (١٧٦) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ثم دخلت الى بيت زوجهـا ــ عبد القصر أو عبد لمواطن ــ ببائنتهـا وارتبطا ببعضهما ثم أسسا بيتا ، وجعلا فيه أثاثا ، ثم مات العبد ، فان ابنة السـيد تأخذ بائنتها ، وأما ما اشتركت فى شرائه مع زوجها ، بعـد ارتباطهما ، فيقسم الى قسمين ، يأخذ صـاحب العبد النصف ، وتأخذ هى لأبنها النصف الثانى •

مادة (١٧٦) مكرر : أما اذا لم يكن لابنـة السيد بائنة ، فان ما اشتركت فى شرائه مع زوجها ــ بعد ارتباطهما ــ الى قسمـين ، يأخذ صاحب العبد نصفا ، وتأخذ هى لأولادها النصف الثانى •

مادة (١٧٧) : اذا كان لارملة أطفال قصر ، وأرادت دخول بيت رجل ، فليس لهـا ذلك الا بموافقة القضـاة ثم يتحرون تركة زوجهـا السابق ، ثم يعهدون الى زوجها الثانى برعاية تركة زوجهـا السابق ، وتحرر وثيقة بينهم وبين المـرأة بهدف رعاية التركة وتربية الاطفـال القصر ، وعدم بيع متاع البيت ، ذلك لأن من يشترى متاع بيت أطفال أرملة يخسر ماله ، ويعاد المتاع الى أصحابه •

مادة (١٧٨) : فى حـالة الراهبـة أو أل «ناديتوم» أو المنـذورة

(زيكروم = (Zi - Ik - Ru - Um) التى كتب لها أبوها وثيقة عند تقديمه لبائنتها ، فاذا لم يكن الاب قد سمح لها بتوريثها لمن تشاء ، ولم يعطها مطلق التصرف بعد موته ، فان أخوتها يأخذون حقلها وبستانها ، ولكن عليهم اطعامها ، وكذا اعطائها زيتا وملابس مناسبة تعدل قيمة نصيبها ، بحيث تبدو راضية ، فاذا لم يفعلوا ، فلها أن تعطى حقلها وبستانها الى أى مستأجر تختاره ، وعلى المستأجر أن يرعاها ، ما دامت تستولى على ثمار الحقل والبستان أو ما منحها أبوها طيلة حياتها ، دون حق التصرف بالبيع أو التوصية للغير ، لان نصيبها يخص أخوتها من بعدها •

مادة (١٧٩) : فى حالة الراهبة أو «نادتيوم» أو المنذورة ، التى كتب لها أبوها عند تقديم البائنة صكا مختوما ، وسجل فى اللوحة التى كتبها موافقتها على أن تتصرف فى ميراثها كما تشاء ، فلها — بعد وفاته — أن تسلم ميراثها لمن تشاء ، وليس لأخوتها حق الدعوى ضدها •

مادة (١٨٠) : اذا لم يقدم لابنته «ناديتوم» فى دير أو منذورة ، فمن حقها بعد وفاته أن تأخذ من متاعه نصيبا مماثلا لاى وريث ، على أن تستمتع باستثماره طيلة حياتها فقط ، لان نصيبها فى الميراث انما ملك لأخوتها بعد وفاتها •

مادة (١٨١) : اذا كرس الاب ابنته على أن تكون «ناديتوم» أو «عاهرة مقدسة» أو «كولما شيتوم» (متعبدة) ولم يقدم لها بائنة ، فبعد موته تأخذ نصيبا من تركته ، بمقدار الثلث،على أن تستثمره طوال حياتها فقط ، لأنه يخص أخوتها •

مادة (١٨٢) : اذا كان الاب لم يقدم بائنة لابنته التى تعمل «ناديتوم» فى معبد مردوك فى بابل ، ولم يسجل لها وثيقة مختومة ،فلها بعد وفاة أبيها ثلث تركته ، على أن لا ترث أية حقوق اقطاعية ولكن لها حق منح ميراثها لمن تشاء •

مادة (١٨٣) : اذا حـــرر الاب وثيقة مختومة لابنته الكـــاهنة عند تقديم بائنتها ، فمن حقها بعد موت أبيها أن تأخذ نصيبها فى تركته •

مادة (١٨٤) : اذا لم يقـــدم الاب بائنة لابنته الكـــاهنة لانه لم يزوجها ، فعلى أخوتها ــ بعد موت الاب ــ أن يقدموا لها هدية تتناسب مع قيمة التركة التى خلفها الاب ، ويقدمونها لزوجها •

مادة (١٨٥) : اذا تبنى رجل ولدا باسمه ورباه ، فان الطفل المتبنى لا يسترجع اطلاقا •

مادة (١٨٦) : اذا تبنى رجـــل ولدا عرف أباه وامـــه عند تبنيه ، فللطفل أن يعود الى بيت أبيه •

مادة (١٨٧) : الابن المتبنى لموظف أو خادم فى القصر أو منذور ، لا يرد اطلاقا •

مادة (١٨٨) : اذا أخذ عضو من طبقة الصناع ولدا متبنى وعلمه حرفته ، فمن حقه ألا يرده أبدا •

مادة (١٨٩) : اذا لم يكن قد علمه حرفته ، فيمكن أن يعود الطفل المتبنى الى بيت أبيه •

مادة (١٩٠) : اذا لم يعتبر رجل الطفل الذى تبناه ورباه من بين أولاده ، فمن حق الطفل المتبنى أن يعود الى بيت أبيه •

مادة (١٩١) : اذا تبنى رجـــل ولدا ثمأ قـــام له أسرة ، ثم رزق بأولاد فيما بعد ، ورغب فى ابعـــاد المتبنى ، فلا يرد الى أهله صـــفر اليدين ، وانما يهبه ما يساوى ثلث ما يملك ، وله أن يسرحه بعد ذلك ما دام لم يعطه حقلا أو بستانا أو بيتا •

مادة (١٩٢) : اذا قال متبنى موظف القصر أو المنذور لأبيه أو أمه بالتبنى : لست أبى أو لست أمى ، يقطع لســانه •

مادة (١٩٣) : اذا وجد متبنى القصر أو المنذور أبويه . وكره أباه وأمه بالتبنى ، ثم ذهب الى بيت أبويه ، تقلع عيناه •

مادة (١٩٤) : اذا أعطى ســيد ولده لمربية ثم مــات وهو تحت رعايتها ، فانه فى حالة تعاقد المربية مع ابن آخر ، دون علم الاب والام. فعليهما أن يثبتا ذلك ضدهــا ، ثم يقطعان ثدييها، لانهــا تعاقدت مع ابن آخر دون علم أبيه وأمه •

مادة (١٩٥) : اذا ضرب ولد أباه تقطع يده •

مادة (١٩٦) : من تسبب فى اتلاف عين عضو من جمــاعة النبلاء تقلع عينه •

مادة (١٩٧) : من كسر عظمة رجل آخر تكسر عظمته •

مادة (١٩٨) : اذا فقأ سيد عين رجل من العــامة أو كسر احدى عظامه ، يدفع له مينا من الفضة •

مادة (١٩٩) : من أفقد عبدا عينه أو احدى عظامه يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٢٠٠) : من يسقط سن رجل من طبقته تكسر سنه •

مادة (٢٠١) : من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينــا من الفضــة •

مادة (٢٠٢) : من يلطم خد آخر أعلى منه مرتبة يجلد ستين جلدة بسوط من جلد الثور علنا •

مادة (٢٠٣) : اذا لطم نبيل نبيلا آخر يدفع مينا من الفضة •

مادة (٢٠٤) : اذا لطم رجل من العامة خد آخر من طبقته يدفع ١٠ شواقل من الفضة •

مادة (٢٠٥) : اذا لطم عبد خد نبيل تصلم أذنه •

مادة (٢٠٦) : اذا ضرب رجل فى معركة رجلا آخر فأصابه ، فعليه أن يقسم قائلا : أنا لم أضربه عمدا ، وعليه أيضا أن يدفع أجر الطبيب•

مادة (٢٠٧) : اذا مات بسبب الضربة فيقسم نفس القسم ، فاذا كان من النبلاء يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٢٠٨) : اذا كان من العامة يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٢٠٩) : اذا ضرب رجل ابنة رجل آخر وأجهضت يدفع ١٠ شواقل من الفضة بسبب اجهاضها •

مادة (٢١٠) : اذا ماتت المرأة قتلت ابنته •

مادة (٢١١) : اذا وقعت الاصابة على ابنة رجل من العامة يدفع ٥ شواقل من الفضـــة •

مادة (٢١٢) : اذا ماتت هذه المرأة يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٢١٣) : اذا ضرب أمة فأجهضها يدفع شاقلين من الفضة • •

مادة (٢١٤) : اذا ماتت الجارية يدفع ثلث مينا من الفضة •

مادة (٢١٥) : اذا باشر طبيب عملية كبيرة لرجل بسلاح من البرونز فأنقذ حياته ، ثم فتح خراجـــا بعين رجل بسلاح من البرونز فأنقـــذ العين ، فأجره عشرة شواقل من الفضة •

مادة (٢١٦) : اذا كان من العامة يأخذ ٥ شواقل •

مادة (٢١٧) : اذا كان عبدا فـان صاحب العبد يعطى شـاقلين للطبيب •

مادة (٢١٨) : اذا أجرى طبيب عملية كبـيرة لسيد بآلة برونزية وسبب وفاة السيد ، أو فتح خراجا فى عينه فأتلفها ، تقطع يده•

مادة (٢١٩) : اذا أجرى طبيب عملية كبـيرة لعبد بآلة برونزية ، وسبب وفاته ، دفع التعويض عبدا بعبد •

مادة (٢٢٠) : اذا أجرى العملية على عين العبد بآلـة برونزية ، فأتلفها ، يدفع نصف ثمنه بالفضة •

مادة (٢٢١) : اذا أصلـح طبيب عظمة مكسورة أو شفى تمزقـا عضليا ، يدفع المريض ٥ شواقل للطبيب •

مادة (٢٢٢) : اذا كان ابن شخص من العامة يدفع ثلاثة شواقل من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٣) : اذا كان عبدا دفع صاحبه شاقلين من الفضة للطبيب•

مادة (٢٢٤) : اذا قام طبيب بيطرى باجراء عملية كبيرة لثور أو حمار ، وأنقذ حياته ، يدفع صاحبه للطبيب البيطرى سـدس ثمنه من الفضـه •

مادة (٢٢٥) : اذا أجرى عملية كبيرة لثور أو حمار وتسبب فى موته يعطى لصاحب الثور أو الحمار خمس ثمنه •

مادة (٢٢٦) : اذا محا رجل ممن يقومون بالوشم علامة عبد لرجل آخر ، دون موافقة صاحب العبد ، تقطع يده •

مادة (٢٢٧) : اذا خادع رجل أحد المختصين بالوشم بحيث أزاله علامة العبد من عبد لرجل آخـــر ، يقتل ذلك الرجل ، ويعلق على باب بيته ، ويقسم المختص بالوشم قائلا : أنا لم أقم بازالته عن علم ، ثم يطلق سراحـــه •

مادة (٢٢٨) : اذا بنى بناء لرجل بيتا وأنجزه له ، يعطيه شاقلين من الفضة لكل «سار» Sar من البيت (والسار $\frac{1}{٥}$ ٤٢ ياردة مربعة) أجـــرا لـــه •

مادة (٢٢٩) : اذا قام بنـــاء بتشييد البيت ، ولكنه لم يقم بعمله جيدا ، فانهار البيت الذى بناه ، وتسبب فى وفاة صاحب المنزل ، يعدم البنـــاء •

مادة (٢٣٠) : اذا تسبب فى وفاة ابن صاحب البيت ، يعدم ابن البنـــاء •

مادة (٢٣١) : اذا تسبب فى موت عبده ، يعوضه بعبد لصـــاحب البيت •

مادة (٢٣٢) : اذا تسبب فى اتلاف متاع فيعوض كل ما أتلف ، واذا لم يقم البيت متينا فانهار ، يعيد البناء البيت الذى انهار على نفقته •

مادة (٢٣٣) : اذا بنى بناء بيتا لرجل ، ولم يكن عمله مأمونا بحيث أصبح الحائط خطرا وغير مأمون ، يدعم الحائط على نفقته •

مادة (٢٣٤) : اذا صنع مراكبى مركبـــا لرجل سعتها ٦٠ كورا ، فأجره شاقلان من الفضة •

مادة (٢٣٥) : اذا صنع المراكبى المركب ولم يقم بعمله جيدا،بحيث تفكك أحد أقواسه فى نفس السنة ، ثم ظهر أن هذا العيب من المراكبى، يفك المراكبى القارب ويقويه على نفقته ، ويسلمه لصاحبه •

مادة (٢٣٦) : اذا أجر سيد مركبه لمراكبى وأهمل المراكبى بحيث غرق أو غاص ، يعوض صاحب المركب بمركب آخــر .

مادة (٢٣٧) : اذا استأجر سيد مركبا وحملها بالحبوب والصوف والزيت والملح أو أى نوع من الحمولة ، ثم أهمل المراكبى حتى غاصت المركب وضاعت حمولتهـا ، يعوض المراكبى صاحب الحمـولة بمقدار ما غاص وما فقد .

مادة (٢٣٨) : اذا أغرق مراكبى مركب رجل آخر ، ثم أعاد تعويمها، يدفع نصف قيمتها فضة .

مادة (٢٣٩) : اذا أجر سيد مراكبيا ، يدفع له ٦ كور من الحبوب فى الســنة .

مادة (٢٤٠) : اذا اصطدم قارب تجديف بمركب شراعى وأغرقها ، فعلى صاحب المركب الغارقة أن يقدم التفصيلات فى حضرة الاله بما فقد من المركب ، وعلى صاحب قارب التجديف أن يعوض صاحب المركب عن بضاعته المفقودة .

مادة (٢٤١) : اذا احتجز سيد ثورا كرهينة يدفع ثلث مينــا من الفضــة .

مادة (٢٤٢ ــ ٢٤٣) : اذا استأجره رجل لمدة عام ، يعطى صاحبه ٤ كور من الحبوب كايجار لثور الجر ، ٣ كور من الحبوب كايجار لثور الشد الصغير .

مادم (٢٤٤) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم قتله أسد فى الخلاء ، فان الخسارة تعود على صاحبه .

مادة (٢٤٥) : اذا استأجر سيد ثورا ، وتسبب فى موته باهماله اياه أو ضربه ، يعوض صاحب الثور بثور آخــر .

مادة (٢٤٦) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قدمه أو أحدث قطوعا فى عضلة رقبته ، يعوض صاحب الثور بثور آخر •

مادة (٢٤٧) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم أتلف عينه ، يدفع لصاحب الثور نصف قيمته فضة •

مادة (٢٤٨) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قرنه أو قطع ذيله أو أصاب لحم ظهره ، يدفع ربع قيمته فضة •

مادة (٢٤٩) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم ضربه الاله فمات ، فمستأجر الثور يثبت ذلك عن طريق الاله ثم يطلق حرا •

مادة (٢٥٠) : اذا نطح ثور رجلا أثناء سيره فى الشارع ، فمات الرجل ، فليس الامر موضوع دعوى •

مادة (٢٥١) : اذا كان هناك ثور لرجل معروفا بالنطح ، وأخطره مجلس مدينته بذلك ، ولكنه لم يخفف قرنيه أو يربطه ، ثم نطح الثور نبيلا فمات ، يدفع نصف مينا من الفضة •

مادة (٢٥٢) : اذا كان المقتول عبدا ، يدفع ثلث مينا من الفضة•

مادة (٢٥٣) : اذا استأجر سيد رجلا ليشرف على حقوله ، وأقرضه حبوبا ، وعهد اليه بالثيران ، وتعاقد معه على زراعة الحقل ، ثم سرق الرجل الحبوب أو العلف ، ثم وجدت مع متعلقاته ، تقطع يده •

مادة (٢٥٤) : اذا اختلس حبوب الاطعام فجاعت الثيران ، يعوض بمقدار ضعف ما أخذه من حبوب •

مادة (٢٥٥) : اذا أجر ثيران الرجل أو سرق حبوب البذر ، وبالتالى لم يزرع الحقل ، يثبت الامر ضده ، وفى موسم الحصاد يكيل ٦ كورا من الحبوب لكل ١٨ ايكو •

مادة (٢٥٦) : اذا لم يكن قادرا على الوفاء بالتزاماته ، يؤخذ به الى الحقل ، حيث تجره الثيران •

مادة (٢٥٧) : اذا استأجر سيد مزارعا ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عـــام •

مادة (٢٥٨) : اذا استأجر راعى غنم ، يعطيه ٦ كورا من الحبوب كل عـــام •

مادة (٢٥٩) : اذا سرق رجل محراثا من حقل ، يدفع ٥ شواقل فضة لصاحب المحراث •

مادة (٢٦٠) : اذا سرق أداة بذر ، أو تقليب أرض ، يدفع ٣شواقل من الفضـــة •

مادة (٢٦١) : اذا استأجر رجل راعيا ليرعى غنمه أو معزه ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عـــام •

مادة (٢٦٢) : ••• تالفة •

مادة (٢٦٣) : اذا كان قد فقد ثورا أو معزة ، يعوض الثور بالثور والمعز بالمعز لصاحبها •

مادة (٢٦٤) : اذا كان الراعى الذى عهـد اليه بالماشية أو النعاج لترعى قد تسلم أجـره كاملا ، وفق رضاه ، ثم ترك الماشية والنعـاج تتناقص ، فقلل بذلك النسل ، يعطى لصاحبها زيادة وربحا طبقا لشروط العقـد •

مادة (٢٦٥) : اذا كان الراعى الذى عهـد اليه بالماشية أو النعاج لترعى قد أصبح غير أمين ، ثم غير علامات الماشية أو باعها ، يثبت ذلك ضده ، وتعوض الماشية أو النعاج لصاحبها عشرة أمثالها •

مادة (٢٦٦) : اذا حدثت زيادة اله لقطيع ، أو قتل أسد بعضه ، يبرىء الراعى نفسه فى حضرة الاله ، ولكن صاحب الماشية يأخذ منه جثة الحيوان الذى ضرب من بين أفراد القطيع .

مادة (٢٦٧) : اذا أهمل راع بحيث ترك العـــرج يدب فى القطيع ، يعوض صاحبها بمقدار الخسارة عن طريق العرج .

مادة (٢٦٨) : اذا استأجر سيد ثورا للدرس والتذرية يدفع ٢٠ قو من الحبـــوب .

مادة (٢٦٩) : اذا استأجر سيد حمارا للدرس والتذرية يدفع ١٠ قو من الحبـــوب .

مادة (٢٧٠) : اذا استأجر سيد نعجة للدرس والتذرية يدفع ١ قو من الحبـــوب .

مادة (٢٧١) : اذا استأجر ثيرانا أو عربة وسائقا للعربة يدفع ١٨٠ قو عن اليوم الواحد .

مادة (٢٧٢) : اذا استأجر سيد عربة وحدها يدفع ٤٠ قو عن اليوم الواحـــد .

مادة (٢٧٣) : اذا استأجر سيد عاملا ويعطيه٦سيات من الفضة عن اليوم الواحد منذ بداية الســـنة حتى الشهر الخامس ، ومن الشـــهر الخامس الى نهاية السنة يدفع ٥ سيات عن اليوم الواحد .

مادة (٢٧٤) : اذا استأجر سيد صانعا يدفع له يوميا كأجر لـــ ... ٥ سيات من الفضة ،وكأجر لصانع الطوب ٥ سيات من الفضة ، وكأجـــر للنساج .... سيات من الفضة ، وكأجر لصانع الاختام .... سيات من الفضة ، وكأجر للجوهرى ..... سيات من الفضـــة ... (الاجور غير مبنية ...) .

مادة (٢٧٥) : اذا استأجر سيد قاربا طويلا ، يدفع ٣ سيات من الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٦) : اذا استأجر سيد قارب تجديف يدفع ½٢ سيات من الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٧) : اذا استأجر سيد مركبا سعته ٦٠ كورا ، يدفع سدس شاقل من الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٨) : اذا اشترى سيد عبدا أو أمة ، ولم يمض شهر ثم أصيب بصرع ، يعيده الى بائعه ، ويسترد ماله الذى دفعه •

مادة (٢٧٩) : اذا اشترى سيد عبدا أو أمة ، ثم تلقى دعوى ضد أحدهما ، فالبائع هو المسئول عن الدعوى •

مادة (٢٨٠) : اذا اشترى سيد فى بلد أجنبى عبدا أو أمة ، ثم عاد الى بلده ، فتعرف صاحب العبد أو الامة على عبده أو أمته ، فاذا كان العبد أو الامة من أهل البلد ، يحرران دون مـــال •

مادة (٢٨١) : اذا كانا من أهل بلد آخر ، يقرر المشترى أمام الاله مبلغ مـــا دفعه ، ثم يعطى صاحب العبد أو الامـــة للتاجر ما دفعه من مال ، وهكذا يشترى حرية عبده أو أمته •

مادة (٢٨٢) : اذا قال عبد لسيده : لست سيدى ، يثبت سيده أنه عبده ، وعنئذ تصلم أذنه[٨٢] •

---

(٨٢) انظر : نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٣ ــ ٨١ (وقد اعتمدنا عليه كثيرا) ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ ــ ٤٦٨ طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩١ ــ ٢٩٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٥ ــ ٤٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٨٢ ــ ١٨٤ ،جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٩٨ ــ ١٩٩ ، سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٩٦ـ١٠١ ،هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٣٩ ــ ١٩٣ •
=

(٥) خلفــاء حمورابى :

جــاء بعد حمورابى ولــده «سمسو ايلونــا» (Samsu - ıluna) ، وقد أثبتت الرســائل من عصره أنه كان يشرف اشرافا مبــاشرا على الموظفين الاداريين والقضائيين فى المدن البعيدة عن العاصمة بابل ، ويبدو أن السنوات الثمــانية الاولى من عهده مرت بســلام ، فلم تثر فيها القلاقل ، ولم تبد فى الافق خلالها معالم اضطراب ، فجنح الى التعمير بشق قناتين فى عام حكمه الثالث والرابع ، وفى نفس الوقت اعتنى كثيرا بتجميل المعابد الكبرى وتزينها ، وخاصة فى بابل وسيبار •

هذا وينسب اليه أيضا أنه أعفى سومر وأكد من الضرائب فى العام التالى لحكمه ، وقد يعنى ذلك أنه أعفى المولين من متأخرات الضرائب بمناسبة اعتلائه العرش ، كما عمل على اعادة سلطان بابل على الطريق التجارى الى سورية ، عن طريق الفرات ، وذلك ليعوض خســائره فى الجنوب ، حتى ليشار — فى نص من عام حكمه السادس والعشرين — الى أنه قــد أحضر كتلة من الحجر ، يرجح البعض أنهــا من لبنــان ، وقد نقلها على طول الطريق البرى الى الفرات حتى بابل •

=

وكذا .Th. J. Meek, The Gode of Hammurabi, ANET, P. 163-180

G. R. Driver and J. C. Miles, The Babylonian Laws, I, Legal Commentary, I,II, Oxford 1955-1956.

R. F. Harper, The Code of Hammurabi, London, 1904.

J. Nougayrol, in RA, XLV, 1951, P. 67-79.

W. Eilers, in Der Alte Orient, 31, 1931.

A. Deimel, Codex Hammurabi, 1930 (3rd. ed by E. Bergmann, 1953).

T. J. Meek, The Asyndeton Clause in The Code of Hammurabi, JNES, 5, 1946, P. 64-72.

G. Roux, Op. Cit., P. 189-194.

D. J. Wiseman, The Laws of Hammurabi again, ın JSS, 7, 1962

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه كان على «سمسو ايلونا» أن يواجه المتاعب التى قامت فى دولته فى أعقــاب موت أبيه حمورابى ؛ وهى المتاعب التى لم تهدد عرشـــه فحسب ، بل هــددت كيان الاسرة والدولة معــا ، فللمــرة الاولى نسمع عن الكــاشيين أو الكــاسيين (The Kassites) يثيرون القلاقل على حدوده الشرقية ، ثم سرعان ما هاجموا بلاد بابل بعد وفــاة حمورابى بفترة وجيزة ، بقيــادة ملكهم «جانداش» (Gandash) ، ورغم أنه أوقع الهزيمة بهم ـــ فيما يزعم ـــ غير أن بروزهم من سفوح مرتفعات عيلام الغربية ، ثم وصولهم الى اقليم بابل ، انما يمثل نذير شـــؤم بضياع الامبراطورية ، فقــد بدأوا يتسربون على مدى قرنين كعمال ، حتى استطاعوا آخر الامر أن يكونوا أصحاب السلطة فى بابل .

على أن الامر لم يقتصر على ذلك،وانما كان على «سمسو ـــ ايلونا» أن يواجه ملك لارسا «ريم سين» خصم أبيه العنيد (أو من ادعى أنه ريم ســين) ، والمحرض على الثــورة فى منطقة «ايموتيبــال» (Iamutabal) ـــ منطقته الاصلية ـــ وقد انتهز فرصة تقدم الكاشيين ليثير القلاقل فى جنوب بابل ، وقــد نجح ـــ كما يقــال ـــ فى الاستيلاء على الوركــاء وايسين ، كما يبدو كذلك أن الحامية البابلية فى لارسا غلبت على أمرها ، ومن ثم فقد استعادت الاخـــيرة استقلالها ، وهكذا كان على «سمو ـــ ايلونا» أن يستعيد لارسا ، وأن يقبض على عدوه ، بل انه انما ذهب بعيدا حيث أحرق «ريم سن» فى قصره القديم .

ولعل أبرز المتاعب التى واجهت «سمو ـــ ايلونا» انما كانت ثورة القطــر البحرى «بزعــا» «اليوما اليــوم» (Iluma - Ilum) الذى أعلن استقلاله فى اقليمه الواقع حــول الخليج العربى ، وخروجه على

سلطان بابل ، وقد حاربته جيوش «سمسو ــ ايلوما» ، ولكن دون نتيجة حاسمة[٨٣] .

٢ ــ وجاء بعد «سمسو ــ ايلونا» ولده «ابى ــ ايشو» (Ibi - Eshu) الذى صمم على وضع نهاية لأسرة القطر البحرى ، ولكنه لم يفلح ، ولم تصلنا أية وثيقة من مدينة أور ، تحمل اسمه ، مما يدل على استمرار انفصال أور عنه ، كما أنه فقد منطقة الفرات الاوسط ابان ظهور مملكة «هانا» (Hana) ــ وهى عانة الحالية على الفرات ، على مبعدة ٣٢٠ كيلا من بابل ــ كما عاود الكاسيون الغزو دون جدوى ، ومن ثم فقد كثفوا تغلغلهم السياسى فى البلاد كصناع وأصحاب حرف[٨٤] .

٣ ــ وجاء بعده ولده «امى ديتانا» (Ammiditana) الذى بذل جهده فى تحسين مرافق البلاد ، فشق قناة أسماها باسمه ، وشيد حصونا وقوى أسوار المدن ، وبنى قصورا فى ضواحى بابل ، وأنه صد جيوش القطر البحرى التى قادها ضده معاصره الملك «دامق ايليشو» ، كما استعاد مدينتى نفر وايسين ، بل ان هناك وثيقة ترجع الى عام حكمه السابع والثلاثين تتحدث عن تدميره لأسوار ايسين ، وقد يعنى ذلك اختراقه الاقليم الى جنوب نيبور ، ومن ثم فقد اصطنع لقب «ملك

---

(٨٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 224-225.
C. J. Gadd, Hammurabi and The End of His Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 220-223.
L. W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, II, London, 1907, P. 210.
A. Ungnad, in RLA, II, P. 182-192.
S. I. Feigin, and L. Berger, in JNES, 14, 1955, P. 146 F.

(٨٤) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم ــ كتاب العراق فى التاريخ ــ بغداد ١٩٨٣ ص ٩٨ ، وكذا
Georges Roux, Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980, P. 225.

سومر وأكد» ، مجددا ذلك اللقب القديم ، مما يرجح أنه قد استعاد مؤقتا بعض السلطان الذى كان يذوب ويضمحل •

٤ — وجاء بعده ولده «امى — صادوقا» (Ammi - Saduqa) : وقد أهتم بأحوال السكان ، وخاصة الضرائب ، واعفاء بعض مواطنيه من الديون ، كما دون لنا شروق وأفول كوكب الزهرة التى كانوا يستعملونها فى تفسير الفأل ، وربما فى التقويم لضبط أوقات الاعياد والمناسبات الدينية ، وهناك رسالة الى «امى — صادقا» من أحد موظفيه الكبار فى «سبيار» ، يبدو أنها فى أكبر الظن ، كانت اجابة على رسالة بعث بها الملك نفسه ، تحفل بالصعوبات التى كانت تلاقيها الادارة فى جمع الضرائب •

٥ — وكان «سمسو — ديتانا» (Samsu - Ditana) ، آخر ملوك أسرة بابل الاولى ، والذى قلت أخبار عهده ، ماعدا هداياه السخية الى المعابد البابلية التى تسجلها عدة نصوص[٨٥] •

وعلى أية حال ، فلقد صرف خلفاء حمورابى همهم — بصفة عامة — الى رعاية المعابد والمعبودات ، أكثر من اهتمامهم بالحروب شأن أسلافهم ، وهذا الى عبادة ذواتهم ، والى تأليه شخص الملك ، ووضع تماثيل له فى معابد الآلهة فى بابل وسبيار وغيرهما ، فضلا عن تقديم الهبات السخية للمعبودات ، ولا ريب فى أن هذا كله انما يشير الى ثروة بابل الطائلة ، التى لا ترجع الى ممتلكاتها الواسعة التى اختزلت ، بقدر ما ترجع الى توسعها التجارى ، وتجارتها النشطة فى هذا الميدان ، فعيلام من ناحية ، وسورية من ناحية أخرى ، انما كانتا مصدر واردات من الاحجار الكريمة والمعادن والاخشاب ، وقد انعكس هذا الثراء على

---

(٨٥) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٨ — ٩٩ ، وكذا
F. Thureau - Dangin, RA, 39, P. 10 F.
S. Feigin and B. Landberger, in JNES, 14, 1955, P 146 F.
G. Roux, Op. Cit., P. 225.

الاعمال والمنافع العامة من شق القنوات والتعمير ، خاصة فيما يتصل بمعابد الآلهة[٨٦] .

(٦) نهاية أسرة بابل الأولى :

قام ملك الحيثيين «موسيليس الاول» (١٦٢٠ — ١٥٩٠ ق٠م) بالهجوم على مملكة «يمخد» (Yamhad) وعاصمتها «حلب» (Aleppo) التى كانت فى ذلك الوقت تسيطر على شمال سورية ، ثم اتجه جنوبا على الفرات وانقض على مملكة بابل الآمورية العظيمة ، فانهارت أمامه، وتصف الاسفار البابلية هذا الحادث — نهاية الاسرة البابلية الاولى — بهذه الكلمات «الى شمشو ديتانا ، زحف رجال حاتى ، وزحفوا الى بلاد أكد» وقد ربط هذا الانتصار العظيم الثبت التأريخى الحثى ربطا وثيقا بالثبت التأريخى البابلى ، وان كان هذا الاخير مايزال موضع خلاف ، وقد يكون أرجح الآراء أن فتح الحيثيين لمدينة بابل ، انما كان بعد عام ١٦٠٠ قبل الميلاد بقليل ، ومع ذلك فان البعض انما يقدمون أو يؤخرون هذا التأريخ قرابة ستين عاما[٨٧] .

وأيا ما كان الامر ، فما يزال الباحثون لا يعرفون الاسباب التى أدت الى أن يسير الحيثيون أكثر من ٨٠٠ كيلا على طول الفرات ، دونما أية مقاومة تذكر ،بل وأن يحتلوا بابل — احدى أكبر مدن العالم وقت ذاك — وربما دعا الكاشيون الحيثيين لمعاونتهم فى الهجوم على بابل والمشاركة فى الغنائم ، وقد ذهب البعض الى أن هدف الملك الحيثى انما كان محالفة للكاشيين لايقاف الزحف الحورى ، وربما كان الهجوم الحيثى على بابل لا يعدو أن تكون غايته السلب والنهب .

على أن المؤرخين لم يتوصلوا بعد الى الطريقة التى سقطت بها بابل،ولا الفترة التى استغرقها بقاء الغزاة الجدد فى بابل ، هذا الى أن

---

(٨٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

87) O. R. Gureny, The Hittites, (Penguin Books), 1969, P. 23-24.

الاثر المعروف باسم «أسد بابل – وقد عثر عليه فى الطبقة التى تمثل عصر نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ – ٥٦٢ ق٠م) فى بابل –ربما تركه الحيثيون كرمز يصورهم على هيئة أسد رابض على رجل آخر يمثل المدينة المغلوبة على أمرها بابل ، ولعل فى مشابهة هذا الاسد لفنون النحت التى تركها الحيثيون فى مواقعهم بآسيا الصغرى ، ما يؤيد وجهة النظر هذه ٠

هذا وقد حاول الحيثيون أن يتوسعوا فى جنوب بلاد النهرين ٠ ولكن وقفت فى سبيل ذلك دولة البحر الناشئة ، وكسرت شرهم ؛ لاسيما وقد بعدت الشقة الارضية بينهم وبين مواقعهم فى آسيا الصغرى ٠ ولهذا لم يجد التاريخ بأسا فى أن يحتفظ لدولة البحـر بذكرى طيبة ٠ فأطلق على أسرتها الحاكمة اصطلاحا اسم «أسرة بابل الثانية» ٠

وعلى أية حال ، فلم يبق «مورسيليس الول» (Mursilis, I) فى بابل طويلا ، فسرعان ما رجع الى بلاده حين علم بنبأ ثورة قامت ضده فى عاصمته (بوغاز كوى) ، وقد حمل معه تمثالى الاله مردوك وزوجته الالهـة «سربانيتـوم» (Sarpanitum) ، اللذين تركهما عند مدينة «عانة» على الفرات ، وترك بابل فريسة سهلة للكاشيين الذين سرعان ما احتلوها فى عام ١٥٩٥ ق٠م ، وبالتالى فقد «سمسو – ديتانا» عرشه، وربما حياته ٠

---

(٨٨) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٩ – ١٠٠ ، وكذا
J. J Finkelstein, in RA, LXIII, 1969, P. 45-64.
وكذا F Thureau - Dangin, Op. Cit., P. 5 F.
وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 225-226.
وكذا O. R Gureny, Op. Cit , P 24.

الفصل الثاني

الأسرات البابلية من الثانية الى الرابعة

أولا : أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحرى الاولى)

نشأت أسرة القطر البحرى فى الشواطىء الشمالية للخليج العربى ، وحكم ملوكها هنـــاك مدى ٣٦٨ عاما ؛ وقد جـــاءت أسماؤهم فى بعض القوائم كعشر ملوك ، وفى بعض القوائم الاخرى كأحد عشر ملكا[1] . ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن الاسماء الثلاثة الاولى ، وكذا الاسم الحادى عشر ، أسماء سامية ، وأما ما عداها فأسماء سومرية ؛ وقد يكون لهذا دلالته : أن تبدأ الاسرة بملوك ساميين ، وتنتهى بملك سامى ، وفيما بينهم ملوك سومريون يرتبطون ببعضهم البعض من غير شك . وقد يوحى ذلك بأن التأثيرين ــ السامى والسومرى ــ قد أسهما فى تكوين الاسرة واستمرارها على هذه الصورة ، بل ربما قد يشير ذلك الى أن الملوك انما كانوا خليطا من ذرارى السومريين ، ومن قبائل آمورية مهجرة . وعلى أية حال ، فان الاسرة انما قد عرفت باسم أسرة «شش كو» . وهو اسم سومرى حاول بعض المؤرخين أن يربطه بالوركاء ، وحاول البعض الاخر أن يربطوه ببابل[2] .

وكان أول ملوك الاسرة «ايلوما اليو» (Iluma - Ilu) ، الذى أعلن انفصاله عن دولة حمورابى مكونا دولة فى الاجزاء التى استقل بها . وفشل ابن حمورابى وخليفته «سمسو ايلونـــا» فى ارجاعه الى حظيرة الدولة ، لأن الحملة التى قادها ضد هذا الثائر باءت بالفشل ؛ ولم يهتم «شمشو ايلونا» بالعودة مرة أخرى لاجبار الثوار على الطاعة . فضلا عن

(١) ملوك أسرة القطر البحـــرى الاولى هم : ١ ــ ايلـــوما اليـــو ٢ ــ اتى ــ ايلى ــ نيبى ٣ ــ دمق ايليشو ٤ ــ اشكيبال ٥ ــ شوشى ٦ ــ جولجيشار (كولكيشار) ٧ ــ ببشكالداراماتش ٨ ــ أدارا ــ كالاما ٩ ــ أكورولانا ١٠ ــ ميلامكوركورا ١١ ــ أيا ــ كاميل (ايا ــ جاميل) (لبو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٤٦) .

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

وقوع عدة ثورات فى أعقاب موت حمورابى ، كما حدث فى لارسا وأور والوركاء ، الى جانب المتمـرد الذى ظهر وقت ذاك فى المناطق النائية ، بل ان هناك ما يشير الى ثورة قامت فى بابل نفسها ، استهدفت تنصيب غيره على العرش فى العام الرابع عشر من الحكم ، وان نجح فى القضاء عليهـا .

وهناك نص يرجع الى العـام العشرين من حكم «سمسو ايلونـا» يفاخر فيه بأنه أخضـع «الارض الثائرة» (اقليم البحـر فى الاغلب) ، الأمر الذى يدل على أن حملة أرسلت الى هناك ، وربما كان النصر حليفه فيها ، وان لم يكتب له فيها نصرا مؤزرا ، فطبيعة البلاد فى اقليم القطر البحرى ، بمستنقعاتها وظروف سكانها ، انما تجعل الحاكم فى بابل يرضى بمظهر النصر والخضوع الاسمى ما دام لا يستطيع أن يبـاشر سلطانا فعليا عليها ، وحتى تحقيق ذلك الامر لم يتم على الصورة المرجوة .

وأيا ما كان الامر ، فلقد نجح «ايلوما اليو» فى أن يقود ثورة جديدة ناجحة ، استطاع بعدهـا أن يقيم دولة مستقلة فى هذه الارجاء — هى دولة القطر البحرى،وأن يضم اليها لارسا ، فضلا عن «نيبور» العاصمة الدينية القديمة[٣] .

وجاء بعد ذلك «اتى — ايلى — نيبى» ، ثم «دمقى ايليشو» ، وفى عهده حاول الملك البابلى «دمى — ديتانا» استرجاع الجنوب ، فقـام بحملة استعاد فيها مدينتى «نفر» و «ايسين» ، بعد أن دمر أسـوار المدينة الاخيرة ، غير أن «دمقى ايليشو» سرعان ما استعادها مرة ثانية .

ولسنا نعرف شيئـا بعد هذه المرحلة عن سير الامـور فى القطر البحرى ، وكل ما وصل الينا أن انهيـار الاسرة انما قد تم فى العصر الكاسى ، ويبدو أن «ايا — جميل» لم يكن أول حاكم التقى بالكاسيين ،

---

(٣) نجيب ميخائيل : المرجـع السابق ص ٢٠١ — ٢٠٢ ، سـامى الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٧ .

وقد نسبت اليه الحوليات مهاجمة عيلام ، ومع ذلك فقد استمر الكاسيون يوجهون هجماتهم الى دولة القطر البحرى ، حتى قضوا على استقلالها على أيام ملكهم «أجوم» الذى نجح فى الاستيلاء على «دوريا — ايا» وهى أهم المدن هناك — ان لم تكن هى العاصمة — وتدمير معبد «ايا» المعبود الرئيسى على الاغلب •

وعلى أية حال ، فقد عاصرت أسرة القطر البحرى ، أسرة بابل الاولى ، منذ عهد ملكها السابع — وربما الثامن — كما عاصرت الاسرة الكاسية فى قرابة نصف عهدها الاول ، ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن هناك من يذهب الى أن أسرة القطر البحرى هذه ، ليست أسرة بابلية ، رغم أنها تعرف أحيانا باسم «أسرة بابل الثانية» ، ونستطيع القول — كما أشرنا من قبل — أن جانبا من شعب أرض البحر ، انما كان ساميا ، وأن الجانب الاخر كان سومريا ، وأن ذلك الامتزاج بين الفريقين انما تم قبل قيام الاسرة بزمن طويل ، وفى أكبر الظن أن السومريين — بعد اندحارهم — انما قد تحركوا الى هذه المنطقة فى جنوب العراق القديم ، حيث جمعوا قواهم ، وهددوا الاسرة الامورية •

وهناك ما يشير الى أن «ايلوما اليو» انما كان يزعم أنه من سلالة «دمق ايليشو» — آخر ملوك أسرة اسين ، ولعل الاحتفاظ بهذه الفكرة — فضلا عن الاصرار عليها — انما يبدو واضحا فى أن ثالث ملوك أسرة القطر البحرى ، قد أطلق على نفسه نفس الاسم للذى يزعمون أنهم من سلالته (دمق ايليسو)(٤) •

---

(٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ، سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ — ٤٨٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 267.
L. W. King, Op. Cit., P. 21-22.

ثانيا : أسرة بابل الثالثة ـ أو الدولة الكاشية

(١) تقـــــديم :

شهد القرن الثامن عشر قبل الميلاد هجرات واسعة من أواسط آسيا، فانحدرت قبائل كثيرة فى أوقات متفاوتة ، كانت كلها قبائل غير متقدمة فى حضارتها ، بدوا رحلا من الجنس «الهندو ــ أوربى» أو الآرى ، نزلوا بنســائهم وأطفالهم وأمتعتهم وحيواناتهم ، ليستقروا فى البـــلاد التى تفيض بالخير الى الجنوب منهم ، فى مناطق آسيا الصغرى وشمال بلاد النهرين وفى سورية وشـــمال مصر ، وقـــد عرفت هذه القبـــائل بعد استقرارها فى كل قطر ، من هذه الاقطار باسم خاص ، فعرفوا فى آسيا الصغرى باسم «الخاتيين» ، ثم باسم «الحيثيين» ، وعرفوا فى المناطق الشمالية الغربية من نهر الفرات باسم «الحوريين» أو «الخوريين» ، وعرفوا فى مرتفعات بلاد النهرين باسم «الكاسيين» أو «الكاشيين» ، بل ان فريقا من هذه القبـــائل وصلت الى البلقان ، اما عن طريق الدوران حول البحر الاسود ، واما عن طريق البسفور والدردنيل ، فأحدثت كثيرا من عدم الاستقرار هناك ، ولم يقف أمر تلك الهجرات عند هذا الحد ، بل نزل بعضها فى مناطق سورية وفلسطين ، وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت وامتزجوا بأهلها ، اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غربا الى مصر ، فاستولوا على الدلتا ، وعرفوا باسم «الهكسوس»[٥] .

وهكذا انتشرت الاضطرابات فى غربى آسيا ، وزاد الطين بلة بالنسبة الى بلاد النهرين ومجاوراتها غربا ، أنها كانت تمر بفترة عصيبة ، وتقدم لنا سجلات مدينة «مارى» الشهيرة بعض الاضواء على التاريخ السياسى للمنطقة فى منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فلقد جاء فى رسالة الى «زمرى ليم» حاكم مارى من أحـــد أعوانه ــ وقد أشرنا اليها من قبل ــ .

---

(٥) انظر عن الهكسوس (محمد بيومى مهران : حركات التحــرير فى مصر القديمة ــ القاهرة ١٨٧٦ ص ١٠١ ــ ٢٢٣) .

«ليس هناك ملك بقادر على أن يقول أنه أقـوى الملوك ، ذلك لأن عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابى ملك بابل ، ومثل هذا العدد يتبعون «ريم سين» ملك لارسا ، ومثل هذا العدد يتبعون «ايبال بى ايل» (ايبعل) ملك اشنونا ، ومثل هذا العدد يتبعـون «أموت بى ايل» ملك قطنة ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمخد»[٦] .

غير أن هذا التوازن بين قوى تتكون من عدد صغير من الدول بصورة ما ، لم يستمر طويلا ، وذلك حـين نجح حمورابى فى هزيمة لارسـا ومارى ، وربما قد حكم آشور لفترة قصيرة ، ثم سرعان ما يتغير الموقف حين يهبط الكاشيون الى السهل من الجبال الشرقية ، ويدعمون حكمهم فى الجانب الشرقى من بابل ، ويجىء الحوريون الى آشور ، ولم يمض طويل وقت حتى يصبحوا عنصرا سياسيا هاما هناك ، وسرعان ما اتجهوا نحو الجنوب الشرقى ، وهاجموا «ألالاخ» عاصمة يمخد ، ومن ثم فقد بدأت الاضطرابات تنتشر فى سورية من جراء هذه الهجرات التى تدفقت عليها من الشرق ، وهكذا عمت الفوضى المنطقة بأسرها[٧] .

وعلى أية حـال ، فلقد بدأت بابل تحـس بتسللات الكـاسيين (Kassites) ، فضلا عن الحوريين والخاتيين ، ولكن الامر الذى لا ريب فيه ، أن الكاسيين انما كانوا أقربهم خطـرا عليها ، حيث قاموا بدور الجوتيين القدامى فى مرتفعات العراق القديم ، وان استطاع حمورابى — كما استطاع خلفه سمسو ايلونـا ، وولده أبى شوج — أن يردوا الخطر ، فانكسرت حدة الكاسيين الى حـين ، واكتفوا بالتسلل السلمى البطىء الى مدن العراق المتحضرة وعملوا فيها أجراء ومرتزقة ، بينما

---

(٦) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا
G. Dossin, in Syria, 19, 1938, P. 117 F.
S. Smith, Alatakh and Chronology, P. 11.
7) T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.
S. Smith, Op. Cit., P. 35. وكذا

ظلت قبائلهم الكثيفة الطامعة فى الخيرات والسيطرة تتربص بدولة بابل الدوائر (٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشـارة الى أنه ليس هناك اتفـاق بين المؤرخين على أصل الكاسيين هؤلاء ، فهناك من يردهم الى المرتفعات الشرقية ويتسب اسمهم الى اسم معبودهم «كاشو» ويربط بينهم وبين جماعات متأخـرة عنهم فى الزمن ذكرها بطليموس الجغـرافى باسم (Kossaeans) ، وذكرهم غيره باسم (Kissians) ، ويرجح البعض أنهم من منطقة لورستان الجبلية .

وعلى أية حال ، فالكاسيون أو الكاشيون كالخوريين — من العناصر الأسيائية ، التى امتزجت فى النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد بالعناصر «الهندو — أوربية» ، وبما اكتسب الكاشيون اسمهم من اقليم فى شمـال عيلام يدعى «كاش شن» جـاء ذكـره فى نص لـ «بوزور انشوشناك» ويدعوهم اليونانيون «كاسيوى» (Kassaioi) ويرون أن بلادهم تقع فى شرق بابل وشمالها الشرقى ، ومن ثم فانه يبدو أنه عند نزولهم للسهل خلال الالف الثانية ق.م انما كانوا يتقدمون من سلسلة زاجروس الوسطى ، والمعروفة الان باسم «لورستان» (Luristan) الى الجنوب من همدان مباشرة — ومن ثم فهى محطة أقاموا فيها حينا من الدهر ، وليست وطنا أصليا لهم ، كما ظن البعض ، ويرجح البعض أنهم آريون ، وربما كانوا من أقرباء الحكام الميتانيين فيما بعد ، الذين فرضوا أنفسهم على العناصر غير الآرية فى «سوبارتو» فى شمال بلاد النهرين (٩) .

(٢) المظاهر العامة للعصر الكاشى :

لا ريب فى أن فتـرة الحكم الكاشى — رغم طولهـا ، والذى امتد

(٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ٢١١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ ، وكذا

حوالى ٤٣٨ عاما (١٥٩٥ — ١١٥٧ ق٠م) — انما هى من أشد فترات التاريخ العراقى القديم غموضـا ، وأكثرها ظلمة ، وذلك بسبب قلـة الاثار ، فضلا عن الوثائق ، التى تتصل بهذه الفترة ، هذا فضلا عن أن الغزاة الجدد لم يكن لهم أى أثـر جنسى أو لغوى بدرجة ملحوظـة فى تاريخ بلاد النهرين ، بل ان الكاشيين ، رغم اقـامتهم الطويلة فى بلاد النهرين ، ورغم أن المؤرخين يسمون أسرتهم بالاسـرة البابلية الثالثة — على الرغم من أنهم كانوا أغرابـا فى بابل وعن محيطها كله — فان أمر العراق القديم لم يخلص لهم أبـدا ، ففضلا عن دولة القطر البحرى الاول التى نازعتهم السيادة على المناطق الجنوبية فى بداية عصرهم حتى تغلبوا عليها ، تحكم الاشوريون فى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية، من نهر دجلة ، وتحكم الحوريون فى المناطق الغربية والشمالية الغربية من نهر الفـرات ، بغير حـدود صريحة فاصلة بين امتداد هـؤلاء أو هـؤلاء[١٠] .

هذا ويذهب البعض الى أن اللغة الكاشية انما ترجع الى مجموعة اللغات التى تأخذ بطريقة الالصاق (Agglutination) مثل المجموعة الاسيائية ، وان كنا على غير يقين من ذلك ، اذ لم ترد الينا حتى الان أية نصوص مدونة باللغة الكاشية حتى نتعرف على قواعدها[١١] .

هذا وقد ساد الكاشيون جزءا كبـيرا من العراق ، ولكن أعدادهم كانت قليلـة ، وحضارتهم القومية كانت خشـنة ضئيلة ، فاكتفوا بأن اعتبروا أنفسهم طبقـة أرستقراطية حاكمة بين السـكان الاصليين ، وانتفعوا بحضـارة بلاد النهرين وقلدوا فنهـا فى مبانيهم ومعـابدهم وتماثيلهم ، واعتبروا اللغة البابلية السامية لغة الكتابة الراقية،الى جانب لغتهم الخاصة ، كما ساوى الكاسيون بين آلهتهم وبين الالهة البابلية ، فجعلوا «شيباك» مساويا «لمردوخ» ، و «خارجى» مطـابقا «لانليل»،

---

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٧ ٠
(١١) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٥ ، وكذا
G Contenau, Op. Cit., P. 19, 23.

ولعل هذا انما يشير الى أن الكاشيين قد عبدوا أرباب بلاد النهرين ، الى جانب أربابهم القوميين ، بأسمائها القديمة أحيانا ، وبأسماء آرية جديدة أحيانا أخرى[١٢] .

على أن هذا لا يمنع من القول أن القوم قد أضافوا الى حضارة العراق القديم شيئا يذكر لهم ، ذلك أن البابليين لم يكونوا يعرفون الحصان قبل عهد حمورابى ، ومن ثم فقد كانوا يسمونه «الحمار الجبلى» وأحيانا «الخيول الوحشية» ، ومن ثم فلم تستأنس الخيول ، ولم يشع أستخدامها حتى أخريات الاسرة البابلية الاولى ، فما أن جاء الكاشيون حتى أدخلوا سلالات جديدة من سهوب آسيا ، طغت شيئا فشيئا على الحمير الجبلية وسلالة السيسى القديم ، ثم سرعان ما استخدموا الحصان بأعداد كثيرة ، حتى أصبحت الخيول تصدر من العراق الى مصر ، وتقدم لنا نصوص من «نفر» أثباتا بالخيل وأسمائها وأسماء أسلافها ، وكلها تشير الى عناية الكاشيين الفائقة بالخيل ، بل أن هناك من يذهب الى أن الكاشيين قد أدخلوا الحصان والعجلة الى العراق القديم ، كما فعل الهكسوس فى مصر[١٣] .

ولعل من أفضل ما أدخلوه الى العراق انما كان «طريقة التوقيت» ، فبدلا من الطريقة السامية (المنقولة عن السومريين) فيما يختص باعطاء العام لقبا يشير الى حدث هام ، أو عبادة معينة ، نرى الكاشيين يدخلون طريقة جديدة أيسر من السابقة تشير الى التأريخ بسنى حكم ملوكهم ،

---

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٣ — ٤٨٤ ، سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، وكذا

S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, London, 1960, P. 154

(١٣) جورج كونتينو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وآشور — ترجمة سليم التكريتى — بغداد ١٩٨٦ ص ١٠٤ ، أحمد سوسة : تاريخ حضارة وادى الرافدين — الجزء الثانى — بغداد ١٩٨٦ ص ٤٢٠ ، نجيب ميخائيل المرجع السابق ٢١٠/٥ ، ٣٨/٦ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 221.

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947, P. 153.

هذا فضلا عن تغيير بعض وحـدات الاوزان والمقاييس ، كما كـان من التطورات اليسيرة التى حدثت بصناعة الاختام الاسطوانية فى عصرهم كثرة صناعتها من اليشب وبداية صناعتها من العقيق اليمـانى ، وكثرة تسجيل دعوات التعبد وتمجيد الارباب عليها ، على حساب كثرة صور الاشخاص والاشياء ، ثم دخلت صناعة الحديد الى العراق فى النصف الاخير من عصرهم •

هذا وقد أتبـع الملوك الكاسيون سياسة ملـوك الشرق القديم فى اكتساب ود رجال الدين ، وتأكيد القربى من الاربـاب عن طريق منح الهبات والاقطاعيات للمعابد واعفائها من الضرائب ، وكانوا ينفقون على بعض هذه الهبات من خزائنهم ويسجل رجالهم أخبارهم(١٤) •

هذا وقد ظهر فى العصر الكاشى النحت البارز على الآجر المصنوع بالقالب ، واستخدم فى قرائن معمارية بحتة ، ففى واجهة معبد «انانا» الذى شيده الملك الكاشى «جانداش» (Gandash) فى الوركاء نرى موضوعا لمعبود ومعبودة يتكرران باستمرار فى أسفل جدار الواجهة ، وبين كل معبود وآخر ، فاصل من الآجر ، مما جعل كل منهما داخل تجويف ضمن جدار الواجهة ، وقد أمسك كل منهما بيده — وأمام صدره — اناء يتدفق منه الماء الذى سال على هيئة جداول جارية ، نفذت على هيئة خطوط بارزة ومتعرجة على فواصل الواجهة ، والمعبود هنا هو «اله الجبل» وقد مثل وهو يرتدى ثوبـا مزينا على هيئة حراشف — هى رمـز الجبل عند العراقيين القدامى — كما كان للواجهة اطار من أعلى وأسفل ، صنع من آجر مقلوب مكون من دوائر بارزة على هيئة أقراص ، وقد عثر على هذه الواجهات من هذا العصر فى عدة مدن مثل أور ونفر وعقرقوف ، وكذا فى

---

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، نجيب ميخائيل المرجع السابق ٥/٢١٢ ، وكذا
A. J. Clay, Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

سوسة فى عيلام ، مما يشير الى انتشاره وقت ذاك[١٥] .

وهناك نوع آخر على ألواح الطمى العادية ، فضلا عن تلك التى على نصب حجرية صغيرة تسمى «كودورو» (Kudurru) [١٦] ، وهى أحجار وظيفتها تحديد الملكية أو مساحة الارض وحدودها واسم واهبها، وكانت تودع فى الاماكن المقدسة والمعابد ، وقد شاع استخدامها فى المعهد الكاشى بدرجة كبيرة ، رغم أن أصولها الاولى انما تعود الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، اعتمادا على ما عرف بالكدورو الصغيرة من لارسا[١٧] .

وقد استغل الفنانون سطوح هذه النصب لتصوير هيئات ملوكهم ، أصحاب الفضل فى منح الاقطاعيات ، تصويرا مختصرا حينا ، وتفصيلا حينا آخر ، بحيث يفصل ملامحهم وملابسهم وأغطية رؤوسهم ، فضلا عن تصوير رمــوز أربابهم الذين أشهدوا على منحهــا ووضعوها تحت رعايتهم ، ومنها تلك التى تعود الى الملك «ميلى شباك» حيث صور فى مشهد بالنحت البارز ، وهو يقود ابنته ليقدمها الى الالهة ، حيث ترى الالهة هنا تلبس تاجا ينتهى من الاعلى بصف واحد من الريش ، وتجلس على عرش أقيم بأرجل على هيئة أرجل الاســد وهى تحيى الملك بكلتا يديها،ويفصل بين الملك والالهة شمعدان،بينما نرى فى أعلى المشهد رموزا للالهة السماوية،سين وشمش وعشتار،المتمثلة بالهلال وقرص الشمس والنجمة على التوالى .

وهناك رموز حيوانية تصرف الفنانون فى تشكيل صــورها ، ورموز

---

(١٥) طارق عبد الوهاب مظلوم : النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلى الحديث ص ٦٣ ــ ٦٤ (من كتاب حضارة العــراق القديم ــ الجزء الرابع ــ بغداد ١٩٨٥) .

(١٦) انظر عن «الكودورو» :

G. Roux, Op. Cit.,, P. 230-231.

L. King, in Babylonian Boundary Stones, 1912.

U. Seidl, Die Babylonischen Kudurru - Reliefs, in BM, 4, 1968. P. 7-220.

(١٧) طارق عبد الوهاب مظلوم ، المرجع السابق ص ٦٤ ــ ٦٥ .

أخرى معمارية ترمز الى واجهات الهياكل والمقاصير البدائية . الامر الذى جعل منها مصدرا من مصادر المعرفة بعمارة المعابد الاولى ، بل ان أهميتها انما تفوق النواحى المعمارية بكثير ، فهى ليست بهامة من ناحية مظهرها القانونى أو الاجتماعى أو الدينى فحسب ، بل من ناحية قيمتها التاريخية كذلك ، اذ أنه من المعروف أن بها اشارات للملوك والاحداث التاريخية نستطيع عن طريقها أن نملأ فراغا فى بعض الوثائق والمصادر الاخرى ، فضلا عن الاشــارة الى استمرار المظاهر الحضــارية ، رغم الكبوات السياسية[١٨] .

ولعل مما تجدر الاشــارة اليه أن القبائل التى استقرت فى وسط جنوب العراق ، انمــا قد تملكت فى العصر الكاشى مقاطعــات زراعية واسعة ، فقد كان الملوك الكوشيون يمنحون الاراضى لبعض الافراد ، كى تصبح اقطاعيات لهم ولأبنائهم من بعدهم . وقد امتلكت كل قبيلة اقطاعية كبيرة شيدت بها مدنا وقرى ، وبذلك يظهر أن النظام القبلى المرتبط بحق الارض ، انما قد أدخل الى العراق فى العهد الكاشى[١٩] ، خــاصة وقد توسع الملوك وقت ذاك فى منح الاقطاعيات العقارية الى المقربين اليهم من العسكريين والمدنيين ، ويبدو أنهم حرروا ملكيتها بحيث أصبحت أشبه بالاملاك الخاصة لاصحابها ، لا سيما لأفــراد الطبقة الكاسية الحاكمة ، وهناك وثيقة تشير الى أن الملك «ميلى شباك» قد منح ابنه وابنته اقطاعية واسعة فى أرض البحر ، بعد أن استصلحها أعوانه وأعدوها للزراعة وأنشأوا فيها قرى جديدة ، وأعفاها من التكاليف التى كانت تفرضها الدولة على الاراضى الزراعية ، وهى تكاليف عرفتها بلاد النهرين قبل عهده بعصور طويلة ، حيث كانت الدولة تحصل على جزء من باكورة المحاصيل الزراعية ، كما كانت تستخدم مواشى الاقطاعيات

---

(١٨) نجيب ميخائيل : المرجــع السابق ص ٢٢٤ ، عبد العــزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، طارق مظلوم : المرجع السابق ص ٦٥
H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, London, 1954, Pl. 71.

(١٩) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

لمصلحة أرضها الزراعية الخاصة حين تشاء ، وتسخر العمال الزراعيين حين الضرورة فى خدمة المرافق الملكية والمرافق العامة ، مثل شق الترع وتطهيرها وتشييد جسورها ، وقطع الحشائش المائية والاعشاب البرية[٢٠] .

وأما تماثيل هذا العصر المجسمة التى تم اكتشافها فقليلة ، فهناك تمثال ربما للملك «كوريجا لزو» الاول جالسا ، فضلا عن تماثيل صغيرة لحيوانات وأشخاص ، والتى يبدو فيها اهتمام الفنان الكاشى فى التفاصيل ومحاولة اخراج شكل واقعى قدر الامكان ، ومن هذه التماثيل الصغيرة رأس صغيرة للبؤة من الطين المحروق ، يعتبر آية من آيات الصناعة فى تمثيل شرطة العين وتجويفها ، وتكوين الانف والفم والتعبير عن شعيرات الوجه ، بخيوط بسيطة متمكنة ، ورأس صغير لرجل من الطين المحروق الملون أيضا ، مثلته بأنف أقنى بعض الشىء ، وأجادت التعبير عن بروز شفته العليا عن السفلى ، وعن تصفيفه لشعره[٢١] .

(٣) أهم الملوك الكاشيين :

ليس هناك مستند تاريخى يشير الى الاحداث التى أدت الى انتقال السلطة من الاسرة البابلية الاولى الى هذه الاسرة الكاشية (الاسرة البابلية الثالثة) ، فضلا عن الوسيلة التى استطاع بها «جانداش» (Gandash) — أول ملوك الاسرة الكاشية — أن ينهى حكم «سمسو ديتانا» — آخر ملوك أسرة بابل الاولى —

وعلى أية حال ، فلقد جاء بعد «جانداش» الملك «كاشتلياش الاول» ، والذى ربما كان من أسرة كاشية قوية ، حتى أنه استطاع أن ينتزع العرش لنفسه ، وان كان «أجوم الثانى» هو أول ملك كاشى استطاع

---

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ .

(٢١) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٦ ، عبد العزيز صالح: المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., Pls. 70 B, 70 C.

أن يسيطر على كل بلاد بابل ، كما أعاد تمثالى المعبود «مردوك» وزوجته «ساربانتيوم» (زربانتيوم = Sarpanitum) اللذين نقلهما الحيثيون — عندمــا احتلــوا بابل — الى «هانا» وهى عــانة الحديثة على الفــرات ، وعلى مبعــدة ٣٢٠ كيــلا من بابل ، حيث ازدهــرت هناك مملكة أمورية تأثرت تقاليدها كثيرا بالمدنية البابلية — كما قاد حملة ضرب بها مملكة القطر البحرى التى تمتعت باستقلالها منذ عهد «سمسو ايلونــا» •

ثم هناك الملك «كرندش» الذى اشتهر بكثرة مبانيه فى المدن البابلية. حيث شيد معبدا للمعبودة «عشتار» فى الوركاء . امتازت عمارته بتدعيم أركانه الخارجية بأكتاف ذات مستويين لم تمارسها بلاد النهرين الا قبيل عصورها التاريخية — كما فى معبد أريدو — ثم هجرتها . كما امتازت بعض المشكاوات الخارجية للمعبد نفسه بتحوير زخارفها تحويرا محدثا عن طريق استغلال بطونها فى تماثيل أربــاب وربات من اللبن تبرز من جسم البناء نفسه ، مع تشكيل رأس كل معبود وجذعه الاعلى تشكيلا كاملا ، والاكتفاء بتشكيل الخطوط العامة لبقية جسمه على هيئة الثوب الطويل المحبوك ، وتشكيل لبنــات هذا الثوب بما يرمز الى مدرجات الجبال بالنسبة للارباب ، وتموجات الماء بالنسبة للربات •

وتنقضى بعد ذلك فترة تكــاد تكون غامضة تماما بالنسبة لنا يأتى بعدها الملك «كوريجالزو» الاول ثم ولده «كدشمان انليل الاول» الذى وصلتنــا بعض رسائله للفرعــون «أمنحتب الثالث» (١٤٠٥ — ١٣٦٧ ق•م) ، والامــر كذلك بالنسبة الى خليفته «بورنا بورياش الثــانى» (١٣٧٥ — ١٣٤٧ ق•م) الذى خلفــه ولده «كاروانداش» . ثم «نازى بوجاش» •

وجاء «كوريجالزو» الثانى (١٣٤٥ — ١٣٢٤ ق•م) . والذى ينسب اليه تأسيس عاصمة جديدة للكــاشيين هى «دور كوريجالزو» (بمعنى مدينة أو حصن كوريجالزو) — وتقع فى مكان «عقرقوف» الحالية على

مبعدة ٣٢ كيلا ، غربى بغداد — ومن المعروف أن الكاشيين انما كانوا يحكمون فى أول الامـــر من العاصمة بابل ، ولكنهم فى منتصف حكمهم أسسوا مدينة «دور كوريجالزو» واتخذوها مقرا للحكم ، وقد أقام بها الملك «كوريجالزو» الثانى قصرا يشـــبه قصر الملك «زمرى ليم» حاكم مارى ، ورغم أن ما بقى من قصر «كوريجالزو» لا يكفى لاعطاء صورة كاملة عنه ، ولكنه يشير الى أنه كان يتكون من عدة أجنحة متلاصقة ، لكل منها ساحة كبيرة فى الوسط ، وقد تتجاوز ساحة القصر بضعة مئات من الامتار فى كل ضلع من أضلاعها ، ومن أهم ما عثر عليه فى القصر هو الجزء المتبقى فى الزاوية الشمالية حيث الممرات المسقوفة الطويلة التى تحيط بالساحة،والتى تحمل سقفها ركائز مربعة ، كما تشير بقايا الغرف الى وجود قاعات طويلة وعريضة ، يبلغ طول المتبقى منها ٤٠ مترا ، مما يشير الى أنها كانت قاعات استقبال ، وربما كانت احدى قاعات العرش ، ذلك لأن الممرات المسقوفة ومداخل القاعات انما قد زينت برسوم متتالية للاشخاص ، تبدو وكأنها تقـدم التحية أو فروض الطاعة لشخص فى الداخل ، أما فى الزاوية الشرقية من البناء ، فقد عثر على ثلاث ممرات طويلة متوازنة تخترق أرضها قنوات ميـاه ، وعلى جانبى الممر كـوى مرتفعة عن الارض ذات سقوف معقودة ، كما أن الممرات نفسها كانت معقودة السقف أيضا ، وربما كان لخـزن الرقم الطينية فى جـو رطب يناسب الغرض منه(٢٢) .

وأما زاقورة «عقرقوف» (دور كوريجالزو) فكانت تتكون من خمس

---

(٢٢) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر الســلالات الى العصر البابلى الحديث ـ كتاب حضارة العراق ـ الجزء الثالث ـ بغداد ١٩٨٥ ص ١٥٤ — ١٥٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ ، سـعيد الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٤ .

T. BAQIR, Excavations at Aqar Quf, Iraq, 1944-1945, and Iraq, 8, 1946, P. 73-92.

S. N. Kramer, T. BAQIR and S. Levy, Fragments of a diorıtte Sttatue of Kurigalzu in Iraq Museum, in Sumer, 4, 1948, P. I F.

S. N. Kramer, ANET, 1966, P. 57-59.

G. Roux, Op. Cit., P. 229-230.

طبقات من اللبن تغلفها من الخارج طبقة من الآجر ، وتبلغ مساحتها (٦٧,٦ × ٦٩ م) ، وسلالمها الجانبية لا تبدأ مع بداية حافة الضلع ، وانما مع نهاية الضلع الجانبية ، ثم تدور بزاوية قائمة حول جسم الزاقورة لترتقى الى السلم الجانبى ، وهناك سلم فى الوسط يلتقى بالسلم الجانبى فى مركز الضلع ، هذا وقد شيدت أمام سلم الزاقورة الوسطى مصطبة من اللبن مساحتها (٣٥ × ٣٥ م) تحيط بها ساحات عديدة لمعبد لم يكتمل اكتشافه كله بعد ؛ وهذه الساحات متصلة بعضها ببعض ، وتحيط بكل ساحة مجموعة من الغرف المستطيلة(٢٣) .

وعلى أية حال ، فلقد مر الكاشيون بعد ذلك بفترة ضعف ، ربما بسبب هجمات الآشوريين المتكررة عليهم ، والتى أدت الى أن تكون لهم السيادة على العراق ، وربما بسبب تولى العرش الكاشى ملوك ضعاف ، ومع ذلك فان نهاية الكاشيين لم تكن على أيدى الاشوريين ، وانما كانت على أيدى العيلاميين ، بقيادة ملكهم «شترك نخنته» (Shutruk - Nakhunte) (١٢٠٧ — ١١٧١ ق.م) الذى تقدم نحو بابل فى عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، وذبح ملكها «زابابا — شوما — ادينا» ، ونهب كثيرا من آثارها ، ثم منحها لولده «كوتير — ناهونتى» (Kutir - Nahhunte) وأما آخر ملوك الكاشيين «انليل — نادين — اهى» (Enlil - Nadin - Ahhe) (١١٥٩ — ١١٥٧ ق.م) فلا نلتقى به فى قائمة الملوك ، وان التقينا به فى بعض النصوص محرفا(٢٤) .

(٣) العلاقات الخارجية :

كانت مصر على أيام أمنحتب الثالث (١٤٠٥ — ١٣٦٧ ق.م) قد بلغت ذروة مجدها وقوتها وثرائها ، وكان فرعونها ملك الملوك فى الشرق القديم

---

(٢٣) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٦٥ .
24) G. Roux, Op. Cit., P. 244-245.
D. J. Wiseman, in CAH, II, Part, 2, P. 446.
R. Labat, in CAH, II, 2, P. 486-487.
H. Tadmor, in JNES, 17, 1958, P. 137.

دون منازع ، وان تواضع الرجل ، أورأى أنه من حســن السيــاسة أن يسمح لملوك بابل وآشور وميتاني وحاتي بأن يعدوه أخا أكبر لهم جميعا •

على أن هذه الاخوة انما قد ظلت محصورة فى نطاق الرسائل المتبادلة بين فرعون ، وبين أولئك الذين خيل اليهم أنهم قد أصبحوا أخوة لفرعون مصر ، ذلك لأن مكانة مصر السياسية وقت ذاك ، وما كانت تتمتع به من نفوذ كبير على دول الشرق القديم ، انما يجعل من هذه الاخوة منحة من الفرعون ومن ثم فقد تنافست دول المنطقة جميعا على اكتساب ود مصر ، وصار فرعونها مركزا للمراسلات مع ملوك الشرق وحكامه ، الذين كانوا لا يفتأون يرجون فرعون أن يفيض عليهم من ذهبها ، نظير هداياهم من الجوارى الحسان ، وهكذا استقرت الامــور لأمنحتب الثالث ، وارتبط بعلاقات المصاهرة مع معظم ملوك الشرق الادنى القديم وأمرائه[٢٥] ، وان أختلفت الامور الى حد ما على أيام ولده اخناتون (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق•م) •

وتشير «رسائل العمارنة»[٢٦] — والتى تتحدث عن هذه المصاهرات — الى أن مصر انما كانت صاحبة النفوذ فى المنطقة ، ودليلنا على ذلك الطلب الذى تقدم به ملك بابل يطلب فيه السماح له بالزواج من أميرة مصرية ، وقد رفض الطلب رفضــا صريحا ، فى حين كانت الامــيرات البابليات وغيرهن يحضرن بأعداد وفيرة الى البلاط المصرى[٢٧] •

وأما عن العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاشية فقد سارت فى نطاقها العادى المحدود ، ومن ثم فقد سرت قوافلها التجارية فى مساراتها

(٢٥) محمد بيومى مهران : اخناتون — عصره ودعوته — القــاهرة ص ٢٤٥ •

(٢٦) انظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخنــاتون ص ٢٣٣ — ٢٤٥) •

(٢٧) الكسندر شارف : تاريخ مصر — ترجمة عبد المنعم ابو بكــر ص ١٣٦ ، وكذا

S. A. B. Mercer, The Tell - el - Amarna Tablets, I, Toronto, 1939, P. 13 ,63.

J. A Kundtzon, Die El-Amarna Tafeln, I, Leipzig, 1908, P. 73.

القديمة مع بلاد الشام ومصر ، وكانت النصوص المصرية قد ذكرت اسم بابل مرتين خلال عصور دولتها الحديثة ، حتى عصر «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق٠م) ، ثم أغفلته تماما ، ربما بعد انتقال أزمة الحكم الى الكاشيين ، واستخدمت بدله كلمة «سنجار» لمدلول يتسع عن المدلول الاقليمى لكلمة بابل ، كما ذكرت اسم جبل سنجار ، وهو جبل يقع غربى الموصـــل(٢٨) ٠

على أن العلاقـــات المصرية البابلية انما اكتسبت طابع الصـــداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ؛ وتمخضت هذه الصداقة عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، كما حدث على أيام «كدشمان انليل الاول» ، حيث تزوج الفرعون أمنحتب الثالث بأبنة الملك البابلى ، رغم وجود شقيقة الملك البـــابلى نفسه فى البلاط الفرعـــونى ، أى أن الفرعون انما أراد أن يجمع بين المرأة وعمتها ، وقد أرسل الملك البابلى يشكو من عدم توفيقه فى معرفة ، ان كانت أخته — والتى أرسلت كزوجة الفرعون — لا تزال حية أم ماتت(٢٩) ٠

على أن الفرعون — رغم ترحيبه بمصاهرة الملوك الاسيويين — انما كان ضنينا بأميرات بيته ، ولعله كان يرى أن دماء الفراعين ليست من دماء عامة الدم ، وانما هى دماء عزيزة مقدسة ، وأن بناته اللائى يجرى فى عروقهن الدم المقدس ، أرفع من أن تحتويهن مضاجع الملوك من غير آل فرعون(٣٠) ٠

وهكذا نقرأ فى رســـائل العمارنة عن الملك البابلى «كدشمان انليل

---

(٢٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا
H. Gauthier, Dictionnaire.
des Noms Geographique, II, Paris, 1928, P. 20 F.
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 208.
وكذا AM, I, P. 10-14.
(٣٠) أحمد بدوى : فى موكب الشمس — الجزء الثانى — القـــاهرة ١٩٥٠ ص ٧٣٨ ٠

الاول» الذى سأل أمنحتب الثالث أن يزوجه من امرأة مصرية ، فرفض الفرعون هذا الملتمس باحتقار وتعال ، بحجة أنه «لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية الى أى انسان ، وحين يعيد الملك البابلى سؤله ، لم يكن نصيبه هذه المرة بأفضل من الاولى ، ومن ثم نراه يطلب من الفرعون أن يزوجه من أية امرأة ، ولم يشترط سوى أن تكون مصرية ، ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من ابنته ، وهو يلتمس هذه المرأة حتى يموه على شعبه بأنه قد تزوج من امرأة مصرية ، ولعله شرف كان يصبو الى تحقيقه[٣١] .

هذا وهناك رسالتان من «بورنا بورياش الثانى» (١٣٧٥ — ١٣٤٧ ق.م) تشيران الى نوع من الاضطراب كان قد بدأ فى فلسطين فى عهد «اخناتون» (١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق.م) ، حتى أن قائد احدى القوافل البابلية قد تعرض للنهب مرتين من الأمراء الفلسطينيين الخاضعين للفرعون[٣٢] ، هذا فضلا عن حادث آخر فى فلسطين قتل فيه بعض رجال الملك البابلى ، ومن ثم فقد أرسل الى اخناتون يطلب منه تأديب هؤلاء الامراء الخاضعين ، قائلا «كنعان أرضك ، وملوكها خدمك»[٣٣] ، ثم يؤيد طلبه بهدية هى : ثلاث مينات من اللازورد ، وخمسة خيول مقطورة ، وخمس عربات[٣٤] .

على أن مصر ، رغم علاقات المصاهرة التى تربطها ببابل ، انما كانت تشجع آشور ضد بابل ، ومن ثم فهناك اشارة سريعة فى رسالة من «بورنا بورياش» الى اخناتون ، يطلب منه فيها أن لا يتدخل فى شئون

---

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢١٧ ، محمد بيومى مهران : مصر — الجزء الثالث — الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٢٤٠ ، وكذا
J. A. Kundtzon, Op. Cit., P. 73.
S A B. Mercer, Op. Cit., P. 13, 63.

32) F. J. Giles, Ikhnaton, London, 1970, P. 160.
وكذا S. A. B. Mercer, Op. Cit., L. 73 F.

33) F. J. Giles, Op. Cit., P. 161.
وكذا S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 25.

(٣٤) ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ٥٥ .

الاشوريين ، الذين كان يعتبرهم الملك البابلى من رعاياه ، غير أن فرعون لم يعر هذه الاشارة كبير اهتمام[٣٥] •

وكان ملوك بابل — شأنهم فى هذا شان ملوك الشرق الادنى وأمرائه — انما يلحون فى طلب الذهب من مصر ، يبدو هذا وضحا فى الرسائل المتبادلة بين «كدشمان انليل الأول» و «أمنحتب الثالث» والذى كان الموضوع الاساسى فيها رغبة الملك البابلى الملحة فى الحصول على منحته من ذهب فرعون[٣٦] ، والامر كذلك بالنسبة الى «بورنا بورياش الثانى» الذى يطلب من فرعون ذهبا كثيرا[٣٧] •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن علاقة بابل آشور انما كانت قوية الى حد ما ، ولعل أول قبس يستطيع أن يلقى شيئا من الضوء عليها انما يرجع الى عهد الملك الكاشى «كرايندانس» الذى عقد معاهدة مع معاصره الاشورى «آشور — بل — نشيشو» Ashur - Bel - Nisheshu لتثبيت الحدود بين البلدين ، الامر الذى يشير الى أن لونا من النزاع قد شجر من قبل ، وانتهى فى عهدهما بهذه المعاهدة • وبعد جيل من الزمان عقد «بورنا بورياش» معاهدة مماثلة مع معاصره الاشورى وقد ظلت العلاقات بين البلدين مدى قرون ثلاثة تتأرجح بين مسالمة وعدوان ، وان لم تستطع أشور خلالها أن تصل الى درجة من القوة تمكنها من السيطرة على الجنوب •

ومن المعروف أن «بورنا بورياش الثانى» قد وطد علاقته بالملك «أشور أو بلط الاول» وتزوج من ابنته ، التى أنجبت له «كدشمان خاربى الثانى» ، الذى تلاه فى الحكم ، غير أن ثورة قامت ضده أدت الى قتله ، ومن ثم فقد تدخل جده «أشور أو بلط الاول» ، فقضى على الثورة ، وأقام حفيده الثانى «كوريجالزو» الثانى ، الذى كان أول ملك

---

35) S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 29.
36) Ibid., P. 31.
37) Ibid, P. 29.

كاشى ينقل الحرب الى أرض عدوه العيلامى حتى تمكن من هزيمته فى منطقة ديالى ، ثم طارده فى بلاده وغزا عاصمته سوسه[٣٨] •

وتمر الايام ، ويدب الضعف فى الاسرة الكاسية ، ويتهددها الاشوريون والعيلاميون ، وهكذا رأينا الملك الاشورى «توكلتى نينورتا الاول» (١٢٤٤ ـــ ١٢٠٨ ق•م) يهاجم بابل على أيام الملك «كاشتيلياش الرابع» (١٢٤٢ ـــ ١٢٣٥ ق•م) ، ويستولى عليها ، ويعزل الملك البابلى، ويجعل من «كاردونياش» (اسم الاقاليم البابلية فى العهد الكاشى) ولاية من ولاياته ظلت كذلك حتى موته ، وقد استعمل الاشوريون القسوة فى بابل ، فدمروها وسلبوا كنوزها •

غير أن البابليين سرعان ما أعلنوا الثورة ضد الملك الاشورى ، بل وجهزوا حملة ضد أشور نفسها ، بقيادة «أدد ـــ شوما أوصر» (١٢١٨ ـــ ١١٨٩ ق•م) الذى نجح فى أن يرد للبابليين كرامتهم ، بل وأن يطارد الاشوريين حتى مشارف آشور نفسها ، ثم تابع سياسته خليفتاه (١١٧٣ ـــ ١١٦١ ق•م) ، غير أن أشور سرعان ما نجحت فى عهد «أشور ـــ دان الاول» (١١٧٩ ـــ ١١٣٤ ق•م) فى أن توقع الهزيمة بالملك البابلى «زبابا ـــ شوما ـــ ادينا» فى عام ١١٦٠ ق•م ، وأن تسترد الاقاليم المجاورة لها •

وفى عهد الملك العيلامى «شترك نخنته» هاجم العيلاميون العراق ، واستولوا على بابل فى نفس العام (١١٦٠ ق•م) وذبحوا ملكها ، ونهوا «أوبس» (قرب طيسفون عاصمة الساسانيين فيما بعد) ، فضلا عن «دور كوريجالزو» ، ويفاخر الملك العيلامى بأنه استولى على أكثر من ٨٠٠ قرية ، ثم حمل الى سوسة أغلب آثار البلاد الفنية ، مثل نصب سرجون الاكدى ، ونصب «نارام سن» ومسله «مانيشتوسو» ، ونصب

---

(٣٨) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، نجيب ميخائيل المرجع السابق ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 229.

تشريعات حمورابى ، ونصب أخرى كاسية وغير كاسية كثيرة ، وأكبر الظن أنهم قد أجبروا الاسرى البابليين على نقلها بأنفسهم الى سوسة ، رغم ضخامتها ، وشدة ثقلها ، ثم منح الملك العيلامى المنتصر «شترك نخنته» بابل لولده «كوتير ناهونتى» الذى صحبه فى حملته هذه[٣٩] •

ثالثا ـ أسرة بابل الرابعة ـ أسرة ايسين الثانية

رأينا من قبل ، كيف استطاع العيلاميون الاستيلاء على بابل فى عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، على يد الملك العيلامى «شترك نخنته» ، غير أن الكاشيين سرعان مانجحوا فى طردهم بعد قليل،تحت قيادة الملك البابلى «انليل ــ نادين ــ اهى» الذى استمر حكمه سنوات ثلاث (١١٥٩ — ١١٥٧ ق•م) عاد العيلاميون بعدها الى احتلال بابل من جديد ، وأسقطوا الحكم الكاشى نهائيا على يد الملك العيلامى «شيلاك ـ أنشوشناك» ، وفى هذه المرة لم تسلم ، حتى مقار عبادة القوم من التدنيس والتخريب ، وقد أخذ العيلاميون معهم تمثال «مردوخ» كبير الالهة البابلية •

على أن هذا الاحتلال لم يدم طويلا ، رغم أن العيلاميين قد تركوا حامية كبيرة فى بابل ، ذلك لأن البابليين لم يذعنوا طويلا للحكم العيلامى، ومن ثم فسرعان ما عمت بابل انتفاضة وطنية كبيرة بقيادة زعيم وطنى من مدينة ايسين يدعى «مردوك ــ كابت ــ أهيشو» (١١٥٦ — ١١٣٨ ق•م) ربما فى السنة الاولى من الاحتلال العيلامى ، وقد نجح البابليون هذه المرة فى طرد الحامية العيلامية ، فضلا عن تأسيس أسرة حاكمة جديدة عرفت باسم «أسرة ايسين الثانية» ، وهى نفسها أسرة بابل

---

(٣٩) سامى الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٣ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 244.
J. Wiseman, Op. Cit., P. 446.
R. Labat, Op. Cit., P. 486-487.

الرابعة ، تعاقب على الحكم فيها أحد عشر ملكا ، حكموا زهاء قرن من الزمان (حوالى ١١٥٦ — ١٠٢٥ ق٠م)[٤٠] ٠

وليس هناك من ريب فى أن أعظم ملوك هذه الأسرة ، انما هو ملكها الرابع «نبوخذ نصر الاول»[٤١] (١١٢٤ — ١١٠٣ ق٠م) ، والذى يعد واحدا من أشهر ملوك العراق القديم ممن استطاعوا مقارعة العيلاميين ، ووضع حد لاعتدءتهم على البلاد ، بل وقاد حملة ضدهم حققت نصرا كبيرا ، أكسب «نبوخذ نصر» شهرة واسعة بين معاصريه وبين الاجيال اللاحقة ، ومن ثم فقد صار هذا الحدث التاريخى مناسبة عظيمة يتغنى بها القوم ، بل ان صدى هذا الحادث انما بقى يتردد عبر أجيال لاحقة ، حيث أشارت اليها «نصوص الفأل» الاشورية فى القرن السابع قبل الميلاد ٠

هذا فضلا عن أن هذا النصر انما قد رفع من روح الملك «نبوخذ نصر» المعنوية ، بحيث أصبح قادرا فى الوقت نفسه على تحصين حدوده الشمالية ، من أى عدوان يمكن أن تتعرض له ، ولئن انتحل «نبوخذ نصر» لقب «فاتح أمورو» ، الا أن مما يشك فيه كثيرا أن ذلك كان صحيحا بل ربما لم يعد الامر غارة على اقيم الفرات الاوسط[٤٢] ٠

---

(٤٠) فاضل عبد الواحد : سلالة ايسين الثانية ــ كتاب العراق فى التاريخ ص ١٠٧ ــ ١٠٩ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٨ ــ ٤٤٩ وكذا أنظر

J. A. B. Brinkman, A Political History of Past-Kassite Babylonia (1158-722), Rome, 1968.

(٤١) نبوخذنصر ، ويعنى اسمه «نابو ــ كودورو ــ أوصر» (Nabu - Kuduri-Usur) «الاله نبو يحمى ذريتى» ، ذلك لأن كلمة «كودورو» (Kudurri) لها معنيان ، الواحد «حجرة الحدود» (Frontier Boundary) وهى عبارة عن حجر تنقش عليه رموز الالهة ، مع نص مكتوب يعين حدود الاراضى والحقول الزراعة الممنوحة لشخص ما ، والثانى وهو الارجح ، الذرية أو الوريث (فاضل عبد الواحد المرجع السابق ص ١٠٩ ، وكذا (G. Roux, Op. Cit., P. 228, 257

(٤٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٨ ، فاضل عبدالواحد المرجع السابق ص ١٠٩ ــ ١١٧ ٠ وانظر

G. Roux, Op. Cit., P. 257-258.
L. King, BBS, 6, P. 29-36.

غير أن أسرة ايسين الثانية سرعـان ما تتعرض — بعد وفاة نبوخذ نصر الاول — الى تحديات قوية تمثلت فى انتعاش الاشوريين وعوتهم كقوة مؤثرة فى شمال بلاد النهرين فى القـرن الثانى عشر قبل الميلاد ، فضلا عن ضغوط القبائل الارامية على بابل ، والتى بدأت تنتشر على طول الفرات ، وتتدخل فى الشئون البابلية ٠

وفى عهد «أداد — ابل — ادينا» (Adad-Apal-Iddina) (١٠٦٧ — ١٠٤٦ ق٠م) ، وهو أمورى وضعه الاشوريون على عرش بابل ، ربما على أمل أن يوقف طوفان الاموريين المنهمر نحـو جنـوب العراق ، وفى هذا العهد خرب أل «سوتو» (Sutu) معبد الاله شمش فى سيبار ، وعلى أية حال فرغم أن الملك البابلى قد عقـد أواصر الود والمصاهرة مع معاصرة الاشورى «أشور — بيل — كالا» (١٠٧٤ — ١٠٥٧ ق٠م) الذى تزوج من ابنته ، غير أنه لم يستطع أن يكفل الامن الداخلى فى دولته ، وأحدثت التحركات الارامية القبلية الداخلية كثيرا من الاضطرابات حتى تعاقبت ثلاثة أسر حاكمة فى نحو نصف قرن (من الخامسة الى السابعة) وكانت الاسرة الثامنة التى تلتها أفضل حظا فى طول أمد حكمها ، ولكن كان عليها أن تنتظر مصيرها المحتوم على أيدى الاشوريين فى عصرهم الحديث ، ثم يليها أسرتان بابليتان ، هما الاسرتان التاسعة والعاشرة[٤٣] ٠

وأما هذه الاسرات البابلية من الخامسة الى العاشرة فهى : —

١ — أسرة بابل الخامسة (أسرة القطر البحرى الثانية) :

وتتكون هذه الاسرة من ثلاثة ملوك هم : سمبر — شيباك (١٠٢٤

---

(٤٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٥ وما بعدها ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ١١٧ — ١١٨ ، وكذا

G Roux, Op. Cit., P. 260-261.
L. King, Op. Cit., II, P. 143-179.
F. Malbran, in JA, 1972, P. 15 F.

ــ ١٠٠٧ ق٠م) ٢ ــ ايا ــ موكين ــ زيرى (١٠٠٧ ق٠م) ٣ ــ كاشو ــ نادن ــ آهى (١٠٠٦ ــ ١٠٠٤ ق٠م) ٠

٢ ــ أسرة بابل السادسة (أسرة يازى) :

وتتكون من ثلاثة ملوك هم : ١ ــ «أبولاماش ــ شاكين ــ شومى» (١٠٠٣ ــ ٩٨٧ ق٠م) ٢ ــ نينورتا كودورى ــ أوصر (٩٨٦ ــ ٩٨٤ ق٠م) ٣ ــ شيريكتى ــ شوقا مونا (٩٨٤ ق٠م) ٠

٣ ــ أسرة بابل السابعة (الاسرة العيلامية) :

وتتكون من ملك واحد هو «مار ــ بيتى ــ ابلا ــ أوصر» (٩٨٣ ــ ٩٧٨ ق٠م) ٠

٤ ــ أسرة بابل الثامنة (اسرة اى) :

وتتكون من ٢٢ ملكا ، حكمت حوالى ٢٤٥ عاما فى الفترة (٩٧٧ ــ ٧٣٢ ق٠م) ، وعاصر سقوطها عصر الملك الاشورى «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ ــ ٧٢٧ ق٠م) ٠

٥ ــ أسرة بابل التاسعة :

وتتكون من ١٦ ملكا ، وحكمت ١٠٥ سنة ، فى الفترة (٧٣١ ــ ٦٢٦ ق٠م) ، وعاصر سقوطها الملك الاشورى «أشور بانيبال» (٦٦٩ ــ ٦٢٦ ق٠م) ٠

٦ ــ أسرة بابل العاشرة (الاسرة الكلدانية) :

وتتكون من ستة ملوك ، وحكمت ٨٧ عاما فى الفترة (٦٢٦ ــ ٥٣٩

ق٠م) ، حيث انتهت فى ١٣ أكتوبر عـــام ٥٣٩ ق٠م ، على يد العـاهل الفارسى «كيروش الثانى» (٥٥٨ — ٥٣٠ ق٠م)[٤٤] ٠

(٤٤) انظر عن هذه الاسر (ليو اوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٩– ٤٥١) ٠

الباب السادس

الآشـــوريون

الفصل الأول

الاشوريون فيما قبل عصر الامبراطورية

(١) الموقــع والســكان :

كان الاشوريون يسكنون — بادىء ذى بدء — الارضين التى تقع على جانبى نهر دجلــة ، من خط عرض ٣٧ شمالا ، وحتى مصب نهــر العظيم جنوبا ، وتحدها من الشمال والشرق سفوح الجبال الشاهقة ، وهى — على أية حال — أرضين على هيئة مثلث من الدجلة والزاب الاعلى والاسفل (الزاب الكبير والصغير) ، وتحادده من الشمال والشرق جبال عالية وهضاب وأرضين تتخللها النجاد والاغــوار ، فهى ليست أرضــا منبسطة ، بل هى بلاد ذات طبيعة جبلية فى أغلب الامــر ، تحصر بينها الرقعة الخصبة التى تمثل وديان الانهار ، الانفة الذكر ، وهذه الرقعة الخصبة من الاراضى صالحة للزراعة ، عرفت بها بضعة سهول ، من بينها سهول أربيل وكركوك •

هذا وكانت الجبال من الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للاقليم ، أما فى الجنوب والغرب فالطريق مفتوح الى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربى ، والى الغرب حتى الفرات ورافده وما وراءه ، ومن ثم فالحدود السياسية جنوبا وغربا خاضعة لمدى التوسع الاستعمارى ، تتقلص مرة ، وتمتد أخرى ، تبعا لمدى السلطان السياسى للاقليم •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن كلمة «أشور» (Assur) ، انما تعنى فى الواقع ، الاقليم المعروف بهذا الاسم ، كما تعنى المدينة التى تحمله ، والمعبود الذى كان يعبد هناك ، وربما كانت هذه التسمية نسبة الى اسم أول عاصمة لهم ، وهى مدينة «أشــور» ، ومن ثم فقد أطلق الاسم على الالــه القومى للاشوريين وظلت هــذه التسمية حتى القرون الاخيرة من الالف الاولى قبل الميلاد ، أى حتى بعد زوال كيان الاشوريين السياسى •

وأما معنى كلمة «أشور» فغامض ، ويذهب الدكتور طه باقر الى أن من معانى الصيغة «آشر» ، «الرحمن» وأنه من المحتمل أن يكون اللفظ سومرى الاصل ، كما جاء فى النصوص القديمة ، وعلى أية حال ، فلقد وردت كلمة «آشور» فى المصادر الارامية والعربية تحت اسم «أثور» ، وأما فى المصادر المسمارية فقد عرفت بلاد الاشوريين باسم «مات أشور» ، أى «بلاد أشور» ، كما وردت كلمة آشـــور فى هذه المصادر من القرن الثالث عشر قبل الميلاد «آش شر» ، ووردت أيضا تحت صورة «آ — نسو — ار» و«آشر» ، وأما فى المصادر المصرية ، فلقد ذكرت — لأول مرة — فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، باسم «اسور» على أيام الفاتح المصرى «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق٠م) ، وذكرت أن أميرها قد أهدى الى الفرعون كمية من اللازورد الحـر ، وأحجارا كريمة أخرى ، كما ورد اسم أشور فى التوراة على أنه من أبناء «سام بن نوح» ، كما ذكرها «بطليموس الجغرافى» (١٢١ — ١٥٠ م) فى كتابه الذى أخرجه حوالى عام ١٥٠ م باسم «جغرافية بطليموس» ٠

هذا ورغم أن هناك خلافا حول «أصل الاشوريين» ، غير أن الراجح أنهم من شعبة سامية هـاجرت من شبه الجزيرة العربيـة — الموطن الاصلى للساميين[1] — ومن ثم فلم يكن الاشوريون بالاقوام الغريبة أو الاجنبية عن معظم سـكان العراق الآخرين الذين عاشـوا قبلهم أو بعدهم ، فهم ينتمون الى الاصول نفسها ، والى الشجرة ذاتها ، التى تفرعت عنها الاقوام الاكدية والبابلية (الامورية) والكلدية والارامية والعربية ، وهى الاقـوام الرئيسية التى استوطنت العراق منذ مطلع الالف الرابع قبل الميلاد وما بعده ، وكان منبت تـلك الشجرة الاولى فى شبه الجـزيرة العربية ، وهكذا — كما يقول «أندريه بارو» — لم يكن الآشوريون الذين ظفروا بالسيطره على بلاد الرافدين فى القرن الثالث عشرقبل الميلاد ، من الوافدين الجدد الى المنطقة قط ، فالواقع أنه خلال

---

(١) انظر (محمد بيومى مهـران : الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلى ـ الرياض ١٩٧٤) ٠

الألفى سنة السابقين ، لا يوجد أقـدم منهم من يزعم انتسابه الى هذه البلاد ، فنحن نجدهم يستوطنون منطقة أعالى دجلة منذ بداية فجـر التـاريخ •

ويذهب الباحثون الى أن الاشوريين انما قد سلكوا الى شمال العراق أحد طريقين ــ أو هما معا ــ ، الواحد : شرقا الى وادى الفرات ، ثم اتجهوا شمالا حيث أستقروا هناك ، والاخر : شمالا الى سورية،ومنها نزحت الجماعات المرتحلة فى صورة الساميين الغربيين الى الشرق ، موطن الاستقرار الجديد •

وأيا ما كان الامر ، فـان الاشوريين لم يحلوا فى أرض فضاء ، وانما سكنوا بقـاعا سبقهم اليها قوم آخرون ، عرفنـا منهم «سوبارتو» (Subartu) الذين كانـوا يشغلون من قبل الاقليم الواقع بين دجلـة وزاجروس ، وهم ليسوا بساميين على أية حال ، ومن ثم نستطيع أن نتخيل صراعا ينشب اثر تقدم موجات الساميين الزاحفة من الغرب أو الجنوب ، أو منهما معا ، بينهم وبين المواطنين الاصليين من السوباريين ، وقد انتهى هذا الصراع بغلبة العناصر الوافدة وأستقرارها هناك ، وأن ظل البابليون فيما بعد لا يفرقون كثيرا بين الاشـوريين والسوباريين ويعتبرونهم جنسا واحدا ، وربما كان سبب ذلك الاندماج المباشر بين العنصرين على مر العصور ، بل ويرجح البعض أن السومريين نزلوا فى هذه النواحى قبل الساميين الغربيين ، وجعلوا منها مركزا لحضارتهم الشـمالية •

هذا وتشير لغة الاشوريين الى أصولها السامية ، فلقد تحدث القوم بلهجة من لهجات اللغة الاكديـة ، وهى اللغة التى انتشرت فى أنحـاء العراق منـذ أواسط الالف الثالثة ، وحتى أواخـر الالف الاولى قبل الميلاد ، واستخدموا الخط المسمـارى ذاته الذى ابتدعه السومريون ، وطوره الاكديون والبابليون ، كما اتصفت معتقداتهم الدينية وأفكارهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من نظمهم المختلفة ، بالصفات

العامة التى اتصفت بها مثيلاتها عند بقية سكان العراق القديم ، حتى بات من الصعب علينا أن نميز بين أصول العناصر المختلفة ، أهى سومرية أم أكدية ؟ بابلية أم آشورية ؟ بل ان التشابه الحضارى بين الشمال والجنوب ، لا سيما بين الاكديين والاشوريين فى عهدهم القديم ، قد دفع البعض الى الاعتقاد بأن الاشوريين انما كانوا قد استقروا — فى بادية أمرهم — فى جنوب العراق ، ثم نزحوا الى الشمال فى فترة متأخرة نسبيا[٢] هذا فضلا عن أن هناك من يذهب الى أن الاشوريين — رغم أنهم كانوا يتكلمون لغة سامية ، ومن ثم فهم يعتبرون من الشعوب السامية — غير أن المنطقة التى سكنوها فى شمال العراق انما قد تعرضت لغزوات شعوب الجبال والشعوب «الهندو — أوربية» وقاست كثيرا على أيديهم ، كما أصبح سكان أشور خليطا من أجناس مختلفة ، ولم يكونوا ساميين من دم نقى ، ورغم أن الاسرة الحاكمة كانت تحمل أسماء سامية ، الا أنه لا يمكن معرفة أصلها ، الامر الذى أدى الى أن يتطبع الاشوريون بطباع غير سامية ، ويظهرون قسوة ، مخالفين بذلك التقاليد السامية القديمة على أيام الدولة الاكدية[٣] .

(٢) العواصم الاشورية :

١ — أشور :

كانت مدينة أشور هى أولى عواصم الاشوريين ، وقد أقيمت فوق

---

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٣٧ — ٢٣٩ ، عامر سليمان : العصر الاشورى — كتاب العراق فى التاريخ — بغداد ١٩٨٣ ص ١١٩ — ١٢٠ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة — الجزء الاول — بغداد ١٩٥٥ ص ١٦٣ — ١٦٧ ، أندريه بارو : بلاد أشور — ترجمة عيسى سلمان ، وسليم التكريتى — بغداد ١٩٨٠ ص ١٧ — ١٨ ، ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ص ٢٦٥ — ٢٦٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٨ — ٤٩٩ ، تكوين ٢٢/١٠ ، وكذا

Urk., IV, 668, 6, 671, 8.

G. Roux, Op. Cit , P. 177-178, 182.

J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 37.

T. J. Gelb, Hurrians and Subarians 1944.

M. F. Unger, Op. Cit., P. 100-101.

(٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

ربوة صخرية تحف بها مياه نهر دجلة التى أصبحت حماية طبيعية لها ، ربما ، فيما يرى البعض ، منذ الالف الثالثة قبل الميلاد ، وتعرف خرائبها اليوم باسم «القلعة» أو «قلعة شرقاط» ، وتقع على مبعدة ٩٦ كيلا جنوبى مدينة الموصل الحالية ، وقد استمرت مدينة أشور مركزا سياسيا للبلاد على مدى فترة طويلة من التاريخ العراقى القديم •

هذا وقد عثر فى خرائبها على أسس لمعابد بعض الالهة مثل آشور وآنو وأدد ، ولعل من أشهر هذه المعابد معبد الاله أشور الذى بنى على أيام الملك «أشور شمشى أداد» الاول (١٨١٣ — ١٧٨١ ق•م) ويعتبر من النماذج الاساسية فى تفسير عمارة المعابد الاشورية ، ودليلا لطرز المعابد الاشورية فى العصر الاحدث ، وقد جمع بين الطرز المعروفة فى جنوب العراق ، والتى بنيت على هيئة بيوت ذات فناء فى الوسط ، ومنها معبد شوسن فى تل أسمر ، وبين الطرز التى عرفت فى فجر الاسرات ، ذات الغرف المقدسة الطويلة ، كما عثر كذلك على تماثيل لبعض الملوك ، فضلا عن عدة مسلات ، وجد على أحدها اسم «سمورامات» (سميراميس) زوج الملك «شمسى أداد الخامس» (٨٢٣ — ٨١١ ق•م) والتى أصبحت وصية على العرش ، بل ان هناك من الاثار التى عثر عليها فى أشور ، انما يرجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، من ذلك النوع السومرى •

٢ ـ كالح :

كانت مدينة «كالح» (Kalah) (كالحو = كالخو) — والمعروفة حاليا باسم «نمرود» (Nimrud) — هى العاصمة الاشورية الثانية ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند ملتقاه بنهر الزاب الاعلى ، وعلى مبعدة ٣٠ كيلا جنوبى نينوى وعلى مبعدة ٣٥ كيلا جنوب شرقى الموصل ، وقد أسسها «شلمنصر الاول» (١٢٧٤ — ١٢٤٥ ق•م) ، وسكنها البابليون الذين قام بتهجيرهم «توكلتى نينورتا» الاول (١٢٤٤— ١٢٠٨ ق•م) ، وأما التوراة فتنسب تأسيسها الى من تدعوه «نمرود» ،

هذا وقد شيد فيها الملك «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ — ٨٥٩ ق٠م) قصرا ، ثم اتخذها عاصمة لدولته ٠

هذا وقد قام بالحفر فيها (A. H. Layard) فى الفترة (١٨٤٥ — ١٨٥١م) وكذا (M. Mallowan) فى عام ١٩٤٩م ، وكشفت الحفريات عن معبد للاله «نينورتا» يتكىء على زاقورة مربعة ، طول ضلعها ٥١م ، وارتفاعها ٤٥م ، كما عثر على مسلة نقش عليها رسم «أشور ناصر بال الثانى» ، هذا فضلا عن قصر يعده الاثاريون ، أول القصور الكبيرة لملكة أشور الجديدة ، وبه كثير من النقوش التى تصف أعمال «أشور ناصر بال الثانى» ، وتصف البناء وظروف تشييده ، وحفر قناة لرى المنطقة ٠

والى الجنوب من قصر «أشور ناصر بال الثانى» كان قصر «أداد نيرارى الثالث» (٨١٠ — ٧٨٣ ق٠م) والذى سكنه أيضا «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٤ — ٧٢٧ ق٠م) ، والى الجنوب منه قصر «اسر حدون» (٦٨٠ — ٦٦٩ ق٠م) وغير ذلك من المبانى الدينية والسكنية ، وعلى أية حال ، فلقد دمرت هذه المدينة فى عام ٦١٢ ق٠م ، على أيدى الماديين ٠

٣ — كاو — توكلتى — ننورتا :

أسس هذه المدينة الملك «توكلتى — ننورتا — الاول» (١٢٤٤ — ١٢٠٨ ق٠م) ، واتخذها عاصمة لدولته وأضفى عليها اسمه «كار — توكلتى — ننورتا» ، وان ذهب رأى أن الذى شيد المدينة هو «أشور نادين — ابلى» (١٢٠٧ — ١٢٠٤ ق٠م) ، وان نسبت الى أبيه «توكلتى — ننورتا» ، وتقع على مبعدة ٣ كيلا من مدينة أشور ، وقد شيد بها قصر بقيت منه أطلال طفيفة ، يفهم منها أنهم زخرفوا بعض جدرانه بقطع من القاشانى المزخرف ، ولوحات مرسومة اقتبسوا عناصرها من عالم الحيوان والنبات ومن الخطوط الهندسية ، ونجحوا فى تحقيق التناسب والحيوية فيها الى حد معقول ، وصوروا فيها الملك يقاتل بعربته الحربية منفردا حينا ، ومشتركا فى الحرب الى جوار جنوده ، حينا آخر ٠

٤ ـ دور شاروكين :

وكانت «دور شاروكين» (Dur - Sharrkin) خورسباد = Khorsabad) هى العاصمة الاشورية الرابعة ، وقد أسسها «سرجون الثانى» (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق٠م) فى سنوات سبع (٧١٣ ـ ٧٠٦ ق٠م) ، وتقوم أطلالها الان فى مكان «خورسباد» جنوب الزاب الاسفل ، وعلى مبعدة ١٦ كيلا شمال شرق الموصل ، ١٢ كيلا شمال «نينوى» وهى «خرسباد» (خورسباد) الحالية (وكلمة خرسباد محرفة من خسرو أباد) وقد بنيت هذه المدينة على هيئة مربع ضلعه ١٧٦٠ مترا ، وكان يؤدى الى المدينة طريق مبلط عرضه ١٢ مترا ، ويحيط بالمدينة سور ذو أبراج ، يزيد عددها عن ١٥٠ برجا ، وكان للمدينة ثمانية أبواب يزينها ثيران مجنحة لها رؤوس بشرية ، تعتبر عند الاشوريين بمثابة الملاك الحارس الذى يقى المدينة من الشرور والمخاطر ، وكانت شوارع المدينة مستقيمة ومتعامدة ، ولم يبق من المدينة الان غير أطلال قصر سرجون ، وبعض الاقسام المجاورة له ، وتدل الاثار التى عثر عليها بقصر سرجون هذا على مدى ما وصل اليه فن البناء والنحت وسبك المعادن وصناعة الزجاج ، كما عثر بالقصر على عدد كبير من التماثيل البارزة والثيران المجنحة ونماذج من الزخارف المنقوشة تمثل أشكال ثيران وأسود ، كما عثر فى مخازن القصر على أدوات وآلات من الحديد تبلغ زنتها ٢٠٠ طنا ٠

وقد تم اكتشاف المدينة فى عام ١٨٤٣م،وقد ظن ـ فى بادىء الامر ـ أنها انقاض «نينوى» ، ولكن تبين بعد ذلك أنها «دور ـ شاروكين» ، وأجريت الحفائر تحت اشراف القنصل الفرنسى «بوتا» الذى أرسل اكتشافاته الى فرنسا فى عام ١٨٤٧م ، حيث شكلت الجناح الاشورى فى متحف اللوفر بباريس ، ثم قام فيكتور بلاس وتوماس باتمام التنقيبات فى الفترة (١٨٥٢ ـ ١٨٥٥م) ، ثم جدد المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو الحفريات فى الفترة (١٩٢٨ ـ ١٩٣٥م) ، وكشفت الحفريات عن قصر سرجون الضخم ، والذى يحتوى على أكثر من مائتى غرفة ، وثلاثين

فى عام ١٨٥٢م حيث عثر على قصر «أشور بانيبال» وغيره ، فضلا عن عدة معابد ، وعلى رأس من البرونز ، ربما تمثل الملك سرجون الاكدى ، كما عثر فى تل النبى يونس على قصر يرجع الى أيام الملك (اسر حدون) (٦٨٠ — ٦٦٩ ق٠م)[٥] ٠

٦ — حـــران :

كانت «حران» (حاران = Harran) — وتقع على نهر بلخ ، على مبعدة ٩٦ كيلا من اتصاله بالفرات ، والى الغـرب من تل حلفا ، وعلى مبعدة ٤٤٨ كيلا الى الشمال الشرقى من دمشق — هى العاصمة السياسية السادسة والاخيرة للاشوريين ، وذلك بعد سقوط «نينوى» فى عام ٦١٢ قبل الميلاد ، على أيدى «البابليين والميديين» (Babylonian - Median) ، واضطـر الملك الاشورى «أشـور أو بلط الثانى» (Assur-Uballit) (٦١١ — ٦٠٩ ق٠م) أن يتخذ من «حران» عاصمة له،غير أن «نبوخذ نصر الثانى» (٦٠٥ — ٥٦٢ق٠م) نجح فى أن يستولى عليها ، وأن يقضى على الجيش الاشـورى فى عام ٦٠٩ ق٠م (وربما فى عام ٦٠٨ ق٠م) ، وأن يقضى على الدولة الاشورية نهائيا[٦] ٠

---

(٥) انظر عن العواصم الاشورية (تكـوين ٨/١٠ — ١٢ ، يونان ٢/١ ، ٢/٣ — ٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٩٩٠/٢ ، أندريه بارو : المرجع السابق ص ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ — ٣٤٣ ، جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ٢١٧ — ٢١٨ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٨٦، ٥٠١، هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية القديمة — طرابلس — لبنـان ١٩٨٨ ص ٩٠ — ٩١ ، ٤٠١ — ٤٠٣ — ٤٠٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السـابق ص ٥٠٢ — ٥٠٣ ، محمد عبد القـادر : الساميون فى العصور القديمة — القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ٠

M. F. Unger, Op. Cit., P. 161-162, 794-796.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 37, 79, 95, 114, 123-125, 133.

W. Andrae, Op. Cit., Abb. 49, Taf. 2-3, 51.

G. Roux, Op. Cit., P. 270-272, 291-292.

A. H. Layard, Nineveh, and its Remains, London, 1849.

M. E. L. Mallowan, Nimurd and its Remains, 2 Vols, London, 1966.

(٦) محمد بيومى مهران :اسرائيل ٦٢/١ ، ٩٨١/٢ ، وكذا

M F. Unger, Op. Cit., P. 455.

=

فناء ، وأجنحة خاصة ، وستة معابد ، وزاقورة من سبع طبقات ، وقد دهنت بألوان مختلفة •

وقد اتخذ سرجون الثانى من مدينته هذه ، عاصمة لدولته ، الا أنها سرعان ما هجرت بعد موته ، وان كان هناك من يذهب الى أنها قد ظلت مقرا للحاكم (ربما حاكم المنطقة) قرابة قرن من الزمان بعد ذلك •

٥ ـ نينـــوى :

كانت «نينوى» (Nineveh) — وتقعا لان تحت تلى قوينجق والنبى يونس[٤] ، على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، على فم رافد صغير يدعى «الخسر» (الخوصر) على مبعدة ٤٠ كيلا من التقاء الدجلة بالزاب الاعلى ، قبالة الموصل — وكان العبرانيون يعممون اسم «نينوى» ليشمل كل المنطقة حول التقاء الزاب الاعلى بالدجلة •

وقد اتخذ «سنحريب» (٧٠٥—٦٨١ق•م) «نينوى» عاصمة له.وان لم تعمر طويلا ، حيث سقطت فى أيدى الميديين عام ٦١٢ ق•م ، وهناك ما يشير الى أن سنحريب قد أهتم بها كثيرا ، ولكى يضمن لها موردا مائيا كافيا ، وصلها بالانهار التى تجرى من الجبال الشرقية ، وذلك ببناء قناة صناعية هائلة ، كشف عنهـا المعهد الشرقى بجامعة شيكاغـو فى عـام ١٩٣٣ م •

وقد ظلت هذه المدينة مجهولة حتى كشفت عنها الحفريات التى بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ففى عام ١٨٤٧م عثر على أطلال معبد سنحريب ، والذى كان يحتـوى على أكثر من ألفى نقش ، وحوالى ثمانين غرفة ، من بينها مكتبة «أشور بانيبال» (٦٦٨ — ٦٢٦ ق•م) والتى تحتوى على آلاف اللوحات المسمارية ، ثم عادت التنقيبات

---

(٤) من المعروف أن يونس عليه السلام ، انما أرسل الى أهل نينوى (انظر : سيرة ابن هشام ٢٦٦/٢) ، وانظر القصة بالتفصيل (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الرابع ــ فى العراق ــ بيروت ١٩٨٨ ص ١٧٥ ــ ١٩٢) .

(٣) مراحل التاريخ الاشورى :

تذهب جمهرة المؤرخين الى أن التاريخ الاشورى انما ينقسم الى مراحل ثلاثة ٠

الاولى : العهد الاشورى القديم : وتبدأ من فجر التاريخ الاشورى، وحتى نهاية حكم أسرة بابل الاولى ٠

الثانية : العهد الاشورى الوسيط : وتبدأ من نهاية حكم أسرة بابل الاولى ، وحتى بداية القرن التاسع قبل الميلاد ٠

الثالثة : العهد الاشورى الحديث ، أو عصر الامبراطورية ، ويشغل الفترة (٩١١ — ٦٠٩ ق٠م) ، وان ذهب البعض الى تقسيم هذه الفترة الى مرحلتين ، الواحـــدة : عصر الامبراطورية الاولى (٩١١ — ٧٤٥ ق٠م) ، والثانية : عصر الامبراطورية الثانية (٧٤٥ — ٦٠٩ ق٠م) ٠

على أن هناك فريقا ثانيا انما يذهب الى أن التاريخ الاشورى انما ينقسم الى مرحلتين فقط ، الواحدة : فى الفترة (٢١٠٠ — ٩٠٠ ق٠م) ، وكان القوم أثناءها يناضـــلون فى سبيل النهوض سياسيا وعسكريـــا ، والثانية : فى الفترة (٩٠٠ — ٦٠٩ ق٠م) ، وفيها نجح القوم فى تكوين الامبراطورية الاشورية ٠

على أن هناك وجها ثالثا للنظر ، يذهب أصحابه الى تقسيم التاريخ الاشورى الى مراحل أربعة رئيسية هى :

الاولى : مرحلة التبعية السومرية — الاكدية ، وقد شغلت الالف الثالثة قبل الميلاد ٠

=

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 258
M. Notth, The History of Israel, London, 1965, P. 273.
J Laessoe, Op. Cit., P. 124.
G. Roux, Op. Cit., P. 347.

الثانية : العصر الاشورى القديم ، ويقـابل تقريبا العصر البابلى القـديم •

الثالثة : العصر الاشورى الوسيط : ويبدأ من حوالى أواسط الالف الثانى قبل الميلاد ، وينتهى باعتلاء «أدد — نيرارى الثـانى» العرش الآشورى فى عام ٩١١ قبل الميلاد •

الرابعة : العصر الاشورى الحديث : وهـو العصر الامبراطورى للدولة الآشـورية ، وقـد تميز بالقوة والازدهار ، وانتهى عند سقوط العاصمة «نينوى» فى عام ٦١٢ ق•م •

وسوف نأخذ بهذا التقسيم الاخير •

(١) عصر التبعية السومرية ـ الاكدية

كانت بلاد أشـور طوال الالف الثـالث قبل الميلاد خاضعة للنفوذ الحضارى — وربما السياسى — للدولة السومرية الاكدية ، التى قامت فى الجزء الجنوبى والاوسط من العراق القديم ، ولا ريب فى أن معلوماتنا عن أشـور فى النصف الاول من هذه الفتـرة (حوالى ٣٠٠٠ — ٢٤٠٠ ق•م) جد قليلة ، لا تتجاوز فى كثير من الاحايين بعض المخلفات المادية من أبنية وفخار وغيرها ، وربما كان هذا الوضع يشبه الى حد كبير مثيله فى بلاد سومر فى الفترة ذاتها ، حيث نشأت فى أشور عدة مدن ومراكز حضارية فى المنطقة ، كمدينة أشور ونينوى وغيرهما ، وربما كان بعضها على هيئة دويلات مدن صغيرة ومستقلة •

وعندما قامت الدولة الاكدية التى كانت سياستها المركزية تسعى لتوحيد جميع الدويلات والمراكز الحضارية فى الشمال والجنوب ؛ كان لابد من وقوع بلاد أشور ضمن نفوذها وسيطرتها ، و هناك ما يشير الى أن مدينة أشور نفسها انما كانت تمثل أحد المراكز الادارية المهمة التابعة للدولة الاكدية ، كما عثر فى نينوى فى الطبقة السادسة من معبد عشتار

على أسطوانات حجرية منقوشة بكتابة ترجــع الى عصر الملك الاكدى «نارام ــ سن» (٢٢٩١ ــ ٢٢٥٥ ق٠م) ، هذا فضلا عن رأس تمثال نحاسى يظن أنه للملك سرجون الاول أو «نارام ــ سن» ، وتمثال من البرونز لشــاب جالس وعليه كتابة تشــير الى عهد «نارام ــ سن» ٠

هذا وقد كشف فى أشور عن عدد من النصوص القصيرة التى تذكر اسم الملكــين «ريموش» (٢٣١٥ ــ ٢٣٠٧ ق٠م) و «مانيشتوســو» (٢٣٠٦ ــ ٢٢٩٢ ق٠م) ولدى الملك «سرجون الاول» (٢٣٧٠ ــ ٢٣١٥ ق٠م) ، هذا فضلا عن الكشف عن أبنية ضخمة ، من بينها قصر واسع، وجزء من زاقورة معبد انليل تحمل طابعا أكديا ٠

وهناك ما يشــير الى أن التأثيرات الاكدية فى بلاد آشــور لم تكن مقصورة على الاساليب والطرز المعمارية والفنية والدينية ، وانما شملت كذلك اللغة والكتابة ، فاللهجة الاشورية القديمة انمــا تحمل تاثيرات اللهجة الاكدية القديمة ، كما أقتبس الاشوريون الكتابة المسمارية من السومريين والاكديين ، ثم استخدموهــا فى التدوين طــوال حياتهم السياسية ، هذا فضلا عن احتفاظ الاشوريين بذكرى طيبة عن الاكديين ، حتى أن بعض ملوك قد سموا أنفسهم بأسماء أكدية مروفة ، كما فعل الملك «سرجون الاول» من هذا العصر ، (وقد حكم فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، كما أشرنا من قبل) ربما نسبة الى الملك الاكدى «سرجون الاول» أيضا ٠

وفى أكبر الظن أن أشور قد لاقت مــا لقيه السومريون والاكديون على أيدى الجوتيين ، وقد كشفت الحفريات عن آثار التخريب من هذه الفترة ، والتى تمت على أيدى الجوتيين فى كل من مدينتى أشور ونينوى، وان كان المؤرخون على غير يقين من تبعية الاشوريين للجوتيين ، أو أن القوم قد أقاموا لهم حكومة محلية غــير تابعة للجوتيين ، وأيا ما كان

الامر ، فما أن تم طرد الجوتيين ، حتى قامت أسرة أور الثالثة (٢١١٣–٢٠٠٦ ق٠م) ، وسرعان ما وقعت آشور تحت نفوذهـا ، وقد كشفت الحفريات فى نينوى عن معبد أقيم من أجل «أمار ــ سين» (٢٠٤٧ — ٢٠٣٩ ق٠م) ملك أور ، مما يشير الى تبعية أشور لحكم السومريين فى أور[٧] ٠

(٢) ـ العصر الآشورى القديم

يشغل هذا العصر الاشورى القديم الفترة (٢٠٠٠ — ١٥٢١ ق٠م)، وهى تقابل تقريبا العصر البابلى القديم (٢٠٠٦ — ١٥٩٥ ق٠م) ، حيث قامت فى هذه الفترة أسر حاكمة مستقلة فى آشور وفى كثــير من المدن العراقية الرئيسية ، وكان الصراع فى هذه الفترة بين هذه الاسرة المحلية الحاكمة على أشده للسيطرة على الطرق التجارية والاراضى الزراعية ، وقد استمر هذا الصراع ــ كما رأينا من قبل فى هذه الدراسة ــ حتى عصر حمورابى ، الذى أعــاد للعراق القديم وحدته ، فضم تحت لواء دولته جميع الدويلات والمدن العراقية فى الشمال والجنوب ، بمــا فى ذلك بلاد أشــور ؛ ونستطيع ــ طبقا للمعلومات المتوفرة لدينا ــ أن نميز بين مراحل ثلاثة رئيسية مرت بها بلاد أشور فى هذا العصر ٠

كانت المرحلة الاولى (٢٠٠٦ — ١٨١٤ ق٠م) ، مرحلــة غامضة ، ربما لا تعدو فى بعض الاحايين أسماء الملوك ، وربما بعضهم ، الى جانب أعمالهم العمرانية ، كما وردت فى جداول الملوك الاشوريين التى دونت فى فترة متأخرة ، وكذا فى بعض نصوص الابنية التذكارية ، هذا فضلا عن بعض المعلومــات من النصوص المكتشفة فى المستوطنة التجــارية الاشورية فى منطقة قبادوقيا فى آسيا الصغرى ٠

وعلى أية حال ، فلقد استطاع «بوزور أشــور الاول» أن يؤسس

(٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٢ ــ ١٢٤ ٠

أسرة حاكمة فى أشور ، نجح حفيده «ايلوشوما» (١٩٤٠ — ١٩٠٦ ق٠م) فى أن يوطد دعائمها ، وأن يقيم علاقـات ثابتة مع معاصر البابلى ، بل وأن يقوم بحملة على بلاد بابل ، ربمـا للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة الى بلاد عيلام والخليج العربى ، سـالكا الطريق الواقع الى الشرق من دجلة ، ثم ادعى بأنه حرر مدينتى أور ونفر اللتين كانتا تقعان على الطريق التجارى الى الخليج العربى[٨] ٠

وهناك عقد يرجع الى العام العاشر من حكم الملك البابلى الشهير «حمورابى» يذكر فيه اسم الملك الاشورى «شمشى أداد» ، الامر الذى قد يشير الى أن حمورابى ربما كان فى العقد الاول من حكمه خاضعا لهذا الملك الاشورى[٩] ٠

ثم يبدأ الغموض بعد ذلك يخيم على تاريخ آشور ، وربما وقعت أشور تحت نفوذ مملكة اشنونا ، على أن الغريب من الامر أننا فى وسط هذا الضباب ، سرعان ما تتوافر لدينا المعلومات عن علاقة أشور التجارية مع شرقى بلاد الاناضول ، فلقد أشارت النصوص المسمارية المكتشفة فى «كانش» — وهى كول تبة الحالية ، على الضفة اليسرى لنهر هاليس ، شمالى قيصرية — بمنطقة قبادوقيا الى وجـود جماعات من التجـار الاشوريين كانت تقطن فى شرقى بلاد الاناضول فى مراكز تجارية ذات تنظيمات ادارية وقانونية خاصة بها ٠

ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقـين متى بدأ اتصال الاشوريين التجارى بآسيا الصغرى ؟ وكيف حدث هذا الاتصال ؟ وهل تم سلما أم عنوة ؟ غـير أن أكبر الظن انمـا قد تم منذ ظهور الكيـان السياسى للاشوريين ، وأنه كان فى بدايته — على الاقل — اتصالا سلميا ، وأنه

---

(٨) نفس المرجع السابق ص ١٢٤ — ١٢٥ ٠

(٩) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 177.

كان نشـــاطا تجاريا واسعا ، وآية ذلك اقـــامة هذه المراكز التجـــارية الاشورية المتعددة بمنطقة وسط الاناضول ، والتى يمكن تحديدها بحوض نهر هاليس وتخومه المباشرة ، وما وراء هذا الحوض جنوبا حتى سهل قونيا وأقاليم قليقيا ، وشرقا حتى مشـــارف أعالى الفرات ، وأنه كان لاستغلال ثروات هذه البلاد ، وممارسة نشاط تجارى كبير بها ، دون أن يتكبدوا فى ذلك جهدا حربيا يذكر ، حيث خلت نصوصهم من الاشارة الى توجيه حملات حربية الى هذه البلاد •

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن هذه المراكز التجارية انما قد مارست نشاطها من خلال كونها مستعمرات أقامها الاشوريون للسيادة وفرض النفوذ على آسيـــا الصغرى ، وكانت «كانش» بمثابة مركز للادارة الاشورية الحاكمة ، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أنه من الصعب أن يحقق الاشوريون هناك استغلالا اقتصاديا كاملا،دون سيطرة سياسية ، فضلا عن عبادة الاله أشور فى هذه المراكز التجارية بآسيا الصغرى ، وتشابه بعض التنظيمات الادارية بهذه المراكز التجارية مع مثيلات لها فى أشور [١٠] •

وأكبر الظن أن هذه المراكز التجارية انما كانت خاضعة سياسيا لأمراء الدويلات المحلية ، مع تمتعها بنوع من الاستقـــلال الذاتى والحماية العسكرية ، مقابل ضرائب معينة كانت تدفع للامراء المحليين ، وأما علاقة هذه المراكز بالدولة الاشورية ، فربما كانت من نوع علاقة الفرع بالاصل وآية ذلك أنها كانت تدين بالديانة الاشورية ، وتعيش الحياة الاشورية ، مع بعض التأثيرات المحليـــة ، ومن ثم فقد تشابهت العقود التجـــارية والقوانين الاشورية التى كشف عنها فى «كانش» بتلك التى كانت فى بلاد أشور نفسها •

---

(١٠) محمد عبد اللطيف : المراكز التجارية الاشورية فى وسط آسيا الصغرى فى العصر الاشورى القديم ـ الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٣، ١٨٤ ،

CAH, I, Part, 2, Maps, 9-10, P. 373,

J. Lewy, on Some Institutions of The Old Assyrian Empire, in HUCA, 27, 1956, P. 13-21.

وعلى أية حال ، فلقد كانت هذه المراكز التجارية الاشورية فى آسيا الصغرى (وتسمى كاروم)[11] تقوم بدور الوسيط بين الدولة الاشورية الام ، وبين الدويلات المحلية فى بلاد الاناضول ، وهكذا كانت القوافل التجارية الاشورية تذهب محملـة بالمنسوجات والملابس الاشـورية والبابلية وخامات القصدير — وهى مستوردة أصلا — وتعود الى بلاد أشور بالذهب والفضة والنحـاس — وربما الرصاص — والاحجـار الكريمـة[12] •

وأيا ما كان الامـر ، فلقد زاد هذا النشـاط التجارى على أيـام «ايلو شوما» ، وهناك نص من عهد ولده «اريشوم الاول» (١٩٠٦ — ١٨٦٧ ق•م) يشير الى أنه أقام حرية الحركة للفضة والذهب والنحاس والرصاص ، فضلا عن القمح والصوف ، الى جانب سلعتين أو ثلاثة من

---

(١١) أطلق الاشوريون على كل مركز من مراكزهم التجارية اسم «كاروم» (Karum) ، وتعنى فى الاكدية رصيف أو حائط ميناء يقع على نهر أو قناة ، تجمع عنده ضرائب الدخل على الوارد ، ثم اتسع مفهومه ليعنى السوق على جانب الرصيف ، ثم مجموعة تجار المدينة ، ولم يقصد الاشوريون بتعبير «كاروم» فى نصـوص الالواح القبادوشية ميناء نهرى غالبا ، اذ لم يقع كاروم كانش أو «خاتوش» (بوغازكوى) أو غيرهما ، على نهر ، وانما يعنى غالبا مجموعة الرجال الذين تولوا ادارة المركـز التجارى ، وهم من التجار وأصحـاب رؤوس الاموال الاشوريين ، وقد شيدت «الكارو» غـالبا فى الاماكن الملائمة على طرق القوافل ، كمركز تجارى للسلع المتبادلة بين آشور وآسيا الصغرى ، فضلا عن جباية المكوس التى كانت تحصل من القوافل التجارية ، مثل ضريبة الطريق وضريبـة العشر وضريبة الخمسة فى المائة التى كان الكاروم يقوم بتحصيلها ، ربما لحساب الدولة الاشورية ، وقد استخدم القوة فى تحصيلها أحيانا ، كمـا كان للكاروم سلطة قضائية ، وجهاز ادارى على رأسه «حاكم الكاروم» الذى انتحـل لقب (Rubaum) ، والذى كان يمثـل السلطة التنفيذية للكاروم ويرأسها ، وغير خاضع غالبا لحكام آشور ، كما كان للـكاروم مقر مركزى يسمى «بيت الكاروم» (بيت كاريم - Bit-Karim) وكان بمثابة غرفة تجارية وبيت تخليص للتجارة ، ووكيـلا للقصر (انظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٢ — ٨٨ ، وكذا
J. Bottero and Others, Op. Cit., P. 196.
J. Lewy, CAH, I, Part, 2, P. 37, 47, 709, 722, 760 F.

(١٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٥ — ١٢٦ ، وكذا
J. Lewy, Op. Cit , P. 24-28.

السلع الرخيصة — وكان أرخصها التبن — وأن هذا الامتيــاز قد منح للتجار الاشوريين ، الامر الذى يشير الى دعم النشاط التجارى مع آسيا الصغرى التى أقيم فيها عدد كبير من المراكز التجارية الاشورية التى نالت اهتمام هذا الملك ، كما نالت اهتمام خليفته «ايكونوم» (١٨٦٦ — ١٨٥٥ ق•م) و «سرجون الاول الاشورى» (١٨٥٥ — ١٨٤٠ ق•م)(١٣)

ولعل من الاهمية بمكان أن الوثائق الاشــورية انما تشير الى آن العنصر الامورى انما قد شارك فى مجتمعات المراكز التجارية الاشورية القديمة فى آسيا الصغــرى ، وأن الاختلاط بين الاسماء الاشــورية والامورية فى هذه المجتمعات ، ما يشهد بامتزاج هذه العناصر كسكان يتعايشون معا فى نطاق المركز التجارى الواحد •

وكان الاموريون أقرب العناصر للاشوريين ، وأكثرهم ارتباطا بهم اجتماعيا ودينيا ، وقد اعتمدوا عليهم بدرجة كبيرة فى مزاولة نشاطهم التجارى ، أما السكان الوطنيون ، وخاصة العناصر «الهندو — أوربية — فقد نظر اليهم الاشوريون بازدراء ، وأطلقوا عليهم صفة «برابرة»(١٤) •

وليس هنا من ريب فى أن الوجود الامورى فى هذه المجتمعات انما كان سببا فى التقارب بين الاموريين والاشوريين فى أسيــا الصغرى ؛ وطبقا لدراسة عقود الزواج والطلاق ، فان معظم زيجات الاشوريين بالاناضول انمــا كانت من هؤلاء الاموريين ، كما كان رجال الاعمــال الاشوريين كثيرا ما يستعينون بهؤلاء الاموريين ، وكثيرا ما كانوا يعهدون اليهم بتولى أمر قوافلهم التجارية(١٥) •

---

13) CAH, I, Part, 2, P. 1001.
وكذا J. Lewy. in JAOS, 78, 1958, P. 99-101.
وكذا J. Lewy, in HUCA, 27, 1956, P. 40, 65, 66.
وكذا A Goetze, in JLSA, 30, 1954, P. 350.
وكذا J Laessoe, Op. Cit., P. 37 F.
14) H. Lewy, Anatolia in The Old Assyrian Period, in CAH, 2, 1971,
(١٥) محمد بيومى مهران : بلاد الشام — الاســكندرية ١٩٩٠ ص ٦٨ — ٧٠ ، وكذا J. Lewy. Amurritica, in HUCA, 32, 1961, P. 65.

هذا ويذهب البعض الى أن الاموريين فى الاناضـول انما كـانوا يشبهون الاشوريين الى الدرجة التى يصعب معها التفرقة بينها ، وخاصة أن الفريقين من الجنس السامى ، هذا فضلا عن اقتـران اسم المعبود «أشور» بالمعبودات الامورية ، وأن هناك أشوريين قـد تعبدوا للاله الامورى «أموروم» ، كما تشير الى ذلك النصوص القبادوشية(١٦) .

وهناك ما يشير الى أسماء تتضمن أسماء آلهة سامية غربية (أمورية) مثل «داجان» و «أموروم» اللذين عبدهما الاشوريون ، واقترنت بعض أسمائهم بهما ، فأما «داجان» فقد انتشرت عبادته فى «قبادوقيا» بوسط اسيا الصغرى منذ العصر الاكدى ، كما انتشرت فى السهل الميزوبوتامى منذ القـرن العشرين قبل الميـلاد ، على الاقل ، وأما «أموروم» فيمكن اعتباره معبودا قوميا للاموريين ، ذلك لان اسمه انما يدل على الارض، والشعب والمعبود ، أسوة بأشور المعبود القومى للاشوريين ، كما اقترن اسم «أموروم» باسم «أشور» فى عدد من نصوص كول تبة(١٧) .

هذا وتدل النصوص القبادوشية على أن الاموريين انمـا كان لهم تأثير كبير على الاشـوريين فى وسط الاناضـول ، حتى حمل هـؤلاء الاشوريون ــ فيما تروى النصوص ــ أسماء تدل على عبادتهم للمعبود «أموروم» ، وإن كان مما لاشك فيه أن التأثير الاقوى للاشوريين ، فهم أصحاب السيادة فى مجتمعات المراكز التجارية بوسط الاناضول(١٨) .

وكانت المرحلة الثانية من العصر الاشورى القديم،عندما بدأ القوم فترة انتعاش اقتصادى وسياسى فى أعقاب فترة التدهور والاضمحلال،

---

16) H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 721.

(١٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧٠ ــ ٧١ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص٥٩ ــ ٦١ ، وكذا

17) J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 62, Notes, 25-27, 187.
H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 720.

(١٨) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧١ ، وكذا
J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 34-35.
H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 718-720.

وتمكن «شمشى ـــ أداد» الاول (١٨١٣ ـــ ١٧٨١ ق٠م) ـــ وهو زعيم أمورى من الاقوام التى سيطرت على الاوضـــاع السياسية فى معظم الدويلات البابلية التى قامت فى بداية العصر البابلى القـــديم ـــ تمكن «شمشى ـــ أداد» هذا من تأسيس أسرة جديدة فى بلاد أشور ، حوالى ١٨١٣ قبل الميلاد ، تمكنت من أن تحكم أشور بشكل مستقل ؛ حتى قضى على استقلالها الملك «حمورابى» ، وتشير النصوص المسمارية ـــ وخاصة تلك التى كشف عنهـــا فى مارى ، الى قوة شخصية «شمشى ـــ أداد» وحنكته السياسية ، حتى تمكن من تأسيس دولة سيطرت على المنطقة الشمالية والغربية من العراق القديم ، حيث قهر أقاليم مارى و «ترقا» ووادى الخابور ، ربما فى نهاية العقد الاول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وهكذا ضم الى دولته مملكة «مارى» ، وعين ولده الاصغر نائبا عنه فيها[١٩] ٠

هذا وكانت عـــلاقة الاشوريين وقت ذاك مع مملـــكة «قرقميش» (جرابلس الحالية) و «قطنة» ـــ وهى تل المشرفة الحالية ، على مبعدة ١٦ كيلا شمال شرق حمص[٢٠] ـــ علاقة ودية ، اتسمت بنشاط تجارى بين الفريقين ، غير أن العلاقات الاشورية مع مملكة «يمخد» ـــ وعاصمتها حلب ـــ انما كانت علاقات عدائية ، وذلك بسبب وقـــوف «يمخد» الى جانب ملوك مارى ضد الاشوريين ٠

وعلى أية حال ، فلقد تمكن «شمشى ـــ أداد» الاول من بسط نفوذه على المنطقة الشرقية من بلاد أشور ، كما قام بعدة حملات على القبائل الجوتية ، كما أقام علاقات ودية فى سنواته العشر الاخـــيرة مع الملك البابلى «حمورابى»٠ وربما اضطر الى أن يعترف بسلطانه فى أخريات أيامه ، وعلى أية حال ، فلقد روت نصوصه أنه تلقى فى عاصمته نينوى

---

(١٩) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٦ ـــ ١٢٧ ، وكذا
H. Lewy, in CAH, II, Part, 2, 1971, P. 712.

20) A. H. Gardiner, Onom I, 1947, P. 166.

— والتى أصبحت عاصمة أشور وقت ذاك ، ولأول مرة — جزى ملوك «توكريش» وملوك القطر الاعلى ، كما أقام نصبا باسمه فى منطقة لبنان (لا — آب — آ — آن) على شاطىء البحر الكبير (البحر المتوسط)، ومن ثم ، فاذا صحت روايته هذه ، فان توسعه انما يعد أقدم توسع أشورى فى بلاد الشام .

هذا وكان «شمشى أداد الاول» يظن فى نفسه أنه الخادم المختار للمعبود انليل — معبود مدينة نيبور — ومن ثم فقد شيد فى هذه المدينة، على أنقاض معبد قديم ، معبدا جديدا ، للاله انليل ، وقد أطلق عليه اسم «بيت الثور الوحشى لكل البلاد» ، كما أطلق على المدينة اسم «شوبات انليل» بمعنى «مسكن انليل» .

وجاء بعد «شمشى — أداد» الاول ، ولده «ايشمى داجان» الاول (١٧٨٠ — ١٧٤١ ق.م) ، والذى حكم قرابة أربعة عقود من الزمان ، غير أنه فشل فى الحفاظ على دولة أبيه ، ومن ثم فقد أنسلخت بعض الاقاليم عن سيطرته ، وعقد حلف بين مملكة «يمخد» و «اشنونا» ضده، هذا فضلا عن أن «حمورابى» انما كان يعمل وقت ذاك على توحيد جميع الدويلات العراقية فى دولة مركزية واحدة ، مركزها بابل ، ومن ثم فقد اصطدمت سياسته مع أشور وغيرها من الدويلات المستقلة ، وقد نجح، آخر الامر ، فى القضاء على استقلالها ، وضمها الواحدة بعد الاخرى الى حدود دولته[٢١] .

وكانت المرحلة الثالثة من العصر الاشورى القديم ابان خضوع أشور لبابل على أيام حمورابى ، وربما استقلت أشور عن بابل بعد وفاة حمورابى ، غير أن الامور كانت فيها مضطربة ، كما كانت حدودها

---

(٢١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٢ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٨ ، وانظر عن توحيد «حمورابى» للعراق القديم (أعلاه ص ٢٢٢ — ٢٢٨) . وكذا ANET, P. 274.

مقصورة على بلاد أشور الاصلية ، وظل الامر كذلك حتى اعتلاء «بوزور ـ أشور» الثالث العرش فى عام ١٥٢١ قبل الميلاد ، حيث يبدأ العصر الاشورى الوسيط[٢٢] .

٣ ـ العصر الاشورى الوسيط

تميز العصر الاشورى الوسيط ، والذى دام أكثر من ستة قرون (١٥٢١ ــ ٩١١ ق.م) بأحداث هامة وتغيرات سياسية وعسكرية واجتماعية وحضارية هامة كذلك ، فمن الضعف الى القوة ، ومن التدهور الاقتصادى الى الانتعاش والرفاهية ، ومن الجمود والركود الحضارى الى الازدهار ، ومن التبعية والاحتلال الى السيادة ، كما أن هذه الفترة من تاريخ العراق القديم انما تعاصر أحداثا هامة من تاريخ الشرق الادنى القديم ، فهى تعاصر فى مصر عصر الدولة الحديثة (عصر الامبراطورية المصرية) فى أعقاب طرد الهكسوس ، حتى انهيار الامبراطورية المصرية (١٥٧٥ ــ ١٠٨٧ ق.م) ، وهى تعاصر أيضا الامبراطورية الحيثية ، ثم هى تعاصر الكاشيين فى جنوب العراق الذين كثيرا ما نازعوا أشور السلطان .

هذا وكان من القوى الجديدة التى ظهرت فى هذه الفترة ، وأثرت كثيرا فى بلاد أشور ، قوة «الحوريين» ، وهم قوم من منطقة القوقاز ، انتشروا فى بلاد الاناضول وسوريا وأعالى ما بين النهرين وشرقى بلاد أشور ، وأقاموا دولة قوية هى «الدولة الميتانية» ، واتخذوا من مدينة «واشوكانى» (Washukkanni) عاصمة لهم ، وهى «تل الفخارية» (Tell - Fekheriya) الحالية، وقد استغلت الدولة الميتانية ضعف الامبراطورية الحيثية وانقساماتها الداخلية ، فمدت نفوذها على المناطق الواقعة فيما بين بحيرة «وان» (Lake Van) وأواسط الفرات ، ومن جبال زاجروس وحتى الساحل السورى ، وكانت بلاد أشور من المناطق التى وقعت تحت نفوذها وسيطرتها المباشرة ، ومع ذلك فلقد ذكرت قوائم الملوك

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

الاشوريين أسماء عدد من الملوك الذين حكموا فى بلاد أشــور فى فترة السيطرة الميتانية ، وربما كانوا ملوكا محليين تابعين الملوك الميتانيين المحتلين •

غير أن قوة الدولة سرعــان ما انتابهــا الضعف ، وانقسمت الى دويلتين ، الواحدة تسيطر على منطقة بحيرة وان ، والاخرى تسيطــر على بلاد أشور وأجزاء من سورية ، وقد استغلت أشور هذا الضعف واستقلت عن الميتانيين ، ثم تمكنوا بعــد فترة من القضاء على الدولة الميتانية وضم أراضيها الى الدولة الاشورية ، وقد تم ذلك على يد الملك « أشــور أوبلط » (١٣٦٥ — ١٣٣٠ ق٠م) الــذى انتصر على الملك «أرتاتاما الثــانى» (١٣٦٦ — ١٣٥٩ ق٠م) ، كمــا أعاد بنــاء الدولة الاشورية ، حتى غدت قــوة يحسب حسابها فى المنطقــة ، ثم سرعان ما عقــدت معاهدة مع بابل ، والتى كان يرى ملكهــا «بورنا بورياش الثانى» أن أشور من مواليه ، ولكنه اضطر فيما بعد أن يتقبل الوضع الجديد ، وأن يتزوج من ابنة «أشور أو بلط» التى أنجبت له «كدشمان خاربى» الذى تلاه على العرش البابلى ، غير أن ثورة قامت ضده أدت الى قتله ، ومن ثم تدخل جده «أشور أو بلط» فقضى على الثــورة ، وأقام حفيده الثانى الملك «كوريجالزو الثانى» مكانه على عرش بابل، كما أشرنا من قبل •

وأخيرا ، فان المؤرخين انما ينسبون الى «الملك أشور أو بلط» أنه أول من استعمل كلمة «أشور» مسبوقة بعلامة القطر ، اسما لدولته ، كما جاء ذلك على خاتم اسطوانى ، وأما الاسم القديم «سوبارتو» فقد أصبح مقصورا على جزء صغير من ميتانى فى شمال بلاد النهرين[٢٣] •

---

(٢٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٩ — ١٣١ ، عبد العزيز صالح : المرجع الســابق ص ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، نجيب ميخــائيل : المرجع السابق ص ٢٤٣ — ٢٤٥ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٣ — ١٧٥ ، ل٠ ديلابورت : المرجع السابق ص ٢٩٦ — ٢٩٧ ، محمد عبد القــادر : المرجع السابق ص ٢١٣ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 229, 233.

=

وجاء بعد ذلك على عرش أشور مجموعة من الملوك العظام ؛ عمل البعض منهم على توسيع سلطان الاشوريين الى جهات الشرق الادنى القديم ، فنشأت بذرة الامبراطورية الاشورية التى نمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان أول هـؤلاء الذين خلفوا «أشـور ـ أو بلط» الاول (١٣٦٥ ـ ١٣٣٠ ق٠م) الملـك «انليل ـ نرارى» (١٣٢٩ ـ ١٣٠٨ ق٠م) والملك «أدد ـ نرارى» الاول (١٣٠٧ ـ ١٢٧٥ ق٠م) والملك «شلمنصر الاول» (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق٠م)[٢٤] ٠ والذى يعد من أعظم الملوك الاشـوريين ، لاسيما فى ميدان الفتوحات الخارجية ، فلقد تميز عهده بالفتوحات العسكرية المتتالية على الاقوام الجبلية ، وعلى مملكة «أورارتو» (Urartu) (أرمينيا) ومملكة «خانى جلبات» (Khanigalbat) الميتانية التى ضمت أراضيها الى الدولة الاشورية وأما أهم أعماله العمـرانية فكان تأسيس مدينة «كالح» (كلحـو = كلخو = نمرود) ، واتخاذها عاصمة له[٢٥] ٠

وجاء على عرش أشور بعد «شلمنصر الاول» ولده «توكلتى نينورتا الاول» (Tukulti - Ninurta) (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق٠م) الذى اتبع سياسة أبيه فى حملاته العسكرية ، وتذمين حدوده الشمالية والغربية ، ومن ثم فقد امتدت معاركه شمالا بغرب حتى بحيرة «وان» (فـان) ، وغربا حتى مارى وقبائل الاخلامو ، التى قاتلتها من قبل جيوش أبيه ، هذا فضلا عن نهجه لسياسة تهجـير سكان الاقـاليم والبلدان المتمردة الى أماكن أخرى ، وهى السياسة التى سار على منوالها الملوك الاشوريين من بعده ،

J. Laessoe, Op. Cit., P. 82-92. =
Delaporte, Les Hittites, P. 93 F.

(٢٤) انظر هذه التواريخ (ليو أوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ص ٤٥٧ ـ ٤٦٢) ٠

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجـع السابق ص ٢٤٦ ، عبد العـزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ، وكذا

J M. Munn - Rankin, Assyrian Military Power, 1300-1200 B. C., in CAH, II, Part, 2 A, Cambridge, 1980, P. 279-284.

وأما بالنسبة الى بابل ، فلقد ساءت العلاقات بين الكاشيين والبابليين ، وانتهت الادور بسيطرة الاشوريين على بابل ، ودخولها تحت النفوذ الاشورى المباشر ، وذلك بعد هزيمة الملك البابلى «كاشتلياش الرابع» (Kashtiliash, IV) (١٢٤٢ — ١٢٣٥ ق٠م) ٠

وقد سجل الملك الاشورى نصره على بابل فى نقش جاء فيه «معتمدا على أشور وانليل وشمش ، الالهة العظمى ، سادتى ، وبمساعدة عشتار ، ملكة السماء والارض ، التى سارت على رأس الجيش ، وأجبرت كاشتلياش حاكم «كار — دونياش» (بابل) على القتال ، وهزمت كتائبه وقهرت جيشه ، وفى وسط المعركة قبضت يداى على كاشتلياش ، الملك الكاشى ، وداست أقدامى على رقبته الملكية كأنها مسند قدم ، وأحضرته أسيرا مقيدا أمام أشور ، سيدى ، ووضعت سومر واكد الى نهاية حدودهما تحت سلطانى» ٠ ومن ثم فقد انتحل الملك الاشورى «توكلتى نينورتا الاول» ألقاب «ملك كردنياش ، ملك سومر وأكد ، ملك سيبار وبابل ، ملك تلمون وملوخا» ، كما أقام لنفسه عاصمة جديدة أضفى عليها اسمه ، هى «كار — توكلتى — نينورتا» ، على مبعدة ٣ كيلا من مدينة أشور ، غير أن السنوات الاخيرة من حكم «توكلتى — نينورتا الاول» كانت غامضة ، وربما وقعت مؤامرة غامضة فى أشور ، حيث ثار عليه ولده وقتله(٢٦) ٠

وهكذا دخلت أشور فى فترة ضعف واضمحلال ، وتقلصت حدودها حتى أن الملوك الاشوريين لقبوا أنفسهم بلقب «ايشاكو» — بمعنى الحاكم — وقد شهدت هذه الفترة نهاية الاسرة الكاشية ، وقيام أسرة

---

(٢٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ ، وكذا

J. M. Munn, Op. Cit., P. 284-288.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 97.

G. Roux, Op. Cit., 243-244.

S. Smith, Early History of Assyria, London, 1928.

G. Dossin, in Iranica Antiqua, II, 1962, P. 149 F.

جديدة فى بلاد بابل هى «أسرة ايسين الثانية» ، وانتهزت بابل الفرصة وثارت على السلطة الاشورية ، ولم تكتف بنيل استقلالها ؛ وتخلصها من النفوذ الاشورى ، وانما فرضت نفوذها على أشور حينا من الدهر ، هذا فضلا عن استرادها لكرامتها الدينية باسترداد تمثال معبودها الاكبر «مردوك» ، وان قنعت بهذا النصر ، لتقى أطرافها الجنوبية من العيلاميين[٢٧] •

على أن الامور سرعان ما تتغير فى عام ١١١٥ قبل الميلاد ، عندما يعتلى عرش أشور الملك «تجلات بلاسر الاول» (Tiglath - Pileser, I) (١١١٥ — ١٠٧٧ ق•م) — أول ملك أشورى يقود جيشه حتى البحر المتوسط (مع الاخذ فى الاعتبار أن محاولة «شمشى أداد الاول» مازالت فى مرحلة الحدس) — وأيا ما كان الامر ، فلقد نجح «تجلات بلاسر الاول» فى القضاء على الاخطار المحدقة بالدولة الاشورية ، كأقوام «المشكو الفريجيين» التى كانت تتدفق بمجموعات كبيرة من آسيا الصغرى ، فضلا عن القبائل الجبلية التى كانت تمدها بالعون ، ومن ثم فقد مد حدوده حتى بحيرة «وان» (فان = Van) ، كما ضم الى مملكته بلاد الارمن ، وفى نفس الوقت ، فلقد استطاع «تجلات باسر الاول» أن يقضى على أخطار المدن السورية التى كانت تعرقل التجارة الاشورية ، وعلى القبائل الارامية التى كانت تغير على حدوده الغربية ، بل ان الرجل انما نجح كذلك فى أن يستولى على بابل نفسها ؛ وعلى بعض المدن الشمالية الكبرى مثل «دوركوريجالزو» و «سيبار شمش» و «سيبار — أنونيتوم» و «أوبس» ، ورغم ذلك فان أشور لم تقض على بابل أو تعاملها معاملة الاعداء المهزومين •

وانطلاقا من كل هذه الانتصارات ، فلقد زعم لنفسه عدة أوصاف وألقاب ، فوصف نفسه بأنه «الملك الحق لوجال كالاجا» (وفى الاكدية :

---

(٢٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ •

شاروداتو) ، ملك العالم ، ملك أشور ، ملك الاطراف الاربعة ، البطل الهمام ، المؤيد بوحى أشور ونينورتا ، والارباب الكبار سادته ، الذين دحروا أعداءه» .

ثم يقول «قهرت يداى من خلف نهر الزاب الاسفل ، حتى النهر الشمالى الذى يقع الى الشمال ، ثلاث مرات سرت ضد بلاد نيرى ، وجعلت ثلاثين ملكا من نيرى يسجدون عند قدمى ، وأخذت منهم أسرى، وتسلمت منهم خيلا ، وفرضت عليهم جزية وهدايا ، ثم سرت الى لبنان وقطعت أشجار الارز لمعبدى «أنو» و «أداد» الالهين العظيمين ، سيدى، وجئت به ، واتجهت الى بلاد أمورو ، واستوليت على جميع بلاد أمورو ، وتسلمت جزية جبيل وصيدا وأرواد» ، وفى «سيميريا» ركب العاهل الاشورى «بحر أمورو العظيم» (البحر المتوسط) ، ثم اتجه الى البر ، وقتل فى طريقه «حصان البحر» أو «درفيلا» ، كما اصطاد بعض من أمراء وحكام بلاد النهرين الثور البرى فى جبال لبنان[٢٨] .

هذا وقد انفسح المجال أمام أشور فى هذا الوقت نتيجة ظاهرتين، الواحدة : انكماش القوة المصرية الضاربة ، بعد كفاحها العنيف مع شعوب البحر[٢٩] ، ونتيجة لمشاكلها الداخلية ، وانكماش نفوذها بالتالى فى شمال شورية ، والاخرى : خمود حمية شعوب البحر،خلفاء الحيثيين فى آسيا الصغرى ، وزوال هيبتهم من نفوس جيرانهم،وترتب

---

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٧ ، فيلب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٥٠ ، لبنان فى التاريخ ص ١٧٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op Cit., P. 275.

D. D. Luckenbill, ARAB, I, 1968, P. 300 F

J. Lewy, in HUCA, 19, 1946, P. 476

ARAS, I, 1927, Parag. 302.

(٢٩) انظر عن شعوب البحر (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٥ - ٢٤٣ ، مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٧٣ - ٣٨٤) .

على هاتين الظاهرتين ، أن زعمت حوليات «تجلات بلاسر الاشورى» أن أشور وأربابه العظام منحوه البأس والسلطان ، وأوحوا اليه بأن يعمل على توسيع حدود أرضهم ، ومن ثم فقد أخضع اثنين وأربعين شعبا ، وحارب ستين ملكا وانتصر عليهم ، وأنه قد هاجم أرض «نابيرى» (فى أرمينيا ؟) وأجبر أمراءها الثلاثين على أن يسجدوا عند قدميه ، واحتجز أبناءهم رهائن عنده ، وأنه بلغ جبال لبنان ، وغزا أرض أمو و ، وتلقى جزى جبيل وصيدا وأرواد ، ثم هاجم أرض خاتى الكبرى ، وفرض الجزية على ملكها «ايل تشوب» ، وغزا الصحراء بخيله ورجاله ، وبعون من ربه أشور ، وهاجم «الاخلامو — الاراميين»[30] ، من أرض سوخى حتى قرقميش ، وأسر منهم وقتل ونهب ، وانتصر على ست مدن من مدنهم على سفح جبل بشرى ، وحرقها ودمرها ونقل غنائمهم الى أشور ، وهاجم فى نهاية حكمه «الاخلامو — الاراميين» ثماني وعشرين مرة ، بحيث عبر الفرات مرتين فى عام واحد ، وتغلب عليهم من «تدمر»[31] فى أرض «أمورو» و «عنات» فى أرض سوخى ، حتى مدينة رابيقو فى كاردونياش (بابل ؟) ، وقد جرب حظه مع بابل نفسها ، فانهزمت جيوشه أمام جيوش ملكها «مردوك — نادين — آخى» حينا ، وانتصرت عليه حينا آخر ، ودخلتها لأمد قصير[32] .

ومن البدهى أن حوليات «تجلات بلاسر الاول» لم تخل من ادعاء واضح فى تعداد الشعوب التى أخضعها ، والتى قد لا يزيد أغلبها على مدن وقبائل متفرقة ، وفى تأكيد انتصاراته المستمرة ، على الرغم من أن تعدد حروبه مع جماعات بعينها ، مثل جماعات الاراميين ، انما يدل

---

(٣٠) انظر عن «الاخلامو ـ الاراميين» (محمد بيومى مهران : بلاد الشام ـ الاسكندرية ١٩٩٠ ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠) .

(٣١) انظر عن «تدمر» (محمد بيومى مهران : تاريخ العرب العرب القديم ـ الرياض ١٩٧٧ ص ٥٣٣ ـ ٥٤٠) .

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ ، وكذا
D D. Luckenbill, Op. Cit., P 271, 287, 300 F.

على عجزه عن الوصول الى نتائج حاسمة معهم ، غير أن هذه الحوليات، لم تخل فى الوقت نفسه من أهمية تاريخية فى تصوير مناطق انتشار الارامي‍ين بين قرقميش وتدمر وبابل ، ولم تخل من دلالتها على خطة رسمت طريق التوسع الاشورى بعد عهده ، فى جنوب شرق آسيا الصغرى ولبنان وشمال سورية ، اشباعا لشهوة المجد ، والافادة من أخشابها ، وضمان تنفيذ موانيها التجارية لرغبات أشور ، أو على الاقل ، لضمان تعاملها معها ، وان كان «تجلات بلاسر» قد عبر عن هذا الضمان بتلقى جزاها ، وكانت سياسته فى معاقبة أعدائه نبراسا متواضعا للمعاملة الاشورية حين بلغت عنفوانها ، فكررت حولياته أنه حرق مدنا ، وشرد أهلها وقطع رؤوس زعمائها وعلقها على أسوارها واعتبر أبناء المستسلمين له رهائن عنده[٣٣] .

وعلى أية حال ، فان أعمال «تجلات بلاسر الاول» لم تكن مقصورة على الحروب فحسب ، وانما شملت كذلك مشاريع عمرانية ، لعل من أهمها تعمير العاصمة الاشورية القديمة «أشور» التى انتقل اليها ، واتخذها عاصمة لامبراطوريته ، هذا فضلا عن تجديد أسوار «نينوى» التى هدمت،كما بنى — أو بنى له رجاله — قصرين ، فيما بين سورية والعراق ، الواحد فى «تل برسيب» (تل أحمر) ، على الضفة الشرقية للفرات جنوبى قرقميش ، والاخر فى «خادانو» (أرسلان تاش) ، على مقربة من تل برسيب وقرقميش ، وزخرفوا جدران القصرين برسوم حروبه ورحلات صيده وأساطير قوته ، وتأثروا فيها الى حد ما بالاسلوب السورى ، كما ذكرت نصوصه أنه أمر باستيراد نباتات جديدة لتزرع فى بساتينه ، واستيراد قطعان من الماعز الجبلى لتنطلق فى ساحات الصيد والقنص المخصصة له[٣٤] .

---

(٣٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ .

(٣٤) طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٧ ، هنرى عبود : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ل. ديلابورت : المرجع السابق ص٣٠٠— ٣٠١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ ، وكذا

J. Laessoe, Op. Cit., P. 57.

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 464.

غير أن فترة الانتعاش والقوة العسكرية هـذه ، سرعان ما انتهت باغتيال «تجلات بلاسر» الاول ، وبالتالى فقد دخلت أشـور ثانية فى فترة ضعف وارتباك سياسى واقتصـادى ، دامت حتى نهـاية العصر الاشورى الوسيط فى عام ٩١١ قبل الميلاد •

٤ ـ التشريعـات الاشـورية

عثرت البعثة الالمانية فى حفرياتها فى مدينة «أشور» فى الفترة(١٩٠٣ــ ١٩١٤م) على لوحات تشريعية نسخت على الطين (Clay Tablets) وليس على لوحة حجرية (Stela) لتشريعات جمورابى ـ ترجع الى أيام الملك الاشورى «تجلات بلاسر» الاول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق•م) • وان ردها البعض الى ما قبل عهده بزمن طويل ، وربما الى أواسـط الالف الثانية قبل الميلاد ، وردها فريق ثالث الى الفترة فيما بين عامى ١٤٥٠ ـ ١٢٥٠ ق•م،ومن ثم فهى تعود الى العهد الاشورى الوسيط •

وهناك مصادر أخرى للتشريعات الاشورية ـ، جاءتنا من الوثائق والمستندات القانونية التى وجدت كذلك فى أشور ـ وتشبه لغة القوانين الاشورية من هذا العهد الوسيط ، لغة السجلات الملكية التأريخية،ولكنها غفل من أية اشارة أو دلالة الى معرفة مقننها أو مشرعها ، ولكن يستنتج منها أن أحكامها كانت سارية فى مدينة أشور ومجاوراتها،وهى ـ بحالتها التى وصلتنا بها ـ لا تؤلف قـانونا كاملا ، أو وحدة قانونية ، مثـل قانون حمورابى ، وموادهـا لا تكمل بعضهـا البعض الاخر ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مواد القانون الاشورى لم تكن فى الاصـل سوى قرارات أو أقضية سابقة صدرت بخصوص قضايا معينة ، فدونت وصيغت بهيئة مواد قانونية •

وعلى أية حـال ، فالمعـروف أن المكتشف حتى الان من القوانين الاشورية انما هو جد قليل ، لا يتفق وشهرة الدولة الاشورية وانجازات ملوكها ، ويرجح البعض أن ذلك انما كان بسبب اعتماد الاشوريين على

القوانين السابقة — وخاصة قانون حمورابى — وآية ذلك اكتشاف استنساخ لفقرات من قانون حمورابى فى مكتبة الملك «أشور بانيبال» الشهيرة ، كما أن المجموعة القلية المعروفة لنا من القوانين الاشورية انما تتفق فى أحكامها مع القوانين البالية التى سبقتها بنحو ألف عام ، هذا فضلا عن انهماك الملوك الاشوريين فى الشئون العسكرية والعمرانية التى شغلتهم الى حد ما ، عن شئون الادارة والتنظيم ، ومنها اصدار القوانين ، الى جانب أن الاشوريين انما قد حكموا امبراطورية واسعة ضمت شعوبا وأمما مختلفة ، ذات ثقافات وأفكار وعادات متباينة،الامر الذى يتعذر معه ، الى حد ما ، ايجاد المبادىء القانونية التى يمكن أن تجتمع عليها شعوب الامبراطورية •

ومع ذلك كله ، فهناك مجموعتان رئيسيتان من القوانين الاشورية، الواحدة ترجع الى العهد الاشورى القديم (حوالى ٢٠٠٠ — ١٧٥٠ ق•م) ، وقد عثر عليها فى المستوطنة التجارية الاشورية فى «كانش» (كول تبة) فى آسيا الصغرى ، وهى مواد ترتبط بقضايا الشئون الاقتصادية ، وخاصة التجارية ، ورغم أنها لم تكتشف فى أشور ، غير أن طبيعة النصوص ، فضلا عن لغتها ، انما تشير الى أنها من نفس القوانين التى كانت تسود أشور•

وأما المجموعة الثانية ، فهى التى كشف عنها فى مدينة أشور فى الفترة (١٩٠٣ — ١٩١٤م) ، كما أشرنا آنفا ، وقد تعرضت هذه القوانين لما تعرضت له القوانين السابقة من شئون الاسرة وأمور البيع والشراء والقروض والرهون والاعتداء على الغير — أدبيا وماديا — وأنها قد سخرت كثيرا من العقوبات العامة والخاصة لصالح الدولة ، ومن ثم فقد سخرت المذنبين فى أعمال الملك (مشاريع الدولة) لفترا تتراوح بين عشرين وأربعين يوما ، وهددت بالخصى والاعدام على الخازوق فى بعض عقوباتها ، وأجازت رهن أفراد الاسرة ضمانا للديون ، وحرمت

الاشتغال بالسحر ، وجعلت عقوبته الاعدام ، ولأمر ما جعلت أمــور النساء محورا لعدد كبير من بنودها ، وأساءت الظن بهن الى حد كبير.

وهكذا قضت على زوجة الرجــل الحر ، سارقة المعبــد ، أن ترد المسروقات ، وأن ينفذ فيها قضاء الله المعبد (مادة ١) ، وأما اذا جدفت أو تدخلت فى حديث لا رابطة له ، فانها تتحمل العقوبة وحدها ، ولا وزر على زوجها أو أولادها (مادة ٢) ، واذا سرقت امرأة من بيت زوجها المريض أو الميت ، وسلمته الى رجل آخر ، فانهما يعدمان ، أما اذاكان زوجها حيا ، فعلى الزوج أن يقيم الاتهام ، وله أن يوقع عليها العقوبة المناسبة (مادة ٣) وأما اذا تسلم المسروقات من الزوجة عبدا أو أمة ، يقطع أنف العبد أو الامة ، وتصلم أذناهما ، عوضا عن المسروق ، كما يصلم الزوج أذنى زوجته ، أو يعفو عنها ، وعندئذ يشمل العفو العبد أو الامة ، ولا ترد المسرقات ولا يعوض عنهــا (مــادة ٤) ، وأما اذا سرقت الزوجة من بيت رجل آخر شيئا يزيد قيمتــه عن ٥ مينــا من الرصاص ، فلزوجها حرية افتدائهــا ، على الا يصلم أذنيها ، فاذا لم يرغب زوجها فى افتدائها ، فان صاحب المسروقات يأخذها ويقطع أنفها (مادة ٥) ، كما نصت القوانين على أنه اذا كان للزوجة وديعة بالخارج فان مستلم الوديعة يعتبر سارقا (مادة ٦) ، وقضت على من تضع يدها على مواطن بتغريمها ٣٠ مينا من الرصــاص ، وجلدها عشرين عصــا (مادة ٧) فاذا أصابت خصيته قطعوا اصبعها ، واذا أضرت الخصيتين فقأوا عينيها الاثنتين.

وقضت الشرائع على من يضع يده على زوجة آخر ، وعاملها كمــا يعامل الطفل ، فانهم عند مطاردته واتهامه يقطع أحد أصابعه ، فان كان قد قبلها تسحب شفته السفلى بحد سلاح بلطة وتقطع (مادة ٩) ، وأما اذا دخل رجل وامرأة بيت رجل آخر ، وقتلا ، أو قتل أحدهما رجلا أو امرأة ، فان القتلة يسلمون الى «سيد الحياة» ، وله أن يحكم بالاعدام أو العفــو ، بشرط الاستيلاء على ما يملك أو تملك ، فاذا لم يكن لدى

القاتل ، أو القاتلة ، ما يؤخذ منه ، فعندئذ يخصى ابنه أو ابنته (مادة ١٠) •

ونصت المادة (١٢) أنه اذا أمسك رجل بسيدة تسير فى الطريق ، وراودها عن نفسها ، فرفضت ودافعت عن نفسها ، ولكنه اغتصبها عنوة، يعدم ، ولا لوم على المرأة ، وأما اذا تركت امرأة بيت زوجها وترددت على بيت رجل آخر ، فان اضطجع معها ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقتل كلاهما (مادة ١٣) وأما اذا اضطجع معها فى ماخور المعبد أو فى الطريق ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقضى عليه بمثل قضاء الزوج فى زوجته ، فاذا لم يعلم أنها زوجة ، فلا جريمة على الزانى ، وللزوج أن يوقع العقوبة التى يراها على زوجته (مادة ١٤) وأما اذا ضبط رجـل رجلا آخر مع زوجته ، وأثبت الاتهام ، يعدم الاثنان ، وأما اذا جىء بالزانى الى حضرة الملك أو أمام القضاة وثبت الاتهـام ، فيحكم على الزانى بما يحكم زوج المرأة عليها ، فان قتلها قتل ، وان صلم أذنيها ، خصى وشوه وجهه ، وان عفا عنها عفى عنه (مادة ١٥) ، وأما اذا كان الفعل برضى الزوجة ، فـلا لوم على الزانى ، وللزوج أن يوقع على زوجته العقوبة التى يراها ، أما اذا زنى بها عنوة ، فان عقـوبته عند رفع الدعوى واثبات الاتهام تكون مماثلة لعقوبة الزوجة (مادة ١٦) •

وقضت المادة (١٧) باختبار النهر على من يتهم امرأة رجـل آخر بالزنى مع كثيرين ما لم يثبت ذلك بشهود ، وأما اذا قال ذلك سرا لجاره، وزعم أنه لديه على ذلك شهودا ، فان لم يفعل يجلد أربعين جلدة بالعصا ثم يسخر شهرا فى عمل الملك ، ثم يخصى ويدفع غرامة وزنة من النحاس (مادة ١٨) ، وأما اذا اتهم رجلا بأنه مأبون ، توقع عليه نفس العقوبة، ويزيد الجلد الى خمسين (مادة ١٩) ، وأما اذا اضطجع رجل مع جاره وأقيمت عليه الدعوى وأثبت الاتهام ، فانهم يضطجعون معه،ثم يخصى (مادة ٢٠) •

ونصت الشرائع على أن من يتسبب فى اجهاض ابنة رجل آخر ،

يدفع وزنتين وثلاثين مينا من الرصاص ، ثم يجلد خمسين جلدة بالعصا، ويسخر شهرا فى خـدمة الملك (مادة ٢١) ، وأن من يدفـع امرأة الى الدعارة ، وهو لا يعلم أنها زوجة ، ويقسم على ذلك ، يدفع وزنتين من الرصاص الى زوجها ، فان كان يعلم أنها زوجة ، يدفع التعـويض ، ويقسم على أنه لم يضاجعها ، فاذا أقرته المرأة على ذلك ، فانه بعد دفع التعويض يؤخذ الى النهر ، فان عاد منه يعامل نفس المعاملة التى عامل بها الرجل الاخر زوجته (مادة ٢٢) •

ونصت المادة (٢٣) انه اذا أخذت زوجة رجل زوجة رجل آخر الى بيتها ، وسلمتها الى رجل ليضطجع معها ، وكان الرجل يعرف أنها زوجة رجل ، يعامل كمن يضطجع مع زوجة ، وتعامل صاحبة البيت كزانية ، ومع ذلك اذا لم يوقع الزوج عقوبة على زوجته الزانية ، فلا عقوبة على الزانى ، ولا على صاحبة البيت ويطلق سراح الزانى ، أما اذا كانت الزوجة لا تدرك الموقف ، وأن صاحبة البيت أتت بالرجل عن طـريق الحيلة واضطجع معها ، فاذا أعلنت عند خروجها من البيت أنها أغتصبت يطلق سراحها ، ويقتل الزانى وصاحبة البيت ، أما اذا لم تعلن الزوجة أنها أغتصبت ، يوقع عليها زوجهـا العقوبة التى يراها ، ويقتل الزانى وصاحبة البيت ، وقضت المـادة (٢٤) انه اذا شردت امرأة من بيت زوجها الى بيت رجل عادى (أشورى) ، وبقيت معه ثلاثة أيام ، كان لزوجها أن يشـوه أذنيها أو يعفو عنها ، وأن يطـالب بصلم أذنى من آوتها ، وتغريم زوجها ان كان شريكا لها بغرامة كبيرة •

ونصت المادة (٢٥) أنه اذا مـات زوج امرأة ، وليس لها ولد ، وكانت تعيش فى بيت أبيها ، ولم يقسم أخوتها التركة بعد ، فـان من حقهم أن يستردوا على الحلى التى منحها زوجها اياها ، وأن يقيمـوا دعوى لاسترداد ما بقى ، وليس هناك ما يكرههم على الالتجاء لأختبار النهر أو اجراء القسم ، أما اذا كانت المرأة تعيش فى بيت أبيها ، ومات زوجها ، وكان لهـذا الزوج أولاد ، فانهم يأخـذون الحلى التى كان

زوجها قد أعطاها اياها ، فاذا لم يكن له أولاد ، فانها تأخذ الحلى لنفسها (مادة ٢٦) ، أما اذا كانت المرأة تعيش فى بيت أبيها ، ويتردد عليها زوجها ، فان منحة الزواج التى كان زوجها قد منحها اياها ، يستطيع أن يستردها ، ولكنه لا يمس متعلقات بيت أبيها (مادة ٢٧) .

واعتبرت الشرائع الزوجة متضامنة مع زوجها فى ديونه وأخطائه وجرائمه (مادة ٣٢) ، ونصت المادة (٣٣) على أن المرأة التى مات زوجها ، وهى تعيش فى بيت أبيها ، فان كان لها أبناء بقيت معهم حيث تشاء ، فاذا لم يكن لها أبناء فمن حق والد زوجها أن يتزوجها هو أو يزوجها لأحد أبنائه ، فاذا كان زوجها أو أبوه ميتين ، وليس لها ابن ، تصبح أرملة ، وتذهب حيث تشاء .

وقضت الشرائع على زوجة المحارب الغائب أن تنتظره خمس سنوات ، فاذا كان لها أولاد ينفقون عليها استمرت فى عصمته (مادة ٣٦) أما اذا علمت بأسره ، فعليها أن تنتظره عامين فقط ، على أن يكفل القضاء لها ما تتعيش به — ان كانت غير ذات ولد — سواء من ايجار أرض زوجها أو داره ، أو معاشات القصر الملكى ، ثم يسمح لها بالزواج من آخر ، على أن يستردها زوجها الاول ، ان عاد من الاسر (مادة ٤٥) .

وقضت الشرائع على من يغتصب فتاة بكرا بغير رضاها ، بتجريده من زوجته ، وتسليمها الى والد الفتاة لينكحها من يشاء ، وبأن يسلمه المعتدى مهر البكر ، فان شاء بعد ذلك زوجها له ، وان شاء زوجها لغيره (مادة ٥٥) ، وأما اذا كانت العذراء قد أسلمت نفسها لرجل ، يقسم الرجل بذلك ، فلا تمس زوجته ، ويعطى مغويها الثلث الاضافى فضة ثمنا للعذرية ، ويعامل الاب ابنته على الصورة التى يرضاها (مادة ٥٦) .

وجعلت التشريعات للزوج ولاية كاملة على زوجته ، وسمحت له بأن يعفو عنها ، اذا أخطأت أو يطبق عليها بنفسها العقوبات البدنية التى فرضها القانون على مثل حالتها ، فاذا كانت هذه العقوبات مما يسبب

عاهات دائمة ، مثل فقء العين أو صلم الاذنين أو الجلد المبرح ، نفذها أمام القضاة ، وبحضور موظف مسئول ، فاذا أتت أمرا لم يتناوله القانون ، جاز له أن يحلق شعرها أو يعرك أذنيها ، دون عقاب (مواد ٥٧ — ٥٩) •

وسمحت الشرائع لوالد الخطيب الذى فقد ولده بأن يزوج خطيبته لأحد أولاده الاخرين الذين بلغوا العاشرة ، أو أحد أحفاده من خطيبها المفقود ، ولا يحق له أن يزوجها بولد دون العاشرة ، الا برضى أبيها (مادة ٤٣) ، وسمحت للارامل من غير ذات الولد بأن تتزوج الواحدة من أحد أبناء زوجها (من زوجة أخرى ؟) (مادة ٤٦) •

وأصرت الشرائع على خروج الحرائر محجبات من الرأس الى القدم ، لاسيما اذا خرجن وحدهن ، وعلى أن تسلك الجوارى سبيلهن، اذا اصطحبن سادتهن ؛ وأعفت من الحجاب الكاهنات اللائى وهبن عفافهن للمعبد ، ولم يتزوجن ؛ وحرمته على العاهرات والاماء تمام التحريم ، فاذا أتينه جردن من ثيابهن ، وضربن بالعصا ، وصب القار على رؤوسهن ، وأوجبت على المواطنين فى هذه الحالة أن يقبضوا عليهن محجبات ؛ ويشهدوا عليهن ، وتوعدت من يتغاضى عن ذلك بجلده وتسخيره وثقب أذنيه (مادة ٤٠) ، واشترطت لحصانة المخلية أن يشهد سيدها خمسة من جيرانه أو ستة ، على أنها أصبحت زوجته ، وحينئذ يحق لها أن تتحجب ، ويحق لابنائها أن يرثوا فى اقطاعيته (مادة ٤١)•

ولم تهمل التشريعات جانب المعبودات ، فقضت على من تثبت عليه البينة بالتجديف وسب المعبد بضربه أربعين عصا ، وقضت على من يتهم آخر بهذه الخطيئة ويعجز عن اثباتها بنفس العقاب البدنى ؛ مع تسخيره فى أعمال الملك شهرا •

واعترفت التشريعات برهن أفراد الاسرة فى دين ، ولكنها حرمت على الدائن أن يزوج ابنة مدينه الرهينة ، دون موافقة أبيها ، فان مات

أبوها وانتقلت ولايتها الى اخوتها ، يستطيع هؤلاء أن يحرروهـا من الدين خلال شهر ، والا جاز للدائن أن يزوجها بمن يشاء ، أو يبيعها اذا جاء ذلك فى نصوص الدين ، ولكنها حرمت عليه أن يبيع الرهينة قبـل نفاذ الاجل ، وقضت عليه بالضرب والسخرة والغرامة وفقد دينه ، ان فعل ، فان ماتت الرهينة عنده ميتة غير طبيعية ، عوض أهلها عنها بمثلها (مواد ٣٩ ، ٤٨) .

واشترطت فى البيوع العقارية أن يعلن المنادى عن العين المبـاعة ثلاث مرات خلال شهر ، حتى يتسنى لاصحـاب الحقوق أن يسجلوا حقوقهم لدى المسجل الحكومى خلال هذا الشهر ، فان خلت العين من الالتزامات ، وجب تسجيلها فى حضرة ممثل ملكى — أو وزير — وكاتب المدينة والمسجلين والمنادين ، اذا تمت الصفقة فى العاصمة ، أو أمـام عمدة أى بلد آخر ، وثلاثة من أعيانها .

واستمرت التشريعـات فى أحكام أخـرى كانت لها أشباههـا فى التشريعات القديمة ، لاسيما فى شئون المواريث والايجـارات والعمل وما اليها(٣٥) .

---

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٧ — ٥٠٩ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم — الجزء السادس — الاسـكندرية ١٩٦٧ ص ٨٢ — ٩٣ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٩ — ٣٠١ ، رضا جواد الهاشمى : القانون والاحوال الشخصية — حضارة العراق — الجزء الثانى ص ٨٢ — ٨٤ ، ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ٣٥٨ — ٣٦١ وكذا

T.J. Meek, The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966, P. 180-188.
E. F. Weidner, in AFO, 12, 1937, P. 50 F.
G. R. Driver and J. C. Miles, The Assyrian Laws, Edited With Translation and Commentary, 1935.

الفصل الثاني

عصر الامبراطورية

عصر الامبراطورية

يقسم المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية ـ والذى امتد ثلاثة قرون (٩١١ ـ ٦١٢ ق٠م) ـ الى عصرين ، الواحد : عصر الامبراطورية الاولى ، ويشمل الفترة (٩١١ ـ ٧٤٥ ق٠م) ، والثانى : عصر الامبراطورية الثانية ، ويشمل الفترة (٧٤٥ ـ ٩١٢ ق٠م) ، وان امتد رسميا حتى عام ٦٠٩ ق٠م ٠

أولا : عصر الامبراطورية الاولى

(أ) اداد ـ نيرارى الثانى (٩١١ ـ ٨٩١ ق٠م)

يبدأ المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية الأولى بالملك «أداد ـ نيرارى الثانى» (٩١١ ـ ٨٩١ ق٠م) Adad - nirari, ، والذى قام بحملة الى الارضين الواقعة جنوب الزاب بغية تثبيت مركز الدولة الاشورية عليها ، وضمان أمن وسلامة الطرق التجارية القادمة من الجنوب ، فضلا عن اشعار سكان المنطقة وسكان بلاد بابل باستعادة الدولة الى أيام قوتها السابقة ، وقد حققت الحملة أهدافها ، وتمت السيطرة على مدينة «المربخا» (كركوك الحالية) وجعلت منها مقاطعة آشورية ٠

هذا وقد عمل «أداد ـ نيرارى ـ الثانى» على تأمين حدوده الجنوبية ، الامر الذى اضطره الى اشعال الحرب ضد بابل مرتين ، غلبتها جيوشه فى المرتين ، ثم عقد معها معاهدة حدودية ، اعترفت فيها بابل بسيادته على أرض السواد ، من الخابور فى الغرب ، الى ما يجاور بغداد فى الجنوب الشرقى ، ثم اتجه بعد ذلك نحو الغرب ، لاسترجاع الاشراف الفعلى لدولته على تخومها الغربية ، حول نهرى الفرات والخابور ، حيث كانت القبائل الارامية ـ والتى وصفت فى النصوص الاشورية بأنهم أهل برارى ـ قد اقتطعت ـ هى وحلفاؤها ـ أجزاء من الاراضى الاشورية ، وسيطرت عليها ، ومن ثم فقد قام «أداد ـ نيرارى» ـ بحملة عليها وأخضعها ، وأعاد لاشور حدودها القديمة ،

كما استولى على عدد من المدن على طول نهر الفرات ، ثم توجه شمالا حتى وصل الى المنطقة التى كانت تعرف بمملكة «خانى جلبات» وتمكن من القضاء عليها ، وأسر أميرهـا ، وضم أراضيها الى حـدود الدولة الاشورية[1] •

(٢) توكلتى ـ نينورتا الثانى (٨٩٠ ـ ٨٨٤ ق•م)

جاء «توكلتى ـ نينورتا الثـانى» (٨٩٠ ـ ٨٨٤ ق•م) (Tukulti - Ninurta, II) على عرش أشور بعد أبيه «أداد ـ نيرارى الثانى» ، وقد وجه همته لاقامة الحصون على الحدود ، حيث وضع حاميات قوية، عنى بأن تسيطر على المنافذ المختلفة الى الشمال والغرب ، حتى يضمن طرق التجارة عبر طوروس والى سورية ، وحتى يأمن تسرب لا تؤمن عواقبه •

هذا وقد نهج الرجل نفس السياسة التى انتهجها أبوه من قبل ، فبدأ بحملـة عى بلاد «نائـيرى» فى الجنـوب الغـربى من بحـيرة «وان» (فان Van) وأخرى الى المنطقة التى تقـع فيما بين الزابين ـ الاعلى والاسفل ـ وثالثة الى بلاد بابل ، حيث وصـل الى «دور كوريجا لزو» و «سيبار» دون معارضة تذكر ، وقد استمر فى زحفـه غربا فشمالا ، حتى وصل نهر الخابور ومنطقة نصيبين ، وأخيرا قـام بهجوم على منطقة «مشكو» (مشكى ـ Mushki) فى آسيا الصغرى ، وهكذا كانت آشور ـ عنـد وفاته ـ تشمل كل شمـال العراق ، من الخابور حتى زاجروس ، ومن نصيبين حتى عنات وسامرا[2] •

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١١ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ، وكذا

D. D. Luckenbill, ARAB, I, 1926, Parag. 355-360.

G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 263.

J. A. Brinkman, Op. Cit., P. 181.

(٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، طـه باقر : المرجع السابق ص ١٨١ ـ ١٨٢ ، وكذا =

(٣) أشور ناصر بال الثانى (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق٠م)

وجاء على عرش آشور بعـد «توكلتى ـــ نينورتا الثـانى» ولده «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ ـــ ٨٥٩ ق٠م) (Ashurnasirpal, II) وفى الاكدية (Assur - Nasir - apli) ، بمعنى «الاله أشور يحمى ولده ووريثه»[٣] ، وقد تميز عهده بازدهار حضارى وتفوق عسكرى ، حيث تشير النصوص المسمارية الكثيرة التى تركها لنا الى النشاط العسكرى الكبير الذى شغل النصف الاول من حكمه ، ورغم أن جزءا كبـيرا من أخبار هذا النشاط قد فقد ، فان ما عثر عليه مدونا على ألواح فى معبد «نينورتا» فى مدينة «كالح» (نمرود) انما يلقى كثيرا من الضـوء على الحمـلات العسكرية التى قام بها العـاهل الاشورى ، وان دل ـــ فى الوقت نفسه ـــ على قسوة بالغة اشتهرت بها حروب الاشوريين ، وقد كتب مؤرخه يصف ـــ مثلا ـــ سقوط مدينة «كينابو» التى كان يحكمها «هولاى» ، «لقد قتلت ٦٠٠ من العساكر بحد السيف ، وأحرقت بالنار ثلاثة آلاف أسير ، ولم أبق على أحد منهم حيا ليصبح رهينة فى يدى ، وقد وقع أمير المدينة أسيرا فى يدى ، لقد كومت جثثهم حتى صارت فى علوها ، وكأنها برج ، وأحرقت فتيتهم بالنار ، وأما الملك فلقد سلخته وعلقت جلده على جدار مدينته دامداموسا ، وأما المدينة نفسها فقـد دمرتها وحرقتها بالنار»[٤] ٠

والواقع أن الاشوريين ـــ كما صوروا أنفسهم ـــ انما كانوا أشرس الشعوب الشرقية القديمة فى معاملة أعدائهم ، وهكذا ـــ وكما رأينا من

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 400-430.
G. Roux, Op. Cit, P. 263. =
A. Dupont - Sommer, Les Arameens, Paris, 1949, P. 18, 31.
W. Schramm, Die Annalen des Assyrischen Konigs, Tukulti - Ninurta, II, Bi. Or, XXVII, 1970, P. 147-160.

3) J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 99, No. I. G. Roux, Op. Cit., P. 267, No. I. وأنظر

(٤) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ ٠

النص السابق — فلقد صبغت نصوص هذا الفاتح الاشورى انتصاراته بطابع القسوة الشديدة ، فتحدثت عن أن رجاله كانوا يسلخون جلود كبار الاعداء أحياء ، ويثبتونها على آثارهم وأبواب عاصمتهم بالمسامير، وكانوا يعذبون بعضهم على الخوازيق ، ويقطعــون أيديهم ، ويجمعون جماجمهم فى أكوام ، ثم يحــرقون مئات من الاسرى ، ولا يستثنون النساء ، ويجدعون أنوف آخرين ، ويصلمون آذانهم ، ويبترون أصابعهم ويفقأون أعينهم ، وان لم تمنع أمثال هــذه المعاملة «أشور ناصر بال الثانى» من أن يشيد بفضل أربابه فى تأييده ، ويكــرر اهتمامه بتقديم القرابين اليهم ، وحرصه على تخصيص أخشــاب أرز جبال أمــانوس لأبهاء احتفالات معــابدهم ، ولسنا مضطرين بطبيعة الحــال أن نأخذ بحرفية هذين الضدين من المعلومات ، ففى كل منهما مبالغة ، مبالغة فى تصوير القسوة لتكون عبــرة ، ومبالغة فى تصوير التقوى للتغطية على الاخطاء ، وما ينطبق من هــذا الحكم على نصوص «أشــور ناصر بال الثانى» ، ينطبق على نصوص غيره من الملوك القدماء[٥] •

وعلى أية حال ، فلقد استهل «أشور ناصر بال الثانى» عهده بتجديد شامل للنظم العسكرية ، فكون جيشا جديدا ومتطورا ، شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الاشوريين ، بينما اعتمد سلاح العربات — الى حد كبير — على فرسان من الحلفاء ، وعن طريق هذين السلاحين انبثق فن حصار المدن ، والذى تطلب تزويد الجيش بآلات حربية أشبه بالدبابات فى الجيوش الحديثة ، الامر الذى لم يصل اليه من قبل ، شعب آخــر فى المنطقة ، فيما يرى سمث[٦] ، وقد اعتمد تصميم هذه الالات أساسا على معول لهدم الاســوار ، وهو أشبه ما يكون بالمدفع ، وقــد ثبت فى

---

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٣ •

(٦) عبد القادر خليل : السياسة الخارجية للملك أشــور ناصر بال الثانى — المجلة التاريخية المصرية — المجلد ٣٤ — لعام ١٩٨٧ ص ٤٥ وكذا
A. A. Olmstead, History of Assyria, New York, London, 1923, P. 81.
S.M.A. Sidney, The Foundation of The Assyrian, CAH, III, 1965, P. 12.

هيكل مغطى بمواد مختلفة ، وقد وضـــع هيكلها بأكمله فـــوق عجلات تراوحت فيما بين أربع وست عجلات فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن اقتصرت على أربع بعد ذلك[٧] .

على أن هناك من يرى أن هذه الآلات ــ وان لم تظهر صورها على الجدران الاشورية ، قبل عهد «أشور ناصر بال الثانى» ــ فلقد أشارت وثائق «مارى» و «بوغازكوى» الى استخدامها منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد[٨] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد بدأ الرجل حملاته فى الجبهة الشرقية،ومن ثم فقد قام بحملة نجحت فى اخضاع الاقــوام الجبلية ، ومدت النفوذ الاشورى الى ماوراء حدود أشور السابقة ، ويحدثنا الملك الاشــورى أن قواته قد عبرت جبالا شديدة الانحدار ، وسلكت مسالك وعرة ، لم تمهد من قبل لمرور الجنود والعربات ، وأن هذه المناطق تسمى أرض «توم» (Tumme) وأن قلعتهــا تدعى «جوب» (Gubbe) ، وقد فر رجالها الى جبل شديد الانحــدار ، لا تستطيع الطيور ــ من شـــدة ارتفاعه ــ أن تبلغ منتصفه ، ومع ذلك فلقد نجح الفارون فى اقــامة تحصيناتهم عند قمته ، غير أن جنود الملك ، وهو على رأسهم ، سرعان ما وصلوا اليه ، بعد أيام ثلاثة ، فدمروا معسكرهم ، وشتتوا شملهم، وصبغوا الجبل بدماء مأتين من قتلاهم ، ثم استولوا على المدن الحصينة فى أرض «توم» والتى تقع الى الشرق من أشور[٩] .

ويتجه العاهل الاشورى بجيوشه الى منطقــة «كيرورى» (Kirruri) فى شمال أشور ، وهى منطقة كانت تابعة للسيادة الاشورية ، وكانت

---

7) T. Madhloum, Assyrian Siege-Engines, in Sumer, 21, 1965, P. 9 F.

8) T. Madhloum, Op. Cit., P. 9.

وكذا A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 81.

9) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 84.

وكذا D. D. Luckenbill, Op Cit., P. 143.

تمد الملك بالخيل والبغال والماشية والضأن وأوانى البرونز والخمر ويشير الملك الى أن منطقتى «جيلزان» (فى شمال أشور) و «هوبوشيكا» (فى شمال غرب أشور) قدمتا له — أثناء وجوده فى كيرورى — جزيتها من الخيل والذهب والفضة والقصدير والنحاس والاوانى النحاسية ، الامر الذى يشير الى أن المنطقتين انما بقيتا على الولاء لملك أشور[10]، وعلى أية حال ، فسرعان ما اتجه الملك الى أرض «كيرهى» Kirhi فعبر ممر «هواين» ، حيث لقى هناك مقاومة عنيفة ، ولكنه تمكن من الاستيلاء على «نيشتون» عاصمة «كيرهى» (غرب هوبوشيكا) ، وفر رجالها الى جبل مرتفع ، وكأنه سحابة فى السماء ، غير أن جنوده سرعان ما تعقبوا الفارين ، فأعدم الملك منهم ٢٦٠ رجلا ، وقطع رؤوسهم ، واستخدم جثثهم كلبنات فى بناء الاعمدة ، ثم استولى على ممتلكاتهم ، وقبض على ملكهم «بوبو» بن «بويا» ، وأخذه أسيرا الى مدينة «أربيلا»[11] (Arbela) ، وهناك سلخ جلده حيا ، ونشره على جدران المدينة ، ثم أقام لنفسه تمثالا سجل عليه انتصاراته[12] .

ثم أرسل «أشور ناصر بال الثانى» بعد ذلك ، حملتين لاخضاع منطقة زامو (Zamua) (وادى السليمانية) واقليم «نشخان»[13] — شمال غرب أشور — نجحتا فى تثبيت السيادة الاشورية عليها ، كما اشتد الصراع بين «أشور ناصر بال الثانى» وبين «بيت زمانى» ، وقد أخضعها مؤقتا ، وكانت أقوى ولاية أمورية فى الشمال هى بيت أدينى (بيت

---

10) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 85.

(١١) أربيلا : هو الاسم الاغريقى للمدينة الاشورية «أربا الو» بمعنى «الالهة الاربعة» أى المدينة ذات الالهة الاربعة ، وكانت مركز العبادة أشتار المحاربة ، وتقع على سفح زاجروس ، ومكانها الان مدينة «أربل» الحالية (هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية ص ٦٣) .

(١٢) عبد القادر خليل : المرجع السابق ص ٥٠ — ٥٢ وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 143, Parag. 441.

(١٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا
E. G. Kraeling, Aram and Israel, 1918, P. 53.

عادينى) ، ذلك لانها انما كانت تشغل مركزا استراتيجيا على الطريق العام من «حران» الى سورية ؛ وكانت عاصمتها «تل بارسيب» — وهى تل أحمــر الحالية ، على الضــفة اليسرى لنهــر الفــرات ، جنــوبى قرقميش — وقد تدخلت امارة «بيت عادينى» فى اشعال الثــورة بين الدويلات الامورية لمضايقة أشور ؛ وآية ذلك تلك الثورة التى اندلعت فى «سورو» (Suru) عاصمة بيت خالوب فى عام ٨٨٣ ق٠م ، فتدخل «أشور ناصر بال» وقضى على الثــورة ، وأدب الثائرين ؛ كمــا تسلم الجزية من بعض الدويلات الارامية الاخرى[١٤] ؛ وفى عام ٨٧٨ قبل الميلاد قامت ثورة جديدة فى «لاق» و «خنــداق» و «سوخــو» فقضى عليها العاهل الاشورى بعنف ، خاصة وقد كان من ورائها ملك باتل ، كما قام بتأديب «بيت عادينى» لتكف عن تحريك هــذه الثورات ، ومن ثم فقد تقدم نحوها ، وأجبر ملكها على دفع الجزية[١٥] ٠

وفى عام ٨٧٦ قبل الميلاد ، ظهر الملك الاشورى أمام «قرقميش» وطلب المرور ، ولم يقاوم ملكها ، وقبل أن يدفع اتاوة كبيرة ، منهــا عشرون تالنتا (Talents) من الفضة (حوالى ألف رطل) ، وعبر الجيش الاشورى الفرات ، واخترق سورية الى الســاحل ، وقد نهجت الممالك الحيثية الاخرى نهج قرقميش ، وقد يشير هذا الفشل الذى منيت به الدويلات الحيثية فى الاتحاد لمواجهة الغازى الاشورى ، الى ما بينها من خصومات ، لاندرى عنها شيئا[١٦] ٠

وأيا ما كان الامر ، فلقد استمر «أشور ناصر بال الثانى» فى طريقه غربا نحو سورية الشمالية ، ثم اتجه الى الجنوب ، وعبر نهر العاصى ودخل لبنان ، ونزل الى البحر المتوسط بدون مقــاومة ، وهناك تلقى

---

(١٤) بولس عياد عياد : الاراميون فى مصر — القاهرة ١٩٧٥ ص ١٦ وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 268.

15) E. G. Kraeling, Aram and Israel, New York, 1018, P. 56-69.

16) O. R. Gureny, The Hittites, (Penguin Books), 1969, P. 44.

خضوع المدن الفينيقية ، صور وصيدا وجبيل ، حوالى عام ٨٧٦ ق٠م، وأرغمها على أن تدفع الجزية ، وأن يقدم له سكانها الذهب والنحاس والفضة والقصدير والحديد والمنسوجات الملونة وكميات من خشب الابنوس والارز والصندل والعاج ، وأقام بهذه المناسبة لوحة تذكارية عند نهر الكلب . شمالى بيروت[١٧] ، وهنا — عند نهر الكلب — تلقى العاهل الاشورى هدايا «عمرى» (٨٧٦—٨٦٩ ق٠م) ملك اسرائيل[١٨]، وهكذا — ولاول مرة — منذ عهد «تجلات بلاسر الاول» يصل ملك أشورى الى البحر المتوسط ، ويتلقى الجزية من عدد من المدن الفينيقية٠

ويحدثنا العاهل الاشورى فى حولياته التى عثر عليها فى معبد نينورتا فى مدينة كالح ، فيقول : «لقد تحركت من بلاد بيت أدينى وعبرت الفرات عند قمة فيضانه بمعابر من جلد الماعز ، وقدمت نحو قرقميش ، وهناك تلقيت جزية من «سنجارا» (Sangara) ملك الحيثيين (ثم يعدد ألوان الجزية من فضة وذهب وخناجر من ذهب ، ونحاس وحديد وأثاث خشبى مطعم بالعاج ، ومائتين من الفتيات متدثرات بالكتان الرقيق المحلى بأهداب ذات ألوان مختلفة من الصوف المصبوغ بالاحمر القانى والقرمزى ، وأنياب الفيلة والعربات) واستوليت على فرسان ومشاة قرقميش ؛ ثم جاءنى ملوك كل الولايات المجاورة ، فقبلوا قدمى ، وأخذت منهم رهائن ، ثم تحركوا معى الى لبنان (لاب — نا — نا = Dab - Na - Na ، ثم انتقلت من قرقميش مخترقا الطريق بين جبال «مونزيجانى» (Munzigani) و «همرجا» (Hamurga) مخلفا بلاد «أهانو» (Ahanu) على يسارى ، وتقدمت نحو مدينة «حزازو» (Hazazu) لصاحبها «لوبارنا» (Lubarna) وتسلمت هناك ذهبا وملابس كتانية ، ثم عبرت نهر «عبر» (نهر أفرين الحالى) حيث قضيت الليل،

وكذا D. Barmaki, Op. Cit., P. 28.

18) A. Lods, Op Cit., P. 377.

17) F. C. Eislen, Study in Orient History, New York, 1907, P. 43.

ومن ضفافه انتقلت الى مدينة «كونولوا» (Kunulua) مقر «لوبارنا» وقد قبل قدمى ، رهبة من قوتى ، وخوفا من جيشى الجبار ، ثم قدم لى الجزية (ثم يعدد ألوان الجزية ، ومن بينها ذهب وحديد وماشية وأقمشة كتانية محلاة بالصوف المبرقش ، والمختلف الالوان ، وأثاث خشبى ومغذيات) وأخذت فرسانه ومشاته واستوليت منه على رهائن، ثم تقبلت جزية «جوسى» صاحب «ياهانى» من ذهب وفضة وصفيح وحديد وماشية وكتان تأهداب صوفية مبرقشة •

وارتحلت من «كونولوا» مقر «لوبارنا»،وعبرت العاصى (الاورنت= Arantu = Orontes) وقضيت الليل على ضفته ، ومن هناك اتخذت طريقى بين جبلى ياراق ويعتورى،وقضيت الليل على ضفاف «سانجورا» ومن هناك اتخذت طريقى بين جبال «ساراتينى» و «دوبانى»،وقضيت الليل على ضفاف بحيرة ••• ثم دخلت «أرابيو» قلعة «لوبارنا» ، واستوليت عليها ، وجمعت القمح والقش من بلاد «لوحوتى» (Luhuti) وخزنتهما هناك ، وأقمت فى قصره احتفال «تاشلتو» (Tasiltu) ، ثم أسكنت مواطنين أشوريين فى المدينة ، ثم فتحت مدنا أخرى من مدن «اوحوتا» وهزمت أهلها فى معارك عنيفة ، فقضيت عليهم ، وهدمت أسوارها وحرقتها بالنار ، ووضعت الاحياء من أهلها على الخوازيق أمام المدن التى كانوا يسكنونها •

وفى هذه المرحلة استوليت على كل جبال لبنان المترامية الاطراف ، ووصلت الى البحر الكبير فى بلاد أمورو ، وغسلت أسلحتى فى البحر العظيم ، وقدمت قرابينى من الماشية للالهة جميعا ، وكانت جزية شاطىء البحر من سكان صور وصيدا وجبيل (بيبلوس) ومحالاته ومايزة وكايزة وأمورو وأرواد ، التى هى جزيرة فى البحر ، تتكون من ذهب وفضة وصفيح ونحاس وأوانى نحاسية وملابس كتانية ، ذات أهداب مبرقشة ، وقردة كبيرة وصغيرة ، وعاج وأبنوس وأخشاب ، وتقبلت جزيتهم ، وقبلوا أقدامى •

ثم صعدت الى جبال أمانوس (خامانى (Ha-Ma-Ni)) وقطعت كتلا من الارز والصنوبر والسرو ، وقدمت أضاحى قربانا لالهتى،وأقمت هناك نصبا منحوتا يخلد أعمالى الباهرة التى تنم عن بطولتى ، وأما كتل الارز من جبال أمانوس ، فأمرت بارسالها الى معبد «ايسارا» (Esarra) لبناء الهيكل المسمى «ياسماكو» (Iasmaku) للاعياد لخدمة معابد «سن» و «شمش» الالهين اللذين يمنحان الضوء»[١٩] .

هذا ولم يقتصر اهتمام «أشور ناصر بال الثانى» على المجال الحربى ، وانما تعداه الى الميدان العمرانى ، ومن ثم فقد أعاد بناء مدينة «كالح» (نمرود) — التى أسسها شلمنصر الاول (١٢٧٤—١٢٤٥ ق٠م) — واتخذها عاصمة للامبراطورية الاشورية ، وأمر بحفر قناة «باتى — خيجالى» (Patti-Hegalli) لاغراض الدفاع والرى معا ، ثم بنى القصر الذى كشف عن جزء منه ، فيما بين عامى ١٨٤٩ ، ١٨٥١م ، وكان يشغل مساحة قدرها ٤٠ ألف قدم مربع ، كما قام بتأثيثه وتزيينه، وقد استغرق هذا العمل خمس سنوات (٨٨٣ — ٨٧٩ ق٠م) ، استخدم فيها الآلاف من العمال والفنيين المحليين ، فضلا عن أعداد كبيرة من الحرفيين والفنيين الذين جئ بهم من المناطق المفتوحة ، ولاسيما من سورية ، وتم افتتاح المدينة فى عام ٨٧٩ قبل الميلاد ، فى احتفال مهيب دعى اليه قرابة سبعين ألف شخص من مختلف الاقاليم .

هذا وقد عثر عام ١٩٥١م على لوح الاحتفال — ومحفوظ الان بمتحف الآثار بالموصل — وقد صور الملك على اللوح محاطا برموز آلهة السماء ، وقد جاء بالنص المنقوش على اللوح ، أن الملك قد أقام احتفالا — بمناسبة اتمام القصر والحدائق المحيطة به — دعا اليه ٦٩٥٧٤ شخصا من كل أنحاء الامبراطورية ، نزلوا ضيوفا على الملك على مدى

---

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٢ — ٢٥٤ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 475-479.
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 275-276.

عشرة أيام ، شربوا فيها خمـرا ، وأكلوا على المائدة الملكية ، وأن الملك قد ذبح ٢٢٠٠ عجلا ، وستة عشر ألف خروف ، وقد شرب ضيوف الملك ألف قربة خمر ، وعشرة آلاف برميل من البيرة ، ثم ينتهى النص بقول الملك : استضفت على مدى عشرة أيام سعداء الناس من جميـع أنحاء البلاد ، مع أهل كالح ، وقدمت لهم الخمر ، وأعددت لهم الحمـامات والدهـون العطرية ، ومنحتهم الاوسـمة ، ثم أعدتهم الى بيوتهم فى سلام وهناء(٢٠) .

هذا وتعد الاثار المكتشفة فى مدينة «نمرود»(٢١) من أروع الاثار الاشورية ، وتعكس لنا المـدى الذى وصله الفن والعمـارة فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد كشف عن كثير من القصور الفخمة والمعـابد والاسوار والبوابات ، فضلا عن مئـات من ألواح الجدران التى كانت تغلق جدران قاعات القصور الداخلية ، وهى منحوتة نحتا بارزا دقيقا بمناظر مختلفة من الحياة الملكية والمعارك العسكرية ، والحياة اليومية، وقد لون بعضها بألوان زاهية ظلت تحتفظ بها حتى يومنا هذا ، هـذا وقد زينت مداخل القصور والقاعات الرئيسية بتماثيل ضخمة لحيوانات مركبة ، عرفت بالثيران المجنحة ، تعبر عن قوة الاشوريين ، فضلا عن حكمة وصلابة قوادهم ، فلقد حاول الفنان أن يعبر عن ثبـات الثور وسيطرته على الأرض والسماء ، الى جانب قوته الطبيعية،فمثله بخمسة أرجل ، وبأجنحة كبيرة ، كما عبر عن حكمة الاشوريين ومعرفتهم ، فجعل

---

(٢٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٦ ــ ١٤٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٩ ، وكذا
D. J. Wiseman, A New Stele of Assur - Nasır - Pal, Iraq, 14, 1952, P. 23-39.
وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 271-272.

(٢١) أنظر
M. E. L. Mallowan, Twenty - Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1956, P. 50-64.
وكذا
M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.
وكذا
AFO, 15, 1974-1977, P. 230-238.

للثور رأس انسان ، وأما وضع الثيران المجنحــة فى الداخل الرئيسية فكانت بهدف حمــاية المبنى وساكنيه من الشرور ، فضــلا عن اشعار الزائر ، ولأول وهلة ، بقوة الدولة وملكها ، هذا وقد كشف فى نمــرود أيضا عن أعداد من النصوص المسمارية وعلى مسلة لأشور ناصر بال وتمثال لخليفته شلمنصر الثالث ، وعلى مجموعة من القطع العاجية ، أبرزها قطعة تمثل قناعا لرأس فتاة جميلة عرفت عنــد الباحثين باسم «موناليزة النمرود» أو «فتاة البئر» حيث عثر عليها فى أحد آبار المدينة.

هذا وتسجل حوليات «أشور ناصر بال الثانى» الكثير من المعــابد التى أنشأها فى عاصمته كالح ، فهناك معــابد للارباب : انليل ونينورتا وأداد وشالا (Shala) وجولا (Gula) وسين ونابو وعشتار ، ومعبــد للآلهة «سبتى» (Sibitti) ومعبــد لـ «اشتار ــ كتمــورى» (Ishtar - Kitmuri) وغير ذلك من المعابد التى كرست لكبار الهة[٢٢] .

(٤) شلمنصر الثالث (٨٥٨ ــ ٨٢٤ ق.م)

جاء «شلمنصر الثالث» (Shalmaneser, III) (شلمانو ــ أشاريدو = (Shulmanu - Asharedu) ــ (بمعنى الاله شلمانو رفيع المقام) بعــد أبيه «أشور ناصر بال الثانى» ، الذى أفاد من جهــوده ، ومن ثم فقد استطاع أن يسود آسيا الغربية ، من الخليــج العــربى حتى جبــال أرمينيا ، ومن الحدود الميدة حتى سواحل البحر المتوسط ، ولم يكن أقل اعتزازا بجبروته من أبيه ، فوصفته نصوصه بأنه «الأفعــوان الكبير» (أوشوم جال = Usum - Gal) ــ وهو لقب وصفت به الارباب ، وانتحله حمورابى والملوك الاشوريون ، ولعل فيه بعض الشبه بالصل الملكى المصرى ــ وعلى أية حال فلقد وصف شلمنصر الثالث كذلك بأنه

---

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٧ ــ ١٤٨ ، وكذا
J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 103-106.

قد طحن أعـداءه جميعا ، وأنه المقتـدر الذى لا يعـرف الرحمة فى الحروب[٢٣] •

وعلى أية حال ، فلقد استمر النشاط العسكرى الاشورى على أيام «شلمنصر الثالث» ، وتحول العديد من المـدن الاشورية الى حصون ومعسكرات — كمدينة أشـور وكالح — وقد تركز نشـاط «شلمنصر الثالث» على الجبهة الغربية والشمالية الغربية ، وهى أكثر الجبهـات تهديدا لمصالح أشور الاقتصادية وأخطرها على أمنها ، ففى بداية عهده تشكل حلف من قرقميش و «بيت عادينى» وسمعل فى الشـمال الغربى هدد طرق المواصلات التجارية الى آسيا الصغرى ومنطقة قليقيا •

وفى عام ٨٥٦ ق•م ، تمكن «شلمنصر الثالث» من الحـاق الهزيمة بالحـلف ، والاستيـلاء على «تل برسيب»[٢٤] «تل أسمـر الحالية» — عاصمة ولاية بيت عادينى — وضمها الى الامبراطورية الاشورية ، ثم فرض الجزية على الدويلات المتحالفة معها ، وكانت هذه الانتصارات تهديدا لبقية الدويلات السورية ، بما فيها المدن الساحلية والجنوبية[٢٥] •

وهكذا رأينـا «شلمنصر الثالث» يتقـدم فى عام ٨٥٣ ق•م ، الى وسط وجنوب سورية ، ولم تكن الولايات الصغيرة فى سورية وفلسطين وقت ذاك بقادرة على أن تقف أمام هذا الخطر الداهم طويلا وكل ماكان فى قدرتها أن تقوم به ، هو أن توحد قواتها ضد الخطر المشترك ، وفى الواقع فان حكام الولايات جميعا سرعان ما تناسوا خلافاتهم الشخصية ، واتحدوا من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وهنـا يدرك الاراميون وبنـو

---

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 273.
ANET, 1966, P. 276.

(٢٤) انظر
F. Thureau - Dangin and M. Dangin, Til-Barsib, Paris, 1936.

(٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٨ — ١٤٩ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 274-275.

اسرائيل أن الخلاف بينهم — اذا ما قورن بمقاومة الغزو الاشورى — فلن يعدو أن يكون خلافا على الحدود ، وان عادت الخلافات مرة أخرى، بمجرد انسحاب شلمنصر الثالث(٢٦) .

وعلى أية حال ، فلقد تجرأ شلمنصر الثالث ، وهاجم دمشق ، والتى لم تكن صيدا سهلا ، على الرغم من طـول منافستها مع جيرانها من الارامیین والبدو والعبرانيين ، فعزمت على الوقوف فى وجــه جبروت الاشوريين(٢٧) ، ومن ثم فقد عملت على تكوين تحالف قوى ، انضم اليه أمير ولاية «موصرى» فى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن أمير عربى آخر يدعى «جندب» (جنديبو = Gindibu) شــارك فى المعركة الفاصلة بمدد محمول على ألف بعير ، الى جانب ما شــارك به أمراء ارواد واسرائيل وعمون وأرقناتا وغيرهم ، وكانت قواتهم تتكون من ٦٢٩٠٠ من المشاة ، ١٩٠٠ من الخيالة ، ٣٩٠٠ عجلة حربية(٢٨) .

وهكذا ، وفى صيف ٨٥٣ قبل الميلاد ، تكون فى «قرقر» (قرقار = Karkara = Qarqar) — وهى موقع على نهر العاصى شمالى حماة — حلف من الملوك السوريين والعرب ، يضم اثنى عشر ملكا ، على رأسهم «بنحدد الثانى» ملك دمشق ، و «أخاب» ملك اسرائيل (٨٦٩ — ٨٥٠ ق.م) حيث حدثت المعركة الشهيرة ، ورغم تفاخر «شلمنصر» بالنصر فى موقعة «قرقر» هذه ، وزعمه أنه ذبح ١٤٠٠ محارب ، وأن الســهل كان أصغر من أن يحتمل الاعداد الضخمــة من الجثث ، وأن الارض الواسعة لم تكن تتسع لدفن قتلاه ، الذين امتلأ بجثثهم نهر العاصى ، حتى أقام منها جسرا على النهر ، وأنه — أى شلمنصر الثالث — قــد

---

26) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 216.

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥ .

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, P. 278.
S. A. Cook Israel and The Neighbouring, CAH, III, 1965, P. 263.

استولى على مركبات أعدائه ، فضلا عن خيلهم وسلاحهم ، ورغم كل هذه المزاعم ، فان الحقائق التاريخية تقول : ان نصره لم يكن حاسما، ولم يؤد أبدا الى استسلام حماة ودمشق واسرائيل[٢٩] .

ولعل من الطريف هنا أن نقدم وصفا لحملة شلمنصر الثالث هذه — كما قدمتها نصوصه — فلقد جاء فيها — على لسـان الملك نفسه — «حينما اقتربت من حلب (خالمان) خشى أهلها الحرب وارتموا على قدمى فتلقيت جزاهم فضة وذهبا ، وضحيت أمام أداد حلب ، ورجعت من حلب ، وبلغت مدينتى ارهولينى الحموى ، فهاجمتها وهـاجمت عاصمة أرجانا ، واستوليت على جزاه وممتلكاته ، وحرقت قصوره ، ثم واصلت المسير الى قرقر فدمرتها ومزقتها وحرقتها ، وكان أميرها قد استنجد بألف ومائتى عجلة حربية ، وألف ومائتى خيال ، وعشرين ألف من مشاة أداد ادرى الأمورى ، وسبعمائة عربة وسبعمائة خيال وعشرة الاف من مشاة ارهولينى الحموى ، وألف عربة وعشرة آلاف من مشاة أخاب من أرض اسرائيل ، وخمسمائة جندى من «قوى» وألف جنـدى من موصرى ، وألف راكب جمل من جنديبو العريبى (جندب العربى) و ••• ألف من بأسا بن رهوبى العمونى ، وكلهم اثنا عشر ملكا تأهبوا لملاقاتى فى معركة حاسمة ، فقاتلتهم بقوات أشور العظيمة التى هيأها لى مولاى أشور ، وبالاسلحة التى قدمها لى مرشدى نرجـال ••• وأوقعت بهم الهزيمة بين مدينتى قرقـر وجيلزار ، وذبحت ألفا وأربعمـائة من جنـودهم (١٤٠٠) بالسيف ، وانحططت عليهم انحطاط أداد ، حين يرسل عواصفه المطرة مدرارا ، وبعثرت جثثهم فى كل مكان ، وملأت السهل كله بها ،

---

29) J. A. Montgomery, Arabia and The Bible, Philadelphia, 1934, P.27.
وكذا J. Finegan, Op. Cit., P. 204.
وكذا A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 279.
وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 275.
Daniel David Luckenbill, ARAB, I, Chicago, 1926, Parag. 611.
J. B. Pritchard, The Ancient Near East, Princeton, 1950, P. 188.

وأجريت دماءهم ••• وضاق السهل عن نزول أرواحهم (الى العـــالم السفلى) • وجعلت جثثهم معبرا لى على نهر الأرانتو (الأورنت)[٣٠]•

وعلى أية حال فقد اضطر العاهل الاشورى الى اعادة الكرة مرات بهدف اخضاع سوريا وفينيقيا ، وفلسطين ، حتى استطاع فى عام ٨٤٢ ق٠م ، ارغام المدن الفينيقية ــ وخاصة صــور وصيدا ــ على دفــع الجزية له[٣١] •

ويقول الملك الاشورى فى حولياته عن نصره هذا «فى السنة الثامنة عشرة لملكى ، عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة ، وكان حزائيل ملك أرام يثق بجيوشه ••• ولكننى حققت سقوطه ، وزحفت الى «بعــلى رأسى» ، وهو رأس فى البحر ، وأقمت صورتى هناك ؛ وفى ذلك الحين تلقيت الجزية من رجال صور وصيدا ، ومن ياهو بن عمرى»[٣٢] •

وعلى أية حال ، فان «المسلة السوداء» (Black Obelisk) ــ والتى كشف عنها «سيرأوستن ليارد» (A. H. Layard) فى عام ١٨٤٦ ، فى قصر شلمنصر فى مدينة نمرود ، والمحفوظة الان فى المتحف البريطانى ــ[٣٣] تمثل على وجهها الثانى من أعلى حاملى الجزية الاسرائيليين وموظفيهم فى ملابس مشغولة ، ذات أكمام قصيرة ، وعمامة تشبه غطاء الرأس ، والشكل العام يبعدهم عن أن يكونوا «حيثيين قحا» ، وتشهد للتــأثير القوى للحيثيين الاراميين ، حيث يمثل نصب الملك «شيشنق» شكلا آخر، ينظر اليه كأمورى[٣٤] •

---

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥

31) A. Lods, Op. Cit., P. 377.

32) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 672.

33) C. J. Gadd, The Stones of Assyria, 1930, P. 48.

وكذا S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

وكذا A. H. Layard, Nineveh and its Remains, I, 1849, P. 181.

(٣٤) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢ / ٩٠٨ وكذا

J. Fingan, Op. Cit., P. 264-265.

G. Roux, Op. Cit., P. 373.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 99.

وهناك ما يشير الى أن «شلمنصر الثالث» انما اضطر الى التوجه غربا ، للمرة الثانية ، وذلك للقضاء على الدويلات الرئيسية التى كانت فى الحلف السورى ضد الاشوريين ، فدحر قوات دمشق فى عام ٨٤٢ ق٠م ، وان لم يحتل دمشق نفسها ؛ فى حين قدم له ملوك صور وصيدا الجزية ـــ كما أشرنا آنفا ـــ ٠

وأما بلاد بابل ، فكان ملكها «مردوك زاكير شوى» الاول ، مواليا للاشوريين ، غير أن انقساما ما حدث فى البلاط البابلى ، انتهى بقيـــام ثورة أهلية أيدتها القبائل الكلدية فى الجنوب والمدن الواقعة فى منطقـــة ديالى ، شرقى بلاد بابل ، مما اضطر الملك الاشورى «شلمنصر الثالث» الى تجهيز حملتين عسكريتين على المنطقة أنهت التمرد وأعادت الامن الى بلاد بابل ؛ وبدهى أن ذلك انما كان فى مصلحة الملك الاشورى ، فقد أصبحت له اليد العليا على الملك البابلى بعد أن نلصره ٠

وهناك ما يشير الى وصول القوات الاشورية الى ساحل الخليج العربى لتهدئة قبائل كلديا ، وتلقى هدايا ملوكها أو جزاها على حد قول نصوص شلمنصر الثالث ، التى روت قوله فيها : «هبطت الى كلديا ، وقهـرت مدنها ، وسرت حتى البحر الذى يسمونه «البحـــر المالح» (الخـــليج العربى) ، وتسلمت فى بابل جـــزية «أدينى بن داكورى» من الفضـــة والذهب وخشب «أوشو» والعاج ٠٠٠» وقد صور فنانوه جزية «بيت داكورى» هذه يحملها أهلها بين صفوف النخيل ؛ ويشرف عليها حراسه وكتبته ، وسجلوهـــا على أبواب قصره المكسوة بصفـــائح البرونز فى بلاوات[٣٥] ٠

وأما فى الجبهة الشمالية والشرقية فكانت دولة «أورارتو» (Urartu) أو «أرارات» Ararat تغذى فيهـــا الاضطرابات ، مما اضطر الملك

---

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع الســـابق ص ٥١٣ ـ ٥١٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا
D. Oates, Iraq, 15, 1963, P. 20-21.

الاشورى الى ارسال حملات تأديبية الى المنطقة الجبلية ، استطاعت أن تعيد الامن الى منطقة أعالى بلاد النهرين واقليمى «تبال» و «قــو» (قليقيا) .

وهناك ما يشير الى أن السياسة العسكرية التى اتبعها «شلمنصر الثالث» لم تلق التأييد الكامل داخل بلاد أشور ، فلقد حدث تمرد تزعمه أحد أبنائه «أشور ـ دانين ـ أبلى» Ashur - Danin - apli وأيدته كثير من المدن الاشورية الهامة ـ مثل أشور ونينوى وأرابيل وأرابخا (كركوك) ـ وعلى أية حال ، فلقد تولى ولى العهد «شمشى ـ أداد الخامس» مهمة القضاء على هذا التمرد ، الذى استغرق سنوات أربع ، توفى ابانها «شلمنصر الثالث»[٣٦] .

(٥) شمشى ـ أداد الخامس (٨٢٣ ـ ٨١١ ق٠م)

جاء «شمشى أداد الخامس» (Shamshi - Adad, V) بعد أبيه «شلمنصر الثالث» ، وبعد أن قضى على ثورة أخيه ، غير أن هذه الثورة انما ساعدت بعض الاقاليم النائية فى الانفصال عن الدولة الاشورية ، وقد تم ذلك على وجه الخصوص فى المنطقة الجبلية فى الشمال والشمال الشرقى فى منطقة تلاد «نائيرى» nairi ، مما اضطر «شمشى ـ أداد الخامس» الى ارسال عدة حملات عادة السيطرة عليها ، هذا فضلا عن حملة ضد ملك بابل ـ الذى تورط فى حلف مع ملك عيلام وزعماء القبائل الكلدية والارامية فى الجنوب والشرق ضد أشور ـ وقد نجحت الحملة فى القضاء على الحلفاء فى عام ٨١١ ق٠م[٣٧] .

(٦) أداد ـ نيرارى الثالث (٨١٠ ـ ٧٨٣ ق٠م)

جاء «أداد ـ نيرارى الثالث» (Adad - Nirari, III) بعد أبيه (شمشى

---

(٣٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٠ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 276-277.
37) G. Goossens, in Histoire Universelle, I, Paris, 1956. P. 390.

أداد الخامس» ؛ وكان ما يزال قاصرا ، فتولت أمه «سمورامات» (Sammuramat) — والتى عرفت فى المصادر الكلاسيكية باسم «سميراميس» (Semiramis) —[38] الوصاية عليه ، وحكمت نيابة عنه سنوات خمس •

وهناك ما يشير الى قيام تحالف جديد فى بلاد الشام ضد الدولة الاشورية ، غير أن القوات الاشورية سرعان ما قضت عليه ، وتشير حوليات «أداد — نيرارى الثالث» الى أن قواته قدمت الى فينيقيا مرتين ، فى عامى ٨٠٤ ، ٨٠٣ ق٠م ، وأنه قد تسلم الجزية من دويلات مختلفة فى الشام «من الفرات حتى البحر العظيم ، التى تغرب فيه الشمس ، أخضعت بلاد حاتى وبلاد أمور كلها ، وبلاد صور وصيدون وعمرى (اسرائيل) وأدوم وفلستيا (الفلسطينيين) وفرضت عليهم جزية كبيرة»[39] •

---

(٣٨) روى المؤرخون الكلاسيكيون أسطورة عن «سميراميس» تقول : أن أمها كانت الهة تعبد فى عسقلان قرب البحر ، ويرمز اليها بصورة نصفها سمكة ، ونصفها حمامة ، ولما ولدت ابنتها على هيئة بشرية سوية تركتها للحمام يرعاها ، ولهذا سميت «محبوبة الحمام» وذلك لان الاسم «سمو ـ رامات» مركب من كلمتين ، الاولى «سمو» ومعناها «الحمامة» ، والثانية «رامات» (مات) ومعناها «المحبوبة» ، ومن ثم فمعنى الاسم «محبوبة الحمام» •

ثم عثر عليها كبير رعاة ملك أشور ورباها ، وتزوجها حاكم نينوى «أونيس» ، ولكن ملك أشور العظيم «نينوس» طمع فيها وأجبر زوجها على التخلى عنها ، فانتحر ، ولجأت هى الى الحيلة لتنتقم له ولنفسها ، فمكرت بالملك الغاصب ،و طلبت منه أن يعهد اليها بالعرش والسلطان خمسة أيام فرضى ، واستغلت هى سلطانها المؤقت ، وأمرت بسجن الملك ثم قتله ، واستاثرت بالعرش بعده أكثر من أربعين عاما (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٤ — ١٨٥ ، وكذا

Herodotus, I, 184.
Strabo, XV, I, 5, II, 5, XVI, I, 2.
Diodorus Siculus, II, 4-20.
W. Iilers, Semiramis, Wien, 1971.

39) G. Roux, Op. Cit., P. 279-280.
وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, P. 281.
=

هذا وقد تعاقب على العرش الاشورى بعد «أداد — نيرارى الثالث» عـدد من الملوك الضعـاف — شلمنصر الرابع (٧٨٢ — ٧٧٣ ق٠م) و «أشور — دان الثالث» (٧٧٢ — ٧٥٥ ق٠م) و «أشور — نيرارى الخامس» (٧٥٤ — ٧٤٥ ق٠م) — لم يكونوا كفؤا لمواجهة التحـديات التى مارستها «أوراراتو» فى الشمال ، والقبائل الكلدية فى الجنـوب، والحلف السورى فى الغرب ؛ فضلا عن التمـزق الادارى داخل الدولة الاشورية نفسها ، ومن ثم فقد انكمشت سلطتهم ، وضعف نفوذهم ، وعمت أشور ضائقة اقتصادية حادة بسبب قطع الطرق التجارية المؤدية الى سورية وآسيا الصغرى وبلاد بابل ، فاجتاحت أشور ثورة أهلية عارمة ، تزعمتها مدينة نمرود ، قضت على الملك الحاكم وأسرته ، ونصبت بدلا عنه الملك «تجلات بلاسر الثالث» (Tiglathpileser, III) — الاخ الاصغر للملك أشور — نيرارى الخامس — والذى عرف فى المصـادر البابلية باسم «بول»[٤٠] .

وأيا ما كان الامر ، ففى حمأة هذه المشكلات الداخية والخـارجية سجلت النصوص الاشورية حدوث كسوف كلى للشمس ، وافق عـام ٧٦٣ قبل الميـلاد (أى فى عهد أشـور — دان الثالث) ، ورتبت عليه ما شاعت من تعليقات عقائدية وخرافية ، خاصة وأن الكسوف قد حدث فى وقت ؛ تفشى فيه طاعون عظيم فتك بكثير من الناس ، وعلى أية حال، فلقد اعتبر حادث كسوف الشمس هذا ، أساسا لضبط التقويم الاشورى اذا أمكن بالحساب الفلكى المدقيق ارجاع هذا الكسوف الى حزيران (يونيه) عام ٧٦٣ ق٠م ، فصارت نقطة يقاس منها تسلسل التاريخ الاشورى ،

=

وكذا

H. Tadmor, The Historical Inscriptions of Adad-Nirari, III, in Iraq, 35, 1973, P. 141-150.

وكذا D. D. Luckenbill, ARAB, I, Parag. 732-48.

وكذا A. R. Millard and H. Tadmor, Iraq, 35, 1973, P. 57-64.

(٤٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 280.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 1198.

واستعين بها كذلك لضبط التقويم البابلى ، بالاستعـانة بحوادث من التاريخ البابلى عاصرت ما يماثلها من التاريخ الاشورى[٤١] .

ثانيا : عصر الامبراطورية الثانية

(١) تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق٠م)

يعتبر المؤرخون عصر الملك «تجلات بلاسر الثالث» (Tiglathpileser, III) بداية «عصر الامبراطورية الاشورية الثانى» ، وقد عرف الملك الجديد باسمين ، الواحد «تجـلات بلاسر» ــ كما جـاء فى النصوص الاشورية ــ والثانى «بول» (Pul) أو «بولو» (Pulu) ــ وهو الاسم الذى أطلقته عليه المصادر البابلية عام ٧٢٨ ق٠م ؛ أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة ــ ويحتمل الاسمان أكثر من تفسير واحد ، فقد يكون اسم «بولو» هو اسمه الشخصى ، ويدل بهذا على أنه لم يكن من صلب البيت الحاكم ، واذا صح هذا أمكن افتراض أنه من قادة الجيش نظرا لما تجلى من مهارته الحربية فيما بعد ، ولما اعتلى العـرش تيمن باسم الفاتح القديم «تجلات بلاسر» وتسمى باسمه ، أو يكـون اسم «بولو» مجرد مرادف بابلى ، اخترعه البابليون لغرض فى نفوسـهم ، وأيا ما كان الامر ، فلقد عرف هذا الملك فى التوراة باسم «فول» ؛ ولعله تصحيف يهودى لاسم «بول» البابلى[٤٢] .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر الثالث» بأنه كان اداريا من الطراز الاول ، ويذهب الباحثون الى أن الاشوريين قد بدأوا منذ أيامه يقسمون امبراطوريتهم الى عدد من المقاطعات الرئيسية يدعى كل منها «بيخانو»

---

(٤١) عبد العـزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، طـه باقـر : المرجع السابق ص ١٨٥
وكذا A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 281-282.
وكذا D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 734 F.

(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، ملوك ثان ١٥/ ١٩ ـ ٢٠ ، وكذا
G Roux, Op. Cit., P. 286.

أو «ناكو» ، ويشرف عليها سيد المقاطعة (بيل بيخانى) ، وهو الذى يمثل الملك فى المقاطعة ، وينفذ أوامره ، وكانت واجباته تشمل الشئون الادارية والمالية والعسكرية والدينية ، وكان مقر الحاكم فى عاصمة المقاطعة ، ويساعـده فى ادارة شئون مقاطعته مجموعـة من الاداريين والكتبـة والمساحين والمحاسبين والرسل والفلكيين وقراء الفأل وضباط التجنيد ومراقبى الرى والمساعدين العسكريين والمترجمين وغـيرهم ، وكانت المقاطعة مقسمة بدورها الى وحدات ادارية أصغر تدعى «قنو» (وتعنى حرفيا حلقة) ، وكان مركز ال «قنو» فى المدن الرئيسية ، ويشرف عليها «رئيس المدينة» ، وهو الذى كان يقوم بجمع الضرائب وحفظ النظام، فضلا عن الاشراف على الشئون الادارية العامة ، هذا فضلا عن أن «تجلات بلاسر» الثالث انما عمل على تقسيم بلاد أشور الشرقية — من الناحية الادارية — الى قسمين ، الواحد : مقاطعة «أرابخا»(Arrapha) (كركـوك حـاليا) ، وقـد امتـدت حتى شرقى بغـداد ، والثانى : شمل الارضين الواقعة الى الجنـوب منها ، والتى تفصل بين عيـلام وبابل[43] .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر» أيضا بأنه كان قائدا عسكريا فذا ، استطاع ابان سنى حكمه ، القضاء على الفوضى والاضطراب السياسى والاقتصادى الذى ساد أشـور فى أعقاب الثورة الاهلية ، كما كتب له نجحا بعيد المدى فى اعادة هيبة الدولة فى مختلف الجبهات ، هذا وقد بدأ «تجلات بلاسر الثالث» ميدان الفتوحات ببابل القريبة منه ، فهيمن عليها بعد جهود ، وعهـد بأمرها الى صنيعـة له تدعى «نابو نصر» (Nabu - Nasir) ، غير أن وفاة «نابو — نصر» انما كانت سببا فى تمرد احدى القبائل الكلدية ضد أشور ، وان ظلت المقاطعات الاشورية شرقى بابل على ولائها لأشـور ، والامر كذلك بالنسـبة الى سـكان بابل المحليين[44] .

---

(٤٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١ ، ١٥١ .
(٤٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ — ٥١٩ وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 284-285.

وأما بالنسبة لبلاد الشام ، فلقد بدأت أشور ترى — منذ عهد تجلات بلاسر الثالث — أن امتلاكها لبلاد سورية وفلسطين انما هو الشرط الاساسى لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين من الاشوريين ، بسبب ثروة سورية وفلسطين من أخشاب نادرة فى الشرق الادنى القديم ، وبسبب ثروتها المعدنية وساحلها الطويل على البحر المتوسط ، وتجارتها الغنية فحسب ، ولكنه كان كذلك — وفى نفس الوقت — المدخل الى جنوب شرقى آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد اتخذ «تجلات بلاسر الثالث» الخطوات الجادة مباشرة لضم الأجزاء الأساسية من سورية وفلسطين الى الامبراطورية الاشورية ، وتثبيت سيادة آشور على فلسطين وسورية، وانطلاقا من كل هذا ، فان الرجل لم يقنع — كغيره من الحكام الاشوريين — بقبول الجزية ممن يخضعهم لسلطانه من أمراء سورية وفلسطين[٤٥] .

وهكذا بدأ «تجلات بلاسر الثالث» يتجه نحو بلاد الشام ، وأقام معسكره الرئيسى ، فيما بين عامى ٧٤٣ ، ٧٤١ ق٠م ، فى «أرباد» (وهى أربادو بالاشورية — وتقع فى مكان تل أرفاد الحالية ، على مبعدة ٢١ كيلا شمالى حلب) ، ومن هناك أرسل حملة الى دمشق ، ثم فرض الجزية على المدن الفينيقية ، وطبقا لما جاء فى «المسلة السوداء) فقد خضع له كذلك «مناحيم» ملك اسرائيل (٧٤٥ — ٧٣٦ ق٠م) ؛ وطبقا لرواية التوراة ، فلقد أحنى له رأسه ، وخفض له جناح الذل ، وابتاع رضاه بالمال الذى فرضه على بنى قومه من أصحاب الاملاك وقدمه للعاهل الاشورى على هيئة أوان من ذهب وفضة ورصاص[٤٦] .

على أن دمشق سرعان ما بدأت فى اعلان الثورة فى عام ٧٣٩ ق٠م ،

---

45) Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 253.

(٤٦) محمد بيومى مهران : اسرائيل ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٩٣٤ ـ ٩٣٥ ، ملوك ثان ١٧/١٥ ـ ٢٢ ، وكذا
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 281.

بل وبدأت تقوم بدور قيادى — ولآخر مرة — وذلك عندما تكونت كتلة سياسية بزعامة «رصين» ملك دمشق ، ومن ورائه كل تحالف الدويلات الأرامية ، ضد الاشوريين ، وسرعان ما انضم الى «رصين» الفينيقيون والمدن الفلسطينية والدويلات العربية فى شمال غرب بلاد العرب،فضلا عن دويلتى أدوم واسرائيل ، ولم يبق خارج الحلف سوى «أحاز» ملك يهوذا (٧٣٥ — ٧١٥ ق.م)[٤٧]،ومن ثم فقد هوجمت القدس (أورشليم) بقوات دمشق والسامرة ، بغية ازاحة «أحاز» عن عرشه وتتويج أحد الاراميين فى مكانه ، ليضم يهوذا الى الحلف القائم ضد ملك أشور[٤٨].

ومن ثم فقد قرر «أحاز» أن يستدعى قوات أشور لحمايته ، كما أرسل الهدايا من خزائن المعبد والقصر للعاهل الاشورى «تجلات بلاسر» (تغلث فلاسر فى التوراة) سائلا اياه ، — بل وملحا فى سؤله — أن ينقذه من ملكى دمشق والسامرة ، على شريطة أن يكون له «عبدا وابنا»[٤٩] ، هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن الملك الاشورى لم يستجب لنداء «أحاز» ، غير أن هناك ما يشير الى أن «تجلات بلاسر»، انما كان فى تلك الاوانة فى شمال سورية ، ورتما كان مع جيشه فى مكان ما فى مجاورات دمشق ، وعلى أية حال ، فمن الواضح أن الاحداث بدأت تتحرك سريعا ، وقد أنقذ التدخل السريع الحاسم «أحاز» من موقفه الصعب ، قبل أن تسقط أورشليم (القدس) فى أيدى المهاجمين من الاسرائيليين والاراميين ، وان كان «تجلات بلاسر» بالتأكيد ما كان فى حاجة الى توسلات أحاز ملك يهوذا ، ليقوم بحملته ضد سورية وفلسطين ، فلقد كان فى هذه الفترة — على أية حال — انما يهدف الى اخضاع سورية وفلسطين لاشور تماما ، ومنذ عام ٧٣٨ ق.م ، وقد

---

47) G. Roux, Op. Cit., P. 285.

وكذا

Werner Keller, The Bible as History, London, 1967, P. 241-242

(٤٨) ملوك ثان ١٦/٥ ، اشعياء ٧/١ — ٣ وكذا

E G. Kraeling, Op. Cit., P. 116.

(٤٩) أخبار أيام ثان ١٦/٧ — ٨ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

أصبحت «حمـــاة» من أملاكه ، فقـــد كان يرنو بناظريه نحو دمشق
ــ بادىء ذى بدء ــ ثم اسرائيل فيما بعد (٥٠) .

وفى عام ٧٣٣ قبل الميلاد ، تقابل الملك الاشورى مع ملك دمشـــق،
فهرب «رصين» الى عاصمته دمشق، ومن ثم فقد قام العاهل الاشورى
بمحاصرة العـــاصمة الارامية (دمشق) واتلاف ما حولها من حـــدائق
ومدن ، هذا فضلا عن الاغارة على حلفاء الاراميين والانتصار عليهم ،
مما جعل دمشق تصبح فى عزلة تامة(٥١) .

ونقرأ فى التوراة أن «تجلات تلاسر» قد أخذ «عيون وابل بيت معكة
ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى ، وسباهم
الى أشور»(٥٢) ، هذا وتشير احـــدى الحوليات الاشورية من عهـــد
«تجلات بلاسر» الى أنه قد استولى على كل مدن اسرائيل ــ ماعـــدا
السامرة ــ ومن ثم فاننا نستطيع أن نستنتج من ذلك ــ ومن قـــوائم
الاقاليم الاشورية ــ أن تجلات بلاسر الثالث انما قد ترك لملك اسرائيل
«فقح» (٧٣٥ ــ ٧٣٢ ق.م) جبل أفرايم والمدينة الملكية السـامرة ،
وأما بقيـــة المنـــاطق الاسرائيلية فقـــد أدمجت فى نســـق الولايات
الاشورية(٥٣) .

وأيا ما كان الامر ، فان الممالك الصغيرة فى سورية وفلسطين ــ والتى
كانت قبل ذلك ، وعلى مدى قرنين من الزمان قادرة على حفظ كيانها ،
دونما تدخل من الخارج تقريبا ، وجدت الان نفسها أمام أشور القوية
الطامعة الطاغية ، وقد نجح «تجـــلات بلاسر» فى أن يجتاح فى عـــدة

---

(٥٠) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٣٧/٢ ــ ٩٣٨ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 259-260.
51) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118-119.
وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 260-261.
(٥٢) ملوك ثان ١٥ / ٢٩ ، وكذا
E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118.
53) M. Noth, Op. Cit., P. 261.
وكذا
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, P. 341.

حملات الى الغرب مدينة دمشق ، بعد حصار دام عامين ، وأن يقتل ملكها «رصين» ، وهكذا ، وبسقوط دمشق فى عام ٧٣٢ ق٠م ، حان الوقت للاشوريين أن يضموا سوريا بأكملها الى امبراطوريتهم ، وانتهت قوة الارامبين السياسية ، وأصبحت السيادة على الدويلات الارامية لآشور ، وبالتالى فقد زال الحاجز الذى كان يحول دون سقوط السامرة[٥٤] .

ونقرأ فى التوراة أن «فقح» فقد عرشه وحياته فى مؤامرة على رأسها «هوشع بن أيلة» وأن الاخير قد نصب نفسه ملكا فى السامرة على ما بقى لاسرائيل ، وان كنا لا ندرى أكان ذلك برضى من تجلات بلاسر[٥٥] ؟ أم أنه كان بريئا من دم «فقح» ، فحمله هوشع وفرض عليه جزية ثقيلة ، وأيا ما كان الامر ، فلقد أصبح «هوشع» ملكا على اسرائيل (٧٣٢ — ٧٢٤ ق٠م) من قبل الاشوريين ، يدين لهم بالولاء ، ويدفع لهم الجزية عن يد وهو صاغر[٥٦] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن تجلات بلاسر انما اتبع وسائل أربعة لتثبيت قبضته على أطراف دولته ، وهى تعيين حكام آشوريين على مدنها الكبيرة ، دون الاكتفاء بحكامها المحليين ، وايفاد مندوبين فوق العادة لتفقدها وتنفيذ مطالب دولته منها ، وربما كان من أولئك المندوبين من يلقبون بلقب «رابشاق» الذى ذكرته لهم قصص التوراة ، وفرض عبادة الارباب الاشوريين على بعض أهل المدن العنيدة (مثل غزة) ثم تشريد أهل المناطق المفتوحة الخطرة ، وتهجير أغلب الايدى العاملة منهم الى بلاد أخرى بعيدة عنهم ، حتى لاتقوم لبلادهم قائمة ، مع احلال غيرهم من مناطق بعيدة محلهم حتى يضغطوا على

---

54) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 119.

(٥٥) ملوك ثان ١٥/٣٠ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩٣٩، وكذا
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 341. وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, P. 284

56) S. A. Cooke, Op. Cit., P. 382.

السكان الاصليين ، أو يظلوا بينهم أغرابا مستضعفين ، وتهجير بعض آخر الى دولة أشور نفسها ، حتى يظلوا تحت اشراف حكامها ، وحتى يمكن استغلالهم فى خدمتها استغلالا مبـاشرا ، فضلا عمن يستعبدون منهم استعبادا تاما عند خاصة أهلها ، وكان من هذا القبيل أن عمد فى عامه الثالث الى تهجير ثلاثين ألفا ، وثلاثمائة شخص من سكان المنطقة السورية التى تمتد من حماه الى البحر ، الى منطقة تسمى «كو» وتهجير آخرين الى منطقة تدعى «الابا» ؛ ويبدو أنه أحل محلهم سكانا جلبهم من منطقة «لولومو» فى جبال زاجروس ، ومن نائيرى ، قـرب بحيرة فان ، وهجر بأمره فى عام آخر عددا كبيرا من أهل «بيت خومريا» ؛ أى أرض عمرى[٥٧] ، الى أشور ، بل وادعت نصوصه أنه هجر بأمره أكثر من مائة ألف من أنصـار المتنافسين فى بابل نفسها ، بعد أن أخضعهـا لحكمه المباشر[٥٨] .

وأما عـلاقة الاشوريين ببلاد العـرب ، فلقد رأينا من قبـل أن «شلمنصر الثالث» أول من ذكر العرب فى حولياته[٥٩] ، عن معركة قرقر عام ٨٥٣ ق٠م ، وأن أمير ولاية «موصرى»ـــ فى شمال غرب الجزيرة العربية ـــ قد انضم الى حلف الملوك السوريين ضد شلمنصر ، فضلا عن أمير عربى آخر يدعى «جندب» (جنديبو) شارك فى المعركة بمدد محمول على ألف بعير[٦٠] ، ورغم أن النص الاشورى لم يشر الى موقع ولاية

---

(٥٧) عرفت اسرائيل فى الوثائق الاشورية باسم «ارض عمرى» أو «أرض بيت عمرى» ، وحتى بعد سقوط أسرة عمرى فى عام ٨٤٢ ق٠م ، فقد كان ملك اسرائيل بالنسبة الى الاشوريين هو «ابن عمرى» ، وربما يعزى هذا بدرجة ما الى أن الاسرائيليين انما قد اتصلوا ــ لاول مرة ــ بأشور أثناء عهد أسرة عمرى ، وربما أثناء عهد عمرى نفسه ، وهو الذى أرسل بهداياه الى الملك «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ ــ ٨٥٩ق٠م) عندمـا تقدم هذا الاخير حتى نهر الكلب شمالى بيروت ، محمـد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٨٩٩ ، وكذا
A. Lads, Op - Cit, P. 377

(٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٩ ٠

59) N Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941, P. 4.

60) J. Montgomery, Op. Cit., P. 27.
وكذا
M Noth, Op. Cit., P. 245-246.
S. A. Cook, in CAH, III, 1965, P. 363.
A. L. Oppenheim, ANET, P. 279.

جندب هذه ، فان القرائن تشير الى أنها انما كانت فى أطراف البـــادية، بل ان «ألويس موسل» انما يذهب الى أنها تقع الى الجنوب من دويلة دمشق[٦١] ، كما أن هناك من يشير الى أن العاهل الاشورى قـــد مد حدوده حتى الكويت ، ومن ثم فقد اتصل بالقبائل التى تقطن هذه البقاع من بلاد العرب[٦٢] •

وعلى أية حال ، فلقد بدأ الاشوريون يهتمون ببلاد العرب منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وربما فكروا فى بسط نفوذهم عليها ، ربما بسبب الرغبة فى حماية طرق القوافل القادمة من جنوب بلاد العرب ، محمــلة بالبخور وغيره من المنتجات التى كانوا يتوقون الى الحصول عليهـــا ، وربما اتقاء لغارة مفاجئة قد يقوم بها الاعراب فى شمال الجزيرة العربية ضد الامبراطورية الاشورية ، وأيا ما كان السبب ، فاننا نقرأ فى حوليات «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق•م) التى عثر عليها فى «كالح» (نمرود) عن جزية من «زبيبة» (زبيبى) ملكة بلاد العرب — وربما كان مقرها دومة الجندل (أدوماتو عند الاشوريين ، دومة فى التوراة)،وهى مدينة الجوف الحالية ، على مبعدة ٤٠٠ كيلا شرقى البتراء — والامر كذلك بالنسبة للملكة «سمسى» (شمس) التى قدمت للعاهل الاشـــورى جمالا ونياقا[٦٣] ، فضلا عن تعيين مقيم يمثله فى بلاطها[٦٤] • ويقـــول النص الاشورى : «أما شمس ملكة بلاد العرب ، فلقد قتلت ١١٠٠ من رجالها ، واستوليت على ثلاثين ألف جمل ، وعشرين ألف رأس من الماشية وخمسة آلاف اناء توابل ، وكل ممتلكاتها ، وأخذت منها هذه وغيرها ، وأما هى فقد هربت الى مدينة «بازو» Bazu ، وهـــو اقليم ليس به ماء ، ثم أدركت مدى قوة جيشى ، فجاءت لى بالجمال والنياق،ووضعت عليها حاكما»[٦٥] •

---

61) A. Musil, Arabia Deserta, P. 477.
62) G. Roux, Op. Cit., P. 277.
63) N. Abbot, Op. Cit., P. 4.
64) A. Musil, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 477.
65) A. L. Oppenreim, ANET, 1966, P. 284.

وهكذا يبدو واضحا أن الملكتين العربيتين (زبيبة وشمس) انما قد اضطرتا الى تقديم فروض الطاعة للملك الاشورى ، وربما كان ذلك بعد استيلائه على غزة ، وقطع طريق البخور[٦٦] ، بل أن النص الاشورى انما يشير كذلك الى أن الملك الاشورى انما قد أخذ الجزية من «تيماء» — على مبعدة ١٢٥ كيلا شمال مدائن صالح — كما أخذها كذلك من غيرها من الواحات العربية[٦٧] ؛ فضلا عن «سبأ» — وهى الجالية السبئية التى خلفت المعينيين فى ديدان (العلا الحالية) على مبعدة ٢٤ كيلا جنوبى مدائن صالح — ومن هنا فان «سبأ» انما ترد فى النص بعد تيماء مباشرة[٦٨] •

(٢) شلمنصر الخامس (٧٢٦ — ٧٢٢ ق٠م)

مات تجلات بلاسر الثالث ، وخلفه على عرش أشور ولده «شلمنصر الخامس» (Shalmaneser, V) وفى عهده أعلن «هوشع» ملك اسرائيل (٧٣٢ — ٧٢٤ ق٠م) العصيان ضد أشور ، ونقرأ فى التوراة «أن ملك أشور وجد فى هوشع خيانة ، لانه أرسل الى «سوا» ملك مصر ؛ ولم يؤد جزية الى ملك أشور حسب كل سنة»[٦٩] ، والمعروف تاريخيا أنه لا يوجد ملك فى هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم «سوا» ، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هذا ال «سوا» ؛ وربما كان الملك المقصود فى نص التوراة هو الملك «أوسركون الرابع» (٧٣٠ — ٧١٥ ق٠م) من الاسرة الثانية والعشرين[٧٠] •

---

66) A. T. Olmstead, A History of Assyria, Chicago, 1933, P. 189.

(٦٧) عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة فى شمال غربى الجزيرة العربية — مجلة الدارة — العدد الاول — الرياض ١٩٧٥ ص ٨٢ •

68) A. Musil, The Nothern Hegaz, N. Y., 1926, P. 288.
وكذا
A. Van den Branden, Histoire de Thamoud, P. 7.

(٦٩) ملوك ثان ٤/١٧ — ٥ •

(٧٠) انظر عن الاراء التى دارت حول «سوا» (محمد بيومى مهران اسرائيل ٢/٩٤٠ — ٩٤٥ وكذا
K. A Kitchen, Op. Cit., P. 373-374.
A. H. Gardiner, JEA. 50, 1964, P. 94.
=

وعلى أية حال ، وأيا كان اسم ملك مصر الذى استنجد به «هوشع» ضد أشور ، فلقد تقـدم الملك الاشورى «شلمنصر الخامس» نحـو «السامرة»[(٧١)] — عاصمة دويلة اسرائيل — واستمر فى حصارها نحوا من أعوام ثلاثة ، واذا أمكنا أن نضع سقوط السامرة فى السنة التاسعة من حكم هوشع ، فان هذا الحدث التاريخى الخطير ، انما يكون قد تم فى ربيع عام ٧٢٢ ق٠م ، فى وقت كان «شلمنصر الخامس» ما يزال ملكا على أشور ، وطبقا لما جاء فى سفر تاريخى بابلى ، يرجع الى عام ٥٠٠ ق٠م ، ويتحدث عن الفترة من عام ٧٤٥ ق٠م ، الى عام ٦٢٦ ق٠م ، أن موت «شلمنصر الخامس» انما كان فى شهر Toletu ، وأن اعتـلاء «سرجون الثانى» عرش أشور انما كان فى اليوم الثانى من نفس الشهر ، وهذا يتأخر به الى ديسمبر من عام ٧٢٢ ق٠م ، كما يعتبر هذا السفر تدمير مدينة «الشامريين» — والتى يمكن أن توجـد بالسامرة — من الاحداث الهامة فى عهد «شلمنصر الخامس» ، وتؤرخ المعركة بعام ٧٢٢ ق٠م ، وفى الغالب فيما بين الربيع والخريف من هذا العام ، وان كان هناك من يقرأ اسم المدينة على أنها «الشابريين» بدلا من «الشامريين» ، ويرى أنها ليست مدينة السامرة ، وان كان هذا الاحتمال ضعيفا[(٧٢)].

هذا وطبقا لما جاء فى رواية «يوسف اليهودى» — كما جـاءت فى الحوليات السورية —[(٧٣)] فلقد اجتـاح «شلمنصر الخامس» فينيقيـا

= وكذا R. Sayed, VI, 17, 1967, P. 116-118.
S. Yeivin, VI, 2, 1952, P. 164.
R. Borger, JNES, 19, 1960, P. 49-53.
Von Bissing, RT, 34, 1912, P. 125.
A. T. Olmstead, Western Isia in The Days of Sargon of Asseria, Chicago 1908, P. 56, 70.

(٧١) أنظر عن السامرة (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩٠٠ — ٩٠٢) .

72) J. Finegan, Op. Cit., P. 208.
وكذا A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 45.
A. T. Olmstead, AJSL, 21, P. 181 F.

73) Josephus, Antiqunties, IX, 14, 2.

ومدنها ، وكانت صيدا وصور البرية وعكـا ترغب فى تحرير نفسها من السيطرة المالية لمدينة صور التى فى الجزيرة وزعامتها ، ومن ثم فقـد اعترفت بسيادة الفاتح الاشورى ، وأعطته أسطولا يتكون من ستين سفينة ، يعمل فيها نحو ثمانمائة مجدف فينيقى ، وقد تفـرق أسطول شلمنصر فى معركة مع سكان الجزيرة ، ولكن عددا كافيا من جنوده بقى ليقوم بمحاصرة الجزيرة من الساحل ، وكانت الابار الموجودة داخـل المدينة القائمة فى الجزيرة كافية لحاجات السكان ، وأخيرا انتهى الحصار الذى دام سنوات خمس بمعاهدة تحفظ لصور كرامتها(٧٤) .

(٣) سرجون الثانى (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م)

تولى «سرجون الثانى » Sargon, II (شارو ـ كين Sharru - Kin) عرش أشـور بعد «شلمنصر الخامس» الذى لا نعـرف علاقته به ، على وجه اليقين ، وان كان هناك من يذهب الى أنه ابن للملك «تجلات بلاسر الثالث» ، وعلى أية حال ، فلقد كان «سرجون الثانى» على رأس أسرة حكمت الدولة الاشورية حتى نهاية كيانها السياسى ، ونسبت اليه (الاسرة السرجونية) .

وهناك ما يشير الى أن بعض الاقاليم والمقاطعات الاشورية البعيدة قد استغلت فرصة اعتلاء سرجون العرش ـ ربما بشكل غير شرعى ـ وأعلنت التمرد بتحريض من دولة «أورارتو» وعيلام ومصر وبعض المدن السورية ، فضلا عن القبائل الجبلية والكلدية ، وقد تمكن «مردوخ ـ ابل ـ ادينا» (مردوخ بالادان الثانى فى التوراة) من اغتصاب العرش البابلى ، بعون من عيلام ، ورغم محاولات سرجون الثانى القضاء عليه فى الفترة الاولى من اعتلائه العرش ، غير أنه ظل ملكا على بابل لمـدة سنوات عشرة (٧٢٠ ـ ٧١٠ ق.م) ، وذلك لانشغال سرجون بالجبهة الغربية ، وقد قاست بلاد بابل فى عهده من ضائقة مالية ، بسبب تحكم القبائل الكلدية والعيلامية فيها ، وكان البابليون يستغيثون بسرجـون

---

(٧٤) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، محمد بيومى مهران : بلاد الشام ـ الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٥٨ .

الثانى ، الذى ما ان نجح فى توطيد مركزه فى الجبهـــة الغربية ، حتى اتجه الى بلاد بابل وفتح مدنها ، ونصب نفسه نائبا عن الاله فيها ، غير أنه أعاد تنصيب «مردوخ ــ ابل ــ ادينا» (Marduk - Apal - Iddina) زعيما على قبيلته الكلدية[٧٥] .

على أن الخطر الرئيسى الذى كان يواجه الدولة الاشورية ، انما هو دولة «آورارتو» فى الشمال (آرمينيا المعاصرة) ومملكة «زكرتو» شرقى بحيرة وان (فان) ، فضلا عن الميديين الايرانيين ، ولم تتمكن الحملات التأديبية من القضاء على الاضطرابات التى أثارتها هذه القوى فى المنطقة مما اضطر «سرجون الثانى» الى القيام بحملة عسكرية كبيرة على المنطقة فى عام ٧١٤ ق.م ، وقد عرفت هــذه الحملة لدى الباحثين «بحمـــلة سرجون الثامنة» ، وأخذت تفاصيلها فى التقرير الذى كتبه سرجـــون على شكل رسالة للاله أشور ، أبى الارباب ، الجبار الذى يســكن فى معبد «جبل البلدان العظيم» ، ثم يرسل تحياته الى الالهة الاخرى التى تختص بالمصير ، والى الالهات اللواتى لهن هياكل فى المعبد ، وبعد أن يرسل بتحياته الى مدينته وبلاطه يتمنى السلام لنفسه ولجيشه ، ثم يربط توقيت الحملة بشهر «دوزو» المكرس للمعبود نينورتا ، والذى كان موعدا لحملته التى انطلقت من عاصمته «كالح» (نمرود) .

ثم يمضى فى وصف الصعـــاب التى قابلته فى عبور الانهـــار ، أبان فيضانها ، وكيف عبر الزاب الاعلى والاسفل ، دون أن يعترى جنوده خوف أو ملل ، حتى بدأت الانهار أمامهم ، وكأنها قنوات صغيرة ضيقة ، وكيف عبر الجبال العالية ، المغطاة بأشجار كثيفة ، التى تتخللها الوديان المظلمة كظلام غابة الارز ، وكيف انطلق الفرسان والمشاة والعـــربات الحربية فوق الجبال كالنسور ، وعندما وصلت الحملة أرض العـــدو ، تقدم ملكها وعائلته ونبلاؤه ومستشاروه بجزاهم من الماشية وخيـــول

---

(٧٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٦ ــ ١٨٧ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 287-288.

العربات وسائقيها ، ثم قبل الملك أقدام العاهل الاشورى ، وسأله أن يعيد حدود دولته الى سابق عهدها ، فأجابه سرجون الى سؤله ، وقبل جزيته وجزية مختلف امرائه ، ثم نصب عليهم حاكما أشوريا •

ثم تصف الوثيقــة سرجون بأنه جــد حريص على طــاعة قوانين «شمس» ، وأنه يصغى باجلال الى كلمات الالهة الكبار ، ولا يتجــاوز وصاياها ، وأنه مستقيم ورحيم ، يكره الباطل ولا ينطق بسوء ، وأنه شجاع لا يخشى العدو ، فرمى بنفسه بين صفوفه كالسهم ، وألحق به هزيمه شنعاء ، وجنى كثيرا من الغنائم ، وأسر مائتين وستين من أقارب «روساس» (Rusas) ملك «أورارتو» الذى سرعان ما امتطى صهوة جواده ، وانطلق هاربا بجيشه ، وسرعان ما سقطت المعاقل بعد ذلك ، الواحدة تلو الاخرى ، عندما أحرق الاشوريون المحاصيل ، ونهبــوا مخازن الغلال ، ثم يمضى سرجون فيقول : لقد قدت حيوانات معسكرى نحو الريف القريب من المدينة ، فدمرت الديوانات المحاصيل ، فضلا عن السـهول •

غير أن ملك «موساسير» mussasir — وتقع فيما بين غربى بحيرة قزوين وجنوبى بحيرة فان — قد نقض العهد الذى قطعه على نفسه أمام الالهة — أشور وشمس ونبــو ومردوخ — ولم تصل هداياه ، أو يأت ليقبل قدمى سرجون ، ومن ثم فقد أستحق العقاب السريع •

وهكذا تمكنت الحملة من تحقيق أهدافها ، والقضــاء على أسباب الاضطرابات فى المنطقة ، على الرغم من الصعوبات الكثيرة التى واجهها الجيش الاشورى أثناء تقدمه فى المنطقة الجبلية(٧٦) •

---

(٧٦) جورج كونتنيو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وأشور — ترجمة سليم التكريتى وبرهان عبد التكرينى — بغداد ١٩٨٦ ص ٢٦٠ — ٢٦٥ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٣ — ١٥٤ ، وكذا

J. Laessoe, Op. Cit., P. 113-114.

H. W. Saggs, Iraq, 20, 1958, P. 182-212.

D. D. Luckenbill, Op Cit., Parag. 139-189.

A. L. Oppenheim, JCS, 19, 1960, P. 133-147.

G Roux, Op Cit, P. 289-290

وأما بالنسبة لبلاد الشام : فان سرجون الثانى انما يحدثنا عن تمرد فى شمال الشام تزعمته مدينة «حمـــاة» (Hamath) ، وأنه استطاع أن يقضى على هذا التمرد فى «قرقر» (Qarqar) عـــام ٧٢١ ق•م ، كمــا يحدثنا عن سقوط الســـامرة ــ عاصمة دويلة اسرائيل قائلا : «فى بداية حكمى ، وفى السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واستوليت عليها ، ونقلت من أهلها ٢٧٫٢٩٠ مواطنا ، واستوليت على خمسين عــربة من السلاح الملكى ، ثم ملأتهــا بسكان أكثـــر مما كان فيها ، فأحللت بهــا مواطنين جدد، من بلاد كنت قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب : كما يفعل الاشوريون»[٧٧] •

وانطلاقا من هذا ، فان سقوط السامرة انما قد تم فى أوائل السنة الاولى من عهد «سرجون الثانى» (٧٢٢ ــ ٧٠٥ ق•م) ، وأن ذلك قد حدث بعد فترة ما من ديسمبر عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، ومن ثم فربما كان ذلك فى أوائل عام ٧٢١ ق•م ، الامر الذى يتناقض مع رواية «شلمنصر الخــامس» (٧٢٧ ــ ٧٢٢ ق•م) التى تنسب سقوط الســـامرة الى أيامه[٧٨] ، بل ان هناك وجها للنظر يذهب الى أن السامرة انما سقطت فى عام ٧١٥ ق•م[٧٩] ، وهناك آخر يرى أنها سقطت فى عـــام ٧١١ ق•م[٨٠] •

وعلى أية حال ، فاذا كانت الســـامرة قد سقطت فى ربيع أو حتى خريف عام ٧٢٢ ق•م ، فقد بقيت شهور قليلة من هذه السنة ، حتى وفاة «شلمنصر» فى ديسمبر من تلك السنة ، وأن ذلك ربما قد جعل الامر

---

77) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon, II, Part, I, The Annalas, P. 5.
وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, P. 284-5.
(٧٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩٤٠ ــ ٩٥٠ ، بلاد الشام ص ٣٨٦ ــ ٣٨٩ ، وكذا
J. Fingan, Op. Cit., P. 210.
79) BIFAO, LI, P. 27.
وكذا
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 342.
80) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 210.

سهلا بالنسبة الى سرجون الثانى ــ فى نقوش كتبت فى فترة من عهده ــ من أن ينسب الى نفسه ــ تيها وتفاخرا ــ الامر الذى قام به فى الواقع سلفه «شلمنصر الخامس» ، وأن نفى سكان السامرة انما قد بدىء به بالكاد على أيام شلمنصر الخامس ، غير أن الانجاز الفعلى لهذا النفى، ربما كان من عمل سرجون الثانى ، دون غيره(٨١) ، هذا فضلا عن أن سرجون ربما كان قد شارك فى احتلال السامرة مع أخيه شلمنصر الخامس ، قبل اعتلائه العرش ، ولعل من المفيد هنا أن نشير الى أن رواية التوراة انما تذهب الى أن شلمنصر قد حاصر السامرة ، وأنهم قد «أخذوها» فربما تشير صيغة الجمع هنا الى اشتراك «سرجون الثانى» مع «شلمنصر الخامس» فى نهاية الحصار ، ولكنها من ناحية أخرى ، قد تشير ببساطة الى «الجيش الاشورى» فى صيغة الجمع كذلك(٨٢) .

وأيا ما كان الامر ، فان سرجون الثانى قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية ــ ربما النبلاء والاغنياء ــ الى «حلج وخابور نهر جوزان ، وفى مدن مادى» ، وبعد سنوات قليلة ــ وربما فى عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق٠م ــ وبعد قلاقل فى سورية وفلسطين ، ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة ، بما فيها دمشق والسامرة ، تكررت العملية على درجة كبيرة ، ثم سرعان ما شارك سكان غربى الجزيرة العربية فى هذه الاضطرابات بنصيب كبير أو قليل ، وحين نجح العاهل الاشورى فى القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل ــ كما تقول التوراة ــ على أن يأتى بقوم آخرين، وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم مجاميع من العرب ، حددهم النص الاشورى «بقبائل تامودى وايبا ديدى ومرسيما نو وجبايا ، (٨٣)

---

81) A. T. Olmstead, AJSL, 47, P. 262.
J. Finegan, Op. Cit., P. 210.
وكذا
(٨٢) ملوك ثان ١٠/١٨ وكذا
J. Finegan, Op. Cit., P. 210, No. 291.
(٨٣) أنظر عن هذه القبائل العربية الشمالية (ألويس موسل : شمال الحجاز ـ ترجمة عبد المحسن الحسينى ـ الاسكندرية ١٩٥٢ ص ٩١ ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ـ الرياض ١٩٨٠) .

والعرب الذين يعيشون بعيدا فى الصحراء ، الذين لا يعترفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد أتوا بجزاهم لأى ملك ، سبيت الاحياء منهم ونقلتهم الى السامرة»[٨٤] .

ونقرأ فى التوراة أن العاهل الاشورى قد جاء كذلك بقوم من بابل وكوث — وهى تل ابراهيم على مبعدة ٢٤ كيلا شمال شرق بابل — ومن «عـوا وحمـاه وسفروايم ، ومن سـوسة وعيـلام[٨٥] ، وربما كان الاشوريون يهدفون من وراء ذلك كسر التحالفات القديمة — بادخـال أجانب فى البلاد،ربما كانوا فى بعض الحالات من الاشوريين أنفسهم — وبداية لظروف جديدة أكثر ملاءمة للامبراطورية الاشورية الطموح ، وعلى أية حال ، فمن الصعب أن نقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الاقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتمـاعية والسياسية والدينيـة بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من اجراءات ، وليس هناك من ريب ، فى أن الغزوات الاشورية انما قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة، كما أن الاحوال القديمة قد تغيرت ، واختفت المعالم القديمة ، واضمحلت المشاعر المحلية والقومية ، ودمرت الدويلات الحاجزة ، وأدى سقـوط الممالك الارامنة الى اضعاف «أفرايم» (اسرائيل) وكشف سقوط الاخيرة دويلة يهوذا[٨٦] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد أعاد الاشوريون تنظيم مملكة السامرة ،

---

84) A. L. Oppenheim, ANET, P. 296.

(٨٥) ملوك ثان ١٤/١٧ ، عزرا ٩/٢٤ .

(٨٦) عوا : مكان فى بلاد بابل غير معروف الان ، وأما «حماة» فهى مدينة على نهر العاصى ، شمال حمص ، احتلها الاشوريون حوالى عـام ٧٢٠ ق٠م ، وأسماها السلوقيون «ابيفانيا» ، وأما «سفروايم» ، فهمـا بلدتان على ضفتى الفرات على مبعدة ٢٥ كيلا جنوب غرب بغداد ، ويرى «رسام» أنهما «أبو حبة» الحالية ، ويرى آخـرون أنهما «شومورية» شرقى بحيرة حمص ، وأما «سوسة» فهى عاصمة عيـلام ، وهى دولة قديمة ارتبطت ببلاد النهرين بعلاقات مختلفة — ودية وعدائية — وتقـع غـربى مملكة فارس ، وشرقى مملكة بابل ، وجنوبى مملكتى أشـور وميـديا .

على أنها اقليم أشورى يخضع لامرة حاكم أشورى ، ثم غزو الحاميات العسكرية الاشورية بجنود من مستوطنين ، أتوا بهم من بلاد بعيدة ، ددث لها ما حـدث لفلسطين من غـزو وتهجير ، وأخـيرا فان هؤلاء الجدد سرعان ما تزاوجوا مع السكان الاصليين ، وهجروا تقاليدهم الى حد ما ، وظهر جنس جـديد ، هم «السامريون» نسبة الى عاصمتهم «السامرة» ، قريب الشبه بجيرانه اليهوذيين دما وثقافة ، وان اختلفوا فى ميولهم السياسية[87] .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن «سرجون الثانى» انمـا قد اتجـه ــ بعد سقوط السـامرة ــ الى فينيقيـا ، وكان «ايلو ايلى» ــ الموالى لمصر ــ هو ملك صور ، فدافع عن مدينته ضد الاشوريين وظهر كأهم شخصية فى منطقة الساحل الفينيقى فى عهد «سرجون الثانى» ويبدو أنه فرض سلطته على جـزء كبير من فينيقيا ، حتى أنه حـاول اخضـاع قبرص كذلك[88] ، غير أن هنـاك من يرجح أن قبرص دفعت الجزية للملك «سرجون الثانى» ، وربما دخل قسم من الجيش الاشورى جزيرة قبرص ، كما أقيم نصب نقشت عليه صورة سرجون ، ومن ثم فقد روت نصوصه أنه أخضع سبعة ملوك من اقليم «ايا» فى قبرص ، غير أن أشور لم تكن بالدولة البحرية التى تستطيع أن تمد نفوذها على قبرص بمجهود يمينها ، كما ادعت نصوصها ، وانما يبدو أن صور وصيدا كانوا يسيطرون بالفعل على الجزيرة ، فلمـا دانت المدينتان لنفـوذ سرجون ، سارعوا بالتالى الى اعلان ولائهم فى قبرص ، حتى لايتصدى أعوان الاشوريين لعرقلة نشاطهم التجارى على سواحل الشام ، وفيما بينها وبين قبرص[89] .

---

87) C. Roth, A Short History of The Jewish People, London, 1969, P. 28-29.

(٨٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 284.

(٨٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٤ .

هذا وتشير نصوص العام الحادى عشر الى أن «عزورى» (Izuri)
ملك أشدود قد عمل على منع الجزية ، «وأرسل رسلا بالعدوات ضـــد
أشور الى الملوك المجاورين ، ومن ثم فقد ألغيت حكمه وعينت بدلا عنه
أخاه الاصغر «أهيميتى» (Ahimiti) ، غير أن الحيثيين ، هم دائما وراء
الغدر والخيانة ، كرهوا حكم «أهيميتى» ، ونصبوا عليهم يونانيا ، هو
«يامانى» ليس له حق فى العـــرش ، ولا يدرك المسئولية مثلهم ، وفى
غضبة مفاجئة ، أسرعت فى عربتى — ومعى فرسانى فقط ، وهم لايتخلون
عنى حتى فى البـــلاد الصديقة — نحـــو أشدود ، فهـــرب «يامانى»
(Ia - Ma - Ni) الى «مصرو» (Musru) التابعة الان لاثيوبيا ، ولم
يعرف المكان الذى اختبأ فيه ، ثم تقدمت نحو أشدود وحاصرتها،وغزوت
مدن أشدود ، جت (Gath) و «أشدوديمو» (Asdudimmu) [٩٠] ، وأخذت
معبوداتها وسكانها وذهبها وفضتها وأمتعتها غنيمة ، ثم أعدت تنظيم
هذه المدن ، ووضعت ضابطا من قبلى حاكما عليهم ، وأتيت بمواطنين
من المناطق الشرقية التى أخضعتهـــا ، وأسكنتهم هنـــاك ، وأصبحوا
مواطنين آشوريين يحملون نيرى ، وأرسل ملك أثيوبيا الذى يعيش فى
بلاد بعيدة لا يمكن الوصول اليها ، ليسأل عن أبائى الملكيين ويقول : انه
يسمع منذ زمن طويل عن أشور القوى ، وعن نبو ، وعن مردوك ، ان
الضوء الخلاب لعظمة ملكى أعماه ، ثم ألقى (باليونانى) فى القيـــود
وصفده فى أربطة الحديد ، ثم ساقوه الى أشور فى رحلة طويلة» [٩١] .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن «سرجون الثانى» انما حدثنـــا فى
حوليات السنة الاولى أنه أخذ الجزية «من بيرو ، صاحب موصرى،ومن
شمسى ملكة بلاد العرب ، ومن أتعمارا «يثع أمر» أمير سبأ ، تبرا وخيلا
وجمالا» [٩٢] ، وأن أمير سبأ هذا انما كان يحكم — فيما يرى موسل —

---

90) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.
91) D. D Luckenbill, Op. Cit., Parag. 62.
92) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon, 11, King of Assyria, Part, I, The Ammals, Paris, 1929, P. 5.

فى شمال بلاد العرب ، على مقربة من البادية ــ اما فى أعالى الحجاز ، أو فى نجد ــ واما فى المناطق الجنــوبية من الاردن[٩٣] ، كما يشــير «سرجون الثانى» أيضا الى أنه تلقى الهدايا من ملوك ساحل البحــر ، وآخرين من البادية ؛ تبرا وأحجارا كريمة وعاجا وحبوبا وأبنوسا وكل أنواع العطور ، وخيلا وجمالا[٩٤] .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن ملوك ساحل البحــر والبادية هؤلاء ، انما كانوا يحكمون أرضا واسعة ، تمتد من البحر الاحمر وحتى البادية ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنهم كانوا يحكمون المنطقــة التى تقــع الى الشرق من مكة المكرمة ، وحتى حــدود سبأ الشمالية[٩٥] ، بل ان «هومل» ليذهب الى أن نفوذ الملك الاشورى انما قد وصل الى سبأ نفسها ، ومن ثم فقد أسرع ملكها يحمل الجزية الى سرجون ، حتى لا تقع أملاكه آخر الامر تحت سلطان الاشوريين[٩٦] ، وأيا ما كان الامر ، فان سرجون انما يشير كذلك الى أنه تلقى هدايا من ملك «دلمون»[٩٧] (جزيرة البحرين) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن سرجون الثانى انمــا قد ذكر فى معرض حديثه عن «دلمون» أنه أخضع الى سلطانه «بيت ياكين» فى ساحل البحر المر الى تخوم دلمون ، والراجح أن اقليم «بيت ياكين» انما قد امتد حتى شمل دولة الكويت ، أو جزء منها ، كما أن العــاهل الاشورى قد غزا ، فضلا عن ذلك ، مجــان وملوخا ؛ وربمــا للسبب التقليدى ، وهو الحصول على أحجار من «مجان»[٩٨] .

---

93) A. Musil, Northen Hegaz, P. 479.
94) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.
95) E. Glaser, Op. Cit., P. 260 F.
96) F. Hommel, Grundriss, P. 58.
97) J. H. Belgrave, Welcom to Bahrain, London, 1965, P. 87.
وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 261.
(٩٨) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ـ القاهرة ١٩٦٦ ص ١١٧ .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ، أن «سرجون الثانى» لم يستقر فى عاصمة واحدة ، فلقد اتخذ فى أول أيام حكمه مدينة أشور عاصمة له، ثم انتقل منها الى «كالح» (نمــرود) ، وفى منتصف حكمه اتخذ من «نينوى» عاصمة له ، وأخيرا ، وفى السة التاسعة من الحكم (حوالى عام ٧١٣ ق٠م وربما فى عام ٧١٧ ق٠م) بدأ فى بناء عاصمته الجديدة «دور ــ شاروكــين» (Dur - Sharrukin) ــ أى مدينــة سرجون أو حصن سرجون ، وقد اختار لها موضعا فى قرية كانت تدعى «مكانبا» ، وهى «خرسباد الحالية» على مبعدة ١٦ كيلا شمال شرق نينوى ، وقد استمر بناء المدينة حوالى سبع سنين (٧١٣ ــ ٧٠٦ ق٠م) ، ولكنه لم يتمتع بها طويلا فقد مات فى العام التالى (عام ٧٠٥ ق٠م) ، وقد ترك بعض أجزائها غير كاملة ، ولم يكتف خلفــاؤه بهجرها والانتقــال الى نينوى ، وانما شوهوا كثيرا من منحوتاتها ، ونقلوا بعضها الى قصورهم فطمست معالمها ، وان ظل اسمها فى ذاكرة الاجيال المتأخرة ، فلقد عرف العرب اسم «سرجون» ، وشوه الساسانيون اسم المدينة ، وأطلق عليها اسم «خسرو ــ أباد» أو «مدينة خسرو» ومن هنا جاء اسمها الحالى محرفا الى (خرسباد) أو «خورسباد»[٩٩] ٠

(٤) سنحــريب (٧٠٥ ــ ٦٨١ ق٠م)

جاء «سنحــريب» (Sennacherib) (ســين ــ آخى ــ اريبا = (Sin-Ahhe-eriba بعد أبيه «سرجون الثانى» الذى مات غيلة ، على أن الامبراطورية كانت وقت ذاك تنعم باستقرار نسبى ، نتيجــة لجهود سرجون العسكرية الكبيرة ، ولاسيما فى الجبهة الشمالية ، ومن ثم فقد كان عهد «سنخريب» عهد رخــاء اقتصادى تمثل فى نشــاطه العمرانى الذى شمل كثيرا من المدن الاشورية ، وخاصة «نينوى» التى اتخذها عاصمة له عند توليه الحــكم ، بدلا من عاصمة أبيه « دور ــ شروكين» (خرسباد الحالية) ٠

---

(٩٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩١ ــ ١٩٢ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 291-292.

وقد اهتم «سنخريب» بعاصمته نينوى كثيرا ، فأعاد بناء أسوارها ببواباتها ، وبلغ محيط المدينة شبه المنحرف قـرابة اثنى عشر كيلا ، وشيد القصور والمبانى الملـكية فى الموقع المعـروف حاليا باسم «تل قوينجق»؛ فى حين تركزت المعابد فى موقع «تل النبى يونس» ، وقدكشفت الحفريات التى أجريت فى «تل قوينجق» عن الفن الاشورى المعمارى ، فضلا عن التأثيرات السورية على الطرز المعمارية والفنية ، والتى تشير الى مدى افادة «سنخريب» من الحرفيين السوريين الذين جلبهم معه، وأسكنهم فى نينوى،كما عمل «سنجريب» على فتح الشوارع والساحات الكبيرة وفق تصميم كامل للمدينة ، هذا فضلا عن انشاء حدائق وبساتين داخل المدينة ، زرع فيها مختلف أنواع النباتات والاشجار التى كانت تنمو فى المناطق الجبلية ، فضلا عن تلك التى وصلتها الجيوش الاشورية فى سورية ولبنان ، كما قام بعمل بركة صناعية كبيرة جمع فيهـا شتى أنواع الطيور والاسماك والحيوانات المائية ، الى جانب ارواء البساتين والحدائق .

هذا وقد اهتم سنحريب بتوصيل المياه العذبة الى نينوى ، ومن ثم فقد قام بتنفيذ مشروع رى ماتزال آثارها باقية ، حتى يوم الناس هذا، فلقد أتى بالمياه العذبة الى نينوى من مكان قريب من منبع نهر«الكومل» — على مبعدة ٨٠ كيلا من نينوى — أو «الجومل» (Gomel) من مجاز جبلى فى «بافيان» وذلك عن طريق قناة شيدت بحجر الكلس ، ونظـرا لمرورها فى مناطق ، فيها الوديان وفيها المرتفعات ، فقد شيدت لها قناطر على بعض الوديان ، بلغ طول احداها ٣٠٠ ياردة ، وعرضها ٢٤ ياردة، وقد نحت عند صدر القناة — عند القرية المعروفة الان باسم «خنس» — على وجه حجرة شاهقة صورة كبيرة للمعبودات ، وقد سجل عليها موجزا بأخبار تشييد المشروع[100] .

---

(١٠٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٥ — ١٥٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٣ ، وكذا

J. Loessoe, Op. Cit., P. 114.

وعلى أية حال ، فان السلام النسبى الذى تمتعت به آشور فى أول عهد سنخريب لم يدم طويلا ، فسرعان ما اضطربت الامور فى بلاد بابل وفى بلاد الشام ، فلقد عز على بابل أن تنجب زعيما من أهلها الاصليين يستعيد لها مجدها القديم ، فتعاقب على حكمهـــا فى عهد «سنخريب» (سينا خريب) ما لا يقل عن ستة ولاة ، ليس فيهم بابلى أصيل واحد، ومن ثم فقد استطاع أحد العبيد أن يصل الى العرش البابلى لمدة شهر، ثم ظهر على المسرح «مردوخ بالادان الثانى» (٧٠٣ ق٠م) ــ وكان سرجون الثانى قد أخضعه من قبل (وقد حكم فى الفترة ٧٢١ ــ ٧١٠ ق٠م) ، ثم عفى عنه بعد القضاء على حركته ــ غير أن «مردوخ بالادان الثانى» انما يقوم بتمرده هذه المرة (أى عام ٧٠٣ ق٠م) بعـــون من «شتروك ناهونتى الثانى» ملك عيـــلام ، وبعض أمراء العرب ، ولكن «سنحريب» ظهر عليهم ، فغلبهم عام ٧٠٣ ق٠م ، على مقربة من كيش، ووضع حاكما من قبله ، هو «بعل ابنى» الكلدانى (٧٠٣ ــ ٧٠٠ ق٠م) الذى نشىء فى نينوى ، ولكن «بعل ابنى» Bel - Ipni عاد بدوره فتآمر مع «مردوخ بالادان» (Merodac - Baladan) والعيلاميين فاقتيد أسيرا، ووضـــع مكانه «أشـــور ــ نادن ــ شـــومى» (Ashur - Nadin - Shumi) من أبناء الملك سنحريب (٧٠٠ ــ ٦٩٣ ق٠م) ، وقد حـــارب فى بابل وميزوبوتاميا العليا ، ثم ضد الكاشيين ، ثم لقن أهل الحـــدود عند ميديا درسا آخر • واضطر «مردوخ بالادان» فى نهاية الامر الى أن يهرب الى عيـــلام ، الامر الذى أدى الى انشـــاء أول أســـطول حربى كبير فى تاريخ الاشوريين ، اشترك فى بنائه صناع من صيدا وصـــور وقبرص وعملوا فيه عاما كاملا فى تل ترسيب على الفرات ، وفى نينوى على دجلة ، وتحرك الاسطول الى نقطة الانطلاق براقد «كارون» عند مدينة «ناجيتى» ، وانتهى الامر بهزيمة «مردوخ بالادان» ، ومع ذلك فلم ترضخ بابل ، وانما استمرت فى ثوراتها ، فحوصرت مدى عـــام ، ثم فتحت عنوة فى عام ٦٨٩ ق٠م ، وخربها رجـــال سنحريب تخريبـــا عنيفا ، وسلطوا نهر الفـــرات على أنقاضها حتى أغرقوهـــا ، وبمنطق المنتصر المعوج لم يتورع ابن سنحريب عن تبرير هذا التخـــريب على

حساب البابليين المغلوبين تقوله : «لقد كانوا من قبل يذلون الضعيف، وشاع الطغيان فى مدينتهم والرشا والنهب ، وكان الولد يسب أباه فى الطريق ، والعبد يهين مولاه ، والجـارية تعصى سيدتها ، ولقد عطلوا القرابين ووضعوا أيديهم على كنوز «اساجيل» (معبد الارباب) ، وباعوا الفضة والذهب والاحجار الكريمة منه الى عيلام ، فغضب مردوك انليل الالهة ، ودبر أمره على قهر البلد وتشتيت أهلها» ، غـير أن سنحريب بعد عامين من هذه الاحداث (أى فى عام ٦٨٧ ق٠م) ، أشرك معه فى الحكم ولده «اسر حدون» وجعل منه حاكما على بابل ، وكان الامـير الصغير ابنا لامرأة بابلية ، وزوجا لبابلية أيضا ، فأعاد لبابل بعضا من عزها القديم ، وحاول تجديدها ، واحياء ما تهدم من مبانيها[١٠١] ٠

وهناك ما يشير الى أن سنحريب انما قام بعدة حـروب فى غرب بحيرة وان (فان) وفى قليقيا ، وفتـح المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى الساحلية ، ، وبنى فى طرطوس مدينـة آشورية يدير منها أملاكه هناك[١٠٢] ، ونقرأ فى نص أشورى أن سنحريب قد أرسل حملة الى منطقة الخليج العربى ، نجحت فى القضاء على أرض البحر[١٠٣] ،

---

(١٠١) نجيب ميخـائيل : المرجـع السـابق ص ٢٧٦ — ٢٧٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 242, 246-247, 318-322, 350, 353-354.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 301-302.
S. Parpola, Iraq, 34, 1972, P. 21-34.
J. A. Brinman, in JCS, 25, 1973, P. 89-99.
G. Roux, Op. Cit., P. 294-279.

102) G. Roux, Op. Cit., P. 294-295.
وكذا H. R. Hall, Op. Cit., P. 486-488.

(١٠٣) كان هناك رأى سائد يذهب الى أن أرض البحر انمـا هى الاغوار الواقعة الى الشمال من الخليج العربى ، غير أن هنـاك اتجاهـا جديدا يجعلها جزءا من شبه الجزيرة العربية نفسها ، متضمنة شواطىء الخليج العربى ، حتى جزيرة البحرين ، وربما كانت تشمل كذلك النفود حتى خليج العقبة (انظر
(P. K. Hitti, History of The Arabs, 1960, P. 38.

واجباره على الفرار الى عيلام[١٠٤] •

كان موت «سرجون الثانى» فى عـام ٧٠٥ قبل الميـلاد ، وتولية «سنحريب» (٧٠٥ — ٦٨١ ق•م) بمثابة الاشارة للثورة التى انتشرت كالنار فى الهشيم بين الولايات الموالية لآشور ، وفى هذه الاثناء تدخل «مردوخ بالادان» ملك بـابل ، الذى كان يقـود الثورة فى الاراضى الغربية ، بطريقة أكثر حـزما فى السياسة اليهوذية ؛ ونظـرا لشفاء «حزقيا» ملك يهوذا (٧١٥ — ٦٨٧ ق•م) من مرضه الخطير الذى كان قد أصيب به ، وللثقة فى التخلص من قبضة الاشوريين ، فان «حزقيا» استقبل بعثة من قبل الملك البابلى ، تحمل اليه السلام ، وتحضر اليه الهدايا ؛ وقام حزقيابفتح خزائنه ، ومحتويات مخازنه الحربية ، وتم التحالف مع بابل ، الذى اشترك فيه العرب وآخرون •

وأما مصر ، فقد كان لها هناك فى أورشليم حزب قوى يبغى التحالف معها ، ويطلب الحماية منها ، وينجـح الان فيما فشل فيه من قبـل ، فلا يسمع حزقيا لنصائح «اشعياء» النبى (٧٣٤ — ٦٨٠ ق•م) ، ولا يضيع على نفسه فرصة موت سرجون الثانى ، ومن ثم فان ملك يهوذا انما يطلب من مصر التدخل فى شئون فلسطين لتدعيم مركز الثائرين ؛ ومساعدتهم على التخلص من النير الاشورى ، وهكذا تكون حلف يضم فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون[١٠٥] ، فضلا عن القبائل العربية فى شمال الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) ، وفوق الجميع كانت مصر ، وأخيرا حزقيا ملك يهوذا ، حيث «عصى على ملك آشور ، ولم يتعبد له» على حد تعبير التوراة[١٠٦] •

---

(١٠٤) جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى — ترجمة السيد يعقوب بكر — القاهرة ١٦٥٨ ص ٣٨ •

(١٠٥) انظر عن ممالك مؤاب وأدوم وعمون (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٥٤٧ — ٥٥٨ ، بلاد الشام ص ٢١٥ — ٢٢٦) •

(١٠٦) ملوك ثـان ١/٢٠ — ١٩ ، محمد بيومى مهران : المرجـع السابق ص ٣٩٥ — ٣٩٦ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 267-268.

وهكذا انتهزت مصر وبابل فرصة قيام ملك جديد فى أشور لاثارة المتاعب فى طريقه ، وكانت بابل تسعى لرفع نير أشور عن كاهلها ، وان لم يكتب لها نجحا فى مسعاها ، وكانت مصر تستهدف استعادة نفوذها على فلسطين ، وهكذا تجددت العداوة الكامنة بين القوتين الكبيرتين — مصر وأشور — فى عهد سنحريب(١٠٧) .

وعلى أية حال ، فلقد نهج سنحريب نهج سلفه ، فأعاد فتح المدن الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا ، بعد أن أعلنت صور وعسقلان العصيان ، فسارع اليهما سنحريب وأخضعهما عام ٧٠٠ ق.م ، ثم عين «أبو بعل الثانى» ملكا على صيدا ، وحدد له الجزية التى يلتزم بآدائها، ثم بعد ذلك قدم ملك «أرواد» و «أورملكى» ملك جبيل (بيبلوس) الولاء لملك أشور ؛ وقام سنحريب بعد ذلك بنقل عمال فينيقيين الى عاصمته نينوى ، ليقوموا بصنع سفن لهم تشبه سفنهم ، وقد جهزت هذه السفن ببحارة من صور وصيدا ، فضلا عن اليونانيين ؛ وربما القبارصة كذلك ، واستطاع سنحريب أن يقوم بهذا الاسطول لبحملة بحرية (نهرية) على الدجلة لاخضاع شعوب «بيت ياقين» أو «بيت ياكين» Bit - Iakin والعيلاميين ؛ وأن يعود من هناك بأسرى ، وذلك فى عام ٦٩٤ ق.م(١٠٨) .

وفى عام ٧٠١ قبل الميلاد ، كان الجيش الاشورى قد اتجه الى فلسطين لغزوها ، واخضاع مدنها الساحلية ، الواحدة تلو الاخرى ، وفى هذه الاثناء ظهرت قوة مصرية فى الجنوب الغربى من فلسطين قرب «التقية» أو «التكة» — وهى خربة المقنع الحالية ، على مبعدة ٩ كيلا جنوبى عقرون ، ١١ كيلا شمالى تبنة (تمنة) — وأكبر الظن أن المصريين لم يستخدموا قوة كبيرة وقت ذاك ، وعلى أية حال ، فان سنحريب يصف منافسيه بأنهم «ملوك مصر» — أى حكام المدن — وربما كانوا

---

(١٠٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٦ .
(١٠٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ، وكذا
G. Roux, Op Cit., P. 296-297.

دن الادراء فضلا عن النبالة وفرسان الفرعون «طهراقا» (٦٨٩ — ٦٦٤ ق٠م) ، ومن الواضح أن الاشـــارة فى التوراة عن تدخــل «ترهاقة» (طهراقا) ملك كوش ضد سنحريب ، انما هى خطأ تاريخى ، ذلك لان «شباكا» انما كان ما يزال فى عام ٧٠١ ق٠م ، ملكا ، وأن ابن أخيــه «طهراقا» لم يخلفه على العرش ، الا فى عام ٦٨٩ ق٠م[١٠٩] ٠

وأيا ما كان الامر ، فان قوات «سنحريب» قد اخترقت بلاد يهوذا ، وفتحت حصونها واحدا اثر آخر ، ثم احتلت ستا وأربعين مدينة مسورة ، مع عدد من المدن الصغرى ، أو بمعنى آخر ، فان بلاد اليهودية كلهــا تقريبا قد سقطت فى أيدى الاشوريين ، وكل ما استطاع حزقيا الحفاظ عليه انما كان أورشليم ، كما أن واحدة أو اثنتين من القلاع الحصينة فى الجبهة الغربية استمرت تقاتل الاشوريين ، ومنها «لاخيش» التى اتجه اليها سنحريب وأحكم الحصار عليها جنوده ؛ وهنا لم يكن أمام حزقيا شيئا يفعله فى هذا الموقف الميئوس منه الا الخضوع لسنحريب ، والا جزية كبيرة يدفعها له صاغرا ذليلا ، ومن ثم فقـــد أرسل حزقيا الى العاهل الاشورى فى «لاخيش» — ويرجح الان أنها «تل الدوير» على مبعدة ٨ كيلا غربى بيت جبرين[١١٠] — يقول : «قد أخطأت ، ارجع عنى ، ومهما جعلت على حملته ، فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة ، وثلاثين وزنة من الذهب ، فدفع حزقيا جميــع الفضة الموجودة فى بيت الرب ، وفى خزائن الملك»[١١١] ٠

ويبدو أن سنحريب قد أدرك أنه من خرق الرأى أن يترك أورشليم

---

(١٠٩) قاموس الكتاب المقدس ١٠٣/١ ، والتر امرى : مصر وبلاد النوبة — ترجمة تحفة حندوسة — القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 450.

M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 268.

(١١٠) أنظـــر

W. Albright, ZAW, 6, 1929, P. 3.

W. M. F. Petrie, Tell el-Hesy (Lachish), 1891.

(١١١) ملوك ثان ١٣/١٨ — ١٦ ٠

الحصينة من ورائه فى يد حزقيا ، ومن هنا فقد أرسل قسما من جيشه، تحت امرة ثلاثة من قواده لحصار أورشليم والاستيلاء عليها ؛ وهكذا بدأ حصار أورشليم ، وأرسل ضباط سنحريب رسالة سخرية الى حزقيا الذى بدا فى مدينته «كالطير فى القفص» ، وانتشر الرعب بين القـوم الذين خيل اليهم أن ساعة أورشليم الاخيرة قد دنت ، ويفتح سنحريب لاخيش بعد ذلك ، ثم يتجه الى «التكة» لمهاجمة الجيش المصرى الذى كان يقوده «طهراقا» ، وفى أثناء ذلك حدث ما يدعو «سنحريب» الى العودة الى نينـوى ، وأنقذت أورشليم ، وسمح لحـزقيا بأن يحتفظ بعرش يهوذا ـــ كتابع لاشور — وان أجبر على دفع الجزية المتأخرة، وأن يرسل بناته ومحظياته الى سنحريب فى نينوى ؛ ومن المتفق عليه أن سنحريب قد أوقع على حـزقيا عقابا قاسيا ، وأنه جعـل سلطانه مقصورا على دويلة المدينة الصغيرة أورشليم ، واستولى منه على كل بلاد يهوذا ، التى وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له ، وهم «متنى» ملك أشدود ، و «سلبيل» ملك غزة ، و «بادى» ملك عقـرون ، الذى استعاد سلطانه القديم ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، ٣٠ وزنة من الذهب، ٨٠٠ وزنة من الفضة ، وأحجارا كريمة ، وكتل ألواح كثـيرة من الحجر الأحمر ، ومخادع مطعمة بالعاج وغير ذلك[١١٢] .

هذا وقد اختلفت الاراء فى الاسباب التى دعت سنحريب الى العودة المفاجئة الى بلاده ـــ خاصة وأن العاهل الاشـورى لم يشر الى تلك الاسباب ـــ ومن ثم فهناك من يرجع ذلك الى اضطراب خطير فى نينوى نفسها ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم وحمـائل دروعهم ، فكانت النتيجـة أنهم أصبحوا عزلا من السلاح ، ومن ثم فقد ولوا الادبار ، وسقط الكثيرون

---

(١١٢) ملوك ثان ١/١/١٧ ـ ٣٧ ، وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 288.
M. Noth, Op. Cit., P. 268-269.
P. R Dougherty, JBL, XLIX, 1930, P. 160-171.
K. Fullerton, AJSL, XLII, 1925, P. 1-25.

منهم صرعى(١١٣) ، وأخيرا ترجعها التوراة الى أن «ملاك الرب قد خرج وضرب من جيش أشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا ، ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة ، فانصرف سنحريب ملك أشور ، وذهب راجعا وأقام فى نينوى»(١١٤) .

وهكذا بات من الصعب علينا أن نعرف أسباب عودة سنحريب على وجه اليقين ، ذلك لان كلا من روايتى التوراة و «هيرودوت» انما تجعلها لأسباب غير عادية،فالاولى ترجعها الى قدرة «يهوه» — رب اسرائيل — ومن ثم فهى تعبر عن وجهة النظر اليهودية فى هذه الاحداث ، والثانية ترجعها الى قدرة الاله «هيفايستوس» — الاله المصرى بتاح(١١٥) — وعلى أية حال ، فلئن صدقت احدى الروايتين — أوهما معا — فذلك نوع من خوارق الامور ، وان كان الامر غير ذلك ، فربما كانت هناك أسباب داخلية فى نينوى نفسها ، دعت سنحريب الى العودة الى بلاده ، ليكون على مقربة من الاحداث ، وهذا ما نرجحه ونميل الى الاخذ به ، خاصة وأن سنحريب قد مات غيلة بعد ذلك(١١٦) .

وأما علاقة الملك الاشورى «سنحريب» بالقبائل العربية فى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) فاننا نقرأ فى نقوش ولده الملك «اسرحدون» (٦٨٠ — ٦٦٩ ق٠م) أن أباه «سنحريب» انما قد أخضع «أدوماتو» وأخذ أصنامها الى عاصمته نينوى ، والامر كذلك بالنسبة الى الاميرة «تبوءة» (Tabue) (تاربو) ، ويذهب «ألويس موسل» الى أن سلطة الملكة «تلخونو» (Telhunu) قد امتدت من دومة الجندل وحتى حدود بابل، وأن الملكة العربية انما قد وقفت الى جانب الثوار البابليين ضد

---

(١١٣) هيرودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر خفاجة ، ومراجعة وتقديم أحمد بدوى — القاهرة ١٩٦٦ — ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(١١٤) ملوك ثان ١٩/٣٥ — ٣٧ ، أشعياء ٣٧/٣٦ .

115) J. Laessoe, Op. Cit., P. 114.

(١١٦) أنظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩٧٠ — ٩٧٨ ، بلاد الشام ص ٣٩٧ — ٤٠٠ .

سنحريب ، ومن ثم فما أن انتهى العاهل الاشورى من القضاء على التمرد البابلى،حتى اتجه الى دومة الجندل ، وفرض الحصار عليها[117] .

وهناك مايشير الى أن خلافا وقع بين «تلخونو» (تعلخونو) وبين «حزائيل» (حــز ــ ايلى) ــ سيد قبيلة قيدار ــ الذى تولى قيــادة الجيوش ضد سنحريب ، الامر الذى أدى الى استسلام الملكة ، وفرار حزائيل الى البادية ، فضــلا عن أسر الاميرة «تبوءة» وأخذهــا الى العــاصمة الاشورية ، تمهيدا لاعــدادها لتكون ملكة على قــومها فى «أدوماتو» ، تعمل بأمر أشور ، وتنفذ سياســة ملوكها فيمــا يختص بالاعــراب[118] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك نقشا عثرت عليه بعثة المانية يفيد تقديم هدايا من أحجار كريمة وعطور للعــاهل الاشــورى «سندريب» من «كرب ايلو» السبئى ، والذى يرى العلماء فيه المكرب «كرب ايل بين»[119] ، وان كان الاشوريون قد أطلقوا عليه لقب «ملك» . وهنا فليس هناك من تعليل لهذا الخطــأ التاريخى ، سوى أنهم كانوا يجهلون ألقاب الحكام فى سبأ فى تلك الفترة[120] ، ويبدو أن سنحريب قد حقق كذلك نجاحا على الاعــراب ، كان سببا فى أن يفرض نفوذه عليهم بدرجة كبيرة ، تدعو «هيرودوت» الى أن يطلق عليه لقب «ملك

---

117) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 299.
D. D. Luckenbill, ARAB, II, P. 518.
G. Roux, Op. Cit., P. 308.
A. Musill, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 480.

(١١٨) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ــ الجــزء الاول ــ بيروت ١٩٦٩ ص ٥٩٢ ، وكذا
British Museum Tablets, K., 3087, 3405.

(١١٩) انظر عن «كرب ايــل بين» (محمد بيومى مهــران : تاريخ العرب القديم ــ الرياض ١٩٧٧ ص ٢٧٨) .

(١٢٠) جواد على : المرجع السابق ٢/ ١٨٠ ، وكذا
BASOR, 137, 1955, P. 10.
Encyclopaedia Biblica, 19, P. 785.
D. Nielsen, Handbuch, I, P. 76.

العرب والاشوريين»[١٣١] أو ان كان أستاذنا الدكتور أحمد بدوى ـ طيب الله ثراه ـ يرى أن أكبر الظن أن المقصود بالعرب هنا قد كانوا سكان وادى النهرين ، ومن يليهم من أهل البقاع المجاورة الذين خضعوا يومئذ لسلطان سنحريب[١٣٢] .

ومن ثم فعلينا ألا نبالغ كثيرا فى هذه الامور ، فمن المستبعد أن يكون الاشوريون قد وصلوا الى جنوب بلاد العرب ، وفرضوا الجزية على دولة سبأ ، وربما كان الارجح أن بعض الجاليات السبئية كانت مستقرة على طول الطريق بين شمال شبه الجزيرة العربية وسورية وفلسطين ، وهذه هى التى تعرضت لغارات الاشوريين ، وحتى الجزية التى يزعم الاشوريون أنهم أخذوها من الملكات العربيات أو الامراء العرب ، انما كانت هدايا أكثر منها جزية ، وأن السبئيين انما كانوا ينظرون الى أنفسهم كأنداد لملوك أشور ، أو حلفاء لهم ، وربما كان هناك تحالف بين الفريقين ضد البدو الجامحين من أبناء الشمال[١٣٣] .

(٥) اسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٩ ق٠م)

كانت نهاية «سنحريب» مدزنة ، وطبقا لما جاء فى السجلات الاشورية ورواية التوراة ، فلقد اغتاله أحد أبنائه فى ظروف غامضة ، وتولى العرش بعده ولده «اسرحدون» (Esarhaddon) أشور ـ أخا ـ أدين = (Ashur - aha - Iddin) ، بمعنى الاله أشور أعطى أخا ، وقد خلف لنا «اسرحدون» وثيقة يروى فيها طريقة اختياره ـ رغم أنه لم يكن الابن الاكبر والوريث الشرعى ـ للعرش ، ثم المؤامرات التى حيكت

---

121) Herodotus, II, 141.

(١٢٢) أحمد بدوى : هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٧١ .

(١٢٣) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ـ الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤١ ـ ٣٤٤ ، محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارة الشرق الادنى القديم ص ١٥٢ ، فؤاد حسنين : التاريخ العربى القديم ص ٧٦ ، ٨٧ ، وكذا

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 38.

ضده ، وأخيرا انتصاره على أخوته ووصوله الى العرش بعد مرحلة الفوضى والاضطراب التى سادت البلاد حينا من الدهر[١٢٤] .

ولاشك فى أن مهمة أسرحدون الاولى فى تلك الظروف انما كانت القضاء على الفتن والاضطرابات التى وقعت — وخاصة فى الجيش — بعد اغتيال سنحريب ، فضلا عن التمرد الذى وقع فى بعض الاقاليم التى استغلت فرصة الاضطرابات ، غير أن السياسة التى اتبعها اسرحدون فى معالجة المشكلة البابلية كانت تختلف اختلافا كبيرا عن سياسة والده ، ولعله أفاد من الاخطاء التى وقع فيها أبوه ، الى جانب ممارسته الفعلية فى حكم بابل فى عهد أبيه . فاذا أضفنا الى ذلك — ما أشرنا اليه من قبل — من أن اسرحدون انما كان ابن لامرأة بابلية، وزوجا لأخرى بابلية ، لكان من الطبيعى أن يتبع الرجل مع بلاد بابل سياسة اللين والترحيب ، فعمل على احيائها واعادة تعمير ما كان أبوه قد دمره ، كما أعاد للسكان أملاكهم التى كانت قد سلبت منهم أثناء سيطرة القبائل الكلدية ، ثم ولى عليهم ولده الاكبر «شمش شوموكين» ، وتجاوز عن سلطان الكلدانيين فى أرض البحر ، مع طاعتهم لولده.وربما لم يفعل ذلك بدافع العاطفة وحدها ، وانما بدافع الرغبة فى التفرغ لتنفيذ حلمه الكبير بغزو مصر ، وأيا كان الهدف من وراء هذه السياسة فالذى لا ريب فيه أنها وجدت قبولا حسنا ، ونجحا كبيرا بين صفوف البابليين ، حتى غدت بابل نفسها قاعدة عسكرية للقوات الاشورية فى مواجهة الاخطار المتوقعة من الشرق دائما ، كما لم تلق محاولات حكام عيلام فى احتلال بابل وتحريض القبائل ضد الاشوريين أى صدى عند البابليين .

وأما فى الجبهة الشمالية والشمالية الغربية فقد كانت بعض القبائل السيثية (Scythian) قد توغلت فى المنطقة ، كما عادت الى الظهور بعض

---

(١٢٤) ملوك ثان ١٩/٣٦ — ٣٧ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 299.
A. L Oppenheim, Op. Cit, P. 290.

الكمرية (Cimmerian) ، فوقعت بينها وبين القوات الاشورية صدامات مسلحة ، فى حين أبرمت معاهدات صداقة مع بعض الأمراء الميـديين Medes ، ويبدو أن السياسة العامة التى اتبعها اسرحدون فى معالجة المشاكل هى الجنوح للسلم ، كلما كان ذلك ممكنا ، حتى وان اقتضى الامر خسران بعض الاقاليم(١٢٥) •

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن اسر حدون لم يتبع سياسة اللين هذه فى بلاد الشام ، ويحدثنا التاريخ أن ملك صيدا «عبد ملكوتى» — خليفة أتوبعل الثانى الذى عينه سنحريب ملكا على صيدا — قد ظن أن فى وسعه أن يستقل بصيـدا ؛ ومن ثم فقـد ارتبط ببعض الامراء المجاورين فى حلف أدرك أهدافه «اسرحدون» فعجـل بالقضاء عليه ، وباءت المحاولة بالفشل ، بعد أن أغتصبت صـيدا فى عام ٦٧٨ ق•م ، وعوملت بقسوة حتى لا تعود لمثلها ، وحاول «عبـد ملكوتى» الفرار بحرا ، ولكنه أقتيد أسيرا ، «وصيد كالسمكة من البحر» ، ثم أعـدم ، وانتقم اسرحدون من أهل صيدا أبشع انتقام ، فدمر المدينة ، وهـدم عمرانها ، ودك بيوتها ، وأطاح بتحصيناتها وأسوارها ؛ وقذف بأحجارها فى البحر ، وكانت هذه الكارثة أول الكوارث التى توالت على صيدا عبر التاريخ •

وسرعان ما أمر اسرحدون سكان صيدا بالانتقال عنها الى بلاده ، وأحل محلهم أقواما من الخليج العـربى ، أو من شرق الامبراطورية الاشورية ، وأمر بتعمير مدينة جديدة فى موضع صيدا أسماها «كار — اسرحدون» أى «مدينة اسرحدون» ؛ وان ذهب «فليب حتى» الى أنها

---

(١٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٧ — ١٥٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ — ٥٢٧ ، وكذا

J. Nougayrol, AFO, 18, 1958, P. 314-318.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-302.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 639 F.

مجرد حصن أشورى أقامه اسرحدون ، بجانب موقع صيدا ، بقصد القاء الرعب فى قلوب أهل صيدا[١٢٦] .

وأيا ما كان الامر ، فلقد كانت معاملة اسر حدون لمدينة صيدا ، آثارها الشديدة على المعارضة الفينيقية ، ضد الاشوريين ، ومن ثم فقد رأينا «ياكين أرسل» ملك أرواد يسلم مدينته — فضلا عن ابنته — للعاهل الاشورى ، كما خضعت مدن فينيقية أخرى — تحت زعامة «بعل» ملك صور — لاسرحدون ، ووقعت معاهدة بين «بعل» واسر حدون ، غير أن ملك صور سرعان ما مزقها حين شعر بأن الوقت أصبح مناسبا لنزع النير الاشورى .

وهناك نصب عند نهر الكلب — على مقربة من نصب رعمسيس الثانى (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق.م) يمثل اسرحدون واقفا بتيه وفخار ، قرب كتابة أثرية تروى خبر الاستيلاء على منف وعسقلان وصور ، وفى نصب آخر فى «زنجرلى» (سمال القديمة) — عند عينتاب فى شمال سورية — يقف اسرحدون ممسكا بحبل ربط به «بعل» ملك صور ، و «طهراقا» ملك مصر ، من الانف ، وان كان من المؤكد تاريخيا أن «طهراقا» لم يقع أبدا فى الاسر ، ومن ثم فالمراد من النصب الدعاية والتفاخر الكاذب[١٢٧] .

---

(١٢٦) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ١٥٩ — ١٦٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ — ١٣٠ ، يوسف مزهر : المرجع السابق ص ٥٠ ، فيلب حتى ، المرجع السابق ص ١٥٥ ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ ، وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 29.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 289-290.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 527-528.

(١٢٧) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 582-585.

R. Mouterde, Le Nahr el-Kelb, Beirut, 1932, Pl. VI, P. 18.

A. T. Olmstead, History of Assyria, N. Y., 1923, P. 384.

H. R. Hall, Op. Cit., P. 499.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-301.

R Borger, Op. Cit , P. 107-109.

وأما عن دويلة «يهوذا» فتحدثنــا التوراة أن «منسى» ملك يهوذا (٦٨٧ — ٦٤٢ ق٠م) قد سبى الى بابل ، ثم أعيد مرة أخرى الى عرشه، وليس هناك وثائق آشورية تؤكد ذلك ، وان كان هناك ما يشـــير الى أن اسرحدون قد استدعى مجموعة من مواليه الصغار — ومنهم منسى — للمساهمة فى بناء القصر الملكى ، ولكن ليست هناك أية اشارة الى اعادة «منسى» الى عرشه ، وعلى أية حال ، فان هذا الامر الاخير انما قــد حدث مع الامير المصرى «نخاو» أمير «ساو» (سايس) ، ومن ثم فليس من الغريب أن يحدث مثل ذلك مع «منسى» ، حين تأكد الاشوريون من ولائه لهم ، غير أن الشىء المميز للنص التوراتى أنه يعزو حرية منسى وعودته الى عرش يهوذا الى خضوعه لرب اسرائيل (يهوه) ، وبدهى أن هذا ليس صحيحا ، كما أنه لا يتفق وسيرة منسى وأعماله الدينية ، كما قدمتها التوراة نفسها ، وحتى أن كثيرا من الباحثين انما يرون فى منسى وما تم فى عهــده من مخالفــات دينية انما كان سببا فى سقوط أورشليم ونفى يهوذا[١٢٨] ٠

وأما عن علاقة اسرحدون بمملكة أدوماتو (دومة الجندل) ، فلقد أتى «حزائيل» — سيد قيدار ، والذى كان قــد فر الى البادية عنــد سقوط أدوماتو فى يد سنحريب — أتى الى نينوى ، وقدم فروض الطاعة الى اسرحدون ، الذى رد اليه أصنام قومه التى كان أبوه «سنحريب» قد أخذها أسيرة الى نينوى ، وان كان اسرحدون قــد حرص على أن يسجل عليها تفوق اله أشور ، وأن ينقش عليها اسمه الشخصى ، فضلا عن تعيين الاميرة «تبوءة» ملكة على دومة الجندل ، الامر الذى لم يقدر له ما تمناه الاشوريون من نجح للاميرة العربية ، بسبب العداء العميق

---

(١٢٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٧٨/٢ — ٩٨٠ ، ملوك ثان ٣/٢١ — ٧ ، ٢٦/٢٣ — ٢٧ ، ارمياء ٤/١٥ ، جون الدر : المرجع السابق ص ١٠٤ — ١٠٥ ، وكذا

W. F. Albright, Op. Cit., P. 79.
C. Roth, Op. Cit., P. 35
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 295.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 293-294.

بين العرب والاشوريين ، والذى ما كان فى استطاعة «تبوءة» — وربما عدم رغبتها — فى القضاء عليه[129] .

ولعل هذه العوامل هى التى دفعت اسرحدون الى أن يعيد «حزائيل» الى زعامة قيدار ، فى مقابل جزية قدرها خمسة وستون جملا ، وعشرة مهور ، أكثر من ذى قبل ، وأن يعهد بالامر نفسه الى ولد حزائيل المدعو «ياتاع» بعد وفاة الاب فى عام ٦٧٥ ق٠م ، وان زاد الجزية الى الف «منا» من الذهب ، فضلا عن ألف حجر كريم ، وخمسين جملا ، ومائة زكيبة «كونزو» ، مع عطور أكثر مما كان يدفع أبوه[130] .

ولنقرأ هــذا النص الاشورى : «من أدوماتو قلعة العــرب ، التى فتحها أبى سنحريب ، ملك أشور ، وأخذ كل ممتلكاتها وتماثيلها غنيمة، وجاء بها الى أشـــور ... جاء حزائيل ملك العرب بهدايا كثــيرة الى نينوى ، مدينة حكمى ، وقبل قدمى ، والتمس أن أعيد التماثيل،وأخذتنى به شفقة ، فأصلحت ما حل بصور المعبودات وآلهة العرب وأعدتها معه، بعد أن سجلت عليها قوة أشور ربى ، كما سجلت عليها اسمى ، وجعلت «تاربو» (تبوءة) التى تربت فى قصر أبى ملكة عليهم ، وأعــدتها الى بلادها مع آلهتها ، وفرضت عليه (حزائيل) جزية اضافية ٦٥ جملا ، ١٠ مهور ، أكثر من ذى قبل ، ولــما مات حزائيل وضعت ابنه «ياتاع» مكانه ، وفرضت عليه جزية اضافية : ١٠ مينا من الذهب ، ١٠٠٠ قطعة من أحجار «بيروتى» ، ٥٠ جملا ، ١٠٠ زكيبــة «كونزو» مع عطور ، أكثر مما كان يدفع أبوه ، وبعد ذلك حرض «وهب» العرب على الثورة ضد «ياتاع» الا أنه كان طامعا فى الملك ، ولكنى أنا اسرحــدون ملك أشور ، محب العدالة ، الذى يعد الانحراف دنســا ، أرسلت جيشى

---

(١٢٩) محمد بيومى مهــران : العــرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 291.
D Wiseman, The Vassal-Treaties of Isarhaddon, London, 1958, P. 4.
(١٣٠) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصــور القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٤ .

لمساعدة «ياتاع» ، واستطاع الجيش أن يخضع كلَّ العرب ، وأمسكوا بالمدعو «وهب» ومحـــاربيه فى القيود ، وجــاءوا بهم الى ، فوضعت أطواقا فى رقابهم ، علقتهم على قائم بوابتى»[١٣١] .

على أن القيداريين سرعان ما عادوا الى الثورة من جديدة — وبقيادة ياتاع نفسه هذه المرة — غير أن ثورتهم لم يكتب لها ما تمناه الثوار من نجح ، فلقد استطاع الاشوريون القضاء عليها ، واضطر «ياتاع» الى أن يغادر مخيمه لينجو بنفسه ، ففر وحيدا ، وصار الى الاصقاع البعيدة.

وهكذا كان البدو شوكة فى جنب الدولة الاشورية ، تدفعهم مصر وبابل الى الثورة ، فان فشلوا كان فى رحاب البادية خير مأوى يتوارون فيه عن الانظار ، فتعجز جحافل الاشوريين عن مطاردتهم ، وكانت البادية دائما موطن البلايا والمحن التى يبتلى بها الغازى[١٣٢] ، وهكذا ما كان الواحد منهم تطأ قدماه شمالى بلاد العرب ، حتى تروعه البلايا ، ومن ثم يصور له ذعره الشديد «آفات ذات رأسين ، فضلا زحافات مرعبة تدف بأجنحتها»[١٣٣] ونقرأ فى التوراة عن تهـائم الجنوب ، «الأفعى» والثعبان السام الطيار»[١٣٤] ، ويؤكد «هيرودوت» أن الأفاعى منتشرة فى كل بلاد العالم ، غير أن الحيات لا ترى الا فى بلاد العرب[١٣٥] .

ونقرأ فى نصوص اسرحدون عن حملة أخرى ضد قبائل عربية تنزل

---

131) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298-299.
A. Musil, Op. Cit., P. 482. وكذا
A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963, P. 22.
J. Hastings, A Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1963, P. 832.
(١٣٢) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٢ — ٥٩٤ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit, P. 916, 946.
A. Musil, Op. Cit., P. 482.
P. K. Hitti, Op. Cit., P. 38-39.
133) D. Luckenbill, Op. Cit., II, Parag. 558.
(١٣٤) أشعيـــاء ٣٠ / ٦ .
135) Herodotus, III, 109.

أرض «بازو» Bazu و «حازو» Hazu [١٣٦] ، وهما موقعان يقوم على تحديد مكانهما جدل طويل ، فالتوراة تتحدث عنهما ، (وهما هنا بوزا وحزوا) على أنهما من أولاد ناحور[١٣٧] ، أخي ابراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم فربما كان للأول صلة بأرض «بوز»[١٣٨] ، وان ذكر «بوز» بعد «ددان وتيماء» فى سفر ارمياء[١٣٩] ، قد يفيد أنها كانت من مجاوراتهما ، على أن هناك من يرى أنها «بازو» التى جاءت فى نص سنحريب ، ومن ثم فهى العربية الشمالية ، على أن آخرين انما يذهبون الى أنها تقع فى جنوب شرق الجوف[١٤٠] .

هذا ويذهب «ألويس موسل» ـ طبقا لما جاء فى النص الاشورى عن بازو ـ الى أنها تقع فى غرب وجنوب «تدمر» فى وادى السرحان عند الحدود الشرقية لحوران ، وأن «حازو» انما تقع فى شرق وادى السرحان ، فضلا عن المنطقة الجبلية الى الشمال منه ، وأن الجيش الاشورى انما سلك طريقه الى هذه المناطق ، تلك الطرق التجارية المارة من الحواف الشرقية لحوران الى دمشق[١٤١] ، على أن هناك وجها رابعا للنظر يذهب الى أنها فى داخل بلاد العرب ، بينما يذهب وجه خامس للنظر الى أنها «نجد» وأن البادية التى تحدث عنها اسرحدون انما هى «النفوذ» ، وأما «حازو» فهى الاحساء[١٤٢] ، وأخيرا فلقد ذهب «رولنسون» الى أنها ربما كانت امارة الحيرة ، وما يتصل بها حتى جبل شمر[١٤٣] ، بينما اختار البعض أنها انما تقع فى اليمامة .

---

136) A. Musil, Op. Cit., P. 482.

(١٣٧) تكوين ٢٢ / ٢ ـ ٢٢ .
(١٣٨) قاموس الكتاب المقدس ١ / ٢٥٥ ، ٣٧٣ .
(١٣٩) ارمياء ٢٥ / ٢٠ ـ ٢٤ .
(١٤٠) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٧ ، وكذا EB, P. 615.
A. Musil, Op. Cit., P. 483-484.
141) S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 18.
A. Musil, Op. Cit., P. 484.
142) Ptolemy, V, 19, 2.
J. H. D. Belgrave, Op. Cit., P. 96.
G. Rawlinson, The Five Great Monrchies, II, P. 470.
(١٤٣) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٥ ـ ٥٩٩ .

على أن أخطر غزوات اسرحدون ، تلك التى قام بها ضد «مصر» — أرض الكنانة — فلقد كان الملك المصرى «طهراقا» (٦٩٠ — ٦٦٤ ق٠م) هو الذى ينظم المقاومة ضد الاشوريين فى غربى آسيا ، ويتعاون مع امرائها — خاصة امراء صور وصيدا — فى صد الاشوريين ، وكان من الواضح أنه منذ زمن بعيد كان يجب الوصول الى ما يحسم الامور بين البلدين — أشور ومصر — وكان «اسرحدون» قد جند كل امكانات أشور لمهاجمة مصر فى عام ٦٧٧ ق٠م ، وربما الارجح فى عام ٦٧٤ ق٠م، ولكنه لقى هزيمة نكراء بعد معركة دموية — كما روت المصادر البابلية — ونجت مصر من الغزو الاشورى ؛ ولكن الى حين ، ذلك لان هـزيمة اسرحـدون كانت قد توصلت الى درجة أفقـدت الجيوش الاشورية هيبتها ، وشجعت الدول التابعة لها على محاولة التخلص من سيادتها ، مما اضطر اسرحدون الى الاستعداد لمحاولة الغزو ، حرصا على سمعة امبراطوريته ، وانتهازا لفرصة اطمئنان «طهراقا» الى أن هزيمة أشور بلغت حدا جعلها لا تفكر فى العودة الى غزو مصر ، كما جعلت الامراء السوريين — وعلى رأسهم بعل صور — ينضمون تباعا الى طهراقا .

وهكذا ظهر اسرحدون فى سورية فجأة فى عام ٦٧١ ق٠م ، فعاقب ملك صور على انضمامه لمصر ، ثم تقدم نحو مصر عن طريق سيناء ، بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه ، وكانوا أدلاءه فى السير حتى وصل وادى طميلات ، ثم الى منف ، حيث قاتل دون انقطاع فى معارك دموية ضد طهراقا ، ونجح فى احتلال منف وتدميرها والسيطرة على مناطق الدلتا ، واضطر طهراقا الى الاتجـاه الى الجنوب ، وظن أسرحدون أن مصر دانت له ، ووزع الامراء الذين رأوا فى انتصاره فرصة لاسترداد حريتهم على حساب طهراقا ، فعين «نخاو» ملكا على سايس ومنف ، وأمن الملوك الصغار فى مصر السفلى والوسطى ، وغير كثيرا من أسماء المدن المصرية الى أسـماء أشورية ، نسبها الى آلهة بلاده ، وصور رجاله طهراقا جاثيا أمامه مخزوما من أنفه بحبل يرجو عفوه ، مع أن طهراقا لم يقع فى قبضته ولم يهـادنه أبدا ، بل وأمر بترحيل جماعات من الاطباء والبيطريين والسحرة والكتبة

والموسيقيين ، بل والدذائيين وصانعي الجعة والخبازين ، ومن لف لفهم الى عاصمته نينوى •

غير أن صدمة الغزو ، ووقوع مصر — ولاول مرة في تاريخها المجيد للغزو الاجنبي ، اذا سلمنا بأن وجود الهكسوس في مصر منذ قرابة ألف عام،كان تسللا،ولم يكن غزوا كان عنيفا — ولقيت أرض الكنانة من أشور أشد أنواع القسوة والهمجية،وهنا نسي المصريون كل شيء،الا أن عنصرا أجنبيا غزا بلادهم ، واتصل امراء الدلتا بالملك طهراقا في طيبة (الاقصر) طالبين منه أن يزحف الى الدلتا ، وسوف يجد في كل مكان من الذخيرة والامكانات البشرية والمادية ، ما يقوى به جيشه ، ولبى طهراقا النداء ليخلص الدلتا ومنف من ذل الاستعمار ، ويعزل الامراء الذين خضعوا لملك أشور ، ويعلم اسرحدون بما حدث ، ويجن جنونه ، ويخرج في حملة جديدة في عام ٦٦٩ ق٠م ، ولكنه يموت في «حران» ، وهو في طريقه الى مصر[١٤٤] •

(٦) اشور بانيبال (٦٦٨ — ٦٢٧ ق٠م)

خلف «أشور بانيبال» (Ashurbanipal) (أشور — بان — ابل = (Ashur-ban-Apli بمعنى (الاله أشور خالق الابن) — أباه في عرش أشور ، وكان اسرحدون قد وضع الترتيبات اللازمة لتفادى ما قد يحدث من مؤامرات كالتي حدثت في عهد أبيه ، ففي عام ٦٧٢

---

(١٤٤) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٠٧ — ٣١٠،مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٥ — ٦٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٠ — ٢٧١ ، ل٠ ديلابورت : المرجع السابق ص ٣١٦ وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 346-347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 293-294.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 584-585.

F.Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, P. 103.

K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, P. 391-392.

A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1965, P. 209.

ق٠م ، أعلن اسرحدون فى اجتمــاع كبير فى العــاصمة ، حضره حكام المقاطعات وقادة الجيش وكبار الموظفين ، عن تعيين ولده «أشوربانيبال» وليا للعهد على بلاد أشور ، وتثبيت ولده الثانى «شمش شوم أوكن» وليا للعهد على بــلاد بابل ، وذلك بعد أن أخذ موافقة العــائلة الملكية وموافقة الالهة القومية ، ثم طلب من الحكام والقادة أن يقسموا اليمين أمامه ، معترفين بهذه الترتيبات ومعــاهدين الملك على تنفيذها ، كمــا أخذت وثائق مكتوبة تثبت جميع الترتيبات ، وحددت العقوبات على كل من يحنث بيمينه أو يغير من وصية الملك أو يعمل على عدم تطبيقها، وقد نفذت الترتيبات بعد وفاة اسرحدون ، فاعتلى «أشوربانيبال» عــرش أشور ، بينما اعتلى أخوه «شمش ــ شوم ــ أوكين (Shamash-Shum-Ukin) عرش بابل[١٤٥] ٠

غــير أن تقسيم الدولة على هذه الصورة ، لابد وأن يؤدى ــ ان عاجلا أو آجــلا ــ الى أن تثور المطــامع فى نفس كل من الاخوين ، فيحاول كل منهما أن يغتــال نصيب الاخر من هــذه الدولة المترامية الاطراف ، وهو أمر كان له ــ كما سنرى ــ أثره فى تمزيق الدولة ، بل وفى ضياعها آخر الامر ، ومع ذلك فان المرحلة الاولى من عهد «أشور بانيبال» انما تكاد تمثل الذروة فى سلطــان الامبراطورية الاشورية ، ولكن لم تحل خاتمة القرن السابع قبل الميلاد ، حتى نشهد الانهيــار التام على أيدى الميديين ٠

وعلى أية حال ، فلقد وصف «أشوربانيبال» بأنه كان أديبــا ميالا للعلوم ، فارسا مغوارا ، وقائد عربات لا يشق له غبار ، يعرف كيف يصوب للهدف بقوسه وسهامه ، كما تعلم ممارسة السياسة والادارة حتى أتقنهما على خير وجه ، وقد فرغ لهذه الشئون جميعا ، وخاصة خلال خروج أبيه الى حروبه ، فلقد كان اسرحدون يترك شئون البلاد ــ أثناء خروجه لحروبه ــ الى زوجه الملكة «نيكووا» التى كانت تشرك

(١٤٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 304.

معها ولدها «أشور بانيبال» اشراكا فعليا فى ادارة شئون الدولة[١٤٦] •

وفى عام ٦٦٧/٦٦٦ ق٠م ، جمع «أشور بانيبال» جيشا من الاشوريين والسوريين وخرج به الى مصر ، حيث هاجمها برا وبحرا ، وسرعان ما التقى مع جيوش «طهراقا» فى معركة مكشوفة رهيبة تحقق له النصر فيها ، وانسحب «طهراقا» الى الجنوب مع قلة من قواته ، وقد وجد «أشور بانيبال» أن الملوك الذين عينهم أبوه من قبل قد هربوا ، وأنه يحتاج الى اعادة تعيينهم ، وتقدم اسطوانه «رسام» المشهورة قائمة بأسماء هؤلاء الامراء الصغار ، فضلا عن المدن الهامة وبعض مدن مصر الوسطى كاهناسيا والاشمونين وأسيوط ، ثم يتابع الأشوريون طهراقا الى طيبة — معقل الوطنية المصرية العتيدة — ورغم دفاع أبنائها — الشجاع والمستميت — استولى الاشوريون عليها ، وأعملوا فيها السلب والنهب ، وأن نجت من التخريب ، وهكذا تم احتلال طيبة — ولأول مرة فى التاريخ — وفر طهراقا الى نباتا ، ومع ذلك فلم يستطيع الاشوريون البقاء فى الصعيد ، وفضلوا — وربما الأصح أنهم اضطروا — الى تركه لأهله ، واكتفوا بأخذ الجزية ، مفضلين البقاء فى الدلتا ، وهنا بدأت الحركات السرية تنتشر فى الصعيد والدلتا ، ومالبث الامراء المصريون أن فاقوا لانفسهم •

ومن أسف أن أمر الثورة قد كشف ، وأعمل الاشوريون السيف فى مدن هؤلاء الامراء الثوار «ولم يستثنوا واحدا من تانيس والمدن الاخرى التى تعاهدت على الثورة ، فشنقوهم على الاسوار ، وسلخوا جلودهم وغطوا بها أسوار المدن» ، وأرسلوا زعماء الثورة الى نينوى مقيدين فى الحديد ، حيث أهلكوا جميعا ، ولم يستثن غير «نخاو الاول» أمير ساو ، ربما لانه اكتسب ود الاشوريين ، وربما لانه وريث الأسرة الرابعة والعشرين ، وسليل أكبر بيت منافس لطهراقا ، ومن ثم فقد أبقوا عليه ، وقربه اليه «أشور بانيبال» وخلع عليه وسلمه عددا من

(١٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٩٢ — ٢٩٣ ٠

أختـــامه الذهبية ، وأهـــداه هدايا كثـــيرة مرموقة باسمه ، وعين ولده «بسماتيك» (وهو الذى سيقدر له أن يطرد الاشوريين من مصر) أميرا على «أتريب» ، بل وأعطاه اسما أشوريا •

وعلى أية حال ، فلقد هدأت الدلتا ، أما الصعيد فكان يغلى كالمرجل، ويبحث عن فرصة ليقوم قومة رجل واحد ضد الغازى الاشورى ، ولكن التوجيه كان ينقصه ، فولى وجهه شطر الجنوب ، وكان طهراقا قد مات ، وهو الذى كان فى نظر الكهنة فى طيبة ومنف — فضـــلا عن الصعيد — الحاكم الشرعى للبلاد،يؤرخون الاثار باسمه ، ومن أيام حكمه، وان كان هناك من يدعى الملك فى «ساو» ، فضلا عن الحاميات الاشورية ومن يدورون فى فلكها[١٤٧] •

وخلف طهراقا على عـــرش مصر والنوبة ، شـــاب متحمس يدعى «تانوت أمانى» (٦٦٤ — ٦٥٦ق•م) فلبى دعوة أهل الصعيد ، وجمع جيشا اتجه به الى الشمـــال ، حيث قوبل على طول الطـــريق بالتهليل والترحاب ، ونظروا اليه نظرتهم الى المنقذ من الغزاة الاشوريين ، حتى وصل منف وحاصر القوات الاشورية وسيطر عليها ، وطبقا لما جاء فى «لوحة الحلم» ، فلقد أتى اليه أمراء الدلتا ، وقدموا له آيات الولاء ، فسمح لهم بالعودة الى أقاليمهم ، ومباشرة شئونها •

وسرعان ما علم الملك الاشورى بذلك ، فأرسل جيشا الى مصر فى ٦٦٣/٦٦٤ ق•م ، طوق به «تانوت أمانى» فى منف ، ففر الى طيبـــة ، حيث تبعه الاشوريون ودخلوا طيبة وهدموها ، على الرغم من مقاومة

---

(١٤٧) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣١٠ — ٣١٣ ، مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٧ — ٦٢٩ ،عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 294.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1968, P. 585.

G. Roux, Op. Cit., P. 304-305.

H. Von Zeissl, Athiopen und Assyer in Agypten, 1944, P. 39-40.

أهلهـا الصعايدة القـوية ، وشجاعة أميرهـا «منتومجات» ، واضطر «تانوت أمانى» الى الفرار الى «نباتا» ، فقام الاشوريون بأكبر عملية سلب ونهب فى تاريخ المدينة القديم ، وربما كانوا أول من سرق المسلات المصرية ، كما لم تسلم تماثيل الفراعنة من عبثهم ، حيث يسجل الملك الاشورى على نفسه أنه اغتصب ٦٥ تمثالا ، سجل عليها انتصاراته ، وربما نقلها الى بلده كذلك .

وقد دوى صدى مأساة سقوط طيبة فى أيدى الاشوريين فى العالم القديم كله ؛ ذلك لان الشرق القديم لم يكن بقادر على أن ينسى — أو حتى يتناسى — أن طيبة ظلت كبـرى عواصمه السياسية والدينية طيلة عدة قرون ، وأن عمائرها الدينية كانت — ومازال — أكبر من أن تدانى ، وهكذا كان احتلالها وتدميرها عنوة ، جعل النبى العبرانى «ناحـوم» (٦٥٠ — ٦٢٥ ق.م) يتخذ منه — بعد نصف قرن — العبرة على أن نينوى الاشورية ، لم ولن تكون أعز من طيبة المصرية ، المنيعة برجالها ، الحصينة بمياهها[١٤٨] .

وأما فينيقيا ؛ فلقد حوصرت صور على أيام «أشور بانيبال» للمرة الثالثة ، فأقامت الحصون الدفـاعية على الارض الرئيسية ، ووضعت

---

(١٤٨) محمد بيومى مهران : حركات التحرير ص ٣١٣ — ٣١٦ ، مصر ٣/٦٢٩ — ٦٣٠ ، عبد العزيز صالح : المرجـع السابق ص ٢٧٢ ، ناحوم ٣/٨ — ١٠ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, IV, Parag. 919-934.
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 347-348.
G. Roux, Op. Cit., P. 305-306.
K. A. Kitchen, Op Cit., P. 394.
H. Schafer, ZAS, 35, 1897, P. 67-69.
PM, VII, P. 396-397.
Urk, III, 1905, P. 57-77.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P: 294-295.
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 772.
A. Spalinger, Asshurbanipal and Egypt, JAOS, XCIV, 1974, P. 318-328.
L F. Hartmann, JNES, 21, 1962, P. 25-37.

المتاريس فى كل الطرق ــ برا وبحرا ــ اضطر أهلها المحاصرون أن يشربوا من ماء البحر ، كما اضطر بعلها الى أن يستسلم فى ظروف قاسية ، وفى صورة تدعو الى الشجن ، اذ سلم ابنته وبنات أخيه الى العاهل الاشورى المنتصر ، كزوجات تحمل كل منهن بائنتها الضخمة ، كما سلم ولده «ياحى ملكى» (Iahimilki) .

وكان هذا أكثر مما يطمع فيه أشور بانيبال ، فرد الابن ، اذ لم تكن له به حاجة ، واكتفى بالنساء اللواتى ضمهن الى حريمه ، واستولى الاشوريون على خيرات صور ، وعلى أسطولها الذى استخدموه فى اخضاع «ياكنلو» (Iakinlu) ملك أرواد ، الذى اضطر فى نهاية الامر الى أن يستسلم ويبعث بابنته الى نينوى محملة بالهدايا ، ولم تحتمل أرواد هذه المهانة فخاعت ملكها ، واضطر أبناؤه العشرة الى الاتجاه الى بلاط «أشور بانيبال» يحملون الهدايا ، وكل منهم يطمع فى أن يوليه «أشور بانيبال» فى مكان أبيه ، واستطاع أحدهم وهو «عزى بعل» (Iziba'l) أن يحقق الهدف وأن يجلس فى مكان أبيه على عرش أرواد[(١٤٩)] .

وأما بلاد العرب الشمالية ، فهناك ما يشير الى أن «ياتاع» الذى كان قد فر على أيام «اسرحدون» سرعان ما عاد الى الظهور على أيام «أشور بانيبال» مظهرا الولاء للعاهل الجديد ، الا أنه سرعان ما أعلن الثورة من جديد ، منضما الى أخى الملك «أشور بانيبال» المدعو «شمش شوم أوكين» ، ويحدثنا «أشور بانيبال» أن الثائر الجديد ، «ملك عريبو» (بلاد العرب) : «لقد نقض الاتفاق الذى تحميه الاقسام لى ، ولم يذكر أنى عاملته برحمة ، بل نزع نير حكمى الذى كان الاله

---

(١٤٩) نجيب ميخائيل : سورية ص ١٣٠ ــ ١٣١ ، وكذا
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 295-296.
JAOS, LXI, 1941, P. 258.
AFO, XIII, 1940, P. 233.
G. Roux, Op. Cit., P. 306.

أشور قد أحله فوقه ، وتخلص من الحبال التى كان يجرها •• وامتنع عن تقديم الهدايا والجزى الكبيرة ، واستمع — كما فعلت عيلام — الى دعاية الثورة التى شنتها أكد ، ولم يكترث بالايمان التى كان قد أقسمها لى ، أنا أشور بانيبال ، الكاهن المقدس ، الخـادم والدائم للصـلاة والابتهال الى الآلهة ، ذلك الذى صاغته يد الاله أشور نفسه ، واستسلم بقواته الى «ابياتى» (Abiiate) و «عامو بن تيرى» (Aamu Son of Te'ri) وساعدهما على مد يد المساعـدة لأخى الشرير «شمش شـوم أوكين» وحرض سكان بلاد العرب على الانضمام له ، ثم أخذ ينهب الشعوب التى منحنى اياها أشور وعشتار وبقية الآلهة العظـام ، لتصبح تحت قبضتى ، ولأكون راعيا لها[١٥٠] •

وعلى أية حال ، فلقد نجح «أشور بانيبال» فى عام ٦٤٨ ق•م فى القضاء على الثورة ، واضطر «ياتاع» الى الاختفاء فترة من الوقت عند أحد الامراء ، والذى اضطر آخر الامر الى أن يسلم «ياتاع» وزوجه «أديا» (عديا = Adia) الى «أشور بانيبال» ، حيث وضع فى قفص ليعرض على الناس عند أحد أبواب نينوى ، ويقـول الملك الاشورى «لقد حبسته فى مربط الكلاب ، ووضعته مع بنات آوى و الكلاب،وأقمته عند حراس الباب فى نينوى» ، وأما «ابياتى» الذى أمسك بقدمى لانقذ حياته ، فقد أخذتنى به الرأفة ، فجعلته يقسم بكبار الآلهة ، ثم عينته بدلا من ابن حزائيل ، كملك على بلاد العرب»[١٥١] •

---

(١٥٠) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٧ • وكذا
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 297-298.
D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 880.
M. Streck, Assurbanipal und die Letzten Assyrischen Konige Bis Zum Untergang, VAB, VII, Leipzig, 1916, P. 139 F.

(١٥١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٧ – ٣٤٨،وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 819.
A. Musil, Op. Cit., P. 88-65.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298.
M. Streck, Op. Cit., P. 135 F.

وأما عن الاعراب ، فان أشور بانيبال يقول عنهم «اشتدت عليهم وطأة الجوع والعطش ، ولكي يسدوا رمقهم ، أكلوا لحوم صغارهم ، وشقوا الجمال وشربوا دماءها ، كما شربوا الماء الملوث ليطفئوا ظمأهم ، ولم يفلت أحد ممن صعدوا الى الجبل أو اختبأوا فى البلاد من يدى ؛ بل أمسكت بهم فى يدى فى مخابئهم — رجالا ونساء — فضلا عن التدمير والجمال والماشية ، وأخذتها كلها غنيمة الى أشور وقد ملأوا الارض التى منحنى اياها أشور الى أقصى اتساعها ، ورتبت قطعانا ، ووزعت الجمال — وكأنما هى ماشية — على أهل أشور ، حتى أن الجمل كان يشترى فى بلادى بأقل من شاقل من الفضة فى السوق ، هذا فضلا عن العمال انما كانوا يأخذون الجمال والعبيد كهدايا ، وصناع الجعة كمنحة ، والبستانى كأجر اضافى ، وقد سأل أهل بلاد العرب بعضهم بعضا : ما بال العرب قد أحدق بها الشر ؟ فكان الجواب : تلك عاقبة من ينكث العهد ، ويخرق المواثيق ، التى قطعناها للاله أشور ، ويعاند «أشور بانيبال» الملك الذى يحبه الاله انليل(١٥٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن العاهل الاشورى انما قد زين قصره فى نينوى بنقوش تمثل المعارك التى دارت بينه وبين العرب ، والتى يبدو منها أن عرب الشمال انما كانوا رجالا متوسطى القامه ، يرتدون ملابس صوفية ، بينما تركوا رؤوسهم عارية ، وشعورهم تتدلى على أكتافهم ، كما كانوا ملتحين بلحى مدببة قصيرة ، وتصورهم المناظر وهم يركبون الجمال ، وعلى الواحد منها رجلان ، الواحد لقيادة البعير ، والاخر لضرب القوس(١٥٣) .

هذا وقد أدت تلك الاحداث الى أن يضطرب الامن فى الجبهة

---

(١٥٢) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٠٦ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., II, P. 855.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 299-300.

153) B. Meissner, Zwi Reliefs Assorbanipals Mit Barstellungen Von Arabein, in Oslamica, II, 1926, P. 392.

الشمالية والشمالية الشرقية ، وذلك لانشغال الجيش الاشورى فى الجبهة الغربية ، الامر الذى اضطر «أشور بانيبال» الى القيام بحملة الى هناك، فيما بين عامى ٦٦٥ — ٦٥٥ ق٠م[١٥٤] ٠

وأما فى «بابل» فلقد استقر فيها الامير الاشورى «شمش — شوم — أوكين» فترة طويلة فنهض بها ، وكانت الامور تسير بين الاخوين فى بداية الامر بهدوء ودونما أى اضطراب ، غير ان مملكه عيلام انما كانت دوما تعمل على التدخل فى شئون بلاد بابل بغية السيطرة عليها ، مستغلة بعض القبائل الكلدانية والارامية المناوئة للاشوريين ، وهكذا بدأت تعمل على اشعال نار الفتنـــة بين الاخوين (أشـــور بانيبال وشمش شـــوم أوكين)[١٥٥] ، وسرعان ما بدأ الامير «شمش — شوم — أوكين» يستغل امكاناته ونفوذه فى ولايته فى التضييق على أخيه «أشور بانيبال» ، ثم ضم اليه حلفا قويا من العيلاميين والامراء الكلدانيين فى «أرض البحر»، فضلا عن لفيف من السوريين وأمراء البدو المتذمرين ، غـــير أن ميزان القوى سرعان ما أصبح الى جانب «أشور بانيبال» ،و من ثم فقد تسددت جيوشه الحصـــار على بابل لمـــدة عامين ، حتى تفشت فيهـــا الاوبئة والمجاعات ، واضطرت الى التسليم ، وأشعل أميرها النـــار فى قصره ، وهلك فى لهيبه ،تم رادت جيوس «اشور بانيبال» بابل خرابا على خرابها ودمرتها تدميرا عنيفا ، فى عام ٦٤٨ ق٠م ، وربمـــا فى عام ٦٥٠ ق٠م، لم تفق منه الا بعد جيل كامل ، يوم هبت هبتها الاخيرة للانتقام لنفسها، وللقضاء على دولة أشور كلها ، والغريب أن أنصار «أشور بانيبال» لم يتورعوا عن تمثيله على لوحة صغيرة باسما مستبشرا ، يرفع بيده سلة من الخوص المجدول الى ما فوق مستوى تاجه الطويل ، وسجلوا حوله نصوصا تشيد بفضله فى اعادة بناء «اساجيل» مقر مردوك[١٥٦] ٠

---

(١٥٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., 306.

(١٥٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٦٠ ٠

(١٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ ٠

واشتد «آشور بانيبال» على الحدائيين الجنوبيين فى أرض البحر ، حتى اضطر واليهم «نابو بعل شوماتى» خليف أخيه «شمش شوم أوكين» الى الفرار الى عيلام ، وعين «آشور بانيبال» «دوباشو» بلاطه واليا عليهم ، غير أن «نابو بعل شوماتى» سرعان ما اضطر — اثر مهادنة بين ملك أشور وملك عيلام — من أن يأمر تابعه بأن يقتله بسلاحه حتى لا يعانى تعذيب أعدائه ، ومع ذلك فلقد مثل الاشوريون بجثته حين سلمت اليهم ، فقطعوا رأسها ، وحرموا دفنها .

واستمرت الحروب الخاطفة بين أشور وعيلام ، تناول فيها الجانبان النصر والهزيمة ، حتى استطاع «أشور بانيبال» أن ينتصر على العيلاميين ، وأن يدمر عاصمتهم «سوسة» تدميرا شاملا (حوالى عام ٦٤٠ ق.م) ، وأن يستولى على كنوزها ، وأن يدمر معابدها ، وأن يأسر معبوداتها ، وأن يفتح توابيت مقابرها الملكية ، ويستخرج عظام موتاها ثم ينقلها الى آشور ، حتى يحرمها الخلود فى أرضها — على حد قوله — وهكذا أنهى ملك اشور مملكة عيلام[١٥٧] .

بقيت الاشارة الى أن التاريخ انما ينسب الى الملك «أشور بانيبال» أنه قد اشتهر بحبه للعلوم ، وأنه قد أسس مكتبته الشهيرة التى كشف عنها فى عاصمته نينوى فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى الواقع فلقد سبقه الى ذلك سلفه «سرجون الثانى» الذى أنشأ مكتبته فى نينوى ، ثم زاد فى هذه المكتبة ، وأسس أمثالها أولاده وحفدته ، غير أن أكثرهم احتفاء بالثقافات القديمة وجمعها فى مكتباته انما كان «أشور بانيبال» ، الذى أرسل رقاعا الى ولاته على الاقاليم يأمرهم فيها بالتحرى عن الالواح المسمارية القديمة حيثما وجدوها ، ويقول لكل منهم فيها : «لا يجوز لأى انسان أن يمنع شيئا من الالواح عنك ، واذا عثرت على أية لوحة أو رقية لم أعينها لك وتجد فيها صلاحية لقصرنا ، استول عليها وأرسلها الى» ، وقد عثر فى أطلال قصره فى «نينوى» على لوحات

---

(١٥٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ — ٥٢٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٩ ، ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ٤١٩ — ٤٢١ .

كثيرة زادت من معرفتنا بالاداب القديمة ، حيث أمدتنا مكتبة الملك «أشور بانيبال» بكثير من الاداب البابلية والاشورية ، لعل من أشهرها «ملحمة جلجاميش» وخرافة أدابا ، والحوار بين السيد والخادم ، والحكم وقصة الخلق وملحمة الطاعون ، وكثير من المعارف(١٥٨) .

(٧) نهـــاية الامبراطـورية الآشـــورية

كانت ظواهر الامور فى أخريات أيام «أشور بانيبال» تدل على أن امبراطوريته وطيدة الاركان فى سائر أنحائها ، غير أن الضعف سرعان ما يدب فيها ، ويحدثنا الملك الاشورى نفسه أن أياما سودا قد حلت فى أرجاء مملكته ، وأنه كان يقاسى آلامـا جسيمة ـــ جسمانية وروحية ـــ سلبث روحه ، وكما رأينا من قبل ، فلقد قـــام حلف أسهم فيه أخـــوه «شمش شوم أوكين» ـــ الحاكم شبه المستقل فى بابل ـــ هذا فضلا عن أن العناصر البابلية نفسها كانت تسعى للتخلص من النفوذ الاشورى ، وارجاع عظمة بابل الى سابق عهدها .

وهكذا كان على أشور أن تواجه نضالا دمويـــا مع عيلام وبابل ، فضلا عن ثورات الولايات السورية ، والاشتباك مع ليديا فى معـــارك طاحنة ، وقد أدت هذه الظروف القلقة فى أشـــور ، وتوحيد مصر على «بسماتيك الاول» (٦٦٤ ـــ ٩١٠ ق.م) الى الامتناع عن دفع الجزية لأشور ، وعقد محالفة مع «جيجس» ملك ليديا ، ثم اعلان استقلال مصر عن أشور ، ومن عجب أن المصادر المصرية ـــ وكذا الاشورية ـــ لم تذكر شيئا مفصلا عن ذلك ، حتى بات من الصعب علينـــا أن نتعرف بالضبط كيفية انهاء الحكم الاشورى فى مصر ، ولعل كل ما نستطيع أن نقدمه الان هو : أن بسماتيك الاول تمكن ـــ بعد أن نجح فى استعادة الوحدة القومية لمصر ـــ من اعداد جيش قوى من الصعيد والدلتا ، انضم اليه جنود الايونيين والكاريين ، وقد اكتسح بذا الجيش الحاميات الاشورية

---

(١٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٣ ، وانظر
G. Contenau, Op. Cit., P. 315 F.

القوية التى كانت تعسكر فى الدلتا وطردهم نهائيا من مصر ، ففر هؤلاء الى فلسطين وتحصنوا فى أشدود ، ورأى بسماتيك الاول — كما رأى أحمس الاول من قبل ابان حرب الهكسوس — أنه لا أمن ولا أمان لمصر، الا اذا اجتث الشر من جذوره ، ومن ثم فقد تبعهم الى هناك ، وانتهز الفرصة ليعيد لمصر شيئا من مركزها الممتاز فى غربى آسيا(١٥٩) •

وعلى أية حال ، فلقد حدث بعد موت «أشور بانيبال» فى عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، نزاع حول وراثة العرش وقد وقـــع عبء ذلك على ولده وخليفتـــه « أشـــور — ايتـــل — ايلانى » (٦٢٦ — ٦٢٤ ق•م ؟) (Ashur - etil - Ilani) الذى قضى فترة حكمه القصيرة فى الدفـــاع عن عرشه ، ثم جاء من بعده «سن — شومو — ليشر» ، ثم «سن — شار — اشيكون» (Sin-Shar-Ishkun) ثم «أشور — أو بالط الثانى» (٦١١ — ٦٠٩ ق•م) (Ashur - Uballit, II) (١٦٠) •

وعلى أية حال ، فلقد أدت الاضطرابات الداخلية الى سقوط العاصمة الاشورية «نينوى» فى أيدى البابليين والميديين فى عام ٦١٢ ق•م ، وان كان هناك من الباحثين من يذهب الى أن العاصمة الاشورية انما سقطت فى أغسطس من عام ٦١٣ قبل الميلاد ، بعد معركة دموية ضد الحلفاء ، بدأت فى شهر يونية عام ٦١٣ ق•م ، وأيا ما كان الامـــر ، فلقد قضى البابليون والميديون على دولة أشور ، وقتلوا ملكها «سن — شـــار — اشيكون» ، ودفعـــوه الى الاحتراق بنيرانها — فيما تروى المصـــادر الكلاسيكية — ثم دمروا «نينوى» تدميرا كاملا وعنيفا •

---

159) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 252-253.
وكذا
J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, IV, Chicago, 1907, Parag. 989-995.
D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1926, Parag. 784-785.
A. Spalinger, JEA, 13, 1927, P. 136-136.
Herodotus, II, 147-157,

(١٦٠) أنظر : ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٦٢ ،ثم قارن:
G. Roux, Op. Cit., P. 468.

وليس هناك من ريب فى أن سقوط العاصمة الاشورية «نينوى» دوى فى أنحاء العـالم القديم وقت ذاك ، اذ اعتبره سكـان الشرق الادنى القديم ، رمزا لسقوط الظلم ، وفجرا جديدا للشعـوب التى غلبت على أمرها ، وطالما رزحت تحت نير أشور ، التى لم ترع شيئا من المبادىء الانسانية فى معاملة الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتى كتب عليها أن تحكمها أشور بالحديد والنار ، وأن تذيقها من العذاب ألوانا ، ربما لم يعرفها التاريخ القديم من قبل ، أو على الاقل لم يمارسها بالطريقة التى مارسها بها الاشوريون .

وعلى أية حال ، فلقد اقتسم الفريقان المنتصران — البابلى والميدى — مملكة أشور ، فاستولى الميديون على قسمها الشرقى ، وأخذ البابليون جنوبها ، واضطرت الحكومة الاشورية — بقيادة الملك «أشور أو بالط الثانى» — أن تجعل من «حران» عاصمة لها[161] .

وفى هذه الاثناء كان «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق.م) قد أصبح ملكا على مصر ، فتابع سياسة أبيه «بسماتيك الاول» فى مساعدة أشور ، فضلا عن أن يجعل لمصر صوتا مسموعا فى سياسة الشرق القديم ، وأن يحتفظ بأشور الضعيفة ، كحاجز بينه وبين القوى الخطيرة التى ظهرت فى الشرق ، والتى تهدد الان أشور فى المقام الاول ، ولكنها ربما تتجاوز ذلك الى الشرق الادنى القديم كله فى الغد القريب ، وأخيرا لكى يسترجع الامبراطورية المصريـة المفقودة فى سورية وفلسطين ، وهكـذا أسرع «نخاو الثانى» — على رأس جيشه — لمسـاعدة «أشور أوبالط الثانى»

---

(١٦١) أنظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٢ ، محمـد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٩ ، محمد عبد القـادر : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 258.
J. Laessoe, Op. Cit., P. 124.
G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 303-305.
D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 57.
C. J. Gadd, The Fall of Nineveh, London, 1923.

القابع فى حران ، أملا فى عون يأتيه من مصر ، وهكذا أرادت الاقدار أن يكون البلد الذى كان هدف الاشوريين لمدة جيلين مضيا ، هو الآن عون أشور الكبير والوحيد (١٦٢) •

وهكذا ، وفى عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، ظهر «نخاو الثانى» كخصم قوى ورئيسى لملك بابل «نابو بولاسر» وسرعان ما تتقدم القوات المصرية نحو حران لنجدة أشور ، ورغم أن فرعون لم يوفق فى انقاذ أشور ، فلقد استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهــر وتخوم الفرات ، بعد أن استولوا فى عــام ٦٠٩ / ٦٠٥ ق•م ، على معقل كيمو خـــو ، وهزموا البابليين فى «قوراماتى» ، وهما موقعــان على الفرات الى الجنوب من قرقميش (١٦٣) ، وأما «حران» فلقد استطاع «نبوخـــذ نصر» بن «نابو بولاسر» ملك بــابل ، من أن يستولى عليهــا ، وأن يقضى على الجيش الأشورى ، وذلك فى عام ٦٠٩ قبل الميلاد (١٦٤) •

---

(١٦٢) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٨٢/٢ ، مصر ٦٥٠/٣ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 273-274.
A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219.
163) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.
164) M. Noth, Op. Cit., P. 273.

الباب السابع

العصر البابلى الاخير

٦٢٦ ـ ٥٣٩ ق٠م

الفصل الأول

الـــدولة الكدانيـــة

(١) تقـــــديم :

حكمت الدولة الكلدانية قرابة تسعة عقود من الزمان (٦٢٦ — ٥٣٩ ق.م) حكم فيهـا ستة ملوك[1] ، وتمثل الفتـرة الاخـيرة من عهود الاستقلال والحكم الوطنى فى العراق القديم ، ظلت البلاد بعدها تنتقل — على مدى حوالى اثنى عشر قرنا — من احتلال الى احتلال ، حيث صارت العراق ولاية تابعة مـرة الى الفرس الأخمينيين ، ومـرة الى الاغـريق السلوقيين ، ثم الى الفـرس الفريثيين ، ثم الى الفـرس الساسانيين ، حتى جـاء الفتح الاسلامى فى العقد الرابع من القـرن السابع الميلادى •

وعلى أية حال ، فان المؤرخين ما يزالون مختلفين فى أصل الكلدانيين ، كما أنهم على غير يقين بشأن تاريخ بعينه ، يمكن القول أنه هو الوقت الذى دخـل فيه الكلدانيون العـراق ، فقد ظهروا — كقوة سياسية — فجأة ، ثم سرعان ما استقروا فى منطقة الخليج العربى ، حتى عـرف باسم «الخليج الكلدانى» كما أنهم كانوا على معرفة باللغة الاكدية ، على أن هناك فى سفر أيوب (١٤/١ — ١٧) من العهد القديم ما يشير الى أن مرابع الكلدانيين انما كانت على مقربة من مسـاكن السبئيين ، وان كنا لا نعرف على وجه اليقين ، المراد بالسبئيين هنا ، أهم القوم الذين كانوا يسكنون فى جنوب بلاد العرب ، أو أولئك الذين كانوا يسكنون فى شمال غرب بلاد العرب ، وقد اعتمد أصحاب الرأى الاول على وجود كتابات بالعربية الجنوبية القديمة فى مواقع من جنـوب العراق — كما فى أور والوركاء ونفر — الامر الذى ربما رجح هجرتهم من «عمان» فى جنوب شرق الجزيرة العربية •

---

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٦ ، طه باقر : المرجع السابق ص٢٠٣ — ٢٠٥ ، سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٣ •

على أن هناك من يرجح أن الكلدانيين — أو قبائل كلدو ، أو كالدو — انما كانوا فرعا من الاراميين الرعاة، الذين جعلوا ضفاف الفرات قبلتهم منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد أو نحوه ، وأحست بابل بخطورتهم على اقتصادياتها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حين كتب كل من الملك البابلى «كادشمان آنايل» والملك الحثى «خاتوسيل» الى زميله بتعكير صفو الامن على الطرق التجارية الواصلة بين الدولتين ، وبمرور الزمن زادت قوة الاموريين ، واستمر توسعهم فى ازدياد ، حتى تمكنت قبائل «كالدو» آخر الامر أن تمتد فى جنوب العراق ، حتى الخليج العربى ، وأن تكون ست امارات ، كان أكبرها «بيت داكورى» و «بيت ياكين» ، وسيطرت قبائل أخرى على ما بين بابل وبورسيبا .

(٢) نابو بولاسر (٦٢٦ — ٦٠٥ ق.م) :

كان «نابو بولاسر» (Nabo - apla - usur) هو مؤسس الدولة الكلدانية (العصر البابلى الاخير — أو الحديث) ، ربما فى ٢٣ نوفمبر عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، وربما كان ابنا لأمير كلدى يدعى «كاندا لانو» (Kandalanu) عينه «أشور بانيبال» على «بابل» بعد مقتل أخيه وعمل قائدا فى الجيش الاشورى ، وحاكما على الاقاليم الجنوبية ، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل وولى عرشها بعد تفكك أواصر البيت الاشورى الحاكم ، ولكن لم يتعد سلطانه فى بداية أمره ما حولها ، ثم سرعان ما أعلن الثورة على آشور ، ولم تستطع القوات الاشورية فى «نيبور» من هزيمته ، الامر الذى مكنه من أن يعلن نفسه ملكا على «بابل» ، وأن يؤسس الدولة الكلدانية ، وأن يعقد حلفا مع الملك الميدى «كى أخسار» (كياكسارس = Cyaxares) ، وأن يزوج ولده «نبوخذ نصر» من ابنة الملك الميدى[٢] ، ثم يتحالف الفريقان — البابلى

---

(٢) ليس هناك من دليل فى المصادر البابلية على زواج (نبوخذنصر) من الاميرة الميدية التى دعتها المصادر الكلاسيكية «أموهين» (أريتان أو أميتان) ، ومن عجب أن يذهب المؤرخون اليونان والرومان الى أن «نبوخذ نصر» قد شيد لزوجه الميدية الحدائق المعلقة فى بابل كى تذكرها =

والميدى — ضد أشور ، ثم احتلال العاصمة الاشورية «نينوى» ، ثم ينجح «نبوخذ نصر» فى القضاء على الجيش الاشورى فى «حران» (عام ٦٠٩ ق٠م) ، ثم يعمل على أن يرث الامبراطورية الاشورية فى بلاد الشام ، فضلا عن الحد من توسع المصريين فى بلاد الشام[٣] ٠

ومن المعروف أن الفرعون «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق٠م) كان قد خرج على رأس جيشه فى عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، لمساعدة الملك الاشورى «أشور أو باط الثانى» — القابع فى حران — ضد البابليين والميديين ، ولكى يسترجع الامبراطورية المصرية المفقودة فى غربى آسيا ، وهناك فى «مجدو» اعترضه ملك يهوذا «يوشيا» (٦٤٠ — ٦٠٩ ق٠م) ، ومنع الجيش المصرى من التقدم ، فأنذره «نخاو» بالحسنى ، ولكنه لم يرعو ، الامر الذى أدى الى أن يشتبك الجيشان — المصرى واليهوذى — فى معركة يكتب فيها النصر للمصريين ، ويدفع «يوشيا» حياته ثمنا لهذه المغامرة ، كما يدفع اليهود ثمن خطيئتهم فى عدم تقدير قوة المصريين الحقيقية ، وبسبب سياستهم الم
فلسطين بالتالى خاضعة لمصر ٠

وعلى أية حال ، فسرعان ما تابع «ن

ببيئتها الجبلية ، بل أن أمر الحدائق المعلقة هذه قد ذكرتها المراجع القديمة والحديثة ، رغم عدم وجود أى دليل تاريخى عليها ، حتى أن الاثاريون الالمان ظنوا فى بداية هذا القرن العشرين أنهم اكتشفوا تلك الحدائق ، عند عثورهم على بئر عميقة فى منطقة من القصر الجنوبى غطيت بغرف ثلاثية ، ظنوا أنها حوت جهازا يسحب الماء الى هذه الحدائق المعلقة ، ثم أظهرت حفريات هيئة الاثار العراقية أن هذه المنطقة بالذات عبارة عن حجرات خزن تحت الارض ذات عقادات قوية ، وروت المصادر الكلاسيكية أن «نبوخذ نصر» قد زود قصره ببرندات (بالكونات) زرع فيها شتى الاشجار التى جلبها من أقطار مختلفة ، وربما كانت هذه «البلكونات» التى وضعت بها الاشجار هى التى أسماها الكتاب الكلاسيكيون «الحدائق المعلقة» (انظر : سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص١٦٥)

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٠ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P 273.
G. Roux, Op. Cit., P. 345.

سورية ، ليقوم بمحاولة أخيرة لمساعدة أشور ضد البابليين ، ورغم أن فرعون لم يوفق فى انقاذ أشور ، فلقد استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهر وتخوم الفرات ، بعد أن استولى فى عام ٦٠٦ /٦٠٥ قبل الميلاد على معقل «كيمو خو» ، وهزم البابليين فى «قوراماتا» ، وهما موقعان على الفرات الى جنوب قرقميش ، كما نجح كذلك فى أن يخضع المدن الساحلية مثل عسقلان وأشدود وغزة ، وهناك نص بالهيروغليفية عثر عليه فى «صيدا» يشير الى سيطرة «نخاو» على الساحل الفينيقى ، وقد يسر له ذلك امتلاكه لأسطول فى البحر المتوسط[٤] .

(٣) نبوخذ نصر الثانى (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق٠م) :

ورث «نبوخذ نصر» (وصحة اسمه فى البابلية «نابو ـ كدورى ـ أوصر» (Nabu-Kudurri-usur) (بمعنى الاله نابو يحمى الحدود) أباه «نابو بولاسر» ، وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى استقرت له الامور تماما ، وفشلت كل محاولات مصر للابقاء على الأمبراطورية الاشورية .

وهنا ما يشير الى تجدد العداء بين مصر وبابل ، ذلك لأن «نبوخذ نصر» لم يتخل مطلقا عن الوصول الى الحدود المصرية ، ومن ثم فقد اتجه «نبوخذ نصر» فى عام ٦٠١ ق٠م ، الى مصر ، ولكنه رد عنها بعد

---

(٤) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/ ٩٨٠ ـ ٩٨٥ ، مصر ـ ٣/ ٦٥٠ ـ ٦٥٣ ، ملوك ثان ٢٣/ ٢٩ ـ ٣٥ ، أخبار أيام ثان ٣٥/ ٢٠ ـ ٢٥ ، ٣٦/ ١ ـ ٤ ، ارميا ٤٧/ ١ ، وكذا

A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219-222.
J. Yoyotte, Nechao, P. 372.
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.
PM, 7, P. 384.
D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 23, 67.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 396-397.
M. Noth, Op. Cit., P. 280.
C. Roth, Op. Cit., P. 53-56.
G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

أن تحمل الكثير من الخسائر ، بل واضطر أن يعود الى بلاده ، وأن يبقى هناك عاما ، يسترد فيه أنفاسه ويستعيد قواه ، ويعيد تنظيم جيشه ، بل ان هزيمته هذه انما قد أنهت العداوة المباشرة بين البلدين لبضع سنوات تالية ، ومن ثم فقد تجمدت السياسة الحربية الشمالية لمصر بقية عهد «نخاو» ، سواء نتيجة عقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين بابل ، وهذا ما رواه «هيرودوت» ، وزاد عليه أن «نخاو» قد زوج اخته أو ابنته من «نبوخذ نصر» فصارت ملكة على بابل ، وهى رواية لم تتأكد بعد ، أو نتيجة لأنشغال «نخاو» بحدوده الجنوبية ، أو لرغبته فى الاتجاه الى احراز سيادة بحرية لأغراض التجارة وأغراض الحرب ؛ وحماية السواحل معا ، وقد لوحظت كثرة ألقاب «قباطنة الأساطيل الملكية فى الاخضر الكبير فى نصوص عهده»[٥] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن المصادر العربية انما تتحدث كثيرا عن حروب زعمت أنها دارت بين «نبوخذ نصر» (وقد أسمته بختنصر) وبين العرب (وقد ناقشناها بالتفصيل فى كتابنا «تاريخ العرب القديم»)[٦] ــ هذا فضلا عن حروبه ضد «عدنان» ــ جد العرب العدنانية ــ والتى دارت موقعتها الفاصلة عند «ذات عرق» ، حقق فيها العاهل الكلدانى نصرا مؤزرا على العرب ، كما عاد منها بجم غفير من

---

(٥) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢/٩٨٨ ــ ٩٨٩ ، مصر ٣/٦٥٣، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ ، وكذا

K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, (1100-650 B.C) 2nd Warminster, 1986, P. 407.

J. D. Wiseman, Op. Cit., P. 29-31, 70-71.

H. De Meulenaere, Op. Cit., P. 60-61.

Herodotus, I, 184-186.

(٦) انظر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ــ الاسكندرية ١٩٨٩ ص ١٨٤ ــ ١٩٢ ، وانظر : تاريخ الطبرى ١/٥٥٨ ــ ٥٦٠، الكامل لابن الاثير ١/٢٧٠ ــ ٢٧٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٢/١٣٠ ــ ١٣١ ، الاكليل ٢/٢٨٥ ــ ٢٨٩ ، ابن حبيب : كتاب المحبر ص ٥ ــ ٧ ، معجم ياقوت ٢/٣٢٨ ــ ٣٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢/١٩٤ ، تاريخ الخميس ص ١٦٦ ــ ١٧٦ .

السبايا والاسرى ، أسكنهم الانبار[٧] .

وبدهى أننا لا نرفض مبدأ قيام حروب بين «نبوخذ نصر» والعرب، خاصة والرجل يسعى جاهدا الى توسيع أمبراطوريته ، ثم ان حروبه فى سورية وفلسطين ، لابد وأن تكون قد شملت الاعراب المقيمين هناك ، فضلا عن أولئك الذين يعيشون فى شمال شبه الجزيرة العربية ، هذا الى جانب مجاورة عاصمته بابل الى الحربية الشرقية ، وكل هذا يدعو الى الاحتكاك بين الطرفين ، والى تحرش العرب بجيوش نبوخذ نصر ، فضلا عن أطماع العاهل البابلى فى شبه الجزيرة العربية[٨] .

غير أننا نرفض الاسباب التى دارت من أجلها تلك الحروب الطاحنة بين العرب والبابليين — كما تصورها المصادر العربية — فليس صحيحا أن العاهل البابلى انما قام بحروبه المزعومة هذه بأمر من «برخيا» اليهودى ، الذى تزعم المصادر العربية أنه أوحى اليه أن يذهب من نجران الى بابل ، وأن يأمر «نبوخذ نصر» بغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ، فيقتل مقاتلتهم ، ويسبى ذراريهم ، ويستبيح أموالهم ، عقوبة لهم على كفرهم ، وعلى قتلهم الانبياء بغير حق»[٩] ، وأن «نبوخذ نصر» قد نادى — ابان المعركة الضروس ضد العرب بقيادة عدنان — «يالثارات الانبياء» ، ثم سرعان «ما أخذت السيوف العرب من كل جانب ، وكتب للملك البابلى النصر ، بل وقد أصبحت بلاد العرب طوال أيامه خرابا[١٠] .

ونحن فى حل من اعادة مناقشتنا لهذه الروايات ، فذلك أمر سبق أن

---

(٧) تاريخ الطبرى ٥٥٨/١ — ٥٦٠ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٢٧٠/١ — ٢٧٢ .

(٨) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٩ — ٣٥١ ، وكذا
D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 35.

(٩) تاريخ الطبرى ٥٥٨/١ — ٥٦٠ ، ابن الاثير ٢٧١/١ .

(١٠) ابن الاثير ٢٧٢/١ ، تاريخ الطبرى ٥٥٩/١ — ٥٦٠ .

ناقشنا فى كتابنا «تاريخ العرب القديم» ، وعلى أية حال ، فالرواية — كما أشرنا اليها نقلا عن المؤرخين الاسلاميين — جد هشة ، وسهام الريب توجه اليها من كل جانب ، وليس بالوسع القول أنها ترقى فوق مظـان الشبهات ، ثم ان قصة الغزو هذه ليست الا ترديدا لنبوءات ارميا — كما جاءت فى التوراة — وحتى هذه ، فقد اختلطت فيها فتوحات «نبونيد» فى بلاد العرب ، بفتوحات «نبوخذ نصر»[11] .

على أن هذا كله ، لا يمنعنا من القول بأن «نبوخذ نصر» قد أرسل حملة — فى عام حكمه السادس — الى سكان البادية من العرب ، دونما تحديد بادية بعينها ، أو قبيلة بذاتها ، وأن الحملة قـد نجحت فى نهب مواشى أولئك الذين قدر عليهم أن توجه ضدهم ، وأخذ أصنامهم[12] .

وأما «دويلة يهوذا» فلقد ظلت فترة تفاضل بين الخضوع لمصر أو بابل ، وفاز الحزب المصرى آخر الامر باليد العليا ، وثار «يهوياقيم» (٦٠٩ — ٥٩٨ ق.م) ملك يهوذا ضد سيده البابلى «نبوخذ نصر»[13] ، وربما ساعده على ذلك هزيمة البابليين أمام المصريين ،ومن ثم فقد انضم الى مصر ، رغم تحذيرات النبى ارميـا[14] ، ونقـرأ فى التوراة : أن «يهوه» رب اسرائيل ، قد أرسل الى «يهوياقيم» جماعات من الكلدانيين والاراميين و المؤابيين والعمونيين ، لابـادة يهـوذا[15] ، والواقـع أن «نبوخذ نصر» لم يتدخل بنفسه فى هذا التمرد الذى قام ضده فى عام ٥٩٨ ق.م ، لأنه رأى أن امبراطورية عظيمة مثل امبراطوريته لا تخلو من الثورات المحلية الصغيرة ولكنه سرعان ما غير رأيه ، وأسرع بنفسه

---

(١١) ارميا ٤٤ — ٥١ ، جواد على : المرجع السابق ص ٦٠٩ ، وكذا
S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSOAS, 1954, P. 35.

12) D. J. Wiseman, Op Cit., P. 31, 48, 71.

13) A. Madamat, Op. Cit., P. 223.

(١٤) ارميا ١٤/٤٦ وما بعدها ، وكذا
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 359.

(١٥) ملوك ثان ٢/٢٤ .

الى يهوذا ، وبينما كان فى الطريق اليها مات «يهوياقيم» وخلفه ولده «يهوياكين» على عرش يهوذا[16] .

وما أن وصل يهوذا ، على رأس قواته الرئيسية ، حتى أطبق الحصار على القدس (أورشليم) ولم يقاوم «يهوياكين» ؛ وانما خرج ومعه أمه وزوجاته وآل بيته ، وسلموا أنفسهم للفاتح الكلدانى فى مارس ٥٩٧ ق٠م ، وتم نقلهم الى بابل ، وتنظر التوراة الى هذا النفى على أنهمرحلة حاسمة فى تاريخ يهوذا ، فلقد تم فيه ابعاد حوالى عشرة آلاف رجل ، يكونون هم وأسرهم قرابة الثلاثين ألفا ؛ معظمهم من أورشليم ، والبقية الباقية من مدن الجنوب[17] .

هذا وقد نشر «وايزمان» فى عام ١٩٥٥م احدى اللوحات المحفوظة فى المتحف البريطانى وقد جاء فيها «فى السنة السابعة للملك (نبوخذ نصر) فى شهر (Chislev) جمع الملك جيشه وتقدم نحو أرض حاتى (سورية) وعسكر أمام مدينة اليهودية ، واستولى عليها فى اليوم التالى من Adar (مارس ٥٩٧ ق٠م) وأخذ الملك «يهوياكين» أسيرا ، وعين مكانه «صدقيا» ملكا بحسب قلبه (برغبته) ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، وأحضره الى بابل» ، ولعل هذا التقرير البابلى الرسمى لا يختلف كثيرا عن نظيره التوراتى[18] .

ولعل هذا انما يلقى ضوءا جديدا على سياسة «نبوخذ نصر» نحو يهوذا،فهو يعين ملكا جديدا ، ولكنه فى نفس الوقت يحتفظ للملك السابق بمركزه كملك ــ كما تدل على ذلك نقوش اكتشفت فى قصر «نبوخذ نصر» ونشرها «فيدنر» (E. E. Veidner) ، فضلا عن اختام من «بيت شمش» و «بيت مرسيم» ، وربما من «لاخيش» و «تل النصبة» ؛ وكلها

---

16) A. Malamat, Op. Cit., P. 223-224.

(١٧) محمد بيومى مران : بلاد الشام ـ الاسكندرية ١٩٩٠ ص ٤١٠ـ ٤١١ ، ملوك ثان ١٠/٢٤ ـ ١٤ ، ارميا ١/٢٤ ، ٢٠/٢٧ ، ١٪٢٩ ـ ٠٦

(١٨) ملوك ثان ٨/٢٤ ـ ٢٠ ، أخبار أيام ثان ٩/٣٦ ـ ١٠ ، وكذا W. Keller, Op. Cit., P. 280.

تؤكد مركز «يهوياكين» الملكى أثناء سبيه[١٩] ــ وبدهى أن هذا بمثابة نوع من التهديد لخليفته فى الارض المحتلة ، ولعل هذا هــو السبب فى سلوك «صدقيا» المتردد ، والمتناقض كذلك ، والذى انتهى به آخر الامر الى الثورة على القوة التى وصــل الى الحكم عن طريقها ؛ فلقد كــان أعداؤه فى يهــوذا من ناحية ، والملك البابلى (نبوخــذ نصر) من ناحية أخرى ، يهددونه عن طريق الاشارة الى بديله الملكى «يهوياكين» ، ومع ذلك فقد انتهى الامر بثورة صدقيا على بابل ، مما أدى فى نهاية الامر الى السبى البابلى فى عام ٥٨٦ ق٠م[٢٠] .

وعلى أية حال ، فلقد كانت السياسة المصرية على أيام «بسماتيك الثانى» (٥٩٥ ــ ٥٨٩ ق٠م) أكثر نشاطا ، وطبقــا لبردية ديموطيقية متأخرة ؛ فلقد قام الفرعون فى السنة الرابعة من حكمه بحملة الى فينيقيا وان كان هناك من يرى أنها لم تكن لأغراض حربية ، ما دام الفرعون قد استدعى كهنة المعابد للاسهام فيها ، وفى عهد الفرعون «واح ايب رع» (ابريس = حفرع فى التــوراة) بدأت مصر تتجه الى ممارسة القــوة لاستعادة فلسطين ، وكان سر تغيرها أمرين ، هما رغبــة مصر فى الافادة من امكانات قوتها البحرية النــامية فى مراقبة موانى الشــام ؛ لتعطيل مصالح البابليين فيها ، وحتى لا يستغلوها ضدهــا ؛ ثم عودة البابليين الى التوسع الحربى فى فلسطين ، وحصارهم لاورشليم عام ٥٨٨ قبل الميلاد[٢١] .

---

19) H. G. May, Three Hebrew Seals and Status of Exiled Jehoiakin, in AJSL. LVI, 1939 P. 146-148.

وكذا

W. F. Albright, King Joiachin in Exile, in BA, 4, 1942, No. 4.

J. Finegan, Op. Cit., P. 226.

A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢٠) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٤١٢ ــ ٤١٣ ، وكذا

A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٨ ــ ٢٧٩ ، ارميــا ٤٤/٣٠ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 360.

وأما «يهوذا» فلقد انقسم أهلها الى فريقين ، الواحد : يتزعمه «حننيا» ، والاخر : ويتزعمه «ارميا» ويعلن أن «نبوخذ نصر» هو «خادم يهوه» ، وأن القبضة حديدية ولن تتمزق ، وفى الواقع ، فلقد كان «ارميا» من أشد الانبياء حقدا على قومه ، يدافع عن بابل ، ويعلن فى الملأ أنها سوط عذاب فى يد الرب ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون ، وينددهم بالاستسلام للملك «نبوخذ نصر» ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله فى تلك الايام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين[٢٢] ، ثم أخذ يتنبأ بعودة ملك مصر الى بلده ، ثم استيلاء البابليين على أورشليم ، وأنه يجب وضع أعناق الامة تحت نير ملك بابل بأمر «يهوه» رب اسرائيل ، وأما المنفيين فى بابل منذ أيام «يهوياكين» فقد كانت لهم آمال كبار بفجر من الحرية[٢٣] .

ونشطت مصر فى بث الموالين لها فى أورشليم ، ورغم تحذيرات الانبياء للحزب الموالى لمصر ، فطبقا لما جاء فى التوراة ، فضلا عن أوستراكا من لاخيش ، فلقد أرسلت بعثة عسكرية الى مصر ، وعقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا ، بحضور صدقيا فى أورشليم[٢٤] ، وهناك اشارة ، فى التوراة على أن صدقيا قد استدعى الى بابل لتقديم تفسير عن ذلك كله ، وعلى أية حال ، فلقد قام الفرعون «ابريس» (٥٨٩ — ٥٧٠ ق٠م) بدور رئيسى فى اتخاذ القرار بالثورة ، ومن ثم «فقد تمرد صدقيا على ملك بابل»[٢٥] .

---

(٢٢) ارميا ٢١/٥ — ١٠ .
(٢٣) ارميا ٢٨/١ — ١٤ ، وكذا
S. A. Cook, Op. Cit., P. 399-400.
W. D. E. Oesterley, Op. Cit., P. 233.
W. Keller, Op. Cit., P. 384.
(٢٤) أرميا ٢٦/٢٣ — ٢٤ ، ٢٧/٣٠ ، حزقيال ١٧/١٥ ، وكذا
K. M. Kenyon, Archaeology in The Holy Land, London, 1970, P. 294-296.
(٢٥) ملوك ثان ٢٤/٢٠ ، ارميا ٥١/٥٩ ، وكذا
S. A. Cook, Op. Cit., P. 401.
W. Keller, Op. Cit., P. 281.

وهكذا اضطر «نبوخذ نصر» للقيام بحملة الى فلسطين ، وأخذ يحتل مدن يهوذا ، الواحدة تلو الاخرى ، ما عدا أورشليم ، ومدن الحدود فى لاخيش وعزيقة (تل زكريا)(٢٦) ، ثم اضطرت لاخيش أن تستسلم ، بعد مقاومة باسلة ، كما تشير الى ذلك حفريات أعوام (١٩٦١ — ١٩٦٧) ، ثم تلتها «عزيقة»(٢٧) .

واتجه البابليون بعد ذلك الى أورشليم بكل قوتهم ، وفرضوا الحصار عليها ، ولكنها ظلت تقاوم قرابة ثمانية عشر شهرا ، على الرغم من انتشار المجاعة فى المدينة ، والمكوس الثقيلة ، الى جانب نصائح ارميا بالخضوع لبابل(٢٨) ، وأخيرا وصلت المساعدة العسكرية من مصر ، ومن ثم فما أن «سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبرهم (أى خبر القوة المصرية) حتى صعدوا عن أورشليم» ، ورغم أن الوثائق المصرية صامتة تماما فى هذا الصدد ، الا أنه — فيما يبدو — أن الجيش المصرى ظل فترة يحمى أورشليم ، ثم تحول عنها الى احتلال مدن الساحل الفينيقى ، بعد أن حول اهتمام البابليين عن أورشليم ، وبعد أن ترك فيها رجالا أقوياء من الحزب المصرى(٢٩) .

وما أن يمضى غير قصير وقت ، حتى عاد «نبوخذ نصر» الى حصار أورشليم ، وفعل اختلاف الرأى بين المحاصرين ، وانتشار المجاعة فى المدينة ، فعلهما ، وأخيرا سقطت المدينة فى أغسطس من عام ٥٨٧ ق٠م ؛ وحاول صدقيا الهرب ، ولكنه أسر وهو يعبر وادى الاردن قرب أريحا ،

---

(٢٦) ارميا ٧/٣٤ ، وكذا
K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294.
27) K. M. Kenyon Op. Cit., P. 291-293.
28) W. Keller, Op. Cit., P. 383.
وكذا
M. Noth Op. Cit., P. 286.
(٢٩) ارميا ٥/٣٧ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 285.

ثم أخذ الى نبوخذ نصر فى «ربلة» التى اتخذها مركزا لقيادته ، وهناك ذبح أبناؤه أمام عينيه ، وسلمت عيناه ، وقيد مسلسلا فى الاغلال الى بابل ، حيث مات هناك بعد فترة قصيرة(٣٠) .

ونهب الغزاة أورشليم ، وأشعلوا فيها النيران ، وأحرقوا القصر الملكى والمعبد ، وطبقا لرواية التوراة ، فان ذلك قد تم فى اليوم السابع من الشهر الخامس ، من نفس السنة ، وضاع معبد سليمان ، ومعه البقية المفترض أنها باقية من التابوت الذى كفت الروايات عن ذكره ، بعد نقله الى معبد سليمان ، وكان قد أقيم فى مكان خفى من المعبد كهدف تقليدى خاص بالعبادة ، مع أنه لم يلعب دوراً هاما فى العبادة العامة(٣١) هذا ولم تكشف حفريات (١٩٦١ — ١٩٦٧) عن أطلال منازل القرن السابع قبل الميلاد على المنحدرات الشرقية التى دمرت فى هذه الفترة(٣٢) .

وهكذا انتهت دويلة يهوذا ، وادمجت فى التنظيم الادارى للامبراطورية البابلية ، واتباعا للعرف الاشورى ، فان «نبوخذ نصر» قد أبعد البقية الباقية من الطبقة العليا الحاكمة من اليهودية ، وأرسلوا الى ربلة حيث لقوا حتفهم ، وأما بقية السكان فقد أقتيد الجزء الاكبر منهم (وقد قدره البعض بأربعين ألفا ، وقدره آخرون بخمسين ألفا) أسرى الى بابل ، وهذا ما عرف «بالسبى البابلى» ، وقد أبقى «نبوخذ نصر» المزارعين فى أماكنهم ، ولم يجلب — كما فعل الاشوريون — سكانا جددا ، بل وترك الادارة لواحد من يهوذا — هو «جداليا»(٣٣) —

---

30) M. Noth, Op. Cit., P. 286.

وكذا

31) M. Noth, Op. Cit., P. 286-287.
32) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 291.

(٣٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٠ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٦ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤١٥ — ٤٢٣ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 288.
W. Keller, Op. Cit., P. 402.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 402-403.

وأما عن المدن الفينيقية ، فلقد ادعى البابليون الجدد السيطرة على فينيقيا وسورية وفلسطين ــ كورثة للامبراطورية الاشورية ــ ومن ثم فقد أرسل «نبوخذ نصر» فى عام ٥٧٢ ق•م ، جيشا لمحاصرة «صيدا» حتى استسلمت له ، وأما «صور» فقد استطاعت أن تصمد أمـامه ١٣ عاما ، تحطمت مقاومتها بعدها ، فاستسلم ملكها «اثبعل الثالث» ، وعندئذ دخلتها قوات البابليين ودمرت مبانيها وسوتها بالارض ، وهكذا انتهت غزوات «نبوخذ نصر» بضياع استقلال صور وصيدا ، وان استطاعت صيدا بعد ذلك أن تحل محل صور فى زعامة المدن الفينيقية(٣٤) •

ولعل من الاهمية بمكان أن وثيقة الاخبار البابلية انما تشـير الى تحرك عيلامى ضد بابل مما جعل «نبوخذ نصر» يخرج على رأس جيشه، حتى اذا مـا كان على مسـيره يوم من تجمـع العيلاميين ، اذا بهـم ينسحبون ، ونقرأ فى نفس المصدر عن تمرد عسكرى ضد «نبوخذ نصر» فى السنة العاشرة من الحكم قام به «بابا ــ آخى ــ بولط» ،الذى اتهم بالخيانة فى السنة الحادية عشرة من الحكم،ثم حكم عليه بالاعدام،وتشير محاكمته الى أنه ورث عن أبيه أرضين منحها اياه «نابوبولاسر» ، ومن ثم فربما كان يطمح الى الوصـول الى السلطة مستغلا فرصة غيـاب «نبوخذ نصر» المستمرة فى حملاته العسكرية(٣٥) •

وهناك ما يشير الى أن حروب «نبوخذ نصر» الكثيرة ، لم تشغله عن الاهتمام بالمدن الكبرى ــ وخاصة بابل وبور سيبار ولارسا والوركاء وسيبار وأور ودلبـات ــ وقد نشطت حركة العمـران فى بابل ، كما لم تنشط من قبل ، وبلغ محيط عمرانها ١٨ كيلا ، وروى المؤرخون الاغارقة أن أسوارها كانت دائرية ، وقد أحاطت بها أربعة خطوط دفاعية ، أولها سور المدينة الداخلى ، وقد بنى من اللبن ، وكان ذا أبراج ، بلغ سمكها

---

(٣٤) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ١٦٤ ــ ١٦٥ ، وكذا
D. Harden, Op. Cit., P. 54.
D. Baramki, Op. Ci., P. 30.

(٣٥) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٧ •

١٢٫٧ مترا ، ثم تلاه ، وعلى مبعدة ١٢ مترا ، سور آخر خارجى ضخم، بلغ محيطه ١٩ كيلا ، وقد بنى من الاجر المثبت بالقار ، وبلغ سمكه ٧٫٨١ مترا ، وقد أطل على خندق واسع ، ودعم أصحابه أساسه بجدار ساند يرتفع بارتفاع الخندق ، بلغ سمكه ٣٫٢٥ مترا ، أما خطا الدفاع الخارجيان ، فسمى أحدهما باسم السور المادى ، وامتد من الشمال الى الجنوب ، من بلدة «الحديثة» على نهر دجلة ، حتى «أبو حبة» على نهر الفرات ، وامتد الاخر من «خان الناصرية» على نهر الفرات حتى مدينة «كيش» على أحد فروعه[٣٦] .

ولعل من أهم مبانى «نبوخذ نصر» فى بابل ، قصره الجنوبى (قلعة نبوخذ نصر) ، وهو قصر كبير تكاد مساحته تبلغ ٥٢ ألف متر مربع ، وتتوسط الجدار الشمالى للمدينة ، وبنى داخل حصن كبير ، على عادة القصور الملكية فى بلده[٣٧] ، ومدخله من الشرق من الساحة الكبيرة المكشوفة ، الواقعة بين القصر وشارع الموكب[٣٨] ، وفى القصر أكثر من ١٧٢ غرفة ، وبها عدة بيوت سكنية للحاشية وخدم القصر ، ويطل جناح الملك غربا على نهر الفرات ، وبعزله عن النهر بناء كبير غريب ، يبلغ طوله حوالى ٢٥٠ مترا ، وسمك جدرانه ٢٥ مترا ، وفى وسطه ساحة مستطيلة تحتوى على بقايا غرف كثيرة ، ويعتقد ــ أنه اذا كانت هناك حقا حدائق معلقة فى بابل ــ فلابد أن تكون فى هذا البناء ، لأنه على ضخامته ذو جبهة متدرجة على النهر بثلاث درجات ، مما يتيح انشاء حديقة مدرجة على النهر[٣٩] .

وأما نواة القصر فكانت الساحة الرئيسية ، وغرفة العرش (٥٢ × ١٧ مترا) والتى تميزت عن قاعات العرش الاشورى ببساطة طابعها ،

---

(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٥ ــ ٥٥٦ .
(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٥٥٦ .
(٣٨) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٩ .
(٣٩) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلى الحديث ــ كتاب حضارة العراق ــ الجزء الثالث ــ بغداد ١٩٨٥ ص ١٧٨ .

واحتل عرشها مشكاة كبيرة (أو حنية أو مدرابا ضخما) ، وتتوسط جدارها المواجه للمدخل ، وكسيت جدران بهو القصر الكبير بقوالب الآجر ذات السطوح الخزفية الزرقاء الداكنة ، وزخرفت فى أسافلها فريز من الاسود الحارسة ، صورت تصويرا جانبيا (على العكس من أسود خورسباد الاشورية التى تواجه الداخل) ، كما زخرفت فى أعلاها بما يمثل أساطين ذات تيجان مركبة ، تصل بين تيجهانها ، وتعلوها زخارف تكوينية تتألف من زهيرات محورة ، ومعينات صغيرة ، وتعاقبت فى كل هذه الوحدات الزخرفية ألوان بيضاء وصفراء فوق الارضية الزرقاء الداكنة ، فخلعت طابعا من البهجة على زخارفها الرقيقة[٤٠] •

(٤) خلفاء نبوخذ نصر :

جاء بعد «نبوخذ نصر» ولده «أويل — مردوك» (Awel-Marduk) ولمدة عامين اثنين (٥٦١ — ٥٦٠ ق•م) ثم تلاه القائد البابلى ؛ زوج ابنة «نبوخذ نصر» والمدعو «نرجال — شار — أوصر» (Nergal-Shar-Usur) (Nerigalissar) (٥٥٩ — ٥٥٦ ق•م) وقد عرف بنشاطه العمرانى ، وبحملة مظفرة على (سيليسيا) ، وتفيض كتاباته مدحا ودعاء للمعبودين «مردوخ» و «نبو» وتشير لتعميره لمعبديهما فى بابل وبورسيبا •

وجاء من بعده ولده «لاباشى — مردوك» (Labashi-Marduk) لفترة قصيرة جدا ، رأى البعض أنها شهران ، ورأى آخرون أنها تسعة، انتهت بقتله فى يونيه ٥٥٦ ق•م ، فى مؤامرة غير معروفة التفاصيل[٤١] •

وجاء على عرش بابل «نابونيد» (نابونيدس = Nabonidus) (٥٥٦ — ٥٣٩ ق•م) ؛ وهو موظف كبير من أصل أرامى ، ومن أسرة كهنوتية ، فأبواه كانا كاهنى معبد اله القمر فى حران ، أو على الاقل كان

---

(٤٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٦ •

41) D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 37-42, 75-77.

وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 351.

من أسرة يؤيدها الكهنة ، ولو أنه لم يعتبر نفسه فى نصوصه غريبا عن الدوحة الحاكمة ، فادعى أن الرؤى والايات تعاقبت لتبشره بأنه سيكون خليفة «نبوخذ نصر» ، ومتبعا لسنته ، برضى من مردوك وبقية الالهة ، هذا وقد أراد ، بعد اعتلائه العـرش ، أن يحقق حسن ظنـه بنفسه ، فأسرف فى اظهار تقواه ازاء المعبودات بتجديد معابدهم وزيادتها ، وكان من أشهر ما جدده «زاقورة أور» التى اعتبر مشيدها «أور ـــ نامو» من أسلافه ، وكذا معبد الشمس فى سيبار ، الذى اعتبر مشيده «نارام سن» الاكدى من أجداده ، وأسرف فى ادعاء حب العلم والشغف بجمع اللوحات والاثار القديمة ، وشاركته فى هذه الرواية ابنته التى عينها كبرى كاهنات رب القمر ، وادعى بأن الرب اختارها زوجة بنفسه ، بعد أن هدد الدنيا بسواد وجهه ، أى بخسوفه ، كما شاركته الدعوة الى رعاية المعابد سيدة عجوز ، تدعى «اداد كوبى» (Adad-Quppi) ، لعلها كانت أمه أو جدته تعدت المائة فى عهده ، وكانت لا تزال ذات سلطان وقوة جسدية وعقلية كاملة ، وقد ماتت بعد أن بلغت الرابعة بعد المائة من عمرها[٤٢] .

وعلى أية حـال ، فهناك ما يشـير الى أن «نبونيد» (نابونهيد = نبونائيد) ، انما قد اتجه ، على رأس جيشه ـــ الى «حران» التى ظلت بأيدى الميديين منذ سقوط الدولة الاشورية ، وحررها وبدأ فيها بتعمير معبد «سين» الذى ادعى أنه أهمل نتيجة الاحتلال الاجنبى ، وفى عام ٥٥٣ ق.م ، كان «نابونيد» فى سورية ، ثم فى منطقة جبال الامانوس فى شمال غرب سورية ، وفى نهاية العام قتل ملك أدوم ، الذى لابد أنه قد ثار عليه ، ووصـل الى غـزة ، كمـا نصب فى صـور الملك «حـيرام الثالث»[٤٣] .

---

(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ ، مؤيد سـعيد : العراق فى التاريخ ص ٢٣٦ ، وكذا

C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus, AS, 8, P. 46 F.

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 311-312.

G. Roux, Op. Cit., P. 352-353.

(٤٣) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٧٣ .

G. Roux, Op. Cit., P. 352.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 305-307.

ونقرأ فى النصوص البابلية أن «نابونائيد» (Nabu-Na'id) قد قضى عشر سنوات فى المنفى فى «تيماء»(٤٤) — على مبعدة ١٠٤ كيلا شمالى مدينة العلا ، فى شمال غرب الجزيرة العربية — وهناك ما يشير الى أن الرجل قد جرد حملة على «أدومو» (دومة الجندل) ، ثم سار من هناك الى تيماء ، حيث استولى عليها ، وقتل أميرهـا (ملكو) ، ثم أقـام بها قصرا أقام فيه حينا من الدهر ، حيث أصبحت «تيماء» وكأنها قد غدت خليفة لبابل ، ويحدثنا أحد نصوص الملك البابلى عن ذلك قائلا «واتجه الملك الى تيماء فى وسط بلاد العرب ، وباشر مسير الحملة عن طريق لم يعهد من قبل ، وذبح أمير تيماء بسيفه ، كما ذبح أولئك المقيمين فى مدينته وفى الاقليم ، ثم استقر فى تيمـاء ، وجعل هذه المدينة رائعة وفخمـة ، وحولها الى ما يشبه قصور بابل»(٤٥) .

وهكذا أقام «نابونيد» فى تيماء ، ولم يعد منها الا فى عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه الذين كانوا على خلاف معه طوال تلك الفترة ، وربما كانت عودته بسبب التهديدات الفارسية لبـابل(٤٦) ، وان كانت هنـاك رسالة مؤرخة بالعام السابع من حكمه ، نستطيع أن نستنتج منها أنه لم يتخل أبدا عن ادارة الامور فى العاصمة بابل ، وأنه كان يوالى ارسال توجيهاته لولده الذى كان شريكا له فى الحكم ، ونائبا له هناك ، مما يدل

44) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs Oxford, 1961 P. 363.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 35.
45) R. P. Dougherty, Nobonidus and Belshazzar, New Haven, 1932, P. 106.
وكذا A. Musi, Northern Nejd, N. Y., 1928, P. 225.
S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century, A. D. in BSOAS, 1954, P. 53, 88.
G. Roux, Op. Cit., P. 356.
P. K. Hitti, Op. Cit., P. 39.
46) Gardiner, Op. Cit., P. 363.
وكذا R. P. Dougherty, Op. Cit., P. 107.
S. A. Cook, CAH, 4, P. 194.

على أنه لم يتنازل عن سلطاته كلها تماما ، بل ان الوثائق جميعا انما تشير اليه بوصفه الملك(٤٧) •

وأيا ما كان الامر ، فلقد عثر فى «حران» عام ١٩٥٦م(٤٨) على كتابة يتحدث فيها «نابونيد» من أنه قد أخضع «تيماء» — على مبعدة ٨٠ كيلا شمالى مدائن صالح ؛ ١٠٤ كيلا شمالى العلا — و «ديدان» (ددانو — العلا الحالية على مبعدة ٣٣٧ كيلا من المدينة ، على مبعدة ٢٤ كيلا جنوبى مدائن صالح) و «فدك» (الحائط) و «خيبر» (خبر) و «يثرب» (أتريبو = المدينة المنورة) ، وكانت مدينة الرسول — ﷺ — هى آخر موضع استطاع البابليون الوصول اليه فى بلاد العرب ، وربما كان السبب فى هذه الحملة ، انما هو مهاجمة العرب لمناطق خاضعة للبابليين ، وربما كان بسبب رغبة البابليين فى السيطرة على الطريق التجارى البرى بين الشام وجنوب بلاد العرب ، وأيا ما كان السبب ، فان النص انما يشير الى أن «نبونيد» قد عقد صلحا مع مصر وميديا ، كما كبد العرب فى تلك المناطق التى كتب عليها أن تخضع له ، خسائر فادحة(٤٩) •

وهناك على مقربة من تيماء بقايا معبد ، عثر فيه على نقش — محفوظ الآن بمتحف اللوفر فى باريس — ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد ، نقرأ فيه بلغة أرامية : أن كاهنا قد أتى الى تيماء بصنم جديد (صلم هجم) ، وبنى له معبدا ، وعين له كاهنا ، كما صوره فى زى بابلى ، ولعل هذا هو السبب أن البعض انما قد ذهب الى أن قدوم هذا الاله ،

---

(٤٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٣١ ، محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٥٢ — ٣٥٣ •

48) C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus in Anatolian Studies, VII, 1958, P. 35-92.

(٤٩) جواد على : المرجع السابق ٦١٤/١ ، وكذا

A. R. Burn, Op. Cit., P. 3, 8.

انما كان على أيام «نبونيد»[٥٠] ؛ هـذا فضلا عن أن هنـاك كتابتين ثموديتين ترجع الى عهد هذا الملك ، وقد جاء فى الواحدة جملة «رمح ملك بابل» ، وجاء فى الثانية «حـرب ديدان» ، فـاذا كان ذلك كذلك ، فان حروب نبونيد فى بلاد العـرب الشمالية ، انما أصبحت تقويمـا يؤرخ الثموديون به[٥١] .

ولعل من الغريب أن حوليـات «نبونيد» قد أغفلت ذكـر «تامود» (ثمود) ، رغم أن نصوصا ثمودية قد أشارت الى حروب هذا الرجل — كما أشرنا آنفا — ورغم أن «نبونيد» قد كتب له أن يسيطر على شمال شبه الجزيرة العربية ، وجـزء من وسطها ، تحـدده نصوصه بالمدينة المنورة (أتريبو = يثرب) ، ورغم أن الثموديين انما كانوا يقطنون فى تلك البقاع التى كتب عليها أن تخضـع لسلطانه ، بل ربما شاركـوا فى واحدة أو أخرى من المعارك التى دارت ضده ، وربما كان السبب فى ذلك أن الرجل تعمد أن يخفى هزيمة أصابته من الثموديين ، وذلك بتجاهلهم فى نصوصه ، أو أن سلطانه كان مقصورا على المراكز التجارية التى جاءت فى حولياته ، مثل تيماء وديدان وخيبر ويثرب[٥٢] .

---

(٥٠) جواد على : المرجع السابق ص ٦١٢ — ٦١٣ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٥٣ ، وكذا

J. A. Montgomery, Op. Cit., P. 67.

S. Smith, Op. Cit., P. 79-80.

G. A Cook, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions Oxford, 1907, P. 195-196.

51) A. Van dan Branden, Les Textes Thamoudeens de Philby, II, P. 54.

52) A Van Branden, Op. Cit., P. 54-55.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 80, 86.

الفصل الثانى

الغـــــزو الفـــارسى

(١) قيام الدولة الفارسية :

لم تدم الامبراطورية البابلية الجديدة (الكلدانية) طويـــلا ، فلقد سارت — فى واقع الامر — فى طريق الانهيار السريع بعد موت «نبوخذ نصر» فى عام ٥٦٢ ق٠م ، وكان «نبونيد» (٥٥٥ — ٥٣٩ ق٠م) — آخر ملوك الاسرة — قد سمح للتنظيم السياسى بأن ينهار ، ويسقط مع كهنة اله الامبراطورية «مردوك» . ومن سوء الحظ فلقد كانت الاحداث تأخذ مجرى آخر فى المرتفعات الايرانية المجاورة ، والتى أصبحت بعد فترة قصيرة ذات تأثير حاسم فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، ومن المعروف أن السلطة الميدية قد ساهمت بطريقة حاسمة فى ســقوط الامبراطورية الاشورية — كما رأينا من قبل — كما أن ثمرة انتصارهم قد أكسبتهم الجزء الجنوبى من الامبراطورية الاشورية ، فضــلا عن بلاد الميديين نفسها ؛ وسرعان ما مدوا سيطرتهم الى أرمينيا وجبال آسيا الصغرى ، من ناحية الغرب على امتداد نهر «هاليس» ؛ وأما فى الجــزء الجنوبى الشرقى ، فقد أخضعوا الحكــام الفرس من الاخمينيين ؛ الذين كانوا يحكمون عيلام القديمة ، ثم اتخذ ملكهم «هواخشتر» (كياكساريس = Cyaxares) من «أكبتانا» — ومكانها الان مدينة همدان الحالية — عاصمة لملكته[1] .

وعندما مات «كساريس» فى عام ٥٨٥ ق٠م ، خلفه على عرش ميديا ولده «استياجيس» Astyages (٥٨٥ — ٥٥٠ ق٠م) ، والذى ربما كانت هنـــاك بوادر ضعف قد شابت أخريـــات أيامه بسبب حكمه الطويل ؛ وربما بسبب ما أحاط بدولة الميديين من ترف مسرف . ترتب على كثرة الاسلاب والمغانم ، وطغيان سياسى ترتب على غرور الحكام

---

(١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٠٢٧/٢ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 300.
J. Junge, Dareios, I, Konig der Perser, 1944, P. 14 F.

الذين أسكرتهم نشوة انتصاراتهم المتكررة ، وقد روى الكتاب القدامى من الاغارقة أن «استياجيس» (ستاجيس) غضب ذات مرة على أحد كبار رجال دولته ، فقتل ولده أمامه ، وأرغمه على أن يأكل احشاءه ، هذا فضلا عن طموح قبلى صدر عن جزء من الدولة للسيطرة على أجزائها الاخرى،وقد صدر هذه المرة عن اقليم «أنشان» — فى عيلام القديمة — وهو اقليم كانت حياته شاقة ، وكان حكامه يمتون للبيت المادى بصلة القرابة أو صلة المصاهرة ، واستطاعوا أن يحتفظوا بمكانتهم ازاءه طوال ثلاثة أجيال ، ولكنهم ظلوا يعتقدون أنهم أعرق أصالة منه ، وأحق بالملك منه ، وأقدر على تحقيق العدالة ؛ وقد حقق حلمهم ذاك أميرهم قورش[٢] — كما سنرى — •

وهكذا كانت الصورة فى الجانب الفارسى تختلف عن الجانب الميدى، وقد انتهزت Parsua فرصة انهيار عيلام ؛ وضمت اليها مقاطعة «بارسا» (Parsa) — وهى المنطقة فيما بين أصفهان وشيراز — وعندما مات «تياسبيس» (Teïspes) قسمت مملكته بين ولديه «ارياراسمنيس» Ariarsmnes و «كيروش الأول» (Cyrus, I) ثم سرعان ما اتحدت المملكتان تحت قيادة «قمبيز الاول» (Cambyses, I) (٦٠٠ — ٥٥٩ ق•م) ابن «كيروش الاول» ، والذى تزوج من «ماندانة» (Mandane) ابنة «استياجيس» ملك الميديين ، وكان ثمرة هذا الزواج «كيروش الثانى» الذى أصبح فى عام ٥٥٨ ق•م ، ملك أنشان (Anshan) — وربما كانت مدينة مسجيدى سليمان الحالية — والتى أصبح يحكم منها ، حتى أسس عاصمته «بازار جادة» Pasargadae[٣].

وهكذا أصبحت بلاد فارس موحدة ، كما أصبح لها حاكم واحد هو

---

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٩ ، محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٣٩ •

3) E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, 1935, P. 40. وكذا
G. G. Cameron, History of Early Iran, 1936, P. 219 F.
G. Roux, Op. Cit., P. 353-354.
M. Noth, Op. Cit., P. 300.

«كيروش» أو «قورش» الثانى Cyrus = Kurash (٥٥٨ — ٥٣٠ ق٠م) ، وبدأ الحاكم الجديد يبحث له عن حليف ضد ميديـا ، وكانت بابل هى الحليف الاقرب — والمنطقى كذلك — ذلك لأن بابل ، رغم أنها كانت منذ جيلين مضيا حليفة ميديا ، الا أن ذلك انما كان مؤقتا ، انتهى عهده بتدمير أشـــور ، وتقسيم امبراطوريتها بين الحليفين ، وأصبحت ميديا الان العدو الذى تخشاه بابل ؛ وهكذا عقد تحالف بين كيروش ملك «أنشان» و «نبونيد» ملك بابل فى عام ٥٥٥ ق٠م ، ضد الميديين ، وفى عام ٥٥٣ ق٠م ، أعلن «كيروش» الثورة ضد الميديين ، ونجح بعد سنوات ثلاث من خلع جده لأمه «أستياجيس» الذى لم يستطع سوى مقاومة طفيفة ، قبل أن يتم ابعاده عن عاصمته «أكبتانا» ، واستولى «كيروش الثانى» على عرش ميديا ؛ وبالتالى فقد أصبح ملكا على الميديين والفرس سواء بسواء ، متخذا من «أكبتانا» عاصمة له(٤) ٠

وهكذا رأت بابل بعينها الان المملكة الفارسية الاكثر خطورة تظهر قوية بجوارها ، بدلا من المملكة الميدية ، وبدأت دول غربى آسيا تنظر بقلق الى الفاتح الجديد ، وكانت «ليديا» هى البادئة ، بعد أن بلغت أوج مجدها وثرائها فى عهد ملكها «كرويسوس» Croesus (٥٦٠ — ٥٤٦ ق٠م) ، وأخضعت المدن الايونية والايولية فى آسيا الصغرى لنفوذها ، حتى امتد سلطانها من نهر هاليس الى بحر ايجه ، وطمعت فى أن تنزل البحر وتسيطر على جزره ، وأصبحت شيئا عظيما فى نظر اغريق الشرق والغرب معا ، ثم أقلقتها نهضة فارس ، فأرادت أن تكون هى البادئة ، وطلبت عون اغريقى شبه جزيرة «لاكيدايمونيا» وزعيمتها اسبرطة ، كما طلبت عون بابل ومصر(٥) ٠

---

4) A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 34-36.
G. Roux, Op. Cit., P. 354-355.
Herodotus, I, 127-130.
Strabo, XV, 3, 8
Diodorus Siculus, II, 34, 6.

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ ٠

وهكذا عقدت ليديا وبابل ومصر وبعض الشعوب الاغريقية حلفا فيما بينها ضد الفرس ، وبدأ كرويسوس ملك ليديا يناصب فارس العداء ، وطلب العون من حلفائه ، وكانت مصر هى الوحيدة التى احترمت كلمتها، ومع ذلك فلم تغن عنه شيئا أمـام الطوفان الفارسى الذى سرعـان ما هاجمه فى دياره ، واستولى على عاصمته «ساردیس» فى عام ٥٤٦ ق٠م، وأخذه أسيرا ، وبذلك أتت نهايته على غـير ما توقع لنفسه ، وعلى غير ما توقع الاغريق له[٦] ٠

ولم تمض سنون خمسة حتى أصبحت فارس تحتل المكانة الاولى فى الشرق ، ثم سرعان ما مدت نفوذها حتى البحر المتوسط ، ومن ثم فقد أصبحت مدن الساحل الايونى تحت قبضة الحاكم الفارسى الذى تركها لتصرف قواده ٠

وأما عن «نبونيد» ملك بابل ، فيبدو أنه تظاهر بمحالفة الفرس ضد الميديين ، رغبة منه فى استعادة مدينة «حران» من الميديين ، وقد نجح فى ذلك ، وجدد معبد المدينة الذى دمره الميديون والبابليون أثناء سقوط المدينة فى عام ٦٠٩ ق٠م ، بعد هزيمة «أشور أو بلط الثانى» فى عام ٦٠٩ ق٠م ، ثم سيطرة «كياكسارس» على ميزوبوتاميا الشمالية ، وربما أراد اتقاء خطر الميديين ، حلفاء بابل الاقدمين[٧] ٠

وأيا ما كان الامر ، فان الملك البابلى «نبونيد» — كما رأينا من قبل — انما يتجه بعد ذلك بقواته ، فيغزو شمال سورية حتى «حماة» ، ثم جنوبا

---

6) Herodotus, I, 129, 177 etc.

(٧) محمد بيومى مهران : حركات التحـرير فى مصر القديمة ص ٣٤٠ — ٣٤١ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273.

S. Smith, Babylonian Historical Texts, London, 1924, P. 27 F.

A. T. Olmstead, History of Assyria. P. 636.

G. Roux, Op. Cit., P. 355.

C. J. Gadd, The Fall Nineveh, London, 1923,.

حتى «أدوم» وغزة ، وأخيرا يتجه الى «تيماء»[٨] ، حيث يقضى هناك عشر سنوات[٩] ، ربما ليحيى أهميتها التجارية على الطريق التجارى بين ساحل البحر المتوسط وشمال غرب بلاد العرب وبين العراق ، وينتفع باقتصادياتها ، أو على أمل أن يستعين بها وبوسطها البدوى ، فى تطعيم جيشه بقوات فتية ، يحيى بها مجد دولته ، ويستعد بها لمعركة قادمة بينه وبين الفرس ، ولكن خاب أمل الرجل فى هذا كله ، وخابت سياسته مع تيماء وجيرانها ، اذا اشتد عليها ، وقتل ملكها[١٠] .

على أن هناك اتجاها آخر ، يذهب الى أن «نبونيد» انما كان هناك فى المنفى ، وأنه لم يعد من هناك ، الا فى عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه الذين كان قد طال من قبل خلافهم معه[١١] ؛ على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب الى أن «نبونيد» انما قد ذهب الى تيماء لأن هذا المكان هو المركز القديم لعبادة اله القمر «سين» ، الذى جعله «نبونيد» فوق «مردوك» ، وكل الالهة البابلية الاخرى[١٢] .

(٢) الاحتلال الفارسى لبابل :

وأيا ما كان الأمر ، فان الاحداث التى جرت فى الامبراطورية البابلية انما كان لها دوى عظيم بين الشعوب الخاضعة لها ، والتى لديها من الاسباب ما يجعلها تأمل فى انهيار محتمل الوقوع لسلطة بابل

---

8) G. Roux, Op. Cit., P. 356.
J. Lewy, HUCA, 1946, P. 434-450.
W. F. Albright, JRAS, 1925, P. 293 F.

(٩) يقترح البعض ان «نبونيد» ذهب الى تيماء فى السنة الرابعة من حكمه ، وبقى هناك على الاقل حتى السنة الحادية عشرة
J. Lewy, HUCA, 19, 1945-1946, P. 434-450.
J. Finegan, Op. Cit., P. 228-229.

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦١ .

11) A. H Gardiner, Op. Cit., P. 364.

12) J. Lewy, Op. Cit., P. 434-450.
J. Finggan, Op. Cit., P. 229.

الجديدة ، وتطلع اليهـود الذين أبعدوا فى بابل بأمل كبير الى كـيروش المقوى المنتصر ، وتنبأ أنبياؤهم بسقوط بابل على يده(١٣) •

وفى هذه الاثناء كان كيروش قد صحت عزيمته على ضم بابل الى ملكه فى بداية تنفيذ مشروعه لغزو الهلال الخصيب كله ، بل ان هجومه على المدينة العريقة انما جاء بعد فترة قصيرة جدا ، وبعد أن كان قد نجح فى مد سلطانه فى اتجاهات مختلفة ، ولم يعد أمامه سـوى الامبراطورية البابلية الجديدة (الكادانية) بأملاكها فى بلاد الرافدين وسورية وفلسطين وأنه كان يعرف أن ذلك أبعد علـوا فى سلطته ، وأن كل ما يحتـاج اليه لمواجهتها هو الاطاحة بها بسرعة •

وفى نفس الوقت ، فلقد حاول «نبونيد» أن يعد العدة لاتقاء العاصفة الوشيكة الوقوع ، فبذل جهدا أخيرا ، لاعادة أقدم صور العبادة البابلية، ولكن الدارس — ينـاصرهم فى ذلك كهنة مردوك — لم يتركوا له وقتـا لتحقيق ما يريد ، فضلا عن البلاد — ومدينة بابل بالذات — كانت تقاسى الامرين ، من سوء الادارة ، وانتشار المجاعات بين أهلها(١٤) •

وفى عام ٥٤٧ قبل الميلاد ، بدأ كورش غـزو بابل ، وكان الجيش البابلى وقت ذاك فى حالة غير مرضية عسكريا ، ذلك لأن هذا الجيش قد انشغل — بعد انتصارات نابونيد فى سورية وفلسطين — ببناء معبد اله القمر «سين» فى حـران ، تحقيقا لرغبة والدة نبونيد أو جدتـه الملكة «أداد كوبى» (Adad-Quppi) ، وهكذا ، وفى ربيع عام ٥٤٧ ق٠م ، عبر كورش (كيروش) دجله جنوب أربيل (ربما فى مخمور) ، وضحى بملك محلى على ضفاف هذا النهر ، وفى عام ٥٤٦ ق٠م ، حاول الزحف فى اتجاه الجنوب ، قاصدا الخليج ، وفى هذا الاثناء جاءت قوات عيلامية

---

(١٣) اشعياء ٨/٤٤ ، ١/٤٥ ، ١/٤٧ — ١٥ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 301.

14) G. G. Cameron, New Light in Ancient Persia, in JAOS, LII, 1932, P. 304.

الى أكد ، وبدأ ملك عيلامى يحكم فى الوركاء ، وهذا يعنى أن بلاد بابل أصبحت بين فكى الكماشة •

وبدأ كيروش يسيطر على منطقة «جوتيـوم» (Gutium) بين الزاب الاسفل ودجلة وجبال السليمانية — وهى منطقة كانت تحت حكم نبوخذ نصر ، وكانت «أرانجا» (كركـوك) مركز ادارتها ، وعهـد الى «جوبارو» (جوبرياس) (Gubaru-Gobryas) أن يتولى حكمهـا ، وهو حاكم بابلى فى الاصل ، ولكنه انحاز الى كيروش[١٥] •

وقرب بداية أكتوبر من عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، قاد كيروش معركة فى «أوبيس» (Opis) على الدجلة ، على مقربة من المدائن — وأحرق أهل أكد بالنار ، وبهذه الطريقة الهمجية من الرعب البغيض ، أفقد كيروش خصومه شجاعتهم ، وفى ١١ أكتوبر استسلمت «سيبار» دون قتـال ، وحاول «نبونيد» الهرب الى الجنوب الغربى متجها الى الصحراء ، غير أن البدو من أعوان كيروش قطعوا عليه الطريق وأجبروه على العودة ، وفى ١٢ أو ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق•م ، دخل «جوبرياس» (Gobryas) محافظ «جوتيوم» الخائن ، مدينة بابل ، ومعه قـوات كيروش ، دون معركة ، وان ظلت القلعة والقصر يقاومان فترة ، حتى ذهب البعض الى أن الغزاة لم يتغلبوا على الحامية المحاصرة الا بالحيلة ، وهكذا اسقطت امبراطورية «نبوخذ نصر» على يد أحد الضباط البابليين ، وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق•م ، بدأ الكتاب يؤرخون باسم العاهل الجديد «كيروش ملك العـالم» •

وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق•م ، دخل كـيروش نفسه مدينة بابل ، وفرشت الورود فى طريقه ، ورحب به كهنـة مردوك ، الذين لم يكونوا راضين عن حكومة نبونيد ، وأعلن الغازى الجديد الامان لسكان بابل ،

---

(١٥) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ٢٣٦ – ٢٣٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 357-358.

وأن يبعده الى منطقة نائية ، فى «كرمــانيا» ، ليصبح حاكما عليها ، أو لتكون منفى له ، وعلى أية حال ، فلقد قضى كيروش فى عام ٥٢٩ ق٠م (وربما ٥٣٠ ق٠م) حين كان يهاجم الطورانيين عند حدوده الشمالية ، بعد أن نجح خلال ثلاثين عاما من أن يرتفــع من بداية متواضعة ، لكى يصبح أقوى حاكم فى عصره[١٨] .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن سقوط بابل فى عــام ٥٣٩ قبل الميلاد ، ومن قبلها سقوط «نينوى» فى عام ٦١٢ قبل الميلاد ، لا يعد أبدا كنهاية لتاريخ العراق القديم ، كدولة مستقلة فحسب ، وانما الامر أكثر من هذا وأخطــر ، ذلك لأنه فى هذا الوقت ، وفى هــذه المنطقة من مناطق الشرق الادنى القديم ، انتهت سيادة العناصر السامية ، وبدأت سيادة العناصر «الهندو ــ أوربية» من «الفرس الاخمينيين» (٥٣٩ ــ ٣٣١ ق٠م) و «الاغريق» ، بما فى ذلك عصر الاسكندر الأكبر والسلوقيين (٣٣١ ــ ١٣٥ ق٠م) ، حيث شــيد «سلوقس الاول» ــ أحد قــواد الاسكندر ــ مدينة «سلوقية» على نهر دجلة (وهى تل عمر الحالية على نهر دجلة ، مقابل طيسفون ، أى طاق كسرى). فكان ذلك ضربة قاضية على بابل ، حيث هجرها الناس ، وبدأ الخراب يعمها منذ ذلك الحــين ، ثم «الفرس الفريثيين» (١٣٥ ق٠م ــ ٢٢٦م) ثم «الفرس الساسانيين» (٢٢٦ ــ ٦٣٧م) وقد نقل الفرس الفريثيون العاصمة من «سلوقية» الى «طيسفون» ــ على مبعدة ٧٠ كيلا من بابل ــ وتقع طيسفون على دجلة ، مقابل سلوقية ، وقــد عرفت المدينتــان (سلوقية وطيسفون) باســم «المدائن» والتى ظلت العاصمة حتى الفتح الاسلامى ، وعلى أية حال ، فيمكن أن نجعل مدة عهود الاحتلال الاجنبى ، قرابة اثنى عشر قرنــا متتالية (٥٣٩ ق٠م ــ ٦٣٧م) ، حتى جاء الاســلام الحنيف ، فحــرر الارض والقوم من ذل الاستعمار ، ودنس الأستعباد ، فضلا عن تحرير العقول من وثنية الماضى ، وهكذا أصبح القوم فى العراق ــ كما أصبحوا

---

18) A. H. Gardiner, Op. Cit, P. 364.

وعين الخائن «جوبرياس» واليا (ستراب = Satrap) على اقليم بابل الجديـدة ، وأعيد الموظفـون الى وظائفهم ، وأعلن كـيروش أنه «الملك العظيم ، الملك القوى ، ملك بابل ، ملك سومر وأكد ، ملك كل أنحاء العالم» ، وهكذا انتقلت مقاليد الامور فى الامبراطورية البابلية الجديدة الى كـيروش ، وسرعان ما خضعت له بـلاد النهرين بدون صعـوبة ، واعترفت سورية وفلسطين بالغازى الجديد(١٦) •

ولعل من الأهمية بمكان الاشـارة الى أن تأسيس الامبراطوريـة الفارسية لم يكن مجرد تغيير فى السيادة ، وانما كان تغييرا جوهريا فى سياسة العواهل من أشور وبابل تجاه الشـعوب الخاضعة لهم ، الذين كانوا يحاولون توطيد سلطانهم عن طريق وضع السـكان الوطنيين فى الاقاليم الخاضعة لهم تحت وصايتهم ، وترحيل الطبقات الاعلى مرتبة الى أقاليم أخرى ، هذا فضلا عن ادخال دين الامبراطورية الرسمى فى عواصم الأقاليم ، الى جانب الاديان المحلية ، واستمر الفرس فى سياسة تسامح نسبى ، وان احتفظوا تماما بالسلطة الفعلية ، والتى كانت مركزة فى شخص الملك وكبار الموظفين فى أيديهم(١٧) ، كما استعملوا القسوة عند الثورة ضدهم •

وأما ملك بابل «نبونيد» فلقد رأى كيروش أن يحفظ عليه حياته ،

---

(١٦) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣٤٢ – ٣٤٣ ، وكذا

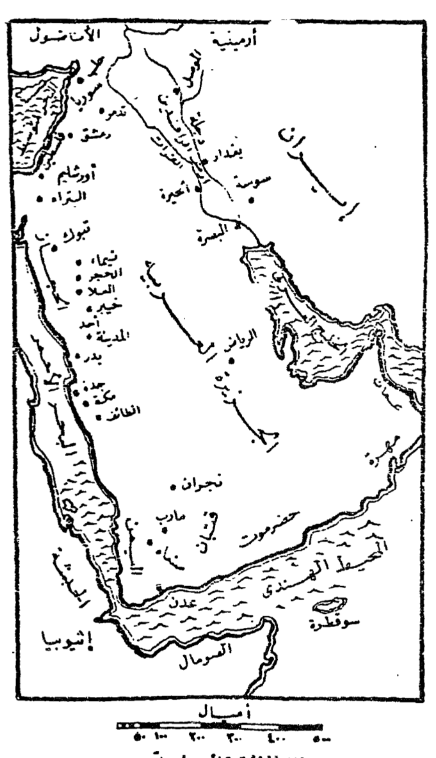
Nalonidus Charonicle, III, 12-22.
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 315-316.
R. W. Rogers, Cuneiform Parallels to The Old Testament, London 1912, P. 381.
A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 50-51.
R. Ghirshman, Iran, (Penguin Books), 1954, P. 131-132.
R. A. Parker and W. H. Dubberstien, Babylonian Chronology, 626 B.C-AD 45, 1942, P. 11.
17) M. Noth, Op. Cit., P. 302.

فى غيره من بلاد الشرق الادنى القديم — يؤمنون بالله الواحد الاحد ، الذى لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير •

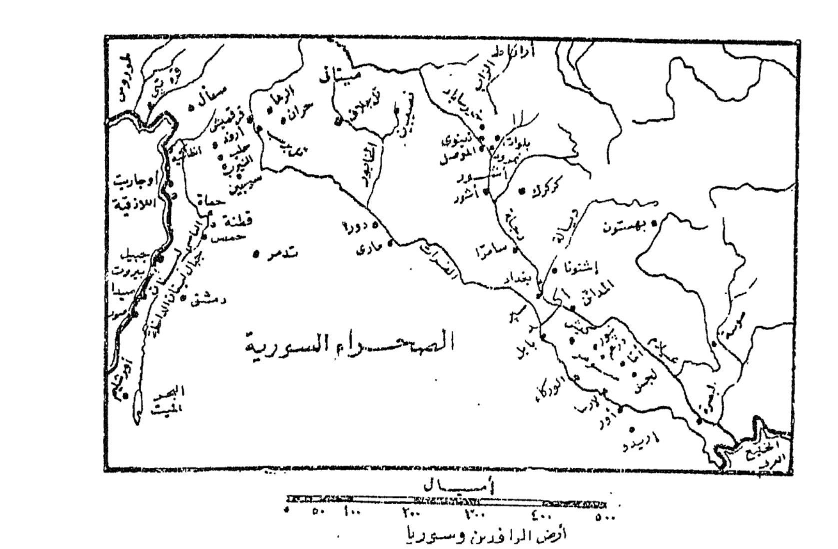
وآخر دعوانا ، أن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وجدنا
محمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين

تم بحمد الله ،،

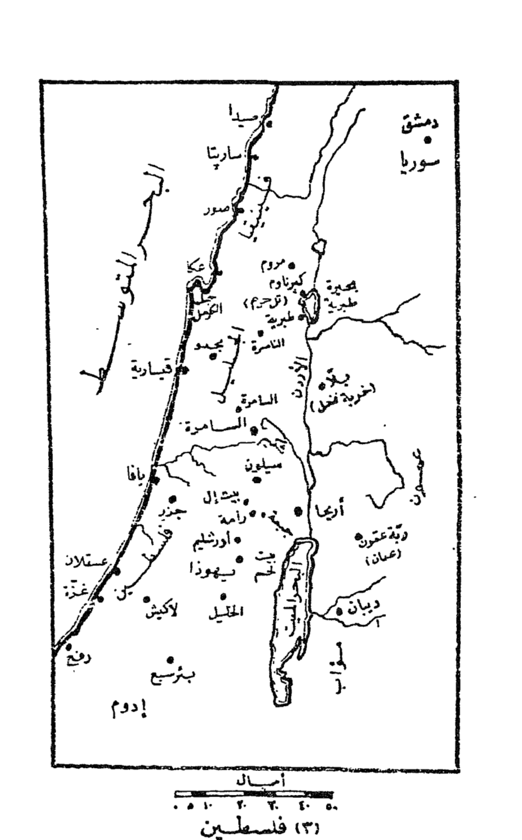
الخـــــــرائط



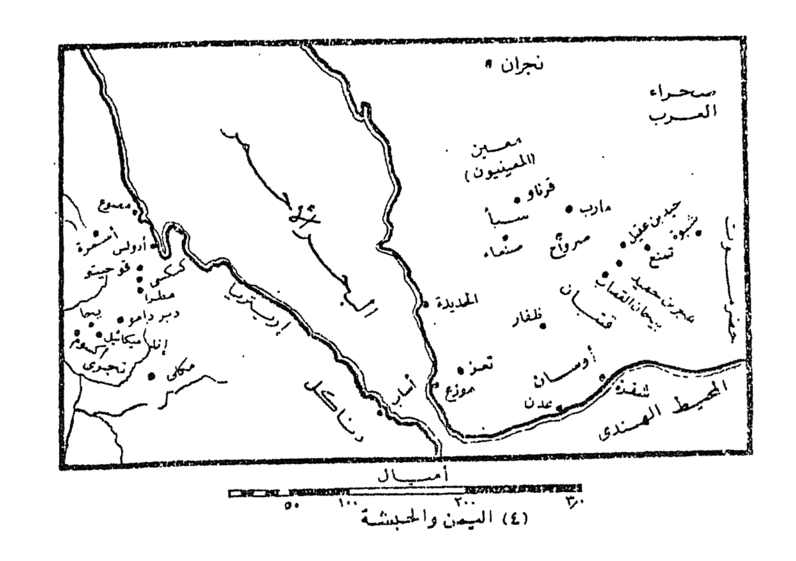
(١) المنطقة السامية



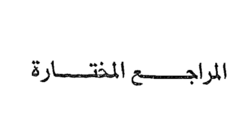
أرض الرافدين وسوريا


دمشق
سوريا
صيدا
ساربتا
صور
عكا
الكرمل
مروم
كفرناوم
(تل حوم)
بحيرة طبرية
طبرية
الناصرة
مجدو
قيسارية
بيلا
(خربة فحل)
الأردن
السامرة
السامرة
شيلوه
يافا
بيت إيل
جزر
رامة
جبعة
أريحا
أورشليم
بيت لحم
يهوذا
ربة عمون
(عمان)
عسقلان
غزة
لاكيش
الخليل
ديبان
رفح
بئر سبع
إدوم
البحر المتوسط
البحر الميت
أميال

(٣) فلسطين



(٤) اليمن والحبشة



المراجـــــع المختـــــارة

أولا ـ المراجع العـــربية :

القـــرآن الكريم

التـــــوراة

الدكتور أحمد أمين سليم

١ ـ دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ بيروت ١٩٨٩ ٠

٢ ـ القيم الأخلاقية والسلوكية فى العراق القديم ـ بيروت ١٩٨٤٠

٣ ـ دراسات فى تاريخ ايران القديم وحضارتها ـ الجزء الأول ـ بيروت ١٩٨٨ ٠

الدكتور أحمـد سـوسة

تاريخ حضارة وادى الرافدين (جزءان) ـ بغداد ١٩٨٦ ٠

الدكتور أحمـد فخـــرى

دراسات فى تاريخ الشرق القديم ـ القاهرة ١٩٦٣

مصر الفرعونية ـ القاهرة ١٩٧١ ٠

الدكتور تقى الدين الدباغ

١ ـ العراق فى عصور ما قبل التاريخ ـ العراق فى التـاريخ ـ بغـداد ١٩٨٣ ٠

٢ ـ الثورة الزراعية والقرى الأولى ـ حضارة العراق ـ الجزء الأو لـ بغداد ١٩٨٥ ٠

الدكتور رشيد الناضـورى

جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ـ الكتاب الأول ـ بيروت ١٩٧٧

رضـــا جـواد الهاشمى

التجارة ـ القانون والأحوال الشخصية ـ حضارة العراق ـ الجزء الثانى ـ بغداد ١٩٨٥ ٠

الدكتور سامى سعيد الاحمد

١ ــ الادارة ونظام الحكم ــ حضارة العراق ــ الجزء الثانى ــ بغداد ١٩٨٥ ٠

٢ ــ الزراعة والرى ــ حضارة العراق ــ الجزء الثانى ــ بغداد ١٩٨٥ ٠

٣ ــ العصر البابلى القديم ــ العراق فى التاريخ ــ بغداد ١٩٨٣٠

٤ ــ سلالة بابل الحديثة ــ العراق فى التاريخ ــ بغداد ١٩٨٣ ٠

٥ ــ الأدب ــ حضارة العراق ــ الجزء الأول ــ بغداد ١٩٨٥ ٠

الدكتور سليمان حزين

البيئة والانسان والحضارة فى وادى النيل ــ تاريخ الحضارة المصرية ــ الجزء الاول ــ القاهرة ١٩٦٢ ٠

الدكتور طارق عبد الوهاب مظلوم

النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلى الحديث ــ من كتاب حضارة العراق القديم ــ الجزء الرابع ــ بغداد ١٩٨٥ ٠

الدكتور طه باقر

١ ــ مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ــ القسم الثانى ــ تاريخ العراق القديم ــ بغداد ١٩٥٥ ٠

٢ ــ مقدمة فى أدب العراق القديم ــ بغداد ١٩٧٦ ٠

٣ ــ ملحمة جلجاميش ــ بغداد ١٩٨٠ ٠

٤ ــ شرائع العراق القديمة ــ مجلة سومر ــ بغداد ١٩٤٧ ٠

الدكتور عامر سليمان

١ ــ العلاقات السياسية الخارجية ــ حضارة العراق ــ الجزء الثانى ــ بغداد ١٩٨٥ ٠

٢ ــ العصر الآشورى ــ العراق فى التاريخ القديم ــ بغداد ١٩٨٣٠

٣ ــ جوانب من حضارة العراق القديم ــ العراق فى التاريخ ــ بغداد ١٩٨٣ ٠

٤ ــ التراث اللغوى ــ حضارة العراق ــ الجزء الأول ــ بغداد ١٩٨٥ ٠

٥ ـ القانون فى العراق القديم ـ الجزء الأول ـ الموصل ١٩٧٧ ٠

الدكتـور عبد الحميـد زايد

١ ـ مصر الخالدة ـ القاهرة ١٩٦٦ ٠

٢ ـ الشرق الخالد ـ القاهرة ١٩٦٦ ٠

الدكتور عبد العزيز صـالح

الشرق الأدنى القديم ـ الجزء الأول ـ مصر والعراق ـ القاهرة ١٩٦٧ ٠

عبد الكريم عبـد الله

ملامح الوجود السامى فى جنوب العـراق قبـل تأسيس الدولة الأكدية ـ مجلة سومر ـ العدد ٣٠ ـ بغداد ١٩٧٤ ٠

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

١ ـ كفاحنا ضد الغزاة ـ العصر الفرعونى ـ القاهرة ١٩٥٧ ٠

٢ ـ حضارة مصر والشرق القديم ـ العراق القديم ـ القاهرة ٠

الدكتور فاضل عبد الواحد على

١ ـ السومريون والاكديون ـ العراق فى التاريخ ـ بغداد ١٩٨٣ ٠

٢ ـ سلالة ايسين الثانية ـ العراق فى التاريخ ـ بغداد ١٩٨٣ ٠

٣ ـ حضارة بلاد وادى الرافدين ـ العراق فى التاريخ ـ بغداد ١٩٨٣ ٠

٤ ـ عشتار ومأساة تموز ـ بغداد ١٩٧٣ ٠

٥ ـ الطوفان ـ بغداد ١٩٧٥ ٠

فـرج بصـمة جى :

بحث فى الفخار ـ صناعته وأنواعه فى العراق القديم ـ مجـلة سومر ـ العدد ٢١ ـ بغداد ١٩٦٥ ٠

الدكتور فـوزى رشـيد

١ ـ الشرائع العراقية القديمة ـ بغداد ١٩٧٩ ٠

٢ ـ الجيش والسلاح ـ حضارة العراق ـ الجزء الثانى ـ بغداد ١٩٨٥ ٠

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور

معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ـ الاسكندرية ١٩٦٨ ٠

معالم حضارة الشرق الادنى القديم ـ الاسكندرية ١٩٦٩ ٠

الدكتور محمد بيومى مهران

١ ـ الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية ـ الاسكندرية ١٩٦٦م ٠

٢ ـ مصر والعـــالم الخـــارجى فى عصر رعمسيس الثـالث ـ الاسكندرية ١٩٦٩ ٠

٣ ـ اخناتون : عصره ودعوته ـ الاسكندرية ١٩٧٩ ٠

٤ ـ السـاميون والآراء التى دارت حـــول موطنهم الأصلى ـ الرياض ١٩٧٤ ٠

٥ ـ قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ـ الرياض ١٩٧٥٠

٦ ـ العـــرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ـ الرياض ١٩٧٦ ٠

٧ ـ حركات التحرير فى مصر القديمة ـ القاهرة ١٩٧٦ ٠

٨ ـ تاريخ العرب القديم ـ الرياض ١٩٧٧ ٠

٩ ـ اسرائيل ـ التاريخ ـ (جزءان) ـ الاسكندرية ١٩٧٨ ٠

١٠ ـ اسرائيل ـ الحضارة ـ (جزءان) ـ الاسكندرية ١٩٧٩ ٠

١١ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم ـ الجزء الرابع ـ فى العراق ـ بيروت ١٩٨٨ ٠

١٢ ـ مصر ـ الجزء الاول ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ٠

١٣ ـ مصر ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ٠

١٤ ـ مصر ـ الجزء الثالث ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ٠

١٥ ـ الحضارة المصرية ـ الجزء الأول ـ الاسكندرية ١٩٨٩ ٠

١٦ ـ الحضارة المصرية ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٩ ٠

١٧ ـ الحضارة العربية القديمة ـ الاسكندرية ١٩٨٨ ٠

الدكتور محمد عبد اللطيف

١ ـ تاريخ العراق القديم ـ الاسكندرية ١٩٧٧ ٠

٢ ـ المراكز التجـــارية الآشورية فى وسـط آسيـا الصغرى ـ الاسكندرية ١٩٨٤ ٠

الدكتور محمد عبد القادر محمد

١ ـ الساميون فى العصور القديمة ـ القاهرة ١٩٦٨ ٠

٢ ـ قصة الطوفان فى أدب بلاد الرافدين ـ القاهرة ١٩٦٥ ٠

الدكتـور محمـود الأمـين

قوانين حمورابى والقوانين البابلية الأخيرة : مجلة كلية الآداب ـ عدد يناير ١٩٦١ ـ بغداد ١٩٦١ ٠

الدكتـور مؤيد سـعيد

١ ـ العراق خلال عصور الاحتلال ـ العراق فى التاريخ ـ بغداد ١٩٨٣ ٠

٢ ـ العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلى الحديث حضارة العراق ـ الجزء الثالث ـ بغداد ١٩٨٥ ٠

الدكتـور نجيب ميخـائيل

مصر والشرق الأدنى القديم (٦ أجـزاء) ـ الاسكندرية ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ ٠

هـنرى عبـود

معجم الحضارات السامية ـ بيروت ١٩٨٨ ٠

ثانيا : المراجع المترجمة الى اللغة العربية :

أندرية بــــارو :

بلاد آشور ـ ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتى ـ بغداد ١٩٨٠.

ألويس موســـل :

شمال الحجاز ـ ترجمة عبد المحسن الحسينى ـ الاسكندرية ١٩٥٢

أنطـون مورتجـــات

الفن فى العراق القديم ـ ترجمة عيسى سيلمان وسليم التكريتى ـ بغـــداد ١٩٧٥ .

جـــورج ســـارتون :

تاريخ العلم ـ بلاد مابين النهرين ـ ترجمة الدكتور طه باقــر ـ القاهرة ١٩٦٣ .

جـــورج كونتينـــو :

الحياة اليومية فى بلاد بابل وآشور ـ ترجمة سليم طه التكريتى، وبرهان عبد التكريتى ـ بغداد ١٩٨٦ .

جيمس فريزر :

الفلكلور فى العهد القديم ـ نرجمة نبيلة ابراهيم ـ القاهرة ١٩٧٢

جيمس هنرى برستد :

انتصار الحضارة ـ ترجمة الدكتور أحمد فخرى ـ القاهرة ١٩٦٦

سبتينو موسكاتى :

الحضارات السامية القديمة ـ ترجمه وزاد عليه ـ السيد يعقوب بكر ـ القاهرة ١٩٦٨ .

صمويل نوح كريمر

١ ـ أساطير العالم القديم ـ ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ـ القاهرة ١٩٧٤ .

٢ ـ من ألواح سومر ـ ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخرى القاهرة ١٩٥٨ ٠

ل٠ ديلابورت :

بلاد مابين النهرين ـ ترجمة محـــرم كمال ومراجعة الدكتــور عبد المنعم أبو بكر ـ الالف كتاب (٣٥) ـ القاهرة ٠

ليـــو أوبنهـــايم :

بلاد مابين النهرين ـ ترجمة سعد فيضى ـ بغداد ١٩٨١ ٠

فيلب حتى :

١ ـ لبنان فى التاريخ ـ ترجمة أنيس فريحـــة ونقولا زيادة ـ بيروت ١٩٥٩ ٠

٢ ـ تاريخ سوريا ولبنـــان وفلسطين ـ ترجمة جورج حـــداد وعبد الكريم رافق ـ بيروت ١٩٥٨ ٠

هورست كلنجـــل :

حمورابى ملك بابل وعصره ـ ترجمة غازى شريف ـ بغداد١٩٨٧

ثـالثـا : المراجـع الاجنبيـة

Abbot, (N.)

Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941.

Al-Adami, (K. A.)

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Sumer, 24, 1968.

Albright, (W. F.),

The Epic of The King of Battle, in JSOR, 7, 1923.

Ali, (F. A.)

New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973.

Andrae, (W.),

Babylon, Berlin, 1952.

Baqir, (T.)

I - Tell-Harmal, in Sumer, II, 1946.

Baqir, (T.)

Excavations at Aqar-Quf, Iraq, Supplement, 1944-1945, Iraq, VIII, 1946, P. 73-92.

Barmaki, (D.)

Phoneici and The Phoenicians, Beirut, 1961.

Barton, (G. A.),

The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929.

Bibby, (G.)

Looking for Dilmun, (Penguin Books) 1972.

Bohl, (F. M. T.)

King Hammurabi of Babylon in The Setting of his Time, Amsterdam, 1946.

Bottero, (J.)

1. Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. Syria During The Third Dynasty of Ur, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Bottero, (J.) and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Branden, (A. Van den)

Les Textes Thamoudeens de Philby, II, Louvain, 1956.

Breasted, (J. H.)

1. La Conquete de la Civilisation, Payot-Paris, 1945.
2. A. History of Egypt, From The Earliest Times to The Persian Conquest, New York, 1946.
3. The Dawn of Conscience, New York, 1939.

Brinkman, (J. A.),

1. Materials and Studies for Kassite History. I, Chicago, 1976.
2. A. Political History of Past-Kassite Babylonia (1158-722 B. C.), Rome, 1968.

Budge, (E. A. W.)

The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, New York, 1920.

Comeron, (G. G.)

1. History of Early Iran, 1936.

Deimel, (A.),

Codex Hammurabi, 1930 (3rd ed by E. Bergmann, 1953).

Dhorme, (E.),

Les religions de Babylonie et d' Assyrie, Paris, 1949.

Dossin, (G.)

Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19, 1938.

Dougherty, (R. P.),

Nabonidus and Belshazzar, New-Haven, 1929.

Dougherty, (R. P.),

The Sealand of Ancient Arabia, New Haven, 1932.

Driver, (G. R.) and Miles, (J. C.),

1. The Assyrian Laws, Oxford, 1935.
2. The Babylonian Laws, 2 Vols, Oxford, 1952-1955.

Drower, (M. S.),

Syria Before 2200 B. C, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Dupont-Sommer, (A.),

Les Arameens, Paris 1949.

Edwards, (I-E.S.),

The Early Dynastic Period in Egypt, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Edzard, (D. O.), and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Egami, (N.),

I—The Preliminary Report of Excavations at Telul Athalathat, in Sumer, 13, 1957.

2. New Light on Ancient Peria, in JAOS, LII, 1932.

Cater, (T. H.),

Studies in Cassite History and Archaeology, Bryn, 1962.

Childe, (V. G.),

New Light on The Most Ancient East, London, 1952.

Clark, (G.)

Prehistory of The World, Cambridge, 1962

Clay, (A. T.),

1. The Empire of The Amorites, New Haven, 1919.
2. Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

Cole, (S.),

The Neolitic Revolution, London, 1961.

Conteneau, (G.),

1. Everyday Life in Babylon and in Assyria, London, 1954.
2. Manuel d' archeologie Orientale, 3 Vols, Paris, 1927-1931.

Cook, (S. A.)

Israel and The Neighbouring States, in CAH, III, Cambridge, 1965.

Cooke, (G. A.)

A Text-Book of North-Semitic Inscriptions, Oxford, 1907.

Cronwall, (P. B.)

On The Location of Dilmun, in BASOR, 103, 1946.

Dabbagh, (T.),

1. Hassuna Pottery, in Sumer, 21, 1965.
2. Half Pottery, in Sumer, 22, 1966.

Egami, (N.) and Others

Brief Report of The Third Season's Excavations at Tell, II, of Telul Eth-Thalathat and Some Observations, in Sumer, 22, 1966.

El-Wailly, (F.) and Ab es-Soof, (B.)

The Evcavations at Tell es-Sawwan, First Preliminary Report, 1964, in Sumer, 21, 1965.

Eilers, (W.),

The Code of Hammurabi, in AO, 31, 1931.

Eissfeldet, (O.),

The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975.

Fadhil, (A.A.),

Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970.

Feigin, (S. I.) and Landsberger, (B.)

The Date-List of The Babylonian King Samsu-ditana, in JNES, 14, 1955.

Fleisch, (H.),

Introduction a Etude des Langues Semitiques, Paris, 1947.

Finegan, (J.),

Light from The Ancient Past, The Archaeological Background of Judaism and Christianity, Princeton, 1969.

Finkelstein, (J. J.),

1. The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1968.
2. The Year-dates ol Samsuditana, in JCS, 13, 1959.

Finkelstein, (J. J.),

Ammisaduqua's Edict and The Babylonian, Lawcods, in JCS, 15, 1961.

Frankfort, (H.),

1. Kingship and The Gods, Chicago, 1948.
2. The Art and Architecture of The Ancient Orient (Penguin Books), 1970.
3. The Last Predynastic Period in Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1973.
4. Archaeology and The Sumerian Problem. London 1932.
5. The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951.
6. Before Philosophy (Penguin Books), 1954.

Frankfort, (H.) and Jacobsen (Th.),

The Gimilsin Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940.

Gadd, (C. J.),

1. The Cities of Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. The Dynasty of Agade and Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, 1971.
3. Babylonia C. 2120-1800 B. C., in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. The Fall of Nineveh, London, 1923.
5. The Harran Inscription of Nabonidus, Anatolian Studies, VII, 1958.

Gardiner, (A H.),

Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961.

Garrod, (D. A. E.),

Primitive Man in Egypt, Weastern Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970.

Gelb, (I.),

The Name of The Goddess Innin, JNES, 19, 1960.

Ghirshman, (R.),

Iran, (Penguin Books) 1954.

Ginsberg, (H. L.),

Aramaic Letters, in ANET, 1966.

Goetze, (A.),

1. The Laws of Ishnunna, New Haven, 1956.
2. The Laws of Ishnunna, in ANET, 1966.

Cray, (J.),

Near Eastern Mythology, New York, London, 1969 .

Gureny, (O. R.),

The Hittites, (Pengun Books) 1969.

Gyles, (M. F.),

Pharaonic Policics and Administration (663-323 B. C.) Carolina, 1959.

Hall, (H. R.),

The Ancient History of The Near East, London, 1963.

Hallo, (W. W.), and Simpson, (W. K.),

The Ancient Near East, A History, U. S. A., 1971.

Harden, (D. B.),

The Phoenicians, London, 1962.

Harper, (R. F.),

The Gode of Hammurabi, London 1904.

Hartman, (F.),

L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1923.

Hastings, (J.),

Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1936.

Heidel, (A.),

1. The Gilgamesh Epic and The Old Testament Parallels, London, 1949.
2. The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

Hinz, (W.)

Persia C. 2400-1800 B. C. in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Hitti, (P. K.)

1. The Near East in History, Princeton, 1961.
2. History of Syria, London, 1951.
3. History of The Arabs, London, 1960.

Jacobsen, (T.)

1. Primitive Democracy in Ancient Mesoptamia, in JNES, 2, 1943.
2. A Survey of The Girsu, (Tello) Region, in Sumer, 25, 1969.
3. The Sumerian King List, in AS, II, 1939.
4. Towards The Image of Tammuz, JHR, I, 1961.

Jacobsen, (T.) and Kramer, (S. N.),

The Myth of Inanna and Bilulu, in JNES, 12, 1958.

James, (E. O.),

Myhes et Rites dans Le Proche-Orient Ancient, Paris, 1960.

Kramer, (S. N.),

Lipit-Ishtar Lawcode, in ANET, 1966.

Kramer, (S. N.) and Falkenstein (A.),

Ur-Nammu Law Cide, Orientalia, 23, 1954.

Kundtzon, (J. A.),

Die El-Amarna Tafeln, 2 Vols, Leipzig, 1908.

Kupper, (J. R.),

1. Archives Royal de Mari, 6, 1954.
2. Northern Mesopotami and Syria, in CAH, Part, I, Cambridge, 1973.

Labat, (A.),

Elam and Western Persia, 1200-1000 B. C, CAH, Part, 2, A, Cambridge, 1980.

Laessoe, (J.),

The People of Ancient Assyria Translated from The Danish by, F. S. Leigh-Browne, London, 1963.

Lambert, (M.),

1. La Periode Presorgonique, in Sumer, 8, 1952.
2. Les reforms d'urukagina, in Revue d'assyriologie, V. 1956.

Lambert, (W. G.),

1. Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960.
2. Nabonidus in Arabia, Seminar for Arabian Studies, London, 1972.

Langdon, (S. H.),

Sumerian Origins and Racial Chracteristics in Archaeologia, 1920.

Jawad, (A.),

The Eridu Material and its Implications in Sumer, 30, 1974.

Kramer, (S. N.), Baqir, (I.) and Levy, (S. J.),

Fragments of a diorite Statue of Kurigalzu in The Iraq Museum, in Sumer, 4, 1948.

Keller, (W.)

The Bible As History, London, 1967.

Kenyon, (K. M.),

Archaeology in The Holy Land, London, 1970.

King (L. W.),

1. Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, London, 1918.
2. History of Sumer and Akkad from Prehistoric Times to The Foundation of The Babylonian Monarchy, London, 1910.
3. History of Babylon from The Foundation of The Manarchy to The Persian Conquest, London, 1915.

Kitchen, (K. A.),

The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.

Kraeling, (E. G.)

Aram and Israel, New York, 1918.

Kramer, (S. N.),

1. The Sumerians, Chicago, 1970.
2. The Deluge, in ANET, 1966.
3. Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944
4. Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944.
5. The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 1964.

Layard, (A. H.),

Discoveries in Nineveh and Babylon, 1853.

Leemans, (W. F.),

1. Foreign Trade in The Ocld Babylonian Period, Leiden, 1960.
2. Ishtar of Lagala Leiden, 1952.

Lewy, (H.),

Assyria C 2600-1861 B. C., in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Lewy, (J.),

Amurritica, in HUCA, 32, 1961.

Lie, (A. G.)

The Inscriptions of Sargon, II, King of Assyria, Part, I, The Annals, Paris, 1929.

Lioyd, (S.) ,

1. Uruk Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu, in Sumer, 4, 1948.
2. Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955

Lioyd, (S.) and Safar, (F.),

1. Tell-Uqair, in JNES, 2, 1943.
2. Tell-Hassuna, in JNES, 4, 1945.
3. Eridu, in Sumer, 4, 1948.

Lods, (A.)

Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962

Loud, (G.)

Khorsabad, Chicago, 1936-1938.

Luckenbill, (D. D.),

Ancient Records of Assyria and Babylonia, I-II, Chicago, 1968.

Malamat, (A.),

1. The Last Wars of The Kingdom of Judah, in JNES, 9, 1950.
2. The Aramaeens in Aram Naharaim and The Rise of Their State, Jerusalem, 1952.

Mallowan, (M. E. L.),

1. Early Mesopotami and Eran, London, 1965.
2. The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Uruk, 5, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970.
3. The Early Dynastic Period in Mesopotamia in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.
5. Twenty - Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1965.

Masry, (A. H.),

Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974.

Mccown, (D. E.),

Excavations at Nippur, in JNES, XI, 1962.

Meek, (T. J.),

1. The Code of Hammurabi, in ANET, 1966.
2. The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966.
3. The Neo-Babylonian Laws, in ANET, 1966.
4. Mesopotamian Legal Documents, in ANET, 1966.

2. The Northern Nejd, New York, 1928.

3. In The Arabia Desert, New York, 1930.

Noth, (M.)

The History of Israel, London, 1965.

Nougayral, (J.),

The Code of Hammurabi, in RA, XLV, 1955.

Oates, (J.)

1. First Preliminary Report on a Survey in The Region of Mandali and Badra, in Sumer, 22, 1966.
2. A Preliminary Report, The First Season's Excavations at Choga Mami, in Sumer. 25, 1969.

Olmstead, (A. T.),

1. History of Assyria, New York, 1923.
2. Weastern Asia in The Days of Sargon of Assyria(New York, 1908.
3. History of Palestine and Syria, Chicago, 1931.
4. History of The Persian Empire, Chicago, 1970.

Oppenheim, (A. L.),

1. The Archives of The Palace of Mari, in JNES, XI, 1952.
2. The Sumerian King List, in ANET, 1966.
3. Sargon of Agade, in ANET, 1966.
4. Gudea, Ensi of Lagash, in ANET, 1966.
5. The Sargon Chronicle, in ANET, 1966.
6. Naram-Sin in The Cedar Mountain, in ANET, 1966.
7. The City of Assur in 714 B C, in JCS, 19, 1960.

Pallis, (S. A.)

The Antiquity of Iraq, Copenhagen, 1956.

Mellaart, (J.),

1. Earliest Civilizations of The Near East, London, 1974.
2. The Earliest Settlements in Weastern Asia frim The Ninth to The End of The Fifth Millenium B. C, in CAH, I, Part, I, Cambridge 1970.

Mercer, (S. A. B.),

The Tell-El-Amarana Tablets, I-II, Toronto, 1939.

Millard, (A. R.) and Tadmor, (H.),

Adad-Nirari, III in Syria, Iraq, 35, 1973.

Mortgat, (S.) ,

Aegypten und Verderasien in Altertunl, Munchen, 1950.

Morgan, (J-de),

La Prehistoire Orientale, II, Paris, 1926.

Mortensen, (P.),

On The Chronology of Early Village Farming Communities in North Iraq, in Sumer, 18, 1962.

Moscati, (S.)

1. Ancient Semitic Civilization, London, 1957.
2. The Face of The Ancient Orient, London, 1960.

Mougayrol, (J.) and Aynard, (J. M.)

La Mesopotamie, Paris, 1965.

Munn-Rankin, (J. M.),

Assyrian Military Power 1300-1200 B C, in CAH, II, Part, 2 A, Cambridge, 1980.

Musil, (A.)

1. The Northern Hegas, New York, 1926.

Parker, (R. A.), and Dabberstien, (W. H.),

Babylonian Chronology 626 B. C - A. D 45, London, 1942.

Parrot, (A.)

1. Mari, Paris, 1953.
2. Archeologie Mesopotamienne, Techenique et Problemes, Paris, 1953.
3. Sumr, London, 1960.
4. Assur, (Gallimard, France, 1961).
5. Nineveh and Babylon, 1961.

Peake, (H. J. E.),

The Origines of Agriculture, London, 1928.

Place, (V.),

Ninive et l'Assyria, Paris, 1867-1870.

Poeble, (A.),

The Assyrian King List from Khorsbad, in JNES, I, 1942.

Roth, (C.),

A Short History of The Jewish People, London, 1969.

Roux, (G.),

Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980.

Rogers, R. W.),

Cuneiform Parallels to The Old Testament, London, 1912.

Saggs, (H. W. F.),

The Greatness That Was Babylon, London, 1962

Sayce, (A. H.),

Menes and Narman-Sin, in JEA, 6, 1920.

Seidl, (U.),

Die Babylonischen Kudurru-Reliefs, in BM, 4, 1968.

Smith, (S.),

1. Early History of Assyria to 1000 B. C, London, 1928.
2. Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSOAS, 1954.

Smith, (W. S.),

Interconnection in The Ancient Near East, London, 1965.

Sollberger, (E.),

The Flood, London, 1962.

Spalinger, (A.),

Asshurbanipal and Egypt, a Source Study, in JAOS, XCIV, 1974.

Speiser, (E. A.),

1. The Sumerian Problem Reviewed, in HUC, 23, 1950.
2. The Epic of Gilgamesh, in ANET, 1966.
3. The Legend of Sargon, in ANET, 1966.
4. Mushkenum, in Orientalia, XXVII, 1958.

Szlechter, (E.),

Le Code d'Ur-Nammu, in RA, XLIX, 1955.

Tadmor, (H.),

The Historical Inscriptions of Adad-Nirari, III, in Iraq, 35, 1973

Thureau - Dangin, (F.),

1. Textes de Mari, in BA, 33, 1936.
2. Une Relation de la Huitieme Campagne de Sargon, Paris, 1912.

Unger, (M. F.),

Unger's Bible Dictionary Chicago, 1970.

Ward, (W. A.),

Egypt and The East Mediterranean, From Predynastic Times to The End of The Old Kingdom, in JESHO, VI, 1963.

Winckler, (H.),

The History of Babylonia and Assyria, New York, 1907.

Wiseman, (D. J.),

1. The Laws of Hammurabi again, in JSS, 7, 1962.
2. Assyria and Babylonia, I, 200-1000 B. C, in CAH, II, Part, 2, A, Cambridge, 1980.
3. A. New Stele of Assur-Nasir-Pal, in Iraq, 14, 1952.
4. Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956.

Woolley, Sir Leonard),

1. Excavations At Ur, London, 1963.
2. Ur of The Chaldees, London, 1965.
3. The Beginnings of Civilization, New York, 1965.

Yasin, (W.),

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Sumer, 26, 1970.

Yeivin, (G. E.),

The Sepulchers of The Kings of The Hous of David in JNES, 7, 1948.

Zeissl, (H. Von),

Athiopen und Assyrer in Agypten, Hamburg, 1944.

1. Encyclopaedia Biblica.
2. Encyclopaedia Britannica.
3. Encyclopaedia of Islam.
4. Encyclopaedia of Religion and Ethics.
5. The Jewish Encyclopeadia N. Y., 1903.

محتويات الكتاب

البـــاب الاول

عصـــور ما قبـــل التـــاريخ

البـــاب الثـــانى

الســـومريون

البـاب الثـالث

العصر الاكـدى

البـاب الرابع

العراق فيما بين نهاية أسرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

الباب الخامس

البابليون

البــــاب الســــادس

الأشـــــــوريون

الباب السابع

العصر البابلى الاخير

مؤلفـــــــات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

أولا ـ التاريخ المصرى القديم :

١ ـ الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦

٢ ـ مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث — الاسكندرية ١٩٦٩

٣ ـ حركات التحرير فى مصر القديمة — القـــاهرة ١٩٧٦

٤ ـ اخناتون : عصره ودعـــوته — القـــاهرة ١٩٧٩

ثانيا ـ فى تاريخ اليهود القديم :

٥ ـ التوراه (١) ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٣ — الاسكندرية ١٩٧٠

٦ ـ التوراه (٢) ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٤ — الاسكندرية ١٩٧٠

٧ ـ التوراه (٣) ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٥ — الاسكندرية ١٩٧٠

٨ ـ قصة أرض الميعـــاد بين الحقيقة والاسطورة ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٦٦ — الاسكندرية ١٩٧١

٩ ـ النقاوة الجنسية عند اليهود ـ مجلة الاسطول ـ العـــدد ٦٧ — الاسكندرية ١٩٧١

١٠ ـ النقاوة الجنسية عند اليهود ـ مجلة الاسطول ـ العـــدد ٦٨ — الاسكندرية ١٩٧١

١١ ـ أخلاقيات الحـرب عند اليهـــود ـ مجـــلة الاسطول ـ العـــدد ٦٩ — الاسكندرية ١٩٧١

١٢ ـ التلمود ـ مجلة الاسطول ـ العدد ٧٠ — الاسكندرية ١٩٧٢

١٣ ـ اسرائيل ـ الجزء الاول ـ التاريخ — الاسكندرية ١٩٧٨

١٤ ـ اسرائيل ـ الجزء الثانى ـ التاريخ — الاسكندرية ١٩٧٨

١٥ ـ اسرائيل ـ الجزء الثالث ـ الحضارة — الاسكندرية ١٩٧٩

١٦ ـ اسرائيل ـ الجزء الرابع ـ الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩

١٧ ـ النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل الاسكندرية ١٩٧٩

ثالثا ـ فى تاريخ العــرب القديم :

١٨ ـ الساميون والآراء التى دارت حــول موطنهم الاصــــلى الريـــاض ١٩٧٤

١٩ ـ العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة الريـــاض ١٩٧٦

٢٠ ـ مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة الريـــاض ١٩٧٧

٢١ ـ الديانة العــربية القـــديمة الاسكندرية ١٩٧٨

٢٢ ـ العرب والفرس فى العصور القديمة الاسكندرية ١٩٧٩

٢٢ ـ الفـــكر الجـــاهلى القـــاهرة ١٩٨٢

رابعا ـ فى تاريخ العراق القديم :

٢٤ ـ قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة الريـــاض ١٩٧٦

٢٥ ـ قانون حمورابى وأثره فى تشريعات التوراه الاسكندرية ١٩٧٩

خامسا ـ سلسلة دراسات تاريخية من القرآن الكريم :

٢٦ ـ الجزء الاول ـ فى بلاد العرب بـــيروت ١٩٨٨

٢٧ ـ الجزء الثانى ـ فى مصـــر بـــيروت ١٩٨٨

٢٨ ـ الجزء الثالث ـ فى بلاد الشام بـــيروت ١٩٨٨

٢٩ ـ الجزء الرابع ـ فى العـــراق بـــيروت ١٩٨٨

ساد سا ـ سلسلة مصر والشرق الادنى القديم :

٣٠ ـ مصر ـ الجزء الاول ـ الاسكندرية ١٩٨٨

٣١ ـ مصر ـ الجزء الثانى ـ الاسكندرية ١٩٨٨

٣٢ ـ مصر ـ الجزء الثالث ـ الاسكندرية ١٩٨٨

٣٣ ـ الحضارة المصرية ـ الجزء الاول الاسكندرية ١٩٨٩

٣٤ ـ الحضارة المصرية ـ الجزء الثانى الاسكندرية ١٩٨٩

٣٥ ـ تاريخ العـــرب القـــديم الاسكندرية ١٩٨٨

٣٦ ـ الحضارة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٨٨

٣٧ ـ بلاد الشــــام الاسكندرية ١٩٩٠

٣٨ ـ المغــرب القــديم الاسكندرية ١٩٩٠

٣٩ ـ العــراق القــديم الاسكندرية ١٩٩٠

سابعا ـ سلسلة : فى رحاب النبى وآل بيته الطاهرين :

٤٠ ـ السيرة النبوية الشريفة ـ الجزء الاول ـ بــيروت ١٩٩٠

٤١ ـ السيرة النبوية الشريفة ـ الجزء الثانى ـ بــيروت ١٩٩٠

٤٢ ـ السيرة النبوية الشريفة ـ الجزء الثالث ـ بــيروت ١٩٩٠

٤٣ ـ السيد فاطمة الزهــراء بــيروت ١٩٩٠

٤٤ ـ الامام على بن أبى طالب (الجزء الاول) بــيروت ١٩٩٠

٤٥ ـ الامام على بن أبى طالب (الجزء الثانى) بــيروت ١٩٩٠

٤٦ ـ الامام الحسن بن عــلى بــيروت ١٩٩٠

٤٧ ـ الامام الحسين بن على بــيروت ١٩٩٠

٤٨ ـ الامام على زين العابدين بــيروت ١٩٩٠

ثامنا ـ معجم البلدان الكبرى فى مصر والشرق الادنى القديم :

(بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/محمد جمال الدين مختار) ـ تحت الطبع



المؤلف فى سطور

دكتور

محمد بيومى مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

١ ـ ولد فى البصيلية ـ مركز ادفو ـ محافظة أسوان ٠

٢ ـ حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بمعهد المعلمين بقنا ، حيث تخرج فيه عام ١٩٤٩ ٠

٣ ـ عمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم (١٩٤٩ ـ ١٩٦٠) ٠

٤ ـ حصل على ليسانس الآداب بمرتبة الشرف من قسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٠م ٠

٥ ـ عين معيدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٦١م ٠

٦ ـ حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف فى التاريخ القديم من كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩م ٠

٧ ـ عين مدرسا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم فى كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩م ٠

٨ ـ عين أستاذا مساعدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم فى كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٤م ٠

٩ ـ عين أستاذا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم فى كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م ٠

١٠ ـ أعير الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض فى الفترة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧م ٠

١١ ـ عين عضوا فى مجلس ادارة هيئة الآثار المصرية فى عام ١٩٨٢م ٠

١٢ ـ عين عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة فى عام ١٩٨١م •

١٣ ـ أعير الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة فى الفترة ١٩٨٣ـ١٩٨٧م •

١٤ ـ عين رئيسا لقسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية فى كلية الآداب جامعة الاسكندرية (١٩٨٧ ـ ١٩٨٨م) •

١٥ ـ أختير مقررا للجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين فى الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم (١٩٨٨ ـ ١٩٨٩م) •

١٦ ـ عين أستاذا متفرغا فى كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية فى عام ١٩٨٩م •

١٧ ـ عضو لجنة التراث الحضارى والأثرى بالمجالس القومية المتخصصة •

١٨ ـ عضو اللجنة الدائمة للآثار المصرية فى هيئة الآثار •

١٩ ـ عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين فى الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الادنى القديم •

٢٠ ـ عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة فى الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الادنى القديم •

٢١ ـ عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين فى التاريخ •

٢٢ ـ أشرف وشارك فى مناقشة أكثر من ٢٥ رسالة دكتوراه وماجستير فى تاريخ وآثار وحضارة مصر والشرق الادنى القديم فى الجامعات المصرية والعربية •

٢٣ ـ أسس وأشرف على شعبة الآثار المصرية بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٨٢ •

٢٤ ـ شارك فى حفائر كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية فى الوقف ـ مركز دشنا ـ محافظة قنا ، (فى عام ١٩٨٠/١٩٨١م) ، وفى «تل الفراعين» مركز دسوق ـ محافظة كفر الشيخ (فى عام ١٩٨٣/٨٢) •

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع جوده - راس التين - الاسكندرية
تليفون ٨٠٣٢٥٠